



ومشورة
٢٢ يوليو

السادات

دراسة في فكر
أنور السادات
من ١٩٤٨
إلى ١٩٥٩



تأليف: كرم شلبي
تقديم: عيسى سعد الدين

السادات وثورة يوليو دراسة في فكر أنور السادات

من ١٩٤٨ إلى ١٩٥٩

بقام: كرم شلبي
تقديم: مرسى سعد الدين

الناشر
دار الموقف العربي
"عبد العظيم مناف"
٣٨ شارع قصر العيني
تليفون: ٢٣٢٥١

هذا

الكتاب

بقلم: الدكتور مرسى سعد الدين

● هذا الكتاب هو النص الكامل لأول رسالة علمية قدمت إلى الجامعات المصرية عن « أنور السادات » ... وهى رسالة الماجستير التى تقدم بها الكاتب الصحفي كرم شلبي إلى كلية الاعلام جامعة القاهرة ، وكان عنوانها « أنور السادات الصحفي .. وفكر ثورة يوليو السياسى » .

وإذا كانت هذه الرسالة العلمية الجامعية ، تستمد أهميتها أساسا من تناولها لموضوع جديد ، وجانب من جوانب الحياة الفكرية للرئيس أنور السادات لم يسبق للباحثين والمؤرخين تناوله والبحث فيه . ولاكونها تكشف عن صفحة مجهولة فى تاريخ سيادته لم يكن معروفا من تفاصيلها — قبل هذا الكتاب — إلا القليل .. وهى الفترة التى عمل فيها السيد الرئيس بالصحافة قبل وبعد قيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ . فان الذى يضاعف من أهميتها أنها لم تتناول تلك الفترة وهذا الجانب الفكرى تناولاً مجرداً ، وإنما جعلت منطلقه الأساسى هو الفكر السياسى لثورة ٢٣ يوليو وكيف كان الرئيس السادات يرصد هذا الفكر ويعبر عنه ويؤرخ له بكتابات ، وبذلك فان القارئ يجد نفسه أمام أنور السادات الصحفي ، وأنور السادات السياسى ، وأنور السادات الكاتب والمؤرخ والمفكر فى آن واحد . كما يجد نفسه كذلك أمام وثيقة تاريخية شديدة الأهمية ، تحوى الكثير من المعلومات والأسرار عن كيفية تشكيل الفكر السياسى للثورة والعوامل والظروف والمواقف والأحداث التى ساهمت

في ذلك وحتمت على الثورة اتخاذ الكثير من قراراتها ومواقفها تجاه العديد من قضايا العمل السياسى داخليا وخارجيا • وهو ما كشف عنه الرئيس أنور السادات في مقالاته وكتابات ، والتي لولاها نضل هذا الجانب الرئيسى والهام في تاريخ الثورة غائبا وبعيدا عن متناول الباحثين والدارسين والمؤرخين ، وذلك لأن الرئيس السادات وحده ، كان في تلك الفترة التى عمل فيها بالصحافة ، هو « الصحفى » الوحيد الذى يستطيع الحصول على أدق الأسرار والمعلومات التى لا يمكن لأى صحفى آخر أن يحصل عليها ، وذلك بحكم وجوده في قمة جهاز السلطة صانعة القرار باعتباره عضوا من أعضاء تنظيم الضباط الأحرار وهيئته التأسيسية ، وكذلك لأنه مارس العمل السياسى بعد قيام الثورة في أكثر من موقع شديد الحساسية والأهمية فقد كان عضواً بمجلس القيادة وعضواً بمحكمة الثورة ومسئولاً عن الصحافة والنشر بمجلس القيادة ، وسكرتيراً عاماً للمؤتمر الاسلامى ، ورئيس مجلس ادارة دار التحرير للصحافة ، ووزير دولة للاتحاد القومى • الخ •

وإذا كانت اللجنة العلمية التى تشكلت لمناقشة هذه الرسالة ، والتى ضمت ثلاثة من كبار العلماء والأساتذة هم الدكتور محمود خيرى عيسى عميد كلية الاقتصاد والعلوم السياسية ، والدكتور عبد الملك عوده عميد كلية الاعلام ، والدكتور محمود نجيب أبو الليل رئيس قسم الصحافة بكلية الاعلام ، قد سبقتنى إلى تقييم هذا الجهد الكبير الذى بذله كرم شلبى ، ومنحت الرسالة تقدير « ممتاز » ••• فأننى واثق من أن القارئ وبعد أن ينتهى من قراءة هذا الكتاب ، سوف يضم رأيه إلى رأى اللجنة الموقرة وإلى رأى أى أيضاً ، ذلك لأنه سوف يلمس الجهد المبذول في اعداد هذا البحث ، وكيف أن كرم شلبى لم يقتصر فقط على مجرد تحليل كل ما كتبه الرئيس السادات من مقالات في الصحف التى أصدرها وكتب فيها داخل سجن « القاهرة » عام ١٩٤٦ •• ثم في مجلة المصور عام ١٩٤٨ وفي جريدة الجمهورية ومجلة التحرير في الفترة من ١٩٥٣ حتى ١٩٥٩ • بل رجع إلى جانب ذلك — ولكى تتضح الأبعاد

الكاملة لفكر الرئيس وفكر الثورة — إلى كافة المراجع العربية والأجنبية
التي تعرضت لجوانب هذا الموضوع •

وذلك ، وان كان جهدا يشكر عليه الباحث ، إلا أنه ليس بالجهد
الغريب أو الجديد على هذا الكاتب الشاب ، فقد سبق له أن قدم العديد
من الكتب والمؤلفات التي تناولت عددا من أهم القضايا السياسية
والفكرية ، عالجها بجهد وموضوعية ومثابرة •• وقدم فيها اضافات
جديدة ورائدة •

وأخيرا •• فانه يمكننى القول مطمئنا ، ان مكتبتنا العربية تشهد
بهذا الكتاب اضافة جديدة إلى ما تحويه من مؤلفات ووثائق تاريخية
وسياسية واعلامية •• وتشهد كتابا جديدا وفريدا عن أنور السادات
وثورة ٢٣ يوليو ••

د • مرسى سعد الدين

مقدمة

● هذه الدراسة في كتابات أنور السادات الصحفية ، تنصب أساسا على ما كتبه أنور السادات في جريدة الجمهورية ومجلة التحرير ، في الفترة منذ بدأ الكتابة وتولى مسئولية اصدار هذه الجريدة وهذه المجلة في ٧ ديسمبر ١٩٥٣ — عندما صدر العدد الأول من جريدة الجمهورية — وحتى توقف عن الكتابة وترك هذه المسئولية في ٢٤ أبريل عام ١٩٥٩ . أما ما نهدف إليه من ذلك فهو أن نتبين إلى أي حد كان أنور السادات يعبر عن الفكر السياسي للثورة ومدى قدرته على هذا التعبير فيما كتبه ، وكذلك إلى أي حد تعد هذه الكتابات الصحفية مصدرا رئيسيا من مصادر التاريخ للفكر السياسي لثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ . وذلك أمر ضروري — في رأينا — على أساس أن هذه الفترة كتب فيها السادات في الصحافة من ١٩٥٣ وحتى عام ١٩٥٩ ، كانت هي الفترة المهمة والأساسية في تشكيل الفكر السياسي للثورة ، وهو الفكر الذي تشكل من خلال مواجهة الثورة لقضايا العمل السياسي في الداخل متمثلا في المحاولات والخطوات لتنفيذ المبادئ الستة الرئيسية التي وضعتها برنامجا للعمل السياسي ودليلا إليه . ومن خلال القضايا السياسية الأخرى أيضا والتي فرضت نفسها فرضا على الثورة في إطار مواجهتها للاستعمار ، وتمثلت في قضية الأحلاف وتسليح الجيش وتمويل بناء السد العالي ، وتأمين قناة السويس . . وما إلى ذلك . ثم القضية الأساسية الأخرى التي واجهت الثورة خلال تلك الفترة ، وفرضت عليها تحديد انتماء مصر إلى الكيان العربي وانتهاج سياسة عربية واضحة في المجالين العربي والخارجي .

ونظرا لأن أنور السادات قد تناول هذه القضايا كلها في كتاباته ، فالمفروض أنه كان يعبر بذلك ومن خلاله عن مواقف الثورة ووجهات نظرها تجاه هذه القضايا وبالتالي يعبر عن الفكر السياسي للثورة ، وذلك لأن هذه

الصحف التي كان يكتب فيها كانت هي الصحف الرسمية للثورة ولسان حالها في التعبير ، وباعتبار أنه كان طوال هذه الفترة التي مارس فيها العمل الصحفي والكتابة أحد أعضاء جهاز سلطة الثورة في الحكم ، بل ومارس العمل السياسي في ذلك الوقت في العديد من مواقعه الهامة إذ كان إلى جانب عضويته لمجلس قيادة الثورة ، مسئولاً عن الصحافة والرقابة والنشر ، ثم عضواً بمحكمة الثورة ، وسكرتيراً عاماً للمؤتمر الإسلامي ووزير دولة للاتحاد القومي . وكان ذلك كفيلاً أن يتيح له الفرصة لرصد الفكر السياسي للثورة من مواقع متعددة ، والحصول على قدر من المعلومات التي لا يسهل لصحفي آخر الحصول عليها .

وثمة ضرورة هامة أخرى تحتم البحث عن مدى تعبير أنور السادات عن الفكر السياسي لثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، وهي أن كثيراً من الباحثين (العرب والأجانب) عندما تصدوا للبحث في تاريخ الثورة وجوانبه المختلفة ، كانوا يعتمدون — وبشكل أساسي — على كتابات أنور السادات في هذا الموضوع . وهي وإن كانت قد صدرت في هيئة « كتب » إلا أن أصولها كلها كانت هي المقالات التي كتبها في جريدة الجمهورية وفي مجلة التحرير . فكتابه « صفحات مجهولة » كان هو مجموعة المقالات التي بدأها في الجمهورية يوم ٧ ديسمبر ١٩٥٣ بعنوان « صفحات مجهولة من كتاب الثورة » . وكتابه « أسرار الثورة المصرية » كان هو أيضاً مجموعة المقالات التي كتبها بعنوان « خفايا وأسرار » و « قصة محمد نجيب كاملة » و « قصة الثورة والديمقراطية » وهي التي نشرت جميعها في جريدة الجمهورية . وكتابه « يا ولدي هذا عمك جمال » . كان هو أيضاً مجموعة المقالات التي نشرها في مجلة التحرير بداية من العدد الصادر في ١٩ مارس عام ١٩٥٧ . وكذلك كان كتاب « نحو بعث جديد » هو سلسلة المقالات التي نشرت بنفس العنوان في جريدة الجمهورية في الفترة من ١٦ أغسطس ١٩٥٤ إلى ١٣ سبتمبر من نفس العام . وكذلك كان كتاب « معنى الاتحاد القومي » و « قصة الثورة كاملة » و « القاعدة الشعبية » إذ تضمنت كلها المقالات التي نشرها في جريدة الجمهورية في أوقات متفرقة خلال عمله الصحفي .

فاذا كان كثير من الباحثين (العرب والأجانب) — كما سبق القول — قد اعتمدوا هذه الكتابات أساساً في التاريخ للثورة ، وكان من هؤلاء الأجانب على وجه التحديد « Peter Mansfield » في كتابه « Nasser's of Egypt » و « Tom Little » في كتابه « Egypt » و « Vatikiotis » في كتابه

«The Egyptian Army in Politics» وكان من بينهم أيضا «Arsckine Schilders» في كتابه «The Road to Suez» . فان بحثنا هذا في إثبات أن أنور السادات كان يعبر عن فكر الثورة السياسى أو عكس ذلك ، يحدد قيمة وأهمية هذه المراجع كلها وغيرها فيما تناولته عن فكر الثورة من جوانبه المختلفة .

غير أنه وإن كانت هذه الدراسة قد تحددت في الفترة من ١٩٥٣ وحتى عام ١٩٥٩ ، وهى الفترة التى شهدت كتابات أنور السادات في صحف رسمية أصدرتها الثورة ، فقد كان من غير الممكن أن تغفل فترة هامة أخرى في تجربة أنور السادات في العمل الصحفى ، وهى الفترة التى شهدت عمله في الصحافة قبل الثورة عندما عمل في « مجلة المصور » بدار الهلال عام ١٩٤٨ . ذلك لأن التعرض لهذه التجربة ومناقشتها كان ضروريا لسببين :

أولا : لأنها تكشف في بعض جوانبها عن الفكر السياسى لأنور السادات وممارسته للعمل السياسى قبل قيام الثورة .

ثانيا : لأنها تكشف عن قدرة أنور السادات على العمل الصحفى وامكانياته واستعداده لهذا العمل قبل أن يتولى مسئولية إصدار صحف للثورة والكتابة فيها والتعبير عن مواقفها .

وإلى جانب ذلك . . فقد كان من الضرورى — ولكى يتحقق الهدف من هذه الدراسة — أن تتناول جانبين أساسيين :

جانب سياسى : يتعرض لتابع الفكر السياسى للثورة ، وهى الأفكار السياسية عند الضباط الأحرار الذين قام تنظيمهم بالحركة العسكرية لتغيير النظام ليلة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، والظروف والعوامل التى شكلت أفكارهم على النحو الذى كانت عليه بحيث جاءت المبادئ الستة محصلة نهائية لهذا الفكر ، ثم ظروف وخطوات تحقيق هذه المبادئ وكيفية ذلك . إلى جانب ما يشمله هذا الجانب السياسى أيضا من قضايا فرضت نفسها على الثورة — خارج إطار المبادئ الستة وهى القضايا التى كانت قيادة الثورة مضطرة لمواجهةها أيضا والتصرف حيالها كأمر واقع ، وساهمت بدور أساسى في تشكيل الفكر السياسى للثورة .

وجانب فنى : يتناول عناصر العمل الصحفى الأساسية ومدى توفرها في

كتابات أنور السادات والاعتبارات السياسية التي قد يكون لها تأثيرها في هذه الكتابات وذلك لتبين إلى أي حد كانت قدرة السادات على تناول الموضوعات والقضايا التي تعرض لها ، وإلى أي حد كانت قدرته في التعبير عنها .

وفي إطار هذين الجانبين — الذي لا يمكن الفصل بينهما فصلا تاما بطبيعة الحال — فقد كان لابد أيضا التعرض لتجربة أنور السادات الخاصة في العمل السياسي والعمل الصحفي ، باعتبار أنها كانت تجربة متميزة ومتفردة اختص بها وحده من بين ضباط التنظيم والضباط أعضاء مجلس قيادة الثورة . وكان لها أثرها الواضح في كتاباته التي تناول فيها القضايا التي واجهت الثورة في مجال العمل السياسي داخليا وخارجيا طوال الفترة من ١٩٥٣ إلى ١٩٥٩ .

وعلى هذا الأساس فقد رأيت أن يأتي تفصيل هذه الدراسة وهذا البحث على النحو التالي :

الباب الأول ، ويتناول « منابع الفكر السياسي للثورة » في فصلين ، أحدهما عن « الفكر السياسي للضباط الأحرار » والثاني عن « تجربة أنور السادات الخاصة في العمل السياسي والعمل الصحفي » .

والباب الثاني، ويتناول « المبادئ الستة للثورة في كتابات أنور السادات » وقد جاء التعبير عن هذه المبادئ مندرجا تحت فصلين هما « قضية الاستعمار » و « قضية الديمقراطية » .

أما الباب الثالث ، فقد تناولت فيه موقف أنور السادات وتعبيره عن القضايا التي فرضت نفسها على الثورة . وقد تمثلت هذه القضايا في « قضية الأحلاف » وهي التي جاءت في فصل قائم بذاته . بينما قضايا تسليح الجيش وتمويل السد العالي وتأمين قناة السويس ، ونظرا لأنها كلها قد ارتبطت ببعضها البعض بشكل لا يمكن الفصل بينها ، وكانت كلها بمثابة حلقات متتالية أدى بعضها إلى البعض الآخر ومهدت لوقوع الصدام العسكري بين الاستعمار والثورة في سلسلة متصلة من الأفعال وردود الأفعال فقد تناولت هذه القضايا كلها وعلى النحو الذي وقعت عليه وبالكيفية التي عرض لها السادات في فصل قائم بذاته . أما الفصل الثالث أو القضية الثالثة في هذه القضايا التي طرحت نفسها على الثورة فقد كانت هي « القضية القومية »

وهى القضية التى جربت قيادة الثورة فى اطارها التيارات الفكرية الأساسية التى سادت الحياة المصرية وهى الفكرة الاسلامية والفكرة المصرية والفكرة العربية ، وانتهت فى آخر الأمر للأخذ بالفكرة العربية وفق ظروف حتمت ذلك ، واصبحت لمصر منذ ذلك التاريخ سياسة عربية بارزة وواضحة المعالم فى المجالين العربى والدولى .

ثم كان آخر ابواب الدراسة هو الباب الرابع الذى يعرض « لسمات العمل الصحفى عند أنور السادات » والذى يتناول جانبين أساسيين فى اطاره ، هما الجانب الفنى الذى يتعلق بفنون الكتابة وخصائص الأسلوب ، والجانب السياسى الذى يتعلق بالمنطلقات الأساسية التى خضع لها أنور السادات فى هذا العمل ومدى تأثيرها على كتاباته وعلى طريقة إصداره للصحف التى تولى مسئولية إصدارها . وقد جاء كل جانب من هذه الجوانب فى فصل قائم بذاته .

وتأتى الخاتمة فى النهاية متضمنة لأهم النتائج والملاحظات التى خرجنا بها من هذا البحث . وبعدها « ملحق » تفصيلى بكافة المقالات التى كتبها أنور السادات فى الصحف ، وهى التى نشرت فى مجلة المصور عام ١٩٤٨ ومجلة التحرير وجريدة الجمهورية فى الفترة من ١٩٥٣ وحتى ١٩٥٩

وفىما يتعلق بالمنهج التى أخذت بها فى هذا البحث ، فقد كانت ثلاثة مناهج رئيسية هى :

أولا : المنهج التاريخى . وهو المنهج الذى حتمته ضرورة عرض القضايا والأحداث التى واجهت الثورة والظروف والعوامل التى أوجدتها فى فترة زمنية معينة . وعلى النحو الذى أصبح وجودها حتمية تاريخية فى الفكر السياسى للثورة .

ثانيا : المنهج التحليلى ، وهو الذى كان الأخذ به أيضا ضرورة يحتمها البحث فى النصوص والوثائق المختلفة لاستخلاص الآراء والمواقف التى تحدد فى إطارها الفكر السياسى للثورة .

ثالثا : المنهج المقارن . وكان ذلك لإبراز معالم الفكر السياسى للثورة على النحو الذى أمكن استخلاصه من كتابات أنور السادات الصحفية ، وقياسا على ما وصل إليه بعض الباحثين والمؤرخين لنفس القضايا

وفي نفس الفترة الزمنية التي وقعت فيها ، لتبين جوانب الصواب والخطأ في الآراء التي تنتهى إليها .

أما بالنسبة للمراجع ، فإنه إلى جانب الكتب والدراسات والبحوث العربية والأجنبية التي تناولت جوانب متعددة تدخل في إطار هذه الدراسة فإن الاعتماد الأساسى إلى جانب ذلك كان على الصحف والمجلات المصرية التى كانت تصدر في نفس الفترة وهى في رأى يمكن تقسيمها إلى ثلاثة أقسام :

أولا : الصحف والمجلات التى كتب فيها أنور السادات وهى :

١ — جريدة الجمهورية في الفترة من ٧ ديسمبر ١٩٥٣ وحتى ٢٤ أبريل ١٩٥٩

٢ — مجلة التحرير في الفترة من أول يناير ١٩٥٤ وحتى ٢١ أبريل ١٩٥٩

٣ — مجلة أهل الفن — عام ١٩٥٦ (وهى التى نشر فيها أنور السادات احدى قصصه التى كتبها) .

٤ — مجلة المصور عام ١٩٤٨

ثانيا : صحف ومجلات أصدرتها الثورة — وكان ذلك لتبين المقارنة بين كتابات أنور السادات وكتابات صلاح سالم وخالد محيى الدين بالذات ، باعتبار ان كل منهما كان عضوا من أعضاء مجلس قيادة الثورة ، ويعمل هو الآخر في صحيفة رسمية تنطق باسم الثورة — وهذه الصحف هى :

١ — الشعب — وصدرت في الفترة من ١٩٥٦ إلى ١٩٥٩

٢ — المساء — وصدرت في نفس الفترة .

ثالثا : صحف ومجلات أخرى . وهى الصحف والمجلات غير الرسمية التى كانت تصدر في ذلك الوقت ، وكان الهدف من الرجوع إليها هو تبين الأحداث والوقائع السياسية كما كانت تنشرها هذه الصحف والمقارنة بينها وبين صحافة الثورة فيما كانت تنشره خاصة فيما يتعلق بالأحداث والقضايا السياسية الداخلية المهمة كقضايا الأحزاب وموقف الثورة

منها ، وأزمة مارس ١٩٥٤ وما شهدته من أحداث كان لها تأثيرها الواضح في الواقع السياسى المصرى فى تلك الفترة وكانت أهم هذه الصحف التى رجعت إليها هى :

١ - جريدة الأهرام .

٢ - جريدة المصرى .

٣ - مجلة روز اليوسف .

وفى النهاية ، فأننى وأن كنت لا أريد أن أعرض هنا للصعوبات الكثيرة والتشديدة التى واجهتها أثناء إعداد هذه الدراسة ، باعتبار أن ذلك هو قدر الباحثين جميعا ، إلا أنه لا يمكننى أن أغفل الجهود التى عاونتنى على اجتياز هذه الصعوبات جميعها والتى تجسدت فيما قدمه أساتذتى الكبار ، الأستاذ الدكتور محمود نجيب أبو الليل أستاذ ورئيس قسم الصحافة بكلية الاعلام والمثرف على هذا البحث ، والأستاذ الدكتور عبد الملك عودة عميد كلية الاعلام ، والأستاذ الدكتور محمود خيرى عيسى عميد كلية الاقتصاد والعلوم السياسية ، إذ اعطوا من علمهم ووقتهم وجهدهم الكثير والكثير لى ولهذا البحث . وكل ما أرجوه أن أكون قد وفقت فى الافادة من علمهم وجهدهم ، وأن يكون هذا البحث هو الدليل على ذلك .

والله الموفق .

الباب الأول

مناهج الفكر السياسي للثورة

الفصل الأول

الفكر السياسى للضباط الأحرار

يتفق الباحثون جميعا على أن حركة الجيش التى قادها تنظيم الضباط الأحرار^(١) ليلة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ فى مصر ، وان كانت قد أعلنت عن الأهداف التى قامت من أجل تحقيقها ، وهى الأهداف التى تمثلت فى المبادئ الستة المعروفة (القضاء على الاستعمار وأعوانه ، القضاء على الاقطاع ، القضاء على الاحتكار وسيطرة رأس المال على الحكم ، اقامة عدالة اجتماعية ،

(١) بدأت النواة الأولى لهذا التنظيم عام ١٩٢٨ بمجموعة من الضباط فى معسكر « تباب الشريف » بمنطقة « منقباد » بالصعيد ، جمعت بينهم زمالة العمل والسخط على الإنجليز . وكان من بين هؤلاء الضباط جمال عبد الناصر وأنور السادات ، وأخذت هذه المجموعة تعمل على ضم عدد آخر من الضباط إليها حول نفس الفكرة « السخط على الإنجليز » . وظل كل فرد فى هذه المجموعة يعمل بمفرده بعد أن تفرقوا فى أماكن متعددة . فنقل جمال عبد الناصر إلى السودان عام ١٩٣٩ ، وأخذ أنور السادات فى القاهرة يوالى اتصالاته بالضباط ، وتشكلت مجموعة ضمت إلى جانبه عددا من ضباط الطيران كان من بينهم عبد اللطيف البغدادي وحسن إبراهيم وحسين ذو الفقار صبرى وعبد المنعم عبد الرؤوف ووجيه أبازة وأحمد سعودي وحسن عزت ومن سلاح الفرسان خالد محيى الدين ، وكان محور تفكيرهم آنذاك هو البحث عن دور للشعب المصرى خلال الحرب العالمية الثانية التى تدور على أرضه ، ودعاهم ذلك إلى التفكير فى الاتصال بالألمان ، وفى عام ١٩٤٣ عاد عبد الناصر من السودان ليواصل اتصالاته بين الضباط ، واستمر ذلك حتى عام ١٩٤٨ ليتوقف نشاط الضباط بسبب نشوب حرب فلسطين . وفى عام ١٩٤٩ ، بدأ التفكير فى تشكيل أول جهاز للتنظيم ، فتكونت اللجنة التأسيسية للضباط الأحرار فى أواخر عام ١٩٤٩ وأوائل عام ١٩٥٠ ، وضمت جمال عبد الناصر وحسن إبراهيم وخالد محيى الدين وكمال الدين حسين وعبد المنعم عبد الرؤوف وصالح سالم وعبد اللطيف البغدادي وعبد الحكيم عامر وأنور السادات وجمال سالم . وفى هذا العام (١٩٥٠) أطلق اسم الضباط الأحرار على التنظيم وصدر أول منشور لهم فى شهر فبراير .

راجع : جريدة الجمهورية : ١٠ ديسمبر ١٩٥٣ — مقال لأنور السادات بعنوان « صفحات مجهولة من كتاب الثورة » ومجلة التحرير : ٢١ مايو ١٩٥٧ — مقال لأنور السادات بعنوان « مذكرات أنور السادات » وأحمد حمروش : قصة ثورة ٢٣ يوليو — الجزء الأول — المؤسسة العربية للدراسات والنشر — بيروت — ١٩٧٤ — ص ٩٧ ، ١٤٦ ، ١٤٧ وكذلك :

1. Marlowe (John) : Anglo Egyptian Relations 1800—1953, The Cassel Press, London, 1973, P. 330.
2. Mansfield (Peter) : Nasser's of Egypt, Pen- guin, London, 1954, pp. 36, 37.

اقامة جيش وطنى قوى ، اقامة حيادة ديموقراطية سليمة) . فان هذه الاهداف لم تكن تنطلق من نظرية سياسية تملكها هذه الحركة وتعتمد عليها فى خطوات مسيرتها وأسلوب عملها لتحقيق هذه الاهداف أو غيرها .

غير أن هذه المبادئ الستة للحركة ، وإن كانت لم تعبر عن وجود نظرية سياسية معينة ، ولم توضع فى إطار مثل هذه النظرية ، وجاءت كمجرد دليل للعمل يفتقد وجود خطة محددة للتنفيذ . إلا أنها فى نفس الوقت لم تكن قد جاءت من فراغ ، بل كانت هى محصلة الفكر السياسى لهؤلاء الضباط ، وانعكاسا حقيقيا لطبيعة تنظيمهم وظروف تشكيله .

وبحثنا عن المنابع الفكرية لهذه الأفكار السياسية التى تمثلت فى المبادئ الستة التى أعلنتها حركة الجيش والعوامل التى أدت إلى التوصل إليها ، فأتينا نجد أن الواقع الطبقي والاجتماعى لمجموعة الضباط فى تنظيم الضباط الأحرار كان هو الأساس لهذه الأفكار . وذلك لأن هذه المجموعة من الضباط كانوا ينتمون جميعا إلى الطبقة المتوسطة والمتوسطة الصغيرة ، وكذلك كان الأحد عشر ضابطا الذين ضمتهم اللجنة التأسيسية للتنظيم عام ١٩٥٠ (١) .

وإذا كان هؤلاء الضباط قد دخلوا إلى الجيش عقب توقيع معاهدة ١٩٣٦ ، ونتيجة للسياسة التى أخذت بها حكومة الوفد بعد توقيع هذه المعاهدة ورغبتها فى زيادة عدد الجيش تأهبا للحرب العالمية الثانية ، مما أتاح لأبناء هذه الطبقة فرصة الالتحاق بالكلية الحربية ، وأن يصبحوا ضباطا فى صفوف الجيش (٢) ، فقد كان معنى ذلك أن وجدت فى الجيش المصرى نواة

(١)

Vatikiotis (P.J.) : The Egyptian Army in Politics- Pattern for New Nations, Indiana University, 1961. P. 40.

وكانت هذه اللجنة تضم جمال عبد الناصر وأنور السادات وزكريا محيى الدين وخالد محيى الدين وصالح سالم وحسين الشافعى وحسن ابراهيم وعبد اللطيف البغدادي وكمال الدين حسين وعبد الحكيم عامر وجمال سالم - راجع (أحمد حمروش : قصة ثورة ٢٣ يوليو - الجزء الاول - (مصر والعسكريون) - المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت - ١٩٧٤ - ص ١٤٧

(٢) د. محمد انيس والسيد رجب حراز: التطور السياسى للمجتمع المصرى الحديث - دار النهضة العربية - القاهرة - ١٩٧٢ ، ص ٢٣٤

من أبناء الطبقات الشعبية التى تستشعر آلام هذه الطبقة وتدرك معاناتها وتعرف اتجاهاتها الوطنية ، خاصة وأن هذه المجموعة من الضباط ، كانت بحكم السن تنتمى إلى جيل الشباب الوطنى الذى شاهد وشارك فى المظاهرات ضد الاحتلال البريطانى والمطالبة بالاستقلال^(١) .

أما العامل الثانى ، فقد تمثل فى واقع الجيش المصرى كما عاشه الضباط الأحرار ، وادراكهم لأسباب الفساد فيه . ذلك لأن هؤلاء الضباط عقب تخرجهم من الكلية الحربية عام ١٩٣٨ وما بعدها ، كانوا يمثلون طبقة « صفار الضباط » داخل الجيش ، وكان لابد وأن يصددهم سلوك قادتهم الكبار من فئة الضباط العظام الذين كانوا حريصين على إبداء مظاهر الولاء لبريطانيا على نحو ما درج عليه أبناء المدرسة العسكرية القديمة ، والذين وضعوا أنفسهم فى خدمة البعثة العسكرية البريطانية والقادة البريطانيين الذين فرضوا وصايتهم على الجيش^(٢) ذلك إلى جانب أن وجود هذه البعثة البريطانية نفسه كان كفيلا بأن يثير حفيظة هؤلاء الضباط الصغار ويثير سخطهم لا على الانجليز فقط ، بل على القادة والحكام الذين وافقوا أصلا على وجود هذه البعثة^(٣) . وعلى هذا النحو كان ادراك الضباط الأحرار لضرورة أحداث تغيير جذرى فى صفوف الجيش وتطهيره من أمثال هؤلاء القادة الذين جعلوا من الجيش أداة لخدمة الاستعمار وخدمة السراى ضد الشعب . وذلك ما يعبر عنه أنور السادات بقوله أن أحد أهداف الضباط الأحرار كان « خلع الجيش من قبضة الملك ، أى انتزاع الخنجر الذى كان يهدد به القوى الشعبية »^(٤) . وكذلك فقد انعكست هذه الرؤية لواقع الجيش وظروفه فى كثير من منشورات تنظيم الضباط الأحرار ، وادراكهم لما ينبغى أن تكون عليه مهمة الجيش بشكل محدد . فجاء فى أحد هذه المنشورات التى صدرت عقب حريق القاهرة فى ٢٦ يناير ١٩٥٢ نداء إلى الضباط يقول « إن الخونة المصريين يعتمدون عليكم وعلى جيشكم للبطش بالشعب وارغامه على قبول ما يكره فليفهم هؤلاء الخونة أن مهمة

(١) مجلة التحرير : ١٩ أكتوبر ١٩٥٤ — مقال لأنور السادات بعنوان « ما لم ينشر من الأسرار » .

(٢) د. محمد انيس والسيد رجب حراز : التطور السياسى للمجتمع المصرى الحديث — دار النهضة العربية — القاهرة — ١٩٧٢ — ص ٢٣٦

(٣) التحرير : ٤ يونيه ١٩٥٧ — مقال لأنور السادات بعنوان « مذكرات أنور السادات »

(٤) الجمهورية : ١٥ مايو ١٩٥٧ — مقال بعنوان « كيف حدثت المعجزة » .

الجيش هي الحصول على استقلال البلاد وصيانتها»^(١). وكذلك فقد أشارت بعض هذه المنشورات إلى الوسائل التي يمكن بها اصلاح حال الجيش — وهي مسألة يبرر وضوحها للضباط طبيعة عملهم كمسكرين داخل الجيش ، ومعرفتهم للكثير من الحقائق عن عوامل النقص والقصور وأسباب الفساد داخله — فجاء في أحد منشورات تنظيم الضباط تصورهم لهذا الاصلاح بقولهم « نحن نطالب بتسليح الجيش من جميع الدول التي تبيع لنا سلاحا ، سواء كانت شرقية أم غربية ، كما نطالب بإنشاء مصانع أسلحة تستورد لها الآلات من كل الدول .. ونطالب بتدريب الجيش تدريباً حقيقياً حتى يكون قادراً على تلبية نداء الوطن »^(٢).

ومن هنا ، فقد كان أمراً طبيعياً أن يكون من بين المبادئ الستة مبدا « اقامة جيش وطنى قوى » بل وأن تسارع الحركة فور قيامها بأجراء عمليات تطهير بالجيش ، وتحرص على أن توضح ذلك وتشير إليه في بيانها الأول الذى جاء في نصه « تأمر الخونة على الجيش ، وتولى امره اما جاهل أو فاسد حتى تصبح مصر بلا جيش وعلى ذلك فقد قمنا بتطهير أنفسنا »^(٣).

أما العامل الثالث ، فقد تجسد في حادث ٤ فبراير ١٩٤٢ الذى كان له صدى عميق في صفوف الجيش ، ذلك لأن الضباط داخل الجيش رأوا في هذا الحادث امتهانا لكرامة بلادهم وعدوانا على استقلالها وتحديا لكرامتهم العسكرية كضباط^(٤)، وكان ذلك دافعا حفز تنظيم الضباط الأحرار للتفكير في رد هذه الاهانة ، وتوجيه ضربة إلى الانجليز ، وكما يقول أنور السادات « كانت البلاد في ذهول من الحادث ، وطاش صواب ضباط الجيش ، وبدأنا نحن في تشكيلنا نفكر ، فمع تصميمنا على وجوب رد هذه الضربة للانجليز ،

(١) أحمد حمروش : قصة ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ — الجزء الأول — المؤسسة العربية للدراسات والنشر — بيروت — ١٩٧٤ — ص ١٧٨

(٢) كمال الدين رفعت : حرب التحرير الوطنية بين الفاء معاهدة ١٩٣٦ وتوقيع اتفاقية ١٩٥٤ — (مذكرات) اعداد مصطفى طيبة — دار الكاتب العربى — القاهرة ١٩٦٨ — ص ١٣٦

(٣) عبد الرحمن الرافعى : ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ — تاريخنا القومى في سبع سنوات ١٩٥٢ — ١٩٥٩ — مكتبة النهضة المصرية — القاهرة — ١٩٥٩ — ص ٢٤

(٤) طارق البشري : الحركة السياسية في مصر ١٩٤٥ — ١٩٥٢ — الهيئة المصرية العامة للكتاب — القاهرة — ١٩٧٢ — ص ٤٦١

قررنا تأجيل هذا الرد « (١) . ولكن هذا الحادث لم تقف آثاره في نفوس الضباط عند حد التفكير في توجيه ضربة للانتقام من الانجليز فقط ، بل اعتبر — في نظرهم كذلك — بمثابة نوع من الخيانة الوطنية التي أقدم عليها حزب الوفد ، وأدى ذلك ببعض الضباط إلى تشكيل مجموعات للاغتيال من بينهم ومن بعض شباب الحزب الوطنى للتخلص من بعض الشخصيات السياسية في حزب الوفد ، وجرت بالفعل محاولة لاغتيال مصطفى النحاس (٢) .

أما العامل الرابع ، فقد كان في نشوب الحرب بين العرب واسرائيل عام ١٩٤٨ ، وهى الحرب التي شارك فيها عدد كبير من الضباط أعضاء التنظيم ، ووقع بعضهم ضمن القوات التي تعرضت للحصار الشهير في منطقة « الفالوجة » ومنطقة « عراق المنشية » . فكانت هذه الحرب بما شهدته من أخطاء وكوارث في العمليات العسكرية وخيانات بلغت حد وضع الأسلحة الفاسدة في يد القوات المحاربة ، كانت ميدانا واقعيا أمام تنظيم الضباط الأحرار كشف لهم عن جوانب جديدة من فساد القيادات العسكرية والسياسية ، وأكدت لهم كذلك وجهات نظرهم القائمة تجاه هذه القيادات ، الأمر الذي جعلهم يتجهون بأنظارهم الى مصر وتتجسد أمامهم على أنها هي « ميدان الجهاد الأكبر » ، كما عبر عن ذلك الضابط أحمد عبد العزيز قبل استشهاده لأحد ضباط تنظيم الضباط الأحرار (٣) ، وكما عبر عن ذلك جمال عبد الناصر بقوله « كنت أجد خواطري تقفز فجأة عبر ميادين القتال وعبر الحدود الى مصر ، وأقول لنفسى : هذا هو وطننا هنا ، انه « فالوجه أخرى على نطاق واسع » (٤) .

وكانت النتيجة ان عاد هؤلاء الضباط من هذه الحرب بقناعة كاملة في ضرورة الاطاحة بالحكم وتغيير الأوضاع القائمة في البلاد (٥) .

(١) الجمهورية : ٢١ ديسمبر ١٩٥٣ — مقال بعنوان « صفحات مجهولة من كتاب الثورة » .

(٢) أحمد حمروش : قصة ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ — (الجزء الأول) — المؤسسة العربية للدراسات والنشر — بيروت — ١٩٧٤ — ص ١٣٣

(٣) جمال عبد الناصر : فلسفة الثورة — مكتبة العرفان — بيروت — بدون تاريخ — ص ٢١

(٤) نفس المصدر .

(٥) Little (Tom) : Egypt, Ernest Ben, London. 1958. P. 177.

وإذا كانت هذه العوامل ، بمثابة تجارب شخصية مباشرة واجهها الضباط الأحرار واصطدموا بها من خلال عملهم داخل الجيش ، فإن ثمة عوامل أخرى من خارج الجيش ، كان لها أيضا أثرها الهام في استخلاص أهداف الثورة ومبادئها عند هؤلاء الضباط .

وهذه العوامل تكمن أساسا في الواقع السياسى والاجتماعى الذى شهدته البلاد والارهاصات التى بدت في مجال العمل الوطنى في ذلك الوقت ، وتمثلت في عدة مظاهر كانت من بينها تلك الانتفاضة الشعبية لمقاومة مشروع (صدقى بيفن) في ٢١ فبراير عام ١٩٤٦ (١) ، ثم ما شهدته هذا العام والأعوام التى تلتها من مظاهر السخط على نظام الحكم خاصة بعد أن كانت قد تسلمت — بالتدريج — إلى الشعب حقائق الهزيمة في فلسطين والتي ظلت لفترة من الوقت معروفة للعسكريين وحدهم (٢) وكذلك شهدت هذه الفترة نفسها بعض مظاهر الصدام بين الفلاحين وكبار الملاك في بعض المناطق مثل « بهوت » و « كفور نجم » وانعكس أثر ذلك كله في بعض الكتابات التى شهدت الصحافة الوطنية والمنشورات السرية ضد طبقة « الباشوات » وكبار الملاك والرأسماليين (٣) ، وشهد عام ١٩٥١ حركة الكفاح المسلح في القناة عقب إلغاء معاهدة ١٩٣٦ . فكانت هذه المظاهر وما جرى على ساحة العمل السياسى والوطنى من بين أهم العوامل التى كان لها أثرها في الضباط .

وكان أبرز الآثار التى تركها هذا الواقع السياسى في نفوس الضباط ، هو أنهم أدركوا من خلاله فساد الحياة السياسية في البلاد ، وزيف الحياة الديمقراطية على النحو الذى كانت ماثلة عليه ، فوجدوا في الدستور والبرلمان والأحزاب مجرد مؤسسات لديمقراطية زائفة تعمل كلها في خدمة الاستعمار والسراى ، أو تعمل لمصالحها الخاصة التى تتعارض تعارضا جذريا مع مصالح الشعب ، وتؤدي إلى سيطرة الاقطاع ورأس المال على الحكم .

(١) طارق البشرى : الحركة السياسية في مصر ١٩٤٥ — ١٩٥٢ — الهيئة العامة للكتاب — القاهرة — ١٩٧٢ — ص ٤٦٣

(٢) Marlowe (John) : Anglo Egyptian Relations 1800—1953, The Casset Press, London. 1954. P. 330.

(٣) شهيد عطية الشافعى : الحركة الوطنية المصرية ١٨٨٢ — ١٩٥٦ — الادار المصرية للكتب — القاهرة — ١٩٥٧ — ص ١٤٤ ، ١٤٥

وتكشف كتابات أنور السادات عن تقييم رجال الثورة لهذه المؤسسات الديمقراطية ووجهة نظرهم فيها . فبالنسبة للدستور يرى السادات أنه « كان هناك دستور » ولكن هذا الدستور كان مسجوناً من أول يوم صدر فيه حين قرر الأمر الملكي بصدوره أنه كان « منحة » من الملك « وكانت ترتكب باسمه الخيانات » وكان هناك ملك حدد له الدستور مكانه « يملك ولا يحكم ولكننا على العكس من ذلك ، رأينا الملك يحكم قبل أن يملك » (١) .

معنى هذا أن العيب لم يكن في جوهر الدستور — كما يرى السادات ، وإنما كان في استغلال هذا الدستور من قبل الملك ومن قبل الأحزاب التي يقول السادات انها « كانت تلجأ إليه لكي تجعل من الأحقاد والمطامع والاستغلال أعمالاً قانونية وهو الذي كان مفروضاً فيه أن يحمي الشعب من حكامه » (٢) .

أما بالنسبة للبرلمان ، فكما يقول أنور السادات « كان مصير البرلمانات معلقاً بيد ولي الأمر الذي يأتهم بأمر المندوب السامي ، وجأرت البلاد بالشكوى ، فقد كان يصاحب البرلمانات مظاهر خطيرة يوم أن كانت تباع كراسي البرلمان لمن يريد دخوله علناً وفي غير حياء ، ويوم كان يعمد المرشحون إلى شراء الأصوات والذمم علناً أيضاً وفي غير حياء ، ويوم أن كانت وظيفة النائب أو الشيخ هي قضاء الحاجات بالثمن لكي يستعيدوا على الأقل ما دفعوه للحزب ثمناً للكرسي ، ويوم أن أصبح النواب والشيوخ نمراً تعارض وتوافق لا للمصلحة العامة وإنما خضوعاً لديكتاتورية حزبية كانت أخطر على هذا البلد ومستقبل هذا البلد من كل أسلحة الأجنبي المحتل » (٣) .

(١) مجلة التحرير : ١٤ مايو ١٩٥٧ — مقال بعنوان « مذكرات أنور السادات » .

(٢) نفس المصدر .

وكانت المادة ٧٨ من هذا الدستور تشترط أن يدفع المرشح للبرلمان تأميناً قدره ١٥٠ جنيهاً وهو مبلغ لا يسهل دفعه في ذلك الوقت من قبل الطبقات الدنيا من الفلاحين والعمال . كما كان هذا الدستور يمنح حقوقاً واسعة للملك تخوله حق حل مجلس النواب وتأجيل انعقاده . كما اشترط في أعضاء مجلس الشيوخ أن يكونوا من طبقة معينة في مستوى كبار الموظفين أو الملاك الذين يؤدون ضريبة لا تقل عن ١٥٠ جنيهاً في العام ومن لا يقل دخلهم السنوي عن ألف وخمسمائة جنيهاً من المشتغلين بالأعمال المالية أو التجارية أو الصناعية أو المهن الحرة . راجع : أحمد حمروش : قصة ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ — الجزء الأول — (مصر والعسكريون) — المؤسسة العربية للدراسات والنشر — بيروت — ١٩٧٤ ص ٢٥١ ، ٢٧٢

(٣) مجلة التحرير : ٢٢ نوفمبر ١٩٥٥ — مقال بعنوان « عزاء للديمقراطية » .

أما بالنسبة للأحزاب ، فقد كتب أنور السادات مسجلا رأيه فيها — حتى من قبل قيام الثورة — فقد كتب في مجلة المصور عام ١٩٤٨ يقول ان الأحزاب « فشلت في بلادنا فشلا ذريعا وان السياسة في بلادنا من نوع عاصر الاحتلال وأشرب في قلبه الخوف والاستكانة وقد استغل الانجليز ذلك أبشع الاستغلال »^(١). وكذلك كان موقف تنظيم الضباط الأحرار ، وكانت نظرتهم إلى الأحزاب القائمة ، إذ وضعوا هذه الأحزاب إلى جانب القصر وإلى جانب الاستعمار في جبهة واحدة هي جبهة أعداء الشعب ، ونجد أنور السادات يعبر عن ذلك في مجال عرضه لواقع الحياة السياسية كما كانت ماثلة أمام قيادة التنظيم فيقول : « وكان أَوْخَف ما نخافه هو أن ييأس الشعب بعد أن توقف المقاومة فعلا في منطقة القناة في مستهل عام ١٩٥٢ ، بعد أن سيطرت عليها الحكومة » ثم يستطرد قائلا « يضاف إلى ذلك حالة الفوضى التي أصبحت تنذر بأخطر العواقب . فالشعب كان يحقد على الملك ، ويحقد على الأحزاب وأصبح الحكم والحكومة ، هما أعدى أعداء الشعب ... ولن يستفيد من كل ذلك إلا العدو الأجنبي الذي يتربص ببلادنا من داخلها وهي بريطانيا »^(٢) ومعنى ذلك أن الأحزاب كل الأحزاب بما في ذلك حزب الأغلبية كانت مرفوضة تماما من قبل رجال الثورة وبالرغم من أى عمل طيب تكون بعض هذه الأحزاب قد قامت به ، وكما يقول السادات « نحن لا ننفي هنا كل الأعمال الطيبة التي قد تكون بعض هذه الأحزاب قد قامت بها ، ولكن الأحزاب كانت جزءا متما و أساسيا في تكريس الجهاز الملكى الذى كانت تحكم به مصر لمصلحة الاستعمار . ويمكن أن يكون الواحد منا انسانا شريفا ومخلصا ولكنه يخدم بحركته نظاما خبيثا شريرا »^(٣) .

ولا شك انه يلفت النظر هنا وضع حزب الأغلبية الى جانب أحزاب الأقلية في كفة واحدة ، بحيث يصبح الجميع أعداء للشعب بما فيهم حزب أغلبية الشعب ، في رأى قيادة الثورة ، ولكن موقف الرفض لهذه الأحزاب من قبل رجال الثورة ، وان كان قد شمل الأحزاب جميعها ، فان أسباب هذا الرفض قد اختلفت وتفاوتت فيما بينها ويوضح أنور السادات ذلك فنجد أن

(١) مجلة المصور : ٦ أغسطس ١٩٤٨ — مقال بعنوان « ٣٠ شهرا في السجن — أيام وليال في سجن مصر » .

(٢) مجلة التحرير : ٢٣ أبريل ١٩٥٧ — مقال بعنوان « مذكرات أنور السادات » .

(٣) الجمهورية : ١٤ مايو ١٩٥٨ — مقال بعنوان « ماذا وراء الاتحاد القومى » — من سلسلة مقالات بعنوان « معنى الاتحاد القومى » .

رفض قيادة الثورة لأحزاب الأقلية كان قائما على أساس أن هذه الأحزاب « لم تحلم يوما بالوصول إلى مقاعد الحكم عن طريق انتخابات نزيهة بريئة من التزوير ، وكانت هذه الأحزاب منذ نشأت تعرف أن طريقها إلى الحكم هو الايقاع بين حزب الأغلبية وحزب الملك والاعتماد على قوى السلطة المحتلة والسلطة الداخلية في حكم البلاد » (١) .

أما حزب الأغلبية (الوفد) فيقول السادات « انه أغرق في الفساد وداخلته شياطين الشهوة ، فضم إليه الاقطاعيين والسماسرة ، وربط بمصالحهم مصيره وبدا هو الآخر ينعزل عن تمثيل الشعب تمثيلا صحيحا يقوده به إلى أهدافه الحقيقية . لقد تمثلت ديكتاتورية الأغلبية في إشبع صورها » (٢) . ولاشك أن أنور السادات كان يقصد بذلك ما شهدته الوفد من تسلل للعناصر التي تمثل الأرستقراطية الزراعية إلى قيادته وهو الأمر الذي أدى إلى صراع حاد بين العناصر القديمة التي كانت تنتمي إلى الطبقة المتوسطة الصغرى وبين هذه العناصر الأرستقراطية الجديدة ، وانتهى إلى انعزال قيادة الحزب عن جماهير الشعب (٣) .

كانت هذه هي صورة الحياة الديمقراطية التي عاشتها مصر ، كما تمثلت أمام رجال الثورة ، ومن خلال المؤسسات التي كانت تمثل مظاهر هذه الحياة الديمقراطية وهذه الحياة كما عبر عنها أنور السادات في كتاباته « لم تكن إلا سلسلة محكمة الحلقات من الفساد والرشوة والمحسوبية » (٤) وهو الفساد الذي أفادت منه بريطانيا تحت ستار من هذه الديمقراطية الزائفة ، ذلك لأنها اتخذت من هذه الديمقراطية غير الحقيقية أداة لبسط نفوذها على الشعب وذلك « بشغل أبنائه بعضهم ضد البعض بهذه اللعبة التي تخلق الصراع في الداخل بين أبناء البلد الواحد ، وتبقى هي عزيزة مكرمة فوق كل صراع تفرض أوامرها وسيطرتها واستعمارها » (٥) .

(١) الجمهورية : ٩ يناير ١٩٥٤ — مقال بعنوان « صفحات مجهولة من كتاب الثورة » .

(٢) الجمهورية : ٩ يناير ١٩٥٤ — مقال بعنوان « صفحات مجهولة من كتاب الثورة »

(٣) د. محمد أنيس : ٤ فبراير ١٩٤٢ في تاريخ مصر السياسي — المؤسسة العربية

للدراسات والنشر — بيروت — ١٩٧٢ — ص ٨٣

(٤) مجلة التحرير : ١٤ مايو ١٩٥٧ — مقال بعنوان « مذكرات أنور السادات » .

(٥) نفس المصدر .

وعلى هذا الأساس ، جاءت المبادئ الستة التي أعلنتها حركة الجيش عند قيامها ليلة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، مستمدة أصولها — كفكر سياسى — من واقع التجربة الشخصية المباشرة للضباط ، ومن واقع الحياة داخل الجيش وخارجه ، ولكن هذه المبادئ ، وإن كانت تعبر عن موقف سياسى واحد لمجموعة الضباط ، فذلك لا يعنى أنهم كانوا جميعا ينتمون إلى تيار فكرى واحد أو اتجاه سياسى واحد . ودليل ذلك أن هؤلاء الضباط فى علاقتهم بالأحزاب والقوى السياسية التى كانت قائمة لم يكونوا جميعا فى موقف واحد من هذه الأحزاب والقوى السياسية ، ولم يكونوا جميعا ينتمون إلى حزب واحد أو قوة سياسية واحدة منها ، فكان جمال عبد الناصر وحسن ابراهيم وخالد محيى الدين وكمال الدين حسين ، وعبد المنعم عبد الرؤوف قد بدأوا جميعا فى ساحة الإخوان المسلمين (١) ، وكان أنور السادات تربطه وحسن البنا علاقة صداقة أساسها التفكير فى امكانية القيام بعمل مشترك بين التنظيم وجماعة الإخوان ، وذلك ما يشير إليه أنور السادات بقوله « كنت اجتمع بالأمام الحقيقى المرحوم الشيخ حسن البنا الليالى الطوال سنة ١٩٤٠ ، ١٩٤١ ، ١٩٤٢ ، ولم يعلم بهذه الاجتماعات حتى اليوم سوى الله سبحانه وتعالى » (٢) .

ويقول جورج فوشيه أن عبد الناصر « اتصل بالوفديين » وأنه كان معجبا أكثر بالحزب الوطنى الذى عرف بعناده ورفضه لكل تنازل وخالط أيضا حزب أحمد حسين الاشتراكى فى مصر الفتاة (٣) .

وكذلك فقد ارتبطت مجموعة أخرى من الضباط بالتنظيمات اليسارية ، كان من بينهم خالد محيى الدين (٤) . وكذلك فإن عبد اللطيف البغدادى ومجموعة أخرى من العسكريين فى سلاح الطيران كانوا قد ارتبطوا لفترة من

(١) أحمد حمروش — قصة ثورة ٢٣ يوليو ، مصدر سابق ص ١٤٦

(٢) الجمهورية : ٩ سبتمبر ١٩٥٤ — مقال بعنوان « قلت لنائب المرشد العام » .

(٣) جورج فوشيه : جمال عبد الناصر فى طريق الثورة — تعريب نجده هاجر وسعيد الغز المكتب التجارى — بيروت — ١٩٦٠ — ص ٨٥

(٤) طارق البشرى : الديمقراطية والناصرية — دار الثقافة الجديدة — القاهرة — ١٩٧٥

الوقت بجمعية « الرياضة وأوقات الفراغ » التى أسسها حسنى العرابى أحد الأعضاء السابقين فى الحزب الشيوعى المصرى القديم (١) .

وهكذا فإن المجموعة القيادية فى تنظيم الضباط الأحرار ، وإن كان قد جمع بينهم السخط على الاستعمار والفساد الذى شهدته البلاد والرغبة فى العمل من أجل التحرير والإصلاح ، إلا أنهم كانوا على قدر من اختلاف الهويات السياسية لا يسمح بأن يجعل منهم حزبا سياسيا (٢) ، فكان تنظيم الضباط الأحرار الذى ضم هذه العناصر ذات الهويات السياسية المختلفة أشبه بجبهة وطنية متحدة ، ولم يكن تابعا لحزب أو لاتجاه سياسى أو فكرى بعينه . بل لم يكن مسموحا لأحد من الضباط أن ينضم إلى التنظيم باسم حزب من الأحزاب ، ولذلك قررت اللجنة التأسيسية للتنظيم فصل عبد المنعم عبد الرؤوف وإبعاده عن التنظيم ، لارتباطه بتنظيم الإخوان المسلمين ومحاولاته المتعددة مع عدد كبير من زملائه لنقل ولائهم لتنظيم الإخوان بدلا من تنظيم الضباط الأحرار (٣) . ويؤكد أنور السادات هذه الواقعة بقوله : « أنه حين شكلت الهيئة التأسيسية سنة ١٩٥٠ ، اكتشف أن أحد أعضاء التشكيل ينتمى إلى الإخوان المسلمين ، وطلب أن يدخل التنظيم تحت اسم الإخوان ففصل بالاجماع » (٤) ، ولكن ذلك لم يكن يعنى أن يتوقف اتصال أعضاء تنظيم الضباط الأحرار بالأحزاب والقوى السياسية المختلفة . فلقد كان مسموحا بمثل هذا الاتصال ولكن الحظر اقتصر فقط على ألا يكون هناك نوع من « الانتماء » بين عضو الضباط الأحرار والأحزاب أو التنظيمات السياسية خارج الجيش ، وبهذا فقد استمرت الاتصالات قائمة بين عدد من أعضاء التنظيم وكافة التنظيمات السياسية المصرية والعلمية (٥) ، وكما يقول أنور السادات فإن الهدف من السماح باقامة مثل هذه الصلات مع الأحزاب والقوى السياسية المصرية ، كان جزءا لا يتجزأ من سعى مجموعة القيادة

(١) أحمد حمروش : قصة ثورة ٢٣ يوليو (الجزء الأول) المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت - ١٩٧٤ - ص ٢١١

(٢) طارق البشرى : الديمقراطية والناصرية - دار الثقافة الجديدة - القاهرة - ١٩٧٥ ص ١٢

(٣) أحمد حمروش : قصة ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ - الجزء الأول - مصدر سابق ص ١٨١

(٤) الأهرام : ٢١ نوفمبر ١٩٧٥ - نص خطاب لأنور السادات فى اللجنة المركزية .

(٥) كمال الدين رفعت : حرب التحرير الوطنية (مذكرات) - أعداد مصطفى طيبة - دار الكاتب العربى - القاهرة - ١٩٦٨ - ص ٧٥

في تنظيم الضباط الأحرار للبحث عن وسيلة للتخلص من الاستعمار ، فيقول السادات أن « الهدف الواحد . . الهدف الكبير الذي لم يتغير ، والذي تعتبر كل الأهداف الجزئية في تاريخ هذه الثورة وسائل إليه ، هو القضاء على الاستعمار وإزالة كابوسه الجاثم فوق صدر مصر ، وليس غريبا في سبيل الوصول إلى هذا الهدف ، أن تلتقى جماعتنا بكثير من الأحزاب والهيئات والأفراد . . فقد كان هذا الهدف هو البريق الذي يرفعه كل تشكيل سياسي فوق بابه ، والذي يخطف بريقه أنظار الشباب المتعطش للخلاص » (١) .

وفي هذه النقطة — نقطة عدم الانتماء أو الانتساب إلى أي حزب أو أية قوة سياسية — يقول أنور السادات أنها كانت جزءا من إطلاق اسم « الضباط الأحرار » على تنظيمهم : « أسمينا أنفسنا الضباط الأحرار . . الأحرار في كفاحهم في سبيل الحياة ، والأحرار في سعيهم إلى تحرير وطنهم من الاستعمار والاستغلال والفساد ، وكذلك الأحرار من الانتماء إلى أي هيئة أو جمعية أو تشكيل معروف » (٢) .

وإذا كان الحرص والاصرار على أن يبقى تنظيم الضباط بعيدا عن الانتماء لأي من الأحزاب والقوى السياسية الموجودة ، وهو الذي مكن هذا التنظيم من أن يحتفظ بذاتيته وبارتباط الأعضاء فيه ، وأن تصبح المبادئ الستة بمثابة برنامج ودليل للعمل ، خاصة بهذا التنظيم ومستقلا كل الاستقلال عن برامج الأحزاب القائمة . إلا أن هذه المبادئ الستة في نفس الوقت لم تكن هي كل الأفكار السياسية للضباط ، ذلك لأن المنابع الفكرية والظروف التي صاغت فكرهم السياسي على النحو المتقدم ، لم تحصر هذا الفكر في نطاق القضايا الداخلية فقط ، بل تجاوزت ذلك وفتحت آفاقا جديدة أمام الضباط كانت أبعد من حدود القضايا الداخلية والواقع المحلي . وتجسد ذلك في أكثر الظواهر وضوحا بالنسبة « للفكرة العربية » ووجودها ضمن الأفكار السياسية للضباط ، ذلك لأننا نجد هذه الفكرة لم تكن بعيدة أو غائبة عنهم .

فبعض هؤلاء الضباط ترتبط جذورهم العرقية ببعض القبائل العربية أصلا مثل جمال عبد الناصر الذي ينتسب إلى قبيلة بني مر العربية ، ومثل

(١) الجمهورية : ٢٠ فبراير ١٩٥٤ — مقال بعنوان « صفحات مجهولة من كتاب الثورة » .

(٢) الجمهورية : ٢٠ مارس ١٩٥٤ — مقال بعنوان « صفحات مجهولة من كتاب الثورة » .

أنور السادات الذى ينتسب هو الآخر إلى قبيلة عربية لا زالت تعيش حتى اليوم في سوريا (١) ، وغير ذلك فان الظروف والعوامل التى هيأت لنمو الفكرة العربية في مصر كان لابد وأن تترك أثرها أيضا على تفكير هؤلاء الضباط قبل قيامهم بالثورة فقد برزت في الثلاثينيات عدة عوامل ساعدت على ذلك كان في مقدمتها اهتمام الأحزاب السياسية المصرية بالفكرة العربية — وان اختلفت أسباب هذا الاهتمام ودوافعه فيما بينها — فقد ظهر اهتمام الإخوان المسلمين في ذلك الوقت بالفكرة العربية ودعا حسن البنا إلى القومية العربية في مواجهة القومية المصرية التى كان يتحمس لها بعض المفكرين المصريين وإن كان الدين هو أهم مقومات القومية العربية في رأى البنا (٢) . غير أن العامل الحاسم في اهتمام الأحزاب والقوى السياسية المصرية بالفكرة العربية في ذلك الوقت كان محوره الأساسى هو الاهتمام بقضية فلسطين أصلا . وظهر ذلك في موقف الإخوان المسلمين وحزب مصر الفتاة وحزب الوفد من هذه القضية بل كان لحزب الوفد فضل نقل الاهتمام بقضية فلسطين من الاهتمام الشعبى إلى الاهتمام الرسمى عام ١٩٣٦ عندما أعرب النحاس عن رفض مصر لمشروع تقسيم فلسطين وذلك خلال المناقشات التى كانت تجرى في ذلك الوقت لحل القضية المصرية (٣) .

وفي هذه الفترة نفسها وارتباطا بقضية فلسطين عقدت عدة مؤتمرات شاركت مصر فيها وكان أولها مؤتمر القدس عام ١٩٣١ الذى نوقشت فيه أحوال البلاد العربية وما تعانيه من تجزئة بسبب الاستعمار ودعا إلى ضرورة السعى لإقامة الوحدة العربية (٤) ثم مؤتمر بلودان عام ١٩٣٧ ومؤتمر القاهرة عام ١٩٣٨ كما شهدت هذه الفترة كذلك صدور الصحف وتكوين الأندية والمنظمات الشعبية التى تدعو للوحدة العربية (٥) .

(١) لقاء بين الباحث والرئيس أنور السادات في ١٢ مايو ١٩٧٦

(٢) عبد العظيم رمضان : تطور الحركة الوطنية في مصر — الجزء الثانى — دار الوطن العربى — بيروت — بدون تاريخ ص ٢٥١

(٣) نفس المصدر — ص ٢٥٤

(٤) محمد عزت دروزة : الوحدة العربية — المكتب التجارى للطبع والنشر — بيروت — ١٩٥٨ — ص ١٢٣

(٥) عبد العظيم رمضان : تطور الحركة الوطنية في مصر — الجزء الثانى — مصدر سابق ص ٢٥٣ ، ٢٥٤ ، ويحدد المصدر من الصحف التى ظهرت في هذه الفترة صحيفة « الرابطة الاسلامية » التى صدرت عام ١٩٣٦ أما الأندية والجمعيات فكان من بينها « جمعية الوحدة العربية عام ١٩٣٨ » و « رابطة العروبة » و « اللجنة التنفيذية لمؤتمر الشباب الجامعى » .

ولأن هذا النمو للفكرة العربية كان لابد وأن يترك أثره في المجتمع المصري فقد كان طبيعيا أن يتأثر به الشباب الذين أصبحوا فيما بعد هم قادة ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ خاصة وأنهم في ذلك الوقت — في الثلاثينيات — كانوا في مرحلة من العمر تجعلهم مهئين لمثل هذا التأثير وكذلك لأن بعضهم كان مرتبطا بشكل أو بآخر أو متعاطفا بشكل أو بآخر مع الأحزاب السياسية التي كانت قد تعاطفت مع الفكرة العربية وأبرزت اهتماما واضحا بها وبقضية فلسطين .

واننا لنجد ملامح لهذا التأثير بالفكرة العربية في ذلك الوقت فيما يقوله جمال عبد الناصر عن تشكيل وعيه العربي قائلا « ان طلائع الوعي العربي بدأت تتسلل إلى تفكيري وأنا طالب في المدرسة الثانوية أخرج مع زملائي في اضراب عام في الثاني من شهر ديسمبر من كل سنة احتجاجا على وعد بلفور » (١) . ومن ناحية أخرى فان ملامح هذا التأثير بالفكرة العربية أيضا تمثل في مسارعة الضباط الأحرار لتأييد القضية الفلسطينية ومؤازرتها والاعداد لخوض غمار الحرب من أجلها بل والتطوع في صفوف المقاتلين دفاعا عنها . ويشير أنور السادات إلى دور تنظيم الضباط الأحرار وما قاموا به في ذلك الشأن من اتصالات على جبهات سياسية متعددة عندما بدأت أحداث عام ١٩٤٧ التي أعقبت قرار التقسيم فيقول انه « في الأيام الأولى لهذه الأحداث لم يكن قد تقرر أن يخوض الجيش هذه المعركة » ، « وكانت أكثر الجماعات في ذلك الوقت تحمسا للتطوع والقتال هي جماعة الإخوان المسلمين » ، وبدأت في تلك الفترة صلات جديدة مع جماعة الإخوان . . صلات بين ضباط المجموعة وبين قيادة الجماعة . . فقد عقدت اجتماعات في بيت المرحوم حسن البنا ضمت جمال عبد الناصر وكان إذ ذاك في كلية أركان الحرب وكمال الدين حسين ضابط المدفعية وبعض الضباط المنتهين للإخوان وفي نفس الوقت نشأت صلات بين المجموعة وبين الحاج أمين الحسيني مفتي فلسطين ، وبين المجموعة وبين جامعة الدول العربية ثم يشرح أنور السادات هدف هذه الاتصالات المتعددة التي أجراها تنظيم الضباط الأحرار على هذا النحو فيقول أن « هدف المجموعة من هذه الصلات جميعا هو تكوين تنظيمات وتشكيلات مسلحة وتدريبها واعدادها اعدادا كاملا بكل ما تحتاج إليه من

خبرة وسلاح قبل التطوع لخوض غمار المعركة المقدسة « (١) ، ويشير أنور السادات إلى اقبال الضباط على التطوع لخوض غمار الحرب من أجل فلسطين فيقول « كان الضباط لا يستطيعون الاشتراك في الحرب إلا إذا أعلنت رسميا واشترك الجيش فيها ولم يكن قد تقرر بعد اعلان الحرب ولذلك فكر الضباط في الخروج من الجيش والاشتراك في الحرب كمتطوعين وبدأت الطلبات تنهال على قيادة الجيش من ضباط المجموعة ومن عدد كبير من الضباط الآخرين وكانوا يكتبون في طلباتهم أنهم مستعدون لتقديم استقالاتهم أو إحالتهم إلى الاستبداد على أن تتركهم الحكومة يذهبون إلى الميدان بأسلحتهم » (٢) .

هذا الشعور الذى ساد مجموعة الضباط ودفعهم للاقبال على الحرب من أجل فلسطين بهذه الصورة التى أوضحها أنور السادات وان كان يعبر عن ايمان الضباط بالفكرة العربية بل ويؤكد ذلك على أساس ان نهوضهم لخوض هذه الحرب إنما ينبع من الاحساس بأنهم يؤدون واجبا قوميا تجاه قطر عربى هو جزء من الوطن ، فان خوض الضباط لهذه الحرب واستشهاد عدد من أعضاء التنظيم خلالها كان له اثره الكبير أيضا في تأكيد الفكرة العربية ، ويكتب جمال عبد الناصر مؤكدا ذلك قائلا : « لقد كانت هزيمتنا السياسية في المعركة الأولى بيننا وبين الصهيونية هى اول اليقظة العربية بعد نوم طويل استمر قرونا فلم يكد المكافحون العرب يعودون من المعركة إلى ثكناتهم محزونين مما آل إليه أمرهم وأمر عدوهم حتى توالى الأنباء من كل قطر عربى ندل على بشائر اليقظة » (٣) .

والفكرة العربية وان كانت قد تشكلت في ذهن مجموعة الضباط نتيجة لنمو هذا الاتجاه وازدياده في مصر في فترة زمنية محددة ، إلا انه كان هناك من العوامل الأخرى ما ساهم أيضا في تعميق هذه الفكرة وتكريسها لدى الضباط وهى التطلع إلى الانتفاضات الوطنية في الوطن العربى ضد الاستعمار وهى التى كانت كفيلة أن تقرب روح الجهاد بين الشعوب العربية وتوثق بينها

(١) الجمهورية : ١٣ مارس ١٩٥٤ سلسلة مقالات بعنوان « صفحات مجهولة من كتاب الثورة » .

(٢) نفس المصدر .

(٣) الجمهورية : ٢٣ مارس ١٩٥٤ مقال بعنوان « نحو وعى قومى جديد » .

الآمال والآلام (١). ونجد في كتابات أنور السادات تأكيداً لذلك عندما يكتب موضحاً أثر ثورة رشيد عالي الكيلاني في العراق على الضباط الوطنيين في الجيش المصري قائلاً « كانت ثورة رشيد عالي الكيلاني هي المتنفس الحقيقي الوحيد لنا هنا في مصر وكنا نتابع انباء هذه الثورة في حماسة بالغة ونعلق عليها آمالاً واسعة ، كانت نظرتنا مليئة بالارتياح والحماسة والتفاؤل . فقد كنا في شبابتنا وحماستنا نريد أن نصنع ما صنعه رشيد عالي الكيلاني فننقض على الانجليز ونعلنها عليهم ثورة مسلحة . فكانت هذه البداية من رشيد عالي الكيلاني هي المفتاح الذي رأيناه يفتح الطريق ويشعل نار شعوب هذه البلاد على الغزاة فيها » (٢).

وكذلك فأننا نجد في كتابات أنور السادات ما يشير إلى أن مفهوم الضباط الأحرار للاستعمار ، قد تحدد في إطار معرفتهم للاستعمار « التقليدي » ممثلاً في كل من بريطانيا وفرنسا فقط . وإذا كان ذلك أمراً طبيعياً نتج عن أن مصر كانت قد خضعت لاستعمار هاتين الدولتين بعد الاحتلال العثماني ، وهذا ما أدركه الضباط الأحرار وعبر عنه أنور السادات (٣) ، وكذلك كانت بريطانيا وفرنسا في ذلك الوقت تمثلان « قمة » هذا الشكل من أشكال السيطرة الاستعمارية في العالم ، فإن الأمر بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية كان يختلف عن ذلك كل الاختلاف ، ذلك لأن الضباط الأحرار كانوا قد تأثروا بالدعاية الأمريكية التي غرست في أذهانهم صورة مثالية لأمريكا من حيث هي دولة تؤمن بحق تقرير المصير لكل الشعوب الصغيرة ، وتندد بالاستعمار . وذلك ما يشير إليه أنور السادات عندما يقول :

« فبالرغم من أننا كنا نعلم أن هناك صداقة وطيدة بين سفير أمريكا والملك ، إلا أننا كنا نحس بالآمال العريضة كلما ذكرنا المواقف التي كانت بين روزفلت وتشرشل . . وكيف أن روزفلت كان يدافع عن حق تقرير المصير بالنسبة للشعوب الضعيفة ضد جشع بريطانيا وطمع فرنسا » . ثم يمضي

(١) عبد العظيم رمضان : تطور الحركة الوطنية في مصر — الجزء الثاني — دار الوطن العربي — بيروت — بدون تاريخ — ص ٢٣٥

(٢) الجمهورية : ٢٩ ديسمبر ١٩٥٣ — مقال بعنوان « صفحات مجهولة من كتاب الثورة » .

(٣) التحرير : ٢ أبريل سنة ١٩٥٧ — مقال بعنوان « مذكرات أنور السادات » .

السادات إلى القول « كنا نذكر أيضا تاريخ تحرير أمريكا من الاستعمار البريطاني . . وكيف أنها خاضت معركة سنخوض مثلها تماما مع بريطانيا . وكنا نظن أن ما تركه جورج واشنطن من تراث ، ما زال يحفظه الأبناء اليوم ، بعد أن كتبه الآباء والأجداد بدمائهم وكفاحهم يوم أن أرادت بريطانيا أن تتحكم في منجان الشاي الذي يشربه الأمريكي . كنا نعتقد أن حق تقرير المصير الذي كانت تنادى به أمريكا طوال الحرب الثانية لكل الشعوب الصغيرة وتنديدها بالاستعمار حقيقة لا دعاية » (١) .

أما وقد جاءت المبادئ الستة للثورة خالية تماما من الإشارة إلى أية سياسة خارجية أو عربية ، واقتصرت على كونها برنامج عمل داخلي فقط ، فالسبب في ذلك هو أن مجموعة الضباط الذين قاموا بها لم يكن في نيتهم تسلم مقاليد الحكم والاستمرار فيه ، بل كل ما كانوا ينشدونه هو « الإصلاح » و « التطهير » ، وتلك مسألة داخلية بحتة ، حرصت قيادة الثورة أن توردتها في البيان الذي أذاعه محمد نجيب وقال فيه « اننا ننشد الإصلاح والتطهير في الجيش وفي جميع مرافق البلاد » (٢) .

أما عن كيفية إجراء هذا الإصلاح والتطهير ووضع المبادئ والأهداف الستة موضع التطبيق ، دون وجود خطة مسبقة لذلك ، ودون وجود تصور لتنفيذه ، ودونما اعتماد على نظرية سياسية محددة يتم في إطارها هذا التنفيذ . فكان ذلك يعنى أن الثورة وجدت نفسها مضطرة لمواجهة الأحداث والقضايا والأمور كأمر واقع ، ومن ثم كانت مضطرة للتصرف حيال هذا الأمر الواقع وفق ما تراه مناسبا من وجهة نظرها .

ومن هنا فقد كان الفكر السياسي لثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ لابد وأن يتشكل من خلال الأمر الواقع ومجابهته ، خاضعا في ذلك لأسلوب أقرب إلى أسلوب « التجريب » ويكل ما يمكن أن يخضع له هذا الأسلوب من احتمالات الصواب والخطأ ، والنجاح أو الفشل . وذلك لأن هذا الأسلوب كان هو

(١) التحرير : ٢٠ ابريل ١٩٥٧ — مقال بعنوان « مذكرات أنور السادات » .

(٢) طارق البشرى : الديمقراطية والناصرية — دار الثقافة الجديدة — القاهرة —

١٩٧٥ — ص ٦٧

الذى اكتشفت به الثورة من خلال الأحداث التى واجهتها ابعادا جديدة فى العمل السياسى لم يكن بالامكان ادراكها بغير الممارسة الفعلية ، ولم يكن بالامكان ادراكها كذلك دون وجود هؤلاء الضباط فى الحكم . وذلك بالضبط ما يشير اليه أنور السادات بقوله ان رجال الثورة قد « تدرجوا فى وعيهم السياسى مع الأحداث والأيام » (١) .

(١) الجمهورية : ٢٠ فبراير ١٩٥٤ — مقال بعنوان « صفحات مجهولة من كتاب الثورة » .

الفصل الثانى

تجربة أنور السادات الخاصة فى العمل السياسى والعمل الصحفى

من بين الضباط الذين ضمهم تنظيم الضباط الأحرار ، وضمتهم اللجنة التأسيسية لهذا التنظيم ، انفراد أنور السادات بأن كان له تجربته الخاصة التى لم تتح لغيره من هؤلاء الضباط .

وقد شملت هذه التجربة الخاصة لأنور السادات جانبين :

الأول : هو جانب العمل السياسى .

الثانى : هو جانب العمل الصحفى .

وإذا كان ضباط التنظيم جميعهم قد مارسوا العمل السياسى بحكم انتمائهم للتنظيم ومن خلاله ، ومارس بعضهم العمل الصحفى أيضا مثلما مارسه أنور السادات ، وكان من هؤلاء خالد محيى الدين الذى مارس العمل الصحفى فى جريدة المساء ، وصالح سالم الذى مارس هذا العمل فى جريدة الشعب ، وفى دار التحرير (التى صدرت عنها جريدة الجمهورية ومجلة التحرير) . فان الذى حفظ لتجربة أنور السادات تفردا رغم ذلك عاملان :

الأول : ان تجربة أنور السادات فى العمل السياسى لم تقتصر على نطاق عمله فى اطار تنظيم الضباط الأحرار فقط ، والذى لم يتكون بشكل فعلى إلا فى عام ١٩٥٠ . بل سبقت هذا التاريخ بالفعل وبدأت منذ تخرجه فى الكلية الحربية عام ١٩٣٨ ولم تتوقف حتى قيام الثورة إلا فى الفترات التى كان يقضيهامقيد الحرية معتقلا أو مقبوضا عليه أو هاربا من السجن .

الثانى : ان تجربة أنور السادات الصحفية بدأت هى الأخرى قبل سنوات من قيام الثورة ، وكذلك فان ممارسته لهذا العمل بعد قيام الثورة

وفي صفحتها استغرق مدة من الزمن أطول بكثير من المدة التي قضاهما كل من خالد محيي الدين أو صلاح سالم في هذا العمل (١) .

ولكى تتضح أبعاد هذه التجربة الخاصة لأنور السادات ، وبشقيها في العمل السياسى والعمل الصحفى ، فإنه ينبغى أن نعرض لها بشيء من التفصيل .

التجربة الخاصة لأنور السادات في العمل السياسى :

بالنسبة لهذا الجانب ، فإن الظروف والعوامل — التى كانت هى المنابع الأولى للفكر السياسى عند أنور السادات — وان كانت قد بدأت على نحو معين وفى إطار طبيعة نشأته وظروفها وواقعه الاجتماعى كأحد أبناء الطبقة المتوسطة الصغيرة ، وشكلت فكره السياسى على نحو جعله يفكر فى سن مبكرة أن يلتحق بالكلية الحربية (آملا أن يحقق شيئا لبلده من خلال العمل كضابط بالجيش) (٢) ، فإنه وبعد أن تخرج من الكلية الحربية عام

(١) كانت المدة التى قضاهما أنور السادات فى العمل الصحفى هى الفترة من ٧ ديسمبر ١٩٥٢ الى ٢١ إبريل ١٩٥٩ ، وإذا كانت هذه الفترة على هذا النحو تقترب من ست سنوات ، فإن كلا من خالد محيي الدين وصلاح سالم لم يمارس هذا العمل قبل قيام الثورة . ولم تزد مدة الممارسة عن ثلاث سنوات لكل منهما .

(٢) فى الحديث الذى أدلى به أنور السادات الى التلفزيون العربى يوم ٢٥ ديسمبر ١٩٧٥ ،لقى الضوء على جوانب كثيرة فى حياته — كشفت عن كثير من العوامل التى ساهمت فى تشكيل الجذور الأولى لوعيه السياسى والاجتماعى . ومنها نعرف أن أنور السادات الذى ولد بقرية « ميت أبو الكوم » إحدى قرى محافظة المنوفية فى ٢٥ ديسمبر عام ١٩١٨ كان قد سمع للمرة الأولى بالاحتلال الانجليزى لمصر وعرف أول الأشياء عن كنه هذا الاحتلال وكرهية الشعب المصرى له وكفاحه ضده ، من خلال « مواويل » قريته والأساطير والحكايات التى كان يستمع إليها من جدته فى سنوات عمره الأولى . فى هذه « المواويل والأساطير » التى يمكن أن تؤثر فى وجدان الإنسان فى مثل هذا السن تأثيرا بالغا ، سمع أنور السادات عن عرابى ومصطفى كامل وماساة دنشواى ، واسطورة أدهم الشرقاوى التى جسدت ملامح البطل الشعبى فى ثورته على المظالم الاجتماعية . وكان لهذه العوامل أن تترك أثرها فى وجدانه على النحو الذى جعله يقول « من هنا بدأت أدرك للمرة الأولى أن احنا بنقاسى من حاجة اسمها الانجليز ، وفيه حاجة اسمها الاحتلال » .

ونعرف من هذا الحديث كذلك أن أنور السادات قد تأثر بما سمعه من أبيه فى هذه السن المبكرة عن ثورة « كمال أتاتورك » فى تركيا ومشاهدته لصورة هذا الرجل معلقة فى ردهة منزله كدليل على الاعتزاز به . فتجسدت لديه ملامح « البطل الإسلامى الذى قام بثورة من أجل بلده » ولعل مفهوم البطل الإسلامى هذا كان جزءا من المفكرة الإسلامية التى كانت لا تزال سائدة فى

١٩٣٨ ، نجد أن هذه الآثار الأولى التي شكلت ملامح فكره السياسى قد بدأت تدخل مجال التطبيق الفعلى . ومن سنة ١٩٣٨ ، وحتى قيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، فإنه يمكن رصد التجربة الخاصة لأنور السادات فى مجال العمل السياسى والوطنى على النحو التالى :

أولاً : كان أنور السادات من بين أول مجموعة للضباط فكرت فى تشكيل تنظيم سرى داخل الجيش عام ١٩٣٨ ، وهو التنظيم الذى أصبح فيما بعد تنظيم الضباط الأحرار ، وكان من بين أفراد هذه المجموعة جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر ، وإن كان هذا التجمع لم يستمر طويلا فى ذلك الوقت بسبب تفرق الضباط ونقلهم إلى جهات متعددة (١) .

ثانياً : فى عام ١٩٣٩ واصل أنور السادات اتصالاته بالضباط ، وتشكلت أول مجموعة فكرت فى القيام بعمل ضد بريطانيا من خلال الاتصال بالألمان والاتفاق معهم ، وقد ضمت هذه المجموعة إلى جانب أنور السادات الذى كان ضابطا فى سلاح الإشارة مجموعة من ضباط سلاح الطيران ، وخالد محبى الدين من سلاح الفرسان (٢) .

ثالثاً : قام أنور السادات خلال نفس الفترة بالاتصال بالفريق عزيز المصرى رئيس هيئة أركان حرب الجيش المصرى ، وكان هذا الاتصال قد تم من خلال حسن البنا مؤسس جماعة الإخوان المسلمين الذى تعرف عليه السادات أيضا وأقام علاقة صداقة وطيدة معه . وكان الهدف من الاتصال بالفريق قد جاء فى مجال البحث عن شخصية تقود

مصر إلى جانب الأفكار الأخرى (العربية والليبرالية والاشتراكية العلمية) آنذاك . وإذا كانت آخر مظاهرة طلابية شارك فيها أنور السادات وهو طالب فى الثانوى عام ١٩٣٥ ضد تصريح صمويل هور فى لندن — وزير خارجية إنجلترا — هى التى جعلته يفكر — كما قال فى هذا الحديث — فى الالتحاق بالكلية الحربية فى العام التالى ١٩٣٦ . فإنه يحدد الهدف من ذلك بقوله « كان أملى أن أستطيع من خلال الجيش أنى أعمل حاجة لبلدى » .

راجع — الأهرام : ٢٦ ديسمبر ١٩٧٥ نص حديث أنور السادات إلى التلفزيون العربى .

Marsfield (Peter) : Nasser's of Egypt. P. 37. (١)

(٢) أحمد حمروش : قصة ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ — الجزء الأول — مصدر سابق — ص ٩٧ — والأهرام — ٢٦ ديسمبر ١٩٧٥ — نص حديث لأنور السادات .

الثورة (١) ، وكذلك فقد بلغت صداقة أنور السادات بحسن البنا إلى حد جعل البنا يصارح أنور السادات بالكثير عن تنظيم الإخوان ونشاطهم في جمع السلاح وتخزينه (٢) . وبسبب هذه الاتصالات وهذا النشاط لأنور السادات تم إبعاده عن القاهرة ونقل إلى منطقة في الصحراء الغربية عام ١٩٤١

رابعاً : قام أنور السادات مع ضابط آخر هو حسن عزت بمحاولة أخرى للاتصال بالألمان عام ١٩٤٢ ، وانتهى الأمر بالقاء القبض عليهما في شهر أغسطس من نفس العام ، ثم طردهما من الجيش في ٨ أكتوبر ، واعتقالهما حتى نهاية الحرب (٣) .

وإذا كان أنور السادات قد استطاع الهروب من السجن عام ١٩٤٤ ، فقد عاش مطارداً ومتخفياً حتى سقطت الأحكام العرفية في شهر سبتمبر عام ١٩٤٥ (٤) .

خامساً : كان أنور السادات هو أحد المتهمين في قضية اغتيال أمين عثمان يوم ٦ يناير عام ١٩٤٦ ، وهو الحادث الذي يعتبره السادات أنه كان « ضربة موجهة لبريطانيا بالذات » ، ذلك لأن أمين عثمان هذا كان أحد الشخصيات العميلة لبريطانيا ، وصاحب فكرة « الزواج الكاثوليكي بين مصر وبريطانيا » كما ذكر ذلك في إحدى خطبه بالاسكندرية في ذلك الوقت (٥) . وقد تعرض أنور السادات للسجن بسبب اتهامه في هذه القضية حتى تمت تبرئته عام ١٩٤٨ ، ولكنه لم يعد إلى الجيش إلا في عام ١٩٥٠ وأصبح عضواً في اللجنة التأسيسية لتنظيم الضباط

(١) الأهرام : ٧ فبراير ١٩٦٧ - دراسة خاصة عن ٤ فبراير ١٩٤٢ بقلم الدكتور محمد أنيس .

(٢) طارق البشرى : الحركة السياسية في مصر ١٩٤٥ - ١٩٥٢ - مصدر سابق - ص ٤٧١

(٣) أحمد حمروش : قصة ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ - الجزء الأول - مصدر سابق - ص ٩٩

(٤) الأهرام : ٢٦ ديسمبر ١٩٧٥ - نص حديث لأنور السادات .

(٥) وسيم خالد : الكفاح السرى ضد الانجليز - تقديم أنور السادات - الاتحاد الاشتراكي العربى - القاهرة - ١٩٦٢ - ص ٤

الأحرار ، وقضى المدة ما بين عام ١٩٤٨ وعام ١٩٥٠ قبل اعادته إلى الجيش بزاوول أعمالا مختلفة (١) .

التجربة الخاصة لأنور السادات في العمل الصحفى :

فى سنة ١٩٤٦ ودخل سجن « مصر » بالقاهرة فكر أنور السادات مع زملائه المتهمين معه فى قضية اغتيال « أمين عثمان » أن يصدروا مجلتين أسبوعيتين داخل السجن تتضمنان الحوادث العامة والتعليق عليها ونقد المتهمين أنفسهم والتعليق على ما يدور من حوادث فى السجن (٢) . وتحولت الفكرة إلى واقع عملى فصدرت المجلة الأولى يوم ٢٣ أكتوبر ١٩٤٦ باسم « الهنكرة والمنكرة » ورئيس تحريرها « وسيم خالد » وصدرت الثانية يوم ٢٦ أكتوبر ١٩٤٦ باسم « ذات التاج الأحمر » ورئيس تحريرها « محجوب الجابرى » (٣) .

وبالرغم من أن هذه التجربة تعد عملا محدودا بالمقاييس المتعارف عليها فى العمل الصحفى إلا أن أهميتها تتجسد فى كونها تجربة تعكس بوضوح الاهتمامات الأولى لأنور السادات بالعمل الصحفى واستعداده له . ذلك لأن مجرد التفكير فى إصدار مثل هاتين المجلتين ودخل جدران السجن لنشر الأخبار « الحوادث العامة » التى تقع فى مجتمع المسجونين والتعليق عليها واتخاذ مجريات الحياة فى ذلك المكان مادة للعرض والتعليق والنقد والترفيه فيه ما يشير إلى ادراك أنور السادات لطبيعة العمل الصحفى وما يمكن أن تحققة الصحافة فى الأخبار والتوجيه والترفيه حتى لو كانت داخل مجتمع خاص وبين « جمهور » محدود مثل مجتمع وجمهور السجن .

ومن ناحية أخرى فإن أنور السادات فيما كتبه فى إحدى هاتين المجلتين وما كتبه من تعليق عليهما بعد ذلك يكشف أيضا عن قدرته على الكتابة واستعداده لهذا العمل كما يكشف عن فهم متقدم لعناصر النجاح فى العمل الصحفى وادراك لقواعده وأصوله ، ونجد الدليل على ذلك واضحا فى هذه

(١) الأهرام : ٢٦ ديسمبر ١٩٧٥ — نص حديث لأنور السادات .

(٢) المصور : ١٣ أغسطس ١٩٤٨ — ٣٠ شهرا داخل السجن — مذكرات بقلم أنور السادات () .

(٣) المصور : ٦ أغسطس ١٩٤٨ — ٣٠ شهرا فى السجن (مذكرات بقلم أنور السادات) .

التجربة فيها كتبه أنور السادات لـ « الهنكرة والمنكرة » — وهى مجلة « فكاهية » كما هو واضح من تسميتها فاختار أنور السادات مادة تناسب هدف المجلة فى الفكاهة والترفيه وكتب قصيدة شعر استلهم موضوعها من واقع الحياة فى السجن ومن واقعة محددة ، عاشها مع زملائه وتتلخص فى أن وسيم خالد رئيس تحرير المجلة كان قد تسلم هدية من « الحلوى » جاءت من خارج السجن وعلى غير العادة السائدة بينهم فى توزيع مثل هذه الهدايا التى تأتى أحدهم ويتم تقسيمها بين الجميع اشترط وسيم خالد أن من يكتب مادة للمجلة هو وحده الذى يحظى بنصيبه من الحلوى . وإمام هذا العرض ومن هذه الواقعة نفسها كتب أنور السادات قصيدته التى قال فى مطلعها :
سلونى أجبكم ... ان قد مليحة لأطيب عندى من طعام بن خالد
فوالله مالى للطعام شهية ولكن قلبى على الخلان يرغى ويزيد (١)

هذا النموذج لما كتبه أنور السادات وفى إطار مجتمعه الذى يكتب له فى ذلك الوقت وهو مجتمع السجن يدل دلالة قاطعة على هذا الاستعداد للكتابة وإمكانيته بالنسبة لأنور السادات ودقته فى اختيار الموضوع وعرضه بالأسلوب والقالب المناسب والأكثر تأثيرا . فمن حيث « الموضوع » اختار أنور السادات واقعة شهداها الجميع وعرفوا بتفاصيلها وتندروا عليها وأصبحت تمثل بالنسبة لهم « نوعا » من الاهتمام ومن حيث الشكل اختار أنور السادات شكل « القصيدة الفكاهية » كأنسب ما يمكن أن تعرض به الواقعة وهى التى لا يمكن عرضها فى مقال أو تعليق لتصبح مؤدية للغرض منها على النحو الذى جاءت به فى كتابتها « كقصيدة » خاصة وأن مجال نشرها كان فى مجلة تستهدف الترفيه أصلا .

وبذلك فإن أنور السادات يكون قد اختار الموضوع الذى يتناسب مع الوسيلة التى تنقله ومع « الجمهور » الذى يتوجه إليه بالكتابة وصاغه بالشكل والأسلوب الذى يتمشى مع الوسيلة وجمهورها فى آن واحد .

وهذا النموذج على بساطته وإن كان يكشف عن استعداد أنور السادات للعمل الصحفى وهذه الموهبة التى تعد ركنا أساسيا من أركان هذا العمل فإن كتابة أنور السادات للشعر بالذات تكشف كذلك عن اهتمامات

(١) المصور : ٦ أغسطس ١٩٤٨ — ٣٠ شهرا فى السجن — (مذكرات بقلم أنور السادات) .

أدبية تؤكد استعداده للكتابة وقدرته عليها متأثرا في ذلك بما درجت عليه الصحافة المصرية في المرحلة التي وقعت بين عام ١٩٢٢ وعام ١٩٤٢ وهى المرحلة التى شهدت اهتمام هذه الصحافة بالأدب واعتمادها بشكل أساسى على الأدباء من الذين برزوا فى تلك الفترة وكانت كتاباتهم الأدبية هى التى شكلت طابع الصحافة فى ذلك الوقت (١) .

ومن ناحية أخرى فأننا نجد فيما كتبه أنور السادات فى مجال تعليقه وتقييمه لهاتين المجلتين اللتين صدرتا داخل السجن ما يكشف عن فهم متقدم ومعرفة للعناصر الرئيسية التى تحقق النجاح للعمل الصحفى فهو يقول عن مجلة « الهنكرة والمنكرة » أنها كانت « تحوى مواضيع شيقة وقفشات وصورا كاريكاتورية لطيفة » (٢) . وهذه العناصر بلاشك هى أهم ما تحتاجه مجلة « فكاهية » تهدف إلى الترفيه وأهم ما يحقق لها أن تكون مجلة مقروءة ومؤثرة وهى التى راعت أن تكون موضوعاتها « شيقة » كما راعت أن تعرض « للقفشات » والصور الكاريكاتورية « اللطيفة » وكتب أنور السادات عن المجلة الأخرى « ذات التاج الأحمر » فأبدى إعجابه بالجوانب الفنية فى إخراجها والتى هى من أهم عناصر النجاح لمجلة أو صحيفة . فقال انها كانت « آية فى الطبع والتلوين والتبويب » (٣) .

هذه التجربة لأنور السادات فى العمل الصحفى داخل السجن ، ورغم أنها تعد تجربة محدودة كما سبق القول ، فهى تكشف عن اهتمامه بالعمل الصحفى واستعداده له ، إلى أن بدأ عمله الصحفى بعد ذلك فى مؤسسة صحفية كبيرة فى ذلك الوقت هى « دار الهلال » فى مجلة « المصور » سنة ١٩٤٨ عقب الإفراج عنه مباشرة والحكم ببراءته فى قضية اغتيال أمين عثمان . ولا شك أن اختيار أنور السادات لأن يعمل صحفيا عقب خروجه من السجن مباشرة فيه ما يؤكد اهتمامه بهذا العمل واختياره له وبذا لم يكن عملا عشوائيا القى فى طريقه بمحض الصدفة أو مارسه دون امكانية ودون استعداد بل وما كانت مؤسسة مثل « دار الهلال » لتوافق على أن تلحقه بها صحفيا

(١) عبد اللطيف حمزة : المدخل فى فن التحرير الصحفى — دار الفكر العربى — القاهرة —

١٩٦٥ ص ٤٢٤

(٢) المصور : ٦ أغسطس ١٩٤٨ — مقال بعنوان (٢٠ شهرا فى السجن) .

(٣) نفس المصدر .

يكتب في إحدى مجلاتها دون أن يتأكد القائمون عليها من أنه قادر على الكتابة الصحفية وقادر على ممارسة هذا العمل . وبالفعل فقد اجتاز أنور السادات اختبارا « غير مباشر » أجراه له أصحاب الدار في ذلك الوقت قبل أن يسمحوا له بالكتابة في « المصور » وذلك بأن طلبوا إليه أن يضيف إلى أول حلقة من مذكراته التي قدمها إليهم ، طلبوا إليه أن يضيف إليها بعض الأجزاء بحجة أن الجزء المكتوب جاء أقل من المساحة المخصصة للمقال وطلبوا أن يتم ذلك نورا بحجة أن وقت العمل لا يحتمل أرجاء كتابتها إلى اليوم التالي ، ولم يكن هذا الطلب من قبل أصحاب الدار وبهذه الطريقة إلا نوعا من الاختبار لأنور السادات للكشف عن قدرته على العمل الصحفي واستعداداته للكتابة في أي وقت يطلب إليه ذلك وربما أيضا للتأكد من أنه هو الذي كتب المادة التي قدمت إليهم ولم يتم أحد غيره بكتابتها له (١) وعندما اجتاز أنور السادات هذا الامتحان الأول في العمل الصحفي وتأكد أصحاب الدار من استعداداته وقدرته وصلاحيته لهذا العمل نجد مجلة المصور تنشر باسمها تقديمًا لكتابات أنور السادات تقول فيه « اليوزباشي محمد أنور السادات هو أحد المتهمين في قضية الاغتيالات السياسية مع حسين توفيق وحكم ببراءتهم وهو أقوى المتهمين شخصية وأكثرهم ثقافة وتجربة . وكان قد عكف أيام سجنه على تدوين مذكرات تصور الحياة داخل السجن أصدق تصوير وهذا هو الفصل الأول من تلك المذكرات التي سنوالى نشرها تباعا » (٢) .

كان طبيعيا أن يختار أنور السادات مذكراته داخل السجن كأول مادة ينشرها في بداية عمله الصحفي ، وذلك لأنها كانت خلاصة تجربته ومشاهداته طوال السنوات التي سبقت هذا العمل وكانت هي التجربة الحية التي لا زالت أحداثها وانفعالاتها تعيش في ذاكرته وتعيش في وجدانه وكذلك فإنها كانت مادة تمثّل نوعا من الجاذبية للقارئ بحيث تجعله حريصا على متابعتها . ولا شك أن ذلك هو الذي حفز أصحاب مؤسسة دار الهلال على نشرها وتسجيل شهادتهم في مقدمتها بأنها « تصور الحياة داخل السجن أصدق تصوير » (٣) . وبالفعل فإن هذه المذكرات وبالطريقة التي كتبت بها كانت كفيلة بأن تقدم أنور السادات كصحفي يملك كل مقومات الصحفي الموهوب الذي يستطيع أن يستخرج من واقع الحياة حوله موضوعا صحفيا

(١) هذه الواقعة ذكرها الرئيس أنور السادات للباحث في لقائى معه يوم ١٢/٥/١٩٧٦ .

(٢) المصور : ٣٠ يوليو ١٩٤٨

(٣) نفس المصدر .

جديرا بالقراءة ، والذي يستطيع أن يصور هذا الواقع تصويرا دقيقا يؤكد دلالة بعينها . ومن النماذج التي تؤكد هذا الاستنتاج هذه الصورة التي يصورها أنور السادات لجانب مما تجرى به الحياة داخل السجن . يرصدها بعين الفنان والكاتب ويستخرج منها رمزا لما تعج به الحياة من متناقضات سواء كانت هذه الحياة داخل السجن أو خارجه وحيث تكمن هذه المتناقضات في حقائق خالدة هي الموت ، وال ميلاد ، والحزن والفرح ، فيكتب عن يوم من أيام السجن قائلا :

« ١٥ مايو ١٩٤٦ »

« استدعاني اليوم ضابط العنبر لكي يسلمني أدوية وردت لي من الخارج وقد سمح لي بالجلوس نظرا للزمالة السابقة .. أخذنا نتجاذب اطراف الحديث . وفجأة سمعت عويلا وصراخا على الباب الخارجى للسجن . ولما استفهمت . قال لي في بساطة ان مسجوننا توفي وان اهله في انتظار تسلمه .. وبعد فترة وجيزة خرجوا بالجثة من باب الوسط الذي في مواجهتنا وقد تملكنتي رهبة لجلال الموت فشردت برهة ، لافيق على زغاريد وغناء من ناحية سجن النساء .. يا إلهي كم في هذا المكان من متناقضات تهز الشاعر هذا ، نظرت إلى انساب في استفهام مرة أخرى .. ويظهر انه لاحظ ما انتابني فضحك قائلا : انها « سنية النشالة » لابد ان تكون قد وضعت مولودا وهذه زغاريد زميلاتها في المستشفى يحيينها التحية المعتادة لمثل هذه المناسبة . « تفضل انت لأننى سأذهب لأثبت المولود فى الايراد واحذف الميت فى الترحيل » .

« عدت إلى غرفتي بانفعالات مشوشة ، ولكن ليست هذه سنة الحياة : إيراد وترحيل » (١) .

ولكن أنور السادات وهو الذى يؤمن بأن « كل فرد منا يولد وفى عنقه رسالة » (٢) ، كان من الصعب عليه أن يقتصر فى هذه المذكرات التى نشرها بمجلة « المصور » على مجرد هذه الصور الانسانية البحتة وعلى مجرد تصوير الحياة داخل السجن ومهما كانت قيمة هذه المسادة المنشورة ، ذلك

(١) المصور : ٦ أغسطس ١٩٤٨ — ٣٠ شهرا داخل السجن — (مذكرات بقلم أنور

السادات) .

(٢) الجمهورية : ٢٠ فبراير ١٩٥٤ — مقال بعنوان « رأى » .

لأنه كان يعرف أن هناك رسالة محددة يعمل لتحقيقها منذ تخرجه من الكلية الحربية عام ١٩٣٨ ، وهذه الرسالة التي تحددت في ضرورة الثورة على الواقع السياسى والاجتماعى فى مصر وتغييره كانت هى التى دفعته للانضمام إلى التنظيم السرى للضباط داخل الجيش ، وهى التى بسببها أيضا دخل أنور السادات إلى السجن أكثر من مرة وتعرض فى فترات طويلة من حياته للمطاردة والتشريد^(١). ولذلك فإن هذه الرسالة لم تغب عن أنور السادات عندما عمل صحفيا عقب خروجه من السجن عام ١٩٤٨ . فنجده ينشر فى صلب مذكراته ما يشبه الدعوة المباشرة للشباب لأن يقوم بثورة ويحرصه على أن يتقدم لتغيير الواقع السياسى المؤلم حتى لو كان ثمن ذلك هو الحياة نفسها . فيكتب أنور السادات قائلا :

« ان الحزبية قد فشلت فى بلادنا لأنها من نوع عاصر الاحتلال وأشرب فى قلبه الخوف والاستكانة وقد استغل الانجليز ذلك أبشع استغلال . وراينا العجوز تشرشل يتكلم فى مجلسهم وكان وطننا ارث إليه من جده « الايرل » المحترم ، وراينا من قبل ذلك المخلوق الوقح كيلرن يعجب حين علا صوت الجلاء ووحددة الوادى ظنا منه ان المطالبة بذلك جنون » . . ثم يمضى أنور السادات قائلا :

« ان المسئول عن هذا الهوان الصارخ وهذا الاذلال المميت هو ذلك الجيل المتخاذل الذى لن يستطيع ان يموه طويلا فقد كشفه الشعب وفضحته الحوادث . يجب ان يتنحى هذا الجيل فان من المستحيل ان تعود عقارب الساعة إلى الوراء . وعلى الشباب وحده ان يعد نفسه ويتقدم للموت فذلك خير من أن يحيا حياة ذليلة » (٢) .

وكانت هذه الفترة التى عمل فيها أنور السادات صحفيا بدار الهلال هى التجربة الهامة والاساسية التى استمد منها خبرة واسعة فى مجال العمل الصحفى وخاصة فيما يتعلق باصدار الصحف الأسبوعية . ويشير أنور السادات نفسه إلى ذلك بقوله « كنت أعمل صحفيا فى فترة ما من حياتى كنت محررا فى دار الهلال وعرفت من تجربتى كيف تصدر الصحف

(١) الاهرام : ٢٦ ديسمبر ١٩٧٥ — نص حديث أنور السادات الى التلفزيون العربى .

(٢) المصور : ٦ أغسطس ١٩٤٨ — ٣٠ شهرا داخل السجن — (مذكرات بقلم أنور

السادات) .

الأسبوعية»^(١). وعلى ذلك وبحكم هذه الخبرة في العمل الصحفي والتي تميز بها أنور السادات عن بقية زملائه من الضباط في مجلس قيادة الثورة كان طبيعيا أن تناط به مسئولية الصحافة وشئون الرقابة وهي إحدى الأعمال التي أسندت إليه بعد ستة شهور فقط من قيام الثورة^(٢)، إلى أن تولى بعد ذلك مسئولية أول دار صحفية أنشأتها الثورة وهي «دار التحرير للطبع والنشر» وعنها صدرت أول جريدة يومية للثورة هي جريدة الجمهورية والتي صدر العدد الأول منها يوم ٧ ديسمبر ١٩٥٣ وصدرت عنها كذلك مجلة التحرير في أول يناير عام ١٩٥٤ وهي التي كانت تصدر قبل ذلك شهريا ولفترة محدودة توقفت بعدها بسبب خلافات في وجهات النظر بين القائمين عليها وبين بعض أعضاء مجلس القيادة^(٣) إلى أن أعيد إصدارها مرة أخرى عن دار التحرير وأصبحت مجلة أسبوعية منتظمة الصدور يتولى أنور السادات مسئوليتها إلى جانب جريدة الجمهورية.

وبعمل أنور السادات في صحافة الثورة تبدأ مرحلة جديدة في حياته كصحفي ذلك لأن مسئوليته في هذه المرحلة لم تعد تقتصر على مجرد مقال يكتبه أو رأى يعبر عنه بل أصبحت مسئولية كاملة عن إصدار جريدة يومية ومجلة أسبوعية بكل ما يتطلبه ذلك من اختيار للعاملين وتحديد للهدف ووضع الخطط ومتابعة التنفيذ. وفي ذلك كان على أنور السادات الذي انطلق في مباشرته لهذا العمل من ركيزة أساسية هي أن عمله الصحفي «جزء من رسالة الثورة»^(٤)، أن يحدد القواعد والأسس التي تقوم عليها صحافة تمثل الثورة وتعبر عن وجهة نظرها، ومما كتبه أنور السادات حول هذا الموضوع يمكننا أن نستخلص هذه القواعد والأسس التي حددها وهي:

أولا: أن تكون هذه الصحافة على مستوى «الثورة» نفسها من حيث هي عمل غير تقليدي لتغيير أوضاع المجتمع إلى الأفضل.

(١) الجمهورية: ٧ ديسمبر ١٩٥٤ مقال بعنوان (بدأت معركة صحافة الثورة ولا أدرى متى تكون النهاية).

(٢) الجمهورية: ٢٧ ديسمبر ١٩٥٤ — خواطر بعنوان «في الأسبوع مرة».

(٣) محمد نجيب: كلمتي للتاريخ — مصدر سابق — ص ١١٧، ١١٨.

(٤) التحرير: ٢٣ فبراير ١٩٥٤ — بين قراء التحرير ومجلة التحرير «أنور السادات

يرد على أسئلة القراء».

ثانيا : أن تقدم للشعب كل الحقائق عن الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية والتي لم تتطرق إليها صحافة ما قبل الثورة بحكم أوضاعها وانتمائها للأحزاب التي كان الوصول إلى الحكم بأي ثمن هو كل ما يشغلها .

ثالثا : أن تكون هذه الصحافة هي لسان حال الثورة في التعبير عن مواقفها في كافة المسائل الداخلية والخارجية .

رابعا : أن تتوخى هذه الصحافة « الصدق » فيما تنشره حتى لو تم ذلك على حساب ما يسمى « بالسبق الصحفي » .

خامسا : أن تبتعد عن أسلوب الاثارة الصحفية ومخاطبة غرائز الجماهير .

وقد أورد أنور السادات هذه العناصر والاسس لصحافة الثورة على هذا النحو عندما كتب يقول « كان وضعنا يحتم علينا أن نعد إلى جانب الامكانيات المطلوبة لكل جريدة يومية رأيا قويا يتفق مع أهداف ثورتنا . فقد ينجح صحفي لأنه بارع في « الفبركة » والاثارة ومخاطبة غرائز الجماهير . وقد ينجح صحفي آخر لأنه يسبق دائما في نشر الأخبار . . وقد ينجح صحفي ثالث لأنه يجيد التلاعب بالألفاظ . أما نحن فكان علينا أن نكون « ثوارا » لا صحفيين فقط ، كان علينا أن ننشر الحقائق لا الأوهام . . كان علينا أن نقول للشعب كل صباح حقيقة جديدة كانت خافية عليه بحكم وضع الصحافة في العهود التي مضت . كان علينا أن نقف الى جوار الأحرار في مصر وفي خارج مصر . . كان علينا أن ندعو لما نؤمن به . . إلى حرية كل الشعوب وحقوق كل الشعوب وأمن كل الشعوب . . كان علينا أن نثور على صفحات « الجمهورية » مثلما ثرنا في الميادين الأخرى » (١) .

وقد كانت أهم الحقائق التي حرص أنور السادات على أن يضعها أمام الشعب — وكجزء من ادراكه لضرورة تعميق مبادئ الثورة بدراسة ظروفها وواقعها التاريخي كانت هي الحقائق المتعلقة ، بالتمهيد لقيام الثورة والدور الذي قام به الضباط الأحرار في ذلك وخفايا الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية قبل قيام الثورة . وكان ذلك هو ما تناوله أنور السادات في أول شيء كتبه ونشره بجريدة الجمهورية في سلسلة طويلة من المقالات

(١) الجمهورية : ٧ ديسمبر ١٩٥٤ — مقال بعنوان « بدأت صحافة الثورة ولا أدرى متى تكون النهاية » .

بعنوان « صفحات مجهولة من كتاب الثورة »^(١) مستهدفا بنشرها أن يعرف الشعب كل شيء عن ثورته لأنها « ثورة الشعب » ، ولهذا فمن حق الشعب أن يعرف من تفاصيلها الدقيقة كل شيء . . . وهى ثورة مصر ولهذا فمن حق مصر أن تجد من يسجل لها على الورق عبرة جهادها وثمره كفاح ابنائها ليحفظ لها فى التاريخ عهدا فى الكفاح تريده لتشتري به عزة وكرامة ومجدا وحياة وافرة أبية »^(٢).

والى جانب ذلك فقد واكب أنور السادات مسيرة الثورة طوال السنوات التى تولى فيها العمل الصحفى وظل طوال السنوات من ١٩٥٣ (عندما صدرت جريدة الجمهورية) إلى سنة ١٩٥٩^(٣) — يشارك بقلمه فى كل المعارك التى خاضتها الثورة فى الداخل والخارج معبرا عن رأى الثورة وموقفها تجاه كل ما واجهته من أحداث مفسرا أبعاد كل ما اتخذته من قرارات ، متابعاً لمعارك الثورة مع الاستعمار وكتب عن كل هذه المعارك بتفاصيل مستفيضة .

ومن أمثلة ما كتب عن علاقة الثورة بأمريكا وموقف الثورة من قضية الأحلاف وحلف بغداد^(٤) ، وما كتبه كذلك عن تفاصيل الجهود التى قامت بها الثورة من أجل تسليح الجيش والمعارك التى خاضتها مع الاستعمار بسبب ذلك^(٥) ، وأيضا فقد تعرض أنور السادات فى كتاباته لكافة الأحداث والوقائع والتفاصيل التى واجهتها الثورة فى صدامها مع الاستعمار والتى بدأت فى سلسلة من الأفعال وردود الأفعال شملت موقف دول الغرب من تمويل مشروع السد العالى ، وتأميم مصر لشركة قناة السويس ، ووقوع العدوان

(١) الجمهورية : ٧ ديسمبر ١٩٥٤ — سلسلة مقالات بعنوان « صفحات مجهولة من كتاب الثورة » .

(٢) نفس المصدر .

(٣) وكان أنور السادات طوال هذه الفترة يمارس الى جانب العمل الصحفى أعمالا سياسية أخرى وفى أكثر من موقع من مواقع العمل السياسى فكان عضوا بمجلس قيادة الثورة ، وعمل سكرتيرا عاما للمؤتمر الإسلامى عام ١٩٥٤ ، ووزيرا للدولة للاتحاد القومى عام ١٩٥٦ ، ورئيسا لمجلس الأمة عام ١٩٥٧ ، وكذلك كان أحد قضاة محكمة الثورة عام ١٩٥٤

(٤) مجلة التحرير : ١٥ أبريل ١٩٥٤ ، ٦ سبتمبر ١٩٥٥ ، ٢١ سبتمبر ١٩٥٤ ، سلسلة مقالات بعنوان « مذكرات أنور السادات » خلال شهري يونيه ويوليو ١٩٥٧ ، وسلسلة مقالات أخرى بالجمهورية فى فبراير ١٩٥٥ بعنوان « إلى أين يا رجال العرب » .

(٥) الجمهورية ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ سبتمبر ١٩٥٥ وأول أكتوبر ١٩٥٥ و ١٢ نوفمبر ١٩٥٥

العسكري المسلح عام ١٩٥٦ (١) ، وبالنسبة لموقف مصر من القضية القومية وسياسة مصر في المجال العربي ، كتب أنور السادات كذلك العديد من المقالات التي تناولت هذه الموضوعات (٢) .

وكذلك كتب أنور السادات عن الفكرة الإسلامية وفهم قيادة الثورة لها (٣) وإلى جانب ذلك فإنه لم يغفل متابعة القضايا والشئون الداخلية ، فكتب عن مفاوضات الجلاء وتصدى للرد على الشائعات ووجهات النظر المعارضة لها موضحا هدف الثورة منها والانجاز الذي حققته بها (٤) . وكذلك عرض السادات لموقف الثورة من القوى السياسية المصرية ، ومفهوم الثورة للديمقراطية ، وما شهدته مصر من أحداث في إطار هذه القضية خلال شهر مارس ١٩٥٤ (٥) .

ومن واقع التجربة الفعلية لأنور السادات في العمل الصحفي تبرز ظاهرتان جديرتان بالتسجيل وذلك لكونهما تلقيان ضوءا هاما على طريقته وأسلوبه في ممارسته للعمل الصحفي . أما الظاهرة الأولى فهي حرص أنور السادات على أن يستعين بكبار الكتاب والصحفيين من ذوى الخبرة والكفاءة ومن المثقفين والمفكرين من كتاب مقالات الراى للعمل جنباً إلى جنب مع جيل جديد بدأ تجربته الصحفية الأولى في صحافة الثورة . فكان يكتب في جريدة الجمهورية ومجلة التحرير كتاب وصحفيون منهم طه حسين ومحمد مندور ولويس عوض وخالد محمد خالد وأحمد قاسم جوده وحلمى سلام وجلال الحماصى وعبد الرحمن الشرقاوى وغيرهم . في نفس الوقت الذى ظهرت أسماء جديدة كانت تمارس تجربتها الصحفية لأول مرة ويعنى ذلك

(١) الجمهورية : طوال شهور مايو ويونيو ويوليو وأغسطس وسبتمبر وأكتوبر ١٩٥٦ ومجلة التحرير خلال نفس المدة .

(٢) الجمهورية : أول فبراير ١٩٥٤ — سلسلة مقالات بعنوان « الى أين يا رجال العرب » ٢ فبراير ١٩٥٥ ، ومجلة التحرير ٩ فبراير ١٩٥٤ ، و ١٣ أبريل ١٩٥٤ والجمهورية ٢٦ أكتوبر ١٩٥٥

(٣) الجمهورية : أغسطس ١٩٥٤ — سلسلة مقالات بعنوان « نحو بحث جديد » .

(٤) مجلة التحرير ٢٦ يناير ١٩٥٤ والجمهورية ١٠ ، ١٢ ، ١٤ ، ١٨ يوليو ١٩٥٤

(٥) الجمهورية : ٩ يناير ١٩٥٤ ، وسلسلة مقالات بعنوان « الثورة والديمقراطية » الجمهورية يناير ١٩٥٥ ، ١٠ مارس ١٩٥٤ ومجلة التحرير ، أبريل ومايو ١٩٥٧ ، سلسلة مقالات بعنوان « مذكرات أنور السادات » .

أن أنور السادات في نفس الوقت الذي أراد أن يحقق لهذه الصحافة مستوى عال من الكفاءة لأداء رسالتها الصحفية على النحو الأكمل من خلال الاستعانة بهذه الأسماء من المفكرين والمثقفين والصحفيين المخضرمين . فانه في نفس الوقت كان يعمل لخلق مدرسة صحفية جديدة واعداد جيل جديد من الصحفيين باتاحة الفرصة أمامهم للعمل إلى جانب أصحاب هذه الخبرات والاستفادة من تجاربهم . وهذا الأسلوب الذي طبقه أنور السادات فيما يتعلق بالعمل في مجال الكتابة والتحرير الصحفي هو نفس الأسلوب الذي أخذ به بالنسبة لبقية الأقسام الأخرى (الأخراج الصحفي والتنفيذ والاعلان . . وما إلى ذلك) . ومن هنا فان هذه الصحف — كما يقول الدكتور حسنين عبد القادر — جاءت في « أرقى صورة عرفت لها الصحافة الرسمية في مصر سواء من ناحية الشكل أو الموضوع أو من ناحية الإدارة والفن الصحفي » . وانه « على الرغم من أن هذه الصحف كانت صحفا رسمية أصدرتها الدولة من أجل الدعاية السياسية لمبادئ الثورة المصرية وابرار انجازاتها في شتى الميادين إلا أنها لم تختلف عن الصحف غير الرسمية في اهتماماتها الصحفية واهتمامها بفنون التحرير والاعلان » (١) .

أما الظاهرة الثانية فقد تمثلت في تقديس أنور السادات لحرية الصحفي في ابداء رأيه ووجهة نظره حتى لو كان هذا الرأي مما لا يتفق ورأيه هو ، وهناك عدد من النماذج والأمثلة الدالة على ذلك وخاصة خلال الفترة التي رفعت فيها الرقابة عن الصحف ابان أزمة مارس عام ١٩٥٤ . فنجد أنور السادات يسمح بأن ينشر على صفحات جريدة الجمهورية ما يعتبر نقدا مباشرا لبعض اجراءات الثورة في موقفها من بعض القوى السياسية والتفرقة في المعاملة بين طائفتين سياسيتين هما الاخوان المسلمين والشيوعيون . وذلك ما كتبه خالد محمد خالد في مقالين متتاليين على صفحات الجريدة متهما الثورة بأنها قدمت المنفعة على المبدأ وآثرت الغرض على الحق قائلا : « لماذا فرقت الثورة بين الاخوان والشيوعيين يوم قررت الانفراج عن المسجونين السياسيين ؟ أجل ان الخطأ لا يصلحه خطأ مماثل . . وان مشاكل الناس لاكثر الأشياء شبيها بالمسائل الحسابية فحين تبدأ إحداها برقم مغلوط تظل سادرة مع الخطأ مهما تمتد وتتطاول ثم لا يكون لتصحيحها سبيل سوى تصويب الخطوة الأولى والبدء من جديد . ما هو الرقم المغلوط

(١) د. حسنين عبد القادر : تاريخ الصحافة المصرية في مائة وستين عاما — بدون اسم

الناشر — القاهرة ١٩٥٨ ، ص ٤١ ، ٤٢ ، ٤٣

في المسألة التي نعالجها الآن ؟ وما الحلقة المفقودة التي تأخذ معها غير قليل من وعينا وغير قليل من حسن تقديرنا للأمور ؟ انها — في رأيي — ارباء المنفعة على المبدأ واثار الغرض على الحق » (١) .

ونجد مثلا آخر لذلك فيما كتبه الدكتور لويس عوض على صفحات الجمهورية ايضا في ذلك الوقت حيث شن حملة من الهجوم العنيف على اللجنة التي كانت شكلتها الثورة برئاسة على ماهر لوضع الدستور وكتب ثلاث مقالات ضمنها الكثير من العبارات والاتهامات الحادة مثل :

« دعونا اذن من الحديث في الدساتير وفي استفتاءات الشعب ان كانت هذه بشائرها . ولكننا نعلم اذن ان هذه البشائر لا مدلول لها وان الشعب لن يقبل ان يسلم كما تسلم السوائم (٢) . ومثل قوله « كفى هزلا وعودوا إلى دستور سنة ١٩٢٣ ان كان هذا كل ما تستطيعوا ان تقدموا للأمة بعد ربع قرن من تقدمها وكفاحها الديموقراطي » (٣) ، ثم قوله ان قادة الثورة « وقعوا على وثيقة واجبات ، الانسان ولم يوقعوا على وثيقة حقوق الانسان » (٤) .

وإذا كان بالامكان القول بأن مثل هذه الكتابات كانت تعد شيئا طبيعيا في ذلك الوقت نظرا لرفع الرقابة عن الصحف وخوضها لمثل هذه الموضوعات بنفس الحدة والقسوة على غرار ما كتبه بعض الصحفيين والكتاب في جريدة المصرى ومجلة روز اليوسف وغيرها آنذاك . فان الرد على ذلك هو أن جريدة الجمهورية لم تكن في مثل وضع هذه الصحف غير الرسمية بل كانت هى الجريدة الرسمية للثورة والتي تعد لسان حالها . وبذلك يتأكد موقف انور السادات في تقديمه لحرية الراى واحترامه للراى الآخر مهما كان الاختلاف معه ويتأكد كذلك حرصه على ان تتحقق الحرية للصحفيين العاملين معه بنفس القدر الذى تحققت به للصحف غير الرسمية والصحفيين العاملين بها .

ثم نجد مثلا آخر على احترام أنور السادات للراى المخالف لرايه وذلك فيما نشره عبد الرحمن الشرقاوى في مجلة التحرير ردا على إحدى المقالات

(١) الجمهورية : ١٦ مارس ١٩٥٤ — مقال بعنوان « الاخوان والشيوعيون والثورة » .

(٢) الجمهورية : ١٥ مارس ١٩٥٤ — مقال بعنوان « دستور الشعب » .

(٣) نفس المصدر .

(٤) الجمهورية : ٢١ مارس ١٩٥٤ — مقال بعنوان « دستور الشعب » .

التي كتبها أنور السادات في عدد سابق من نفس المجلة وهاجم فيها الشيوعيين المصريين . ونجد كاتب الرد يعبر عن رأيه في حرية وصراحة تامة مدافعا عن الشيوعيين مناقشا لآراء أنور السادات قائلا : « القائمقام أنور السادات يعتز بشهادة بولجانين ويريد ان يتخذها حجة لمناقشة الشيوعيين المصريين ويقول عنهم « أنهم هم الذين يجلسون في المقاهي » ولكن السيد وزير الدولة يعرف ان الشيوعية في مصر نشاط يحرمه القانون والصحف تنشر ما بين يوم وآخر أنباء الأحكام التي تصدر على الذين توجه اليهم تهمة الشيوعية . . الشيوعية في مصر جريمة يعاقب عليها القانون وتتعبها السلطات . السيد الوزير يعلم هذا كله . من هم اذن هؤلاء التقدميون الذين يتحدث عنهم السيد الوزير ويجعل لهم حكاية تستحق ان تكتب فيها افتتاحية مجلة التحرير « ثم يمضي الى القول « السيد الكاتب يعلم بلا ريب ان هؤلاء التقدميين هم الذين لا يريدون للانسانية أن تعود الى وراء . . هم الآلاف العديدة التي تقدم في كل خفقة من ذراع انتاجا يدفع الحياة الى أمام » (١) .

فاذا كان نشر مثل هذا الرد على أنور السادات ومن قبل أحد الصحفيين تحت رئاسته يكشف عن تقديره لتقاليد المهنة واحترامه لما جرى عليه العرف الصحفي وما جرت عليه تقاليد العمل بحيث وافق على نشر وجهة نظر تختلف كل الاختلاف عن وجهة نظره ، فان أكثر ما يؤكد ذلك أيضا هو أن أنور السادات لم يسمح فقط بنشر هذا الرد على مقاله بل وأبرزه بشكل ملفت للنظر وذلك بأن وضع عنوانه « مانشيت » على الغلاف الأول للمجلة .

واذا كان أنور السادات قد ترك العمل الصحفي في أواخر شهر أبريل عام ١٩٥٩ وتوقفت مجلة التحرير عن الصدور عقب ذلك مباشرة . فلقد ظل أنور السادات يعتز بأنه كان يعمل صحفيا في يوم من الأيام قبل قيام الثورة وبعد قيامها ، وقد عبر عن هذا المعنى في كثير من خطبه وكان آخرها خطابه في اللجنة المركزية يوم ٢٧ مارس ١٩٧٦ حيث قال « أنا اشتغلت في يوم من الأيام صحفى وباعتز بهذا قبل الثورة وبعد الثورة » ثم يقول « أنا باعتبار نفسي واحدا منهم . . . اشتغلت قبل الثورة بالصحافة وبعد الثورة بالصحافة » (٢) .

(١) التحرير : ٢٣ أغسطس ١٩٥٨ مقال بعنوان « رد على أنور السادات — ما حكاية التقدميين » .

(١) الأهرام : ٢٨ مارس ١٩٧٦ — نص حديث أنور السادات في اللجنة المركزية .

واهم ما يمكننا ان نستخلصه من هذا العرض لتجربة أنور السادات في العمل السياسى ، وتجربته في العمل الصحفى هو :

أولا : ان الكتابات الصحفية لأنور السادات ، تعبر أصلا عن كاتب وطنى له مواقفه الوطنية وخبرته الواسعة بخفايا وأسرار العمل السياسى قبل الثورة ، وتحمل الرصيد المباشر لتجربة واسعة في الحياة السياسية المصرية .

ثانيا : ان ممارسة السادات للعمل الصحفى وكتاباته في صحف الثورة تعنى أنه يعرض لوجهات نظر الثورة ومواقفها تجاه القضايا والأمور التى يتناولها ، ويعبر عن فكر الثورة في ذلك .

ثالثا : ان وجود أنور السادات (خلال نفس الفترة التى عمل فيها بالصحافة) في قمة جهاز السلطة صانعة القرارات ، وممارسته للعمل السياسى في مواقع متعددة ، فذلك يعنى ان تتوفر لديه المعلومات التى لا يمكن ان تتوفر لأى صحفى آخر ، وتعنى كذلك أنه يمكنه ان يرصد فكر الثورة من نواح وفي مجالات متعددة .

رابعا : رغم ان السادات لم يبدأ كتاباته الصحفية — بعد قيام الثورة — الا يوم ٧ ديسمبر ١٩٥٣ ، أى بعد انقضاء أكثر من ستة عشر شهرا على قيام الثورة وهى فترة شهدت وقوع احداث سياسية هامة (طرد الملك ، واعلان الجمهورية ، والتوصل الى حل لمشكلة السودان ، والصدام مع الاحزاب وحلها فانه لم يغفل في كتاباته هذه الاحداث ، بل تناولها في العديد من مقالاته ، وكذلك تناولت كتاباته العديد من الموضوعات عن المرحلة التى سبقت قيام الثورة ، وكيف تم التمهيد لها والاحداث التى وقعت خلال تلك المرحلة كما شهدتها أنور السادات وعاش تفاصيلها .

وهذه الحقائق كلها وان كانت تعنى شيئا ، فهو أهمية الكتابات الصحفية لأنور السادات من حيث هى مصدر رئيسى للتأريخ لفكر ثورة يوليو السياسى .

الباب الثاني

المبادئ الستة للثورة في كتابات أنور السادات

مقدمة :

عندما بدأ أنور السادات الكتابة في جريدة الجمهورية يوم ٧ ديسمبر ١٩٥٣ ، وفي مجلة التحرير يوم أول يناير ١٩٥٤ ، كانت الثورة في ذلك الوقت قد انتهت من اتخاذ العديد من الاجراءات والقرارات في نواح متعددة من نواحي العمل السياسى ذلك انها كانت قد انتهت من خلع الملك في ٢٦ يوليو ١٩٥٢ ، والغاء الألقاب المدنية في ٢ أغسطس ، وكذلك كانت قد انتهت من اعلان قانون الاصلاح الزراعى في ٩ سبتمبر ١٩٥٢ و اعلان حل الاحزاب في ١٧ يناير ١٩٥٣ واسقاط دستور ١٩٢٣ يوم ١٢ فبراير ١٩٥٣ ، و اعلان قيام الجمهورية في ١٨ يونية ١٩٥٣ ^(١) وفي تلك الفترة نفسها كانت الثورة قد بدأت المفاوضات مع الانجليز ، وهى المفاوضات التى بدأت في ٢٧ أبريل ١٩٥٣ وانتهت الى الفشل بعد أيام من استئنافها لتبدأ عمليات الكفاح المسلح في القناة في شهر ديسمبر من نفس العام ^(٢) .

ومعنى ذلك أن الثورة وان كانت قد خطت بعض الخطوات في طريق تحقيق وتنفيذ مبادئها الستة ، الا أنها لم تكن قد حققت منها غير مبدأ واحد هو « القضاء على الاقطاع » وذلك باصدار قانون الاصلاح الزراعى ^(٣) ، وبانهاء الحكم الملكى الذى يرى أنور السادات أن انهائه كان قضاء على الاقطاع ^(٤) .

وعلى ذلك فان أنور السادات عندما بدأ الكتابة في ٧ ديسمبر ١٩٥٣ ، كانت الفرصة أمامه متاحة لأن يعرض لكيفية تنفيذ الثورة لبقية مبادئها .

ولكنه وقبل أن نعرض لهذه المبادئ وكيفية تنفيذها على نحو ما عبر السادات عن ذلك في مقالاته ، فانه يتحتم علينا أن نسجل الملاحظات التالية :

(١) عبد الرحمن الرافعى : ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ (تاريخنا القومى فى سبع سنوات ١٩٥٢ — ١٩٥٩ — مكتبة النهضة المصرية — القاهرة — ١٩٥٩ — ص ٣١ ، ٤٠ ، ٥٤ ، ٧٣ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٨١)

(٢) نفس المصدر : ص ١٨٤

(٣) ورد في كتاب ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ وأصولها التاريخية للدكتورين محمد أنيس والسيد رجب حراز (ص ٢١٢) — ان قانون الاصلاح الزراعى كان أول ضربة موجبة لتحالف الاقطاع والراسمالية المستغلة .

(٤) أشار أنور السادات الى ذلك في مقال له قائلا « تم القضاء على الاقطاع بعد أن انتهت الثورة حكم أسرة محمد على وأعلنت الجمهورية » — راجع مجلة التحرير : ٢ أبريل ١٩٥٧ — مقال بعنوان « مذكرات أنور السادات » .

أولا : بالنسبة للمبدأ الأول وهو القضاء على الاستعمار وأعوانه فإن أنور السادات قد كتب عن ذلك تفصيلا .

ثانيا : بالنسبة للمبدأ الخامس وهو اقامة جيش وطنى قوى ، لم يتعرض أنور السادات لكيفية تحقيق الثورة لهذا المبدأ ، وهو وإن أشار فى كثير فى مقالاته لواقع الجيش وأحواله قبل قيام الثورة ومظاهر الفساد فيه ، وكتب أيضا عن المعارك التى خاضتها الثورة من أجل تسليح الجيش ، إلا أنه لم يعرض تفصيلا لكيفية اقامة الجيش الوطنى والخطوات التى قامت بها الثورة من أجل ذلك . وفى رأينا ان تلك مسألة طبيعية لأن الكتابة فى كيفية تنفيذ الثورة لهذا المبدأ كان لابد وان تتعرض لبعض النواحي العسكرية التى تعد نوعا من الأسرار الهامة التى لا ينبغى عرضها أو التعرض لها .

ثالثا : بالنسبة لبقية المبادئ الستة وهى القضاء على سيطرة رأس المال على الحكم واقامة عدالة اجتماعية وحياة ديمقراطية سليمة ، فإن تناول أنور السادات للخطوات التى قامت بها الثورة من أجل تحقيق هذه المبادئ خلال الفترة التى كتب فيها (١٩٥٣ — ١٩٥٩) جاء فى اطار كتابته عن موقف الثورة وفهمها لقضية الديمقراطية ، باعتبار ان هذه المبادئ كلها كانت ترتبط وتندرج تحت قضية اشمل هى قضية نظام الحكم . بل وكذلك كان تعرض السادات للمبدأ الثانى « القضاء على الاقطاع » .

وعلى ذلك فإن الخطوات التى خطتها الثورة فى سبيل تنفيذ مبادئها وردت فى كتابات أنور السادات وتحددت فى قضيتين :

١ — قضية الاستعمار .

٢ — قضية الديمقراطية .

وهذا ما سوف نعرض له فى الفصلين اللذين يتضمنهما هذا الباب .

الفصل الأول

قضية الاستعمار

مفهوم الثورة للاستعمار :

كان المبدأ الذى وضعته ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ فى مقدمة أهدافها الستة المعروفة « القضاء على الاستعمار » وبالرغم من أنه لم يكن واضحا لقيادة الثورة فى ذلك الوقت كيفية القضاء على هذا الاستعمار ، ولم تكن هناك خطة محددة أعدت لهذا الغرض ، إلا أن معنى الاستعمار ومفهومه لم يكن غائبا بالنسبة لهؤلاء القادة من الضباط كغياب خطة القضاء عليه . وذلك لأن وجود الاستعمار كواقع فعلى أمامهم جعلهم يلمسون وبشكل مباشر أثره على كل نواحى الحياة فى مصر ، ويدركون ماذا يعنى الاستعمار على وجه التحديد . ومن هنا فإنه يمكن القول منذ البداية ، بأن مفهوم الضباط من قيادة الثورة لما يعنيه الاستعمار بشكل عام ، إنما قد تشكل أساسا من خلال رؤيتهم ومعايشتهم لتجربة واقعية محددة تمثلت فى الاحتلال الانجليزى لمصر ، وما نتج عنه من آثار ونتائج ، وهذا ما نجده واضحا فى كتابات أنور السادات الصحفية ، الذى كان فى كل ما يكتبه عن معنى الاستعمار وأشكاله وأهدافه ينطلق فى الأساس من تحليل لواقع الاحتلال الانجليزى لمصر وطبيعته .

وإذا كان الاستعمار فى رأى بعض الباحثين هو « العمل أو مجموعة الأعمال التى من شأنها السيطرة أو بسط النفوذ بواسطة دولة ، أو جماعة منظمة من الناس على مساحة من الأرض لم تكن تابعة لهم أو على سكان تلك الأرض أو على الأرض والسكان فى آن واحد » (١) ، فإننا نجد نفس هذا المفهوم للاستعمار بمعنى « السيطرة » هو الذى أورده أنور السادات فى كل كتاباته عن الاستعمار ، مفرنا هذا المعنى وأشكال هذه السيطرة بالاستعمار البريطانى لمصر على وجه التحديد ، بل وكانت كلمة « السيطرة » هذه هى الكلمة التى يستخدمها أنور السادات دائما عندما يكتب عن هذا الاستعمار .

(١) محمد عوض محمد : الاستعمار والمذاهب الاستعمارية — دار المعارف — القاهرة —

فيقول انه « السيطرة البريطانية التي اتخذت اشكالا متعددة »^(١) ويقول « ان بريطانيا تسعى دائما لفرض المزيد من سيطرتها على البلاد »^(٢) ، او هذه السيطرة على اقتصادنا هي افكك الأسلحة التي يمارسها الاستعمار في مصر^(٣) ، او « هذا لم يكن ليمنع فرنسا ولا بريطانيا من انتهاز كل فرصة للسيطرة على مصر »^(٤) ، ثم قوله « كانت تلجأ كل منهما الى استعمال القوة منفردة بقصد السيطرة على مصر »^(٥) .

واذا كان أنور السادات قد حدد الهدف من الاستعمار البريطاني لمصر ، بأنه كان من « أجل الاحتفاظ بقناة السويس ومن أجل الاحتفاظ بالمركز الاستراتيجي الخطير الذي تقوم فيه مصر من هذا العالم ، ومن أجل تثبيت دعائم الاستعمار البريطاني في افريقيا وآسيا وتأمين عملية امتصاص الشعوب ، لكي يبنى المجتمع البريطاني ، وينعم البريطانيون في جزيرتهم بالملذات والسيجار »^(٦) فإنه يحدد اشكال هذا الاستعمار ، من خلال « سيطرته » على شتى نواحي الحياة في مصر فيقول ان هذه السيطرة البريطانية « اتخذت اشكالا متعددة سواء في الجيش او في جميع فروع الحياة في مصر ، مما أوقع البلاد في انياب استعمار سياسي واقتصادي واجتماعي »^(٧) .

وعلى هذا النحو ، فإن أنور السادات يرى في الاستعمار البريطاني استعمارا سياسيا واقتصاديا واجتماعيا في آن واحد ، ولا شك انه استخلص هذه المعاني من الواقع الذي عاشته البلاد تحت سيطرة الاحتلال البريطاني لأكثر من سبعين عاما . فهو يراه استعمارا سياسيا « لسيطرته » على مقاليد الحكم من خلال الجيش والملك والأحزاب ، وفي ذلك يقول أنور السادات :

(١) مجلة التحرير : ٢١ مايو ١٩٥٧ — مقال بعنوان « مذكرات أنور السادات » .

(٢) مجلة التحرير : ٢٨ مايو ١٩٥٧ — مقال بعنوان « مذكرات أنور السادات » .

(٣) مجلة التحرير : ١١ يونيو ١٩٥٧ — مقال بعنوان « مذكرات أنور السادات » .

(٤) مجلة التحرير : ٢ أبريل ١٩٥٧ — مقال بعنوان « مذكرات أنور السادات » .

(٥) نفس المصدر .

(٦) مجلة التحرير : ٢ أبريل ١٩٥٧ — مقال بعنوان « مذكرات أنور السادات » .

(٧) مجلة التحرير : ٢١ مايو ١٩٥٧ — مقال بعنوان « مذكرات أنور السادات » .

« لم يكن يخفى على أحد ، ان بريطانيا تسعى دائما لفرض المزيد من سيطرتها على البلاد ، وكانت تفرض حمايتها على الاحزاب السياسية ورؤسائها بالعدل والقسطاس لكى يمثل كل منهم دوره وقت ان يطلب اليه ذلك ، هذا فضلا عن ان ملك البلاد فاروق كان قد تعلم من حادثة ٤ فبراير سنة ١٩٤٢ درسا هو الا يعارض سياسة بريطانيا .. بل خرج من هذه الحادثة بحكمة خالدة هي ان يوفر لنفسه الامان والسلام بتنفيذ كل ما تريده بريطانيا حتى يستطيع ان يتفرغ لأشباع شهواته ونهمه لجمع المال والثروة .. وتطورت الأمور الى أبعد من ذلك فأنعمت عليه بريطانيا برتبة جنرال في الجيش البريطانى (١) .

ويرى أنور السادات في الاستعمار البريطانى أنه كان سيطرة اقتصادية تمثلت في فرض حصار على الاقتصاد المحلى واستخدام سلاح الضغط الاقتصادى لتحقيق أغراض سياسية بحتة . ويضرب السادات المثل على ذلك بقوله :

« كانت هذه السيطرة على اقتصادنا ، هي أفنك الأسلحة التى يمارسها الاستعمار فى مصر لخنق كل :^١جاء نحو التحرر أو الاستقلال بتجويع الشعب ، وافقاره واذلاله ، واستخدمت بريطانيا هذا السلاح فى مصر بنجاح طيلة أربعة وسبعين عاما .

وشهدنا نحن فى ديسمبر سنة ١٩٥٢ — ولم يكن قد مضى على الثورة إلا حوالى الستة أشهر — أقول شهدنا فى ذلك الوقت أول تجربة بريطانية لأذلال مصر بعد الثورة وذلك عن طريق استخدام سلاح الضغط الاقتصادى .. يوم ان امتنعت بريطانيا عن شراء حصتها فى محصول القطن .. وكانت هى العميل الأول بالنسبة للسوق المصرى ، بحجة أن لدى الغزاليين البريطانيين فائضا من القطن المصرى .

وكان هدف بريطانيا فى ذلك الوقت ، هو ضرب الاقتصاد المصرى ضربة قاتلة بحرمان الخزينة المصرية من المورد الأساسى للعملة الأجنبية وبالتالي حرمان الشعب من الحصول على حاجاته الضرورية .. فاما ان تقوم ثورة

(١) مجلة التحرير : ٢٨ مايو ١٩٥٧ — مقال بعنوان « مذكرات أنور السادات » .

جديدة ، وأما ان تسلم الثورة لبريطانيا بما تريد . . كما كان يسلم لها الملك . .
وكما كان يسلم لها الزعماء والأحزاب « (١) .

وإذا كان كثير من الباحثين يرى ان أحد مظاهر الاستعمار الاقتصادى تتمثل كذلك فى ان تكون المستعمرات ميدانا لكسب المال وجمعه بمختلف الطرق بواسطة شركات رأسمالية — وهى الصيغة النفعية الغالبة على الحركة الاستعمارية الحديثة (٢) . فان أنور السادات يشير الى هذا المظهر من مظاهر الاستعمار أيضا ، وعلى نحو ما طبقه الاستعمار البريطانى فى مصر من خلال شركة قناة السويس فيقول : « عرفنا الشركات الأجنبية التى تحصل على امتيازات فتصبح دولة ذات سيادة داخل الدولة ، على يد بريطانيا وفرنسا كشركة قناة السويس (٣) .

أما ما أطلق عليه أنور السادات تعبير « الاستعمار الاجتماعى » ، فلا شك ان هذا التعبير قد استحدثه أنور السادات فى كتاباته ، وذلك لأننا لم نعثر فى أى مرجع من المراجع لهذه التسمية لنوع من أنواع الاستعمار أو لشكل من أشكاله . ولا شك ان أنور السادات كان يقصد بذلك التعبير ان يشير الى ما ترتب على وجود الاستعمار البريطانى من نتائج وآثار فى المجال الاجتماعى ، تمثلت فى تدهور مستوى المعيشة للغالبية العظمى من أفراد الشعب نتيجة لسيطرة الاقطاعيين وكبار الملاك الزراعيين — الذين كانوا يعملون فى خدمة الاستعمار — على الكم الأكبر من مساحة الأرض المزروعة ، اذ كان هؤلاء الملاك الذين يمثلون نسبة لا تزيد عن نصف واحد فى المائة من مجموع السكان ، يملكون ما لا يقل عن ٣٧ ٪ من مجموع الأراضى المزروعة ، وبذلك تمكنت هذه الطبقة — بمعاونة الاستعمار وحمايته لها من ان تفرض سيطرتها على حياة البلاد السياسية والاجتماعية (٤) ، ذلك الى جانب نقض الخدمات الأساسية فى التعليم والصحة وغيرها . ونجد أنور السادات يشير الى ذلك بالفعل — ودون تفاصيل — قائلا « أننا نجد مرارة سبعين عاما أو

(١) مجلة التحرير : ١١ يونية ١٩٥٧ — مقال بعنوان « مذكرات أنور السادات » .

(٢) محمد عوض محمد : الاستعمار والمذاهب الاستعمارية — دار المعارف — القاهرة ، ١٩٥٧ — ص ٥٣

(٣) التحرير : ٧ أبريل ١٩٥٧ — مقال بعنوان « مذكرات أنور السادات » .

(٤) ر. ك. كارانجيا : كيف نجح عبد الناصر — تعريب خيرى حماد — دار المعارف ، القاهرة — ١٩٦٤ ص ٤٥

يزيد ، تركت من ورائها هذا الوطن في جهل وفي فقر وفي مرض ، ثم كانت الطامة الكبرى التى هى نتيجة طبيعية للاستعمار . . وهى كارثة أفساد الأخلاق » (١) .

وإذا كان يمكن القول بأن الاستعمار البريطانى قد اهتم بتحقيق بعض مظاهر الخدمات فى المجال الاجتماعى ، بإنشاء بعض المرافق العامة أو السماح بإنشائها ، شملت بعض النواحي كالتعليم والصحة والمواصلات والزراعة وغيرها ، فإن أنور السادات يوضح حقيقة الأسباب التى كانت وراء هذا الاهتمام وهى أن « الاستعمار كان لا يستطيع أن يقيم بين ظهرانينا بلا قليل من النور يستغله فى قضاء مصالحه » (٢) ثم يوضح أنور السادات كذلك أن مثل هذه المرافق وعلى النحو الذى أراده الاستعمار لها والغرض الذى كان يهدف إليه من وراء إنشائها ، إنما كان ينتج عنها المزيد من التدهور والمظالم فى مجال الحياة الاجتماعية ، فيقول أن الاستعمار « سمح بإقامة المدارس فى حدود معينة لا تخرج عن أعداد موظفين يقومون بالأعمال فى دواوين الحكومة . . التى هى فى نفس الوقت تعمل فى حدود مصالح المستعمرين » ، ثم يقول أن « الترع والمصارف انشئت فى مصر لكى تنتعش زراعة القطن فتنتج مصر حاجة مصانع النسيج فى لانكشير منه . ويفض الاستعمار الطرف فى نفس الوقت عن انتشار البلهارسيا بعد إنشاء الترع والمصارف وفتكها بالملايين من أبناء البلاد . وإنشأ الاستعمار الخطوط الحديدية لكى تحمل القطارات البضاعة التى يأخذها منا وأيضاً البضاعة التى يبيعها إلينا » ثم يضيف أنور السادات قائلاً « كذا أقام المستشفيات أو سمح لنا بها فى حدود لا تتعدى علاج موظفى الدواوين . . والأيدى العاملة القليلة فى المدن والحكام » (٣) .

وبالنسبة للأساليب التى يحقق بها الاستعمار هدفه الرئيسى فى السيطرة على جانب من جوانب الحياة فى مجتمع ما ، فإن أنور السادات ومن واقع تجربة الاحتلال البريطانى لمصر أيضاً ، يستخلص هذه الأساليب والمسميات

(١) الجمهورية : ١٣ يوليو ١٩٥٤ — مقال بعنوان « رأى » .

(٢) الجمهورية : ٢٤ أغسطس — مقال بعنوان « نحو بحث جديد (٩) » من سلسلة مقالات بعنوان « نحو بحث جديد » .

(٣) نفس المصدر .

التي تخفت تحتها ، وتطور هذه الأساليب بأسمائها المختلفة والتي وان كانت قد تعددت الا ان « الهدف واحد » فيقول ان الاستعمار « يتطور أيضا في أساليبه المجرمة شأنه شأن أى ظاهرة من الظواهر وفي كل أسلوب يتخذ له اسما . . وتتعدد الأسماء والأساليب ولكن الهدف واحد » ثم يقول السادات في عرضه لهذه الأساليب والأسماء « كان اسمه شركات أجنبية تحصل على امتيازات . . وتطور الى احتلال عسكري بالجنود والمعدات . . ثم تطور الى حماية أطلقوا عليه انتدابا . . وعادوا ففعلوا وصاية . . ويسمونه اليوم بالأحلاف » (١) .

وتكتشف كتابات أنور السادات عن حقيقة هامة ، تلك هي ادراكه لأن الاستعمار البريطاني في مصر لا يعمل بمعزل عن الجهود التي تقدم اليه من جانب دول استعمارية أخرى ، وأن هناك تضامرا في الجهود بين هذه الدول الاستعمارية ، وبذلك يكون السادات قد أشار في وقت مبكر الى ما عرف بعد ذلك باسم « الاستعمار الجماعي » او (Collective Colonialism) وهي التسمية التي أصبحت جزءا من القاموس السياسي السوفيتي منذ ان استخدمها خروشوف أول مرة في ٢٦ فبراير عام ١٩٦٠ أثناء زيارته لأندونيسيا ، وكان يشير بها الى تضامر جهود الدول الغربية للحفاظ على وجودها في كل من آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية ، بعد ان ادركت عدم قدرتها — منفردة — على أن تبسط سيطرتها الاستعمارية ، فاضطرت الى تنسيق السياسات فيما بينها لذا الغرض (٢) وقد كتب أنور السادات مشيرا الى هذا المعنى ذاته عام ١٩٥٤ في مجال تعليقه على معركة « ديان بيان فو » فقال : « ان فرنسا تتلقى التعازي اليوم من رجال العالم الحر » ، لا لأن العالم الحر يحس بأن فرنسا قد نكبت بل لأنه يحس هو نفسه — أي العالم الحر — قد نكب بسقوط دعامة من دعاماته هي فرنسا الاستعمارية . ورجال العالم الحر يشيدون ببطولة المدافعين عن قلعة « ديان بيان فو » ولا يشيدون ببطولة مهاجميها الذين استردوها بعزمهم من الغاصبين « الأحرار » ، وهذا هو منطق الاستعمار « . . . ثم يستطرد السادات قائلا « ستخرج فرنسا من الهند الصينية ومن الولايات التي تحتلها في الهند ولو آزرتها أمريكا وبريطانيا .

(١) مجلة التحرير : ٩ أبريل ١٩٥٧ — مقال بعنوان « مذكرات أنور السادات » .

(٢) الموسوعة السياسية — المؤسسة العربية للدراسات والنشر — بيروت — ١٩٧٤ —

وستخرج بريطانيا من مصر والسودان والأردن وجيانا وجنوب افريقيا ولو
آزرتها أمريكا وفرنسا « (١) ».

وكما توصل أنور السادات إلى هذه الرابطة التي تربط بين الاستعمار
البريطاني والدول الاستعمارية الأخرى ، فإنه لا يفصل كذلك بين هذا
الاستعمار وبين الوجود الاسرائيلي بل يرى ان السبب الرئيسي والوحيد في
بقاء اسرائيل وانقاذها خلال حرب عام ١٩٤٨ ، انما يرجع الى الموقف الذي
اتخذته كل من أمريكا وبريطانيا أثناء هذه الحرب وبعدها . فقد كانت الهدنة
التي نجح الاستعمار في فرضها كما يقول السادات هي « الفرصة الذهبية
التي احيت موات اسرائيل ، ومكنتها من ان تتلقى الأسلحة والعتاد من أمريكا
وانجلترا ومن كل دولة ضالعة مع اليهود وما زالت الهدنة مفروضة الى اليوم ،
وما زالت انجلترا وأمريكا تفرضان على العرب احترامها ولا تفرضانه على
اليهود . . وما زال اليهود يزدون كل يوم من أسلحتهم وتحصيناتهم بما
يتلقونه من الاعانات والعتاد من دول الاستعمار التي لم تفكر في ان تعاون
العرب بأي لون من ألوان المعونة » (٢) .

والسادات في ربطه بين الدول الاستعمارية بعضها البعض على هذا
النحو فإنه لا يأخذ ذلك بمعزل عن واقع الاحتلال الانجليزي لمصر ، بل يرى
ان هذه القوى الاستعمارية في ترابطها انما تشكل القوة الحقيقية للتحدي
الذي يمكن ان يواجه مصر في حالة اعلانها الحرب على بريطانيا « اننا يوم
نعلم الحرب على بريطانيا ، سنحارب كل الدول التي تحاربنا معها في الخفاء .
سنحارب أمريكا ونحارب اسرائيل ونحارب كل دولة يهمها ان ينتصر
الاستعمار » (٣) .

واذا كان أنور السادات قد انتهى من ذلك كله الى ان الاستعمار البريطاني
كان هو « أصل بلاننا كله » (٤) وانه « من المستحيل ان يتم اصلاح او تقدم

(١) مجلة التحرير : ١١ أبريل ١٩٥٤ — مقال بعنوان « درس من ديان بيان فو » ويلاحظ
ان ربط أنور السادات بين أمريكا وكل من بريطانيا وفرنسا كدولتين استعماريتين لم يكن هو
نفس المفهوم الذي كان سائدا عن أمريكا قبل قيام الثورة .

(٢) مجلة التحرير : ١٨ مايو ١٩٥٤ — مقال بعنوان « هؤلاء الساسة الانكياء » .

(٣) مجلة التحرير : ٢ فبراير ١٩٥٤ — مقال بعنوان « ترقبوا صوت النداء » .

(٤) الجمهورية : ١٠ ديسمبر ١٩٥٢ — مقال بعنوان « صفحات مجهولة من كتاب الثورة » .

لشعب من الشعوب وهو يبرز تحت أعباء سيطرة أجنبية « (١) فقد كان من الطبيعي بناء على ذلك ان يكون أول مبدأ من مبادئ الثورة الستة هو مبدأ « القضاء على الاستعمار » .

القضاء على الاستعمار بين المفاوضات والكفاح المسلح :

وتكشف كتابات أنور السادات عن ان ثورة يوليو في سبيل تحقيق هدفها الأول في القضاء على الاستعمار وأعوانه كان عليها ان تواجه مرحلتين من مراحل العمل السياسي .

المرحلة الأولى :

هي مواجهة القوى الداخلية المتحالفة مع الاستعمار ، وكان القضاء عليها يعنى زوال السيطرة السياسية للاستعمار — على نحو ما تقدم — ويمهد في نفس الوقت لامكانية تنفيذ المرحلة الثانية .

المرحلة الثانية :

هي مواجهة الاستعمار في شكله العسكى ، متمثلا في سيطرته الفعلية على مناطق في البلاد بالقوة المسلحة . وبتنفيذ ذلك يتحقق الاستقلال التام من السيطرة الاستعمارية بكل أشكالها .

واذا كانت المرحلة الأولى ، قد تم تنفيذها خلال الأشهر الأولى بعد قيام الثورة ، وتمثل ذلك في شكل عدد من الإجراءات هي خلع الملك وإعلان الجمهورية وإصدار قانون الإصلاح الزراعى ، وتجميد نشاط الأحزاب السياسية ، أو تطهير « الحياة السياسية من الزعماء والأحزاب الذين نشأوا في احضان الاحتلال » مما « سهل القضاء على الاستعمار الأجنبى بعد ان نقد أعوانه من الخونة داخل البلاد » (٢) فان المرحلة الثانية ، كان قد تحدد لتنفيذها احدى وسيلتين :

١ — المفاوضات .

٢ — الكفاح المسلح .

(١) مجلة التحرير : ٩ أبريل ١٩٥٧ — مقال بعنوان « مذكرات أنور السادات » .

(٢) مجلة التحرير : ٢ أبريل ١٩٥٧ — مقال بعنوان « مذكرات أنور السادات » .

وكانت الوسيلة الوحيدة التى كان متوقعا أن تأخذ بها الثورة لتنفيذ مرحلتها الثانية هذه هى الكفاح المسلح وذلك نظرا لاعتبارات كثيرة من بينها :

أولا : لأن أسلوب الكفاح المسلح هو الأسلوب الأقرب الى تفكير العسكريين وطبيعتهم بل وسبق ان شارك تنظيم الضباط الأحرار فى بعض جوانبه عام ١٩٥١ (عقب إلغاء معاهدة ١٩٣٦) ، حيث قام عدد من ضباط التنظيم فى ذلك الوقت بتدريب الفدائيين فى معسكرات سرية بالفيوم والقاهرة وبعض مدن الوجه القبلى ، كما قام التنظيم كذلك بإمداد الفدائيين بالأسلحة ، الى جانب التخطيط وقيادة بعض العمليات (١) .

ثانيا : لأن الثورة — كما يقول أنور السادات — كانت قد أعدت نفسها للأخذ بهذه الوسيلة « فأعدت المعسكرات فى جميع أنحاء القطر ، وانتظم الآلاف من أبناء هذا البلد فى معسكرات الحرس الوطنى » (٢) وذلك الى جانب اتخاذها لبعض الاستعدادات الأخرى تمثلت فى تشديد الرقابة على السفارة البريطانية وعمالها ، وازدياد نشاط المخابرات المصرية فى منطقة القناة ، والاهتمام بمصانع الأسلحة وخزن كميات من البترول تكفى لمدة ستة أشهر (٣) .

ثالثا : ان أسلوب المفاوضات كان قد اثبت فشله فى تحقيق الجلاء خلال كل التجارب السابقة فى العمل السياسى فى مصر (٤) .

رابعا : ان الشعب لم يعد يتقبل العودة الى المفاوضات ، ورأى فيها اضاعة للوقت واصبح مؤمنا بالكفاح كأسلوب للعمل (٥) .

(١) كمال الدين رفعت : حرب التحرير الوطنية (مذكرات) — اعداد مصطفى طيه — دار الكاتب العربى — القاهرة ١٩٦٨ — ص ٨٥ ، ٨٦

(٢) الجمهورية : أول أغسطس ١٩٥٤ — مقال بعنوان « هذه الثورة بخيرها وشرها » .

(٣) د. محمد انيس والسيد رجب حراز : ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ واصولها التاريخية — دار النهضة العربية — القاهرة — ١٩٦٥ — ص ٢٦٤ ، ٢٦٥

(٤) بدأت أول هذه المفاوضات عام ١٨٨٥ والمعروفة بمفاوضات « درومندولف » واستمرت عامين ثم انتهت بالفشل ، ومفاوضات (سعد — ملتر) عام ١٩٢٠ ، ثم مفاوضات حكومة الوفد عام ١٨٥١ ، وانتهت كلها بالفشل أيضا . راجع عبد الرحمن الرافعى — ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ — تاريخنا القومى فى سبع سنوات ١٩٥٢ — ١٩٥٩ — مكتبة النهضة المصرية — القاهرة ١٩٥٩ ، ص ١٧٩ ، ١٨١

(٥) محمد نجيب : كلمتى للتاريخ — (مذكرات) — بدون تاريخ وبدون اسم الناشر — ص ٨٦ (م . هـ)

كل هذه الاعتبارات ، كانت كفيلة بأن تدفع الثورة للأخذ بهذا الأسلوب ، دون غيره ، ومع ذلك فقد رأى البدء بالمفاوضات ، وتقديمها على أسلوب الكفاح المسلح في معالجة قضية الاحتلال .

وبحثا عن تفسير لذلك ، فانبأ نجد أنور السادات في مناقشته لهذه المسألة على وجه التحديد يقول « أود أن أناقش مسألة التجاء الثورة الى مسلك المحاولة مع الانجليز دون مسلك الكفاح المسلح ، حتى يكون هذا الشعب الذى أولى هذه الثورة ثقته ، على بينة من الحقيقة . فالكفاح المسلح بما فيه من تضحيات ، هو الثمن الذى يدفعه الأحرار من أجل حرية الشعوب ، وإيماننا به مستمد من ماضى هذا الشعب الذى نشأنا منه ، وشهدنا معاركه فى شوارع القاهرة وفى القتال » ، « الا ان ثورتنا قد أخذت على نفسها ان تحقق كل أهداف الشعب — كاملة بلا دماء ما دام ذلك فى الامكان » (١) .

ومن هذا التفسير الذى أورده أنور السادات على هذا النحو ، تبرز ثلاث حقائق هامة :

أولا : أن المفاوضات فى رأى أنور السادات لم تكن أكثر من مجرد « المحاولة مع الانجليز » .

ثانيا : ان من شأن هذه المحاولة ان تنجح فتجنب الشعب اراقاة الدماء ، وهو الشيء الذى كانت الثورة حريصة عليه ، نظرا لأن « الأهداف » الأخرى التى سبق انجازها (من طرد الملك الى اصدار قانون الاصلاح الزراعى الى تجميد الأحزاب — بل قيام الثورة ذاته) قد تمت دون صدام دموى . وكان ذلك أحد الملامح التى ميزت الثورة ، وحرص قادتها على إبرازه ، بل والى التفاخر به .

ثالثا : ان الأخذ بهذه « المحاولة » فى البداية ، لا يعنى تراجعاً من جانب الثورة عن الأخذ بأسلوب الكفاح المسلح ، بل هو فى رأى أنور السادات وبكل ما فيه « من تضحيات هو الثمن الذى يدفعه الأحرار من أجل حرية الشعوب » والإيمان به « مستمد من ماضى هذا الشعب » .

(١) الجمهورية : أول أغسطس ١٩٥٤ — مقال بعنوان « هذه الثورة بخيرها وشرها » .

وثمة عامل آخر ، لا شك أنه كان له أثره أيضا في ترجيح فكرة الأخذ بالمفاوضات وتقديمها على فكرة الأخذ بأسلوب الكفاح المسلح ، وهو ان المفاوضات كانت « محاولة » سبق تجربتها من قبل خلال بحث موضوع السودان بين مصر وبريطانيا ، وأمكن بواسطتها التوصل الى حل حظى بقبول الجانبين ، ووقعت بالفعل اتفاقية ١٢ فبراير ١٩٥٣ ، وبذلك كان رجال الثورة قد نجحوا لأول مرة في تاريخ النزاع بين مصر وانجلترا ، ان يفصلوا بين القضيتين الأساسيتين وهما الجلاء والسودان ^(١) .

ويؤكد أنور السادات ذلك قائلا : « ان السودان كان هو الصخرة التي تتخطم عليها كل مفاوضات سابقة بين مصر وبريطانيا ، هكذا كان يقول رجال السياسة في مصر ، وهكذا كانت تنجح بريطانيا دائما لكي يستمر احتلالها لمصر ، أما وقد عقدت اتفاقية السودان فقد زالت أكبر عقبة من الطريق ، وطلبنا من بريطانيا الدخول في مفاوضات من أجل الجلاء » ^(٢) .

وعلى هذا الأساس بدأت أول مفاوضات بين رجال الثورة وبين بريطانيا بشأن الجلاء عن مصر ، يوم ٢٧ أبريل ١٩٥٣ ، أى بعد أقل من ثلاثة شهور من توقيع اتفاقية السودان . وقد تشكل الجانب المصرى في هذه المفاوضات من محمد نجيب وجمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر وصالح سالم وعبد اللطيف البغدادي ومحمود فوزى ، وضم الجانب البريطانى السير رالف ستفنسون سفير بريطانيا في مصر والجنرال بريان روبرتسون قائد القوات البريطانية في الشرق الأوسط ^(٣) ، ولكن هذه المفاوضات بين رجال الثورة وبريطانيا بشأن قضية الجلاء لم تكن بنفس الدرجة من السهولة التي تمت بها المفاوضات بشأن قضية السودان ، وسرعان ما توقفت يوم ٥ مايو ١٩٥٣ — أى بعد أسبوع واحد فقط من بدايتها ، وإذا كنا لا نجد في كتابات أنور السادات ما يكشف بالتفصيل عن أسباب فشل هذه المفاوضات وتوقفها ، ولا نجد غير عبارات عامة على نحو « بدأت المفاوضات بداية لا يمكن المضي

(١) آرسكين تشيلدرز : الطريق الى السويس — تعريب خيرى حماد — الدار القومية للطباعة والنشر — القاهرة — ١٩٦٢ — ص ١١٣

(٢) مجلة التحرير : ٢٥ يونية ١٩٥٧ — مقال بعنوان « مذكرات أنور السادات » .

(٣) عبد الرحمن الرافعى : ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ (تاريخنا القومى في سبع سنوات

١٩٥٢ — ١٩٥٩) — مكتبة النهضة المصرية — القاهرة ١٩٥٩ — ص ١٨٧

معها شبرا واحدا ، فبريطانيا تؤمن بالمساومات كخلق ومبدأ ، ونحن نرفض المساومة ونعتبرها خلقا رديئا لا يستقيم مع الشرف ولا مع المبادئ » (١) وإذا كان يقصد بهذه الاشارات « العامة » الى ان بريطانيا قد وضعت من الشروط ما لم يمكن ان تتقبله مصر — دون ان يفصح عن ذلك صراحة — فقد عرف فيما بعد ان بريطانيا كانت قد ركزت في هذه المفاوضات على محاولة ربط مصر بمشروع « الدفاع المشترك » ، وهو المشروع الذى كانت بريطانيا قد تقدمت به للدفاع عن الشرق الأوسط ، نيابة عنها وعن فرنسا وتركيا والولايات المتحدة الأمريكية ، عقب الغاء معاهدة ١٩٣٦ فى شهر اكتوبر عام ١٩٥١ ، وتضمن الاقتراح باقامة هذا المشروع انذارا بأن بريطانيا لن تنظر فى موضوع الجلاء عن قناة السويس الا اذا قبلت مصر هذا المشروع (٢) وبغض النظر عما ذكر فى بداية المفاوضات على هذا النحو — والذى كانت بريطانيا تعرف مقدما انه لن يلقى قبولا لدى المفاوض المصرى (٣) ، فقد ظل الخلاف حول نقطتين :

الاولى : ان تخضع قاعدة السويس بعد انسحاب القوات البريطانية عنها لاشراف الفنيين البريطانيين .

والثانية : ان يكون الاتصال بين الحكومة البريطانية وهؤلاء الفنيين اتصالا مباشرا (من خلال الاجهزة والمعدات الالكترونية) دون اى تدخل من جانب الحكومة المصرية . وكانت هذه النقطة بالذات هى التى أصرت مصر على رفضها (٤) . ويات واضحا ان بريطانيا بعرقلتها للمفاوضات على هذا النحو ، انما كانت ترمى الى اكتساب الوقت ، فى انتظار انقلاب داخلى فى مصر او انقسام يضعف جبهة المقاومة ويفتح امامها ابواب التدخل من جديد او المماطلة والتسويف (٥) .

-
- (١) مجلة التحرير : ١٦ يوليو ١٩٥٧ — مقال بعنوان « مذكرات أنور السادات » .
(٢) محمد مصطفى صفوت : إنجلترا وقناة السويس (١٨٥٤ — ١٩٥١) — مطابع رمسيس الاسكندرية — ١٩٥٢ — ص ١٨٨
(٣) آرسكين تشيلدرز : الطريق الى السويس — تعريب خيرى حماد — الدار القومية للطباعة والنشر — القاهرة — ١٩٦٢ — ص ١١٣ ، ١٢٤
(٤) القضية المصرية (١٨٨٢ — ١٩٥٤) وثائق المفاوضات المصرية البريطانية — أصدرتها الحكومة المصرية — المطبعة الأميرية — القاهرة — ١٩٥٤ — ص ٧٠٨
(٥) محمد مصطفى صفوت : إنجلترا وقناة السويس (١٨٥٤ — ١٩٥١) — مطابع رمسيس — الاسكندرية — ١٩٥٢ — ص ١٨٨

ومع توقف المفاوضات ، استؤنفت من جديد عمليات الكفاح المسلح في القناة ، وكانت هذه العمليات مؤثرة الى حد جعل السفارة البريطانية في القاهرة تقدم أكثر من مذكرة احتجاج (على زيادة عدد الحوادث في المنطقة) ، كما وضع أثرها كذلك في تصريحات الاحتجاج والتهديد التي كان يدلى بها بعض المسؤولين البريطانيين في ذلك الوقت^(١) . وقد كتب انور السادات في ذلك الوقت معلقا على ردود الأفعال البريطانية هذه فقال « ماذا تريد بريطانيا من حكومة مصر ان تفعله ؟ هل تريد بريطانيا ان تصدر الحكومة المصرية أمرا عسكريا بأن على كل مصرى ان يحب بريطانيا ؟ » هل تريد بريطانيا ان تتحكم مصر في عواطف الشعب المستقرة في أمثدته ، فينزع ما فيها من حقد على الاستعمار والمستعمرين وتحل محلها عواطف الحب والأعجاب والتقدير لغاصبي استقلاله وحريته ؟ ان بريطانيا لا تريد ان تعترف بأنها عاجزة عن حماية جنودها في منطقة القتال . . ولكنها تجد الجراءة التي تمكنها من ان تزعم أنها باقية في القتال لحماية مصر ، أو لحماية المواقع الاستراتيجية للامبراطورية البريطانية »^(٢)

ولقد كان من الطبيعي بعد فشل المفاوضات الأولى وتصاعد عمليات الكفاح المسلح ألا يكون هناك تفكير في العودة الى أسلوب المفاوضات مرة أخرى . ولكن الذى حدث هو عكس ذلك تماما ، اذ عادت المفاوضات للانعقاد مرة أخرى بين الجانبين في ١٠ يوليو ١٩٥٤ وكان الجانب المصرى يضم هذه المرة جمال عبد الناصر وصالح سالم وعبد اللطيف البغدادي وعبد الحكيم عامر ، وضمت الجانب البريطانى السفير رالف ستيفنسون والماجور جنرال بنسون رئيس هيئة اركان حرب القوات البريطانية في الشرق الأوسط ، ورالف موراي الوزير المفوض بالسفارة البريطانية^(٣) .

واذا كانت عمليات الكفاح المسلح واحتمال تصاعده على نحو أكثر تأثيرا ، يمكن ان يكون من بين الأسباب التي حدثت ببريطانيا للعودة الى المفاوضات ، فان السبب الرئيسى انما يرجع الى تدخل أمريكا والمساعدات التى بذلتها في هذا الشأن . وهناك رأيان في هذه النقطة بالذات :

(١) عبد الرحمن الرافعى : ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ (تاريخنا القومى في سبع سنوات ١٩٥٢ — ١٩٥٩) — مكتبة النهضة المصرية — القاهرة — ١٩٥٩ — ص ١٨٥ ، ١٨٦

(٢) مجلة التحرير : ٢٦ يناير ١٩٥٤ — مقال بعنوان « يوم نبدأ الكفاح » .

(٣) عبد الرحمن الرافعى : ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ (تاريخنا القومى في سبع سنوات ١٩٥٢ — ١٩٥٩) — مكتبة النهضة المصرية — القاهرة — ١٩٦٩ — ص ١٨٦ ، ١٨٧

راى يقول بأن مصر هى التى طلبت من أمريكا مثل هذا المسعى وأنها أبلغت دالاس — من خلال السفير المصرى أحمد حسين — قبل انعقاد مؤتمر برمودا (١) ، أن مصر ومعها معظم بلاد الشرق الأوسط ستقف موقف الحياد فى الحرب الباردة التى تدور بين المعسكرين الشرقى والغربى وذلك إذا تم الوصول الى تسوية لمشكلة قناة السيوس وكذلك مشكلة البترول الايرانى ، وأوضح السفير أحمد حسين للوزير الأمريكى أن الولايات المتحدة يمكنها بما لها من نفوذ أن تضغط على بريطانيا لتسوية خلافاتها القائمة مع بعض دول الشرق الأوسط (٢) .

ورأى آخر يقول بأن أمريكا هى التى عرضت وساطتها دونما اىحاء أو طلب من مصر ، ويقول محمد نجيب أنه أثناء العمليات الفدائية فى القناة قال له « كافرى » السفير الأمريكى فى القاهرة « أن حوادث الصدام بين الحكومتين المصرية والبريطانية تهدد باضطراب فى منطقة الشرق الأوسط وهى منطقة يهم أمريكا استمرار الهدوء فيها فى هذه الفترة التى التهمت فيها الحرب الباردة بين الكتلين الغربية والشرقية » . « وعرض كافرى وساطة الأمريكان ، واقترح أن يشتركوا فى المفاوضات كطرف ثالث ضمانة لنجاحها » (٣) .

وكان يمكن أن يقدم السادات ترجيحاً لأحد الرايين ، ولكن ما كتبه فى هذا الموضوع ، لم يخرج عن حدود اشارات عامة وعابرة مؤكداً مساعدة أمريكا على استئناف المفاوضات ونجاحها دون أن يعرض للظروف التى دفعت بها الى التدخل وتقديم هذه المساعدة . فهو يقول : « بالنسبة لأمريكا فإننا كنا نحس نحوها بالعرفان لما قدمته من مساعدات أدت فى نهاية الأمر الى توقيع اتفاقية الجلاء ، وحدث من غلواء بريطانيا أثناء المفاوضات فى مواطن كثيرة (٤) » .

(١) مؤتمر برمودا ، دعا اليه الرئيس ايزنهاور ، فى جزيرة برمودا ، وضم رئيس الحكومة الفرنسية ورئيس الحكومة البريطانية ، وكان الهدف منه هو تعزيز أواصر التحالف الغربى والتمهيد لمقاومة روسيا راجع : عبد الرحمن الرافعى — نفس المرجع السابق — ص ١٨٥

(٢) محمد عبد الرحمن برج : الأهمية السياسية والاستراتيجية لقناة السويس وأثرها على العلاقات المصرية البريطانية (١٩١٤ — ١٩٥٤) — رسالة دكتوراه — كلية الآداب — جامعة القاهرة — ١٩٦٠ — ص ٢٦٢

(٣) محمد نجيب : كلمتى للتاريخ — بدون ناشر وبدون تاريخ — ص ٨٧

(٤) مجلة التحرير : ٢٣ يوليو ١٩٥٧ — مقال بعنوان « مذكرات أنور السادات » .

أما فيما يتعلق بقبول مصر العودة الى المفاوضات ، فإننا نجد ان السبب هو نفس السبب الأول في الحرص على ارجاء عمليات الكفاح المسلح وتجنبه قدر المستطاع ، ذلك لأن « الأمر يتعلق بمستقبل شعب وكيانه وبنياه » و « يجب ان تستنفذ جميع الوسائل ان كانت هناك وسائل ومنها المفاوضة (١) » .

غير ان الجديد في الموقف هذه المرة ، هو أن اعتبرت هذه المفاوضات بمثابة آخر المحاولات ، وكما يقول السادات كانت هي « الكلمة الفاصلة بيننا وبين بريطانيا » (٢) بل بلغ الأمر حد تقرير « القيام بمعركة مسلحة لطرد بريطانيا من مصر وحددنا لهذه المعركة شهر يناير ١٩٥٥ » (٣) وعلى هذا الاساس ، كان الموقف المصرى يتلخص في الاصرار الكامل على الجلاء وتحقيق الحرية الكاملة ، وقد عبر أنور السادات عن ذلك في كل المقالات التى كتبها طوال الأيام التى جرت فيها المباحثات ، ففي أول أيام المباحثات كتب يقول : « نحن من جانبنا لا نكره لك يا بريطانيا ان تسودى ، ولكن على أرضك لا على نيلنا واحكمى ما شئت ومن شئت من اهل الأرض جميعا اذا رغبوا في حكمك . أما نحن فلن نقبل ان تحكمينا » ثم يستطرد قائلا : « اذكرى يا بريطانيا ان دماء شهدائنا وعزة أوطاننا وغلجان نفوسنا كلها تصرخ في نداء واحد لن نقبل اقل من الحرية الكاملة » (٤) ، ثم يقول السادات في مقال آخر : « ان الجلاء أمر لا يرد المصريين عن تحقيقه الا ان يموتوا جميعا ، وهيهات ان يموت شعب بأكمله » (٥) .

أما فيما يتعلق بارتباط مصر ببريطانيا بأى نوع من الاتفاقات أو الدخول في مشاريع للدفاع . فإننا ومن خلال كتابات أنور السادات نلمس رفضا كاملا لمثل هذه الفكرة ، بل ويعتبرها نوعا من الاحتلال المقنع ، أو الحكم « من خلف الستار » (٦) الا أننا نجده بعد ذلك وفي مقال كتبه يوم ١٨ يوليو ١٩٥٤ — أى قبل يوم واحد من عقد الاتفاق النهائى التفصيلى المتضمن تنظيم عملية الجلاء

(١) الجمهورية : ١٤ يوليو ١٩٥٤ — مقال بعنوان « رأى » .

(٢) الجمهورية : ١٨ يوليو ١٩٥٤ — مقال بعنوان « باسم الشعب » .

(٣) مجلة التحرير : ٢٣ يوليو ١٩٥٧ « مذكرات أنور السادات » .

(٤) الجمهورية : ١٠ يوليو ١٩٥٤ — مقال بعنوان « رأى » .

(٥) مجلة التحرير : ٢٠ يوليو ١٩٥٤ — مقال بعنوان « لورد كيلرن مغرور » .

(٦) الجمهورية : ١٠ يوليو ١٩٥٤ — مقال بعنوان « رأى » .

يقول : « اننا نرفض ان نسخر بلدنا ومواردنا ومصالحنا للدفاع عن مصالح بريطانيا . وانما نحن جميعا نرحب ايضا من كل قلوبنا بمن يخف لنجدتنا لرد اى عدوان تتعرض له الشقيقات العرب . فلا مرء من اننا فى سبيل رد هذا العدوان سنسخر كل امكانياتنا بما فيها القاعدة لرجالنا وللرجال الاشراف الذين يخفون لنجدتنا من غير ان نلف او ندور . هل يتصور احد انفسا فى حالة الاعتداء على بلادنا او على الشقيقات العرب من بعيد او قريب ، نرفض المعونة او المساعدة » (١)

ولا شك ان السادات بهذا المقال ، والذي نشر قبل يوم واحد من اعلان الاتفاق المبدئى انما كان يشير الى ما جاء فى هذا الاتفاق من ان « تبقى اجزاء من القاعدة التى كانت للانجليز فى قناة السويس فى حالة صالحة للاستعمال ، معدة للاستخدام وفى حالة وقوع هجوم مسلح من دولة من الخارج على اى بلد يكون طرفا فى معاهدة الدفاع المشترك بين دول الجامعة العربية او على تركيا ، تقدم مصر لبريطانيا من التسهيلات ما قد يكون لازما لتهيئة القاعدة للحرب وادارتها . وتتضمن هذه التسهيلات استخدام الموانئ المصرية فى حدود ما تقتضيه الضرورة القصوى » (٢) .

وبالتالى . . فان السادات كان ينفى شبهة التحالف عن هذا الاتفاق ، شبل اعلانه ، ويفسر الامر على انه لصالح مصر اولا واخيرا ولصالح العرب جميعا وليس للدفاع عن مصالح بريطانيا . وان قاعدة القناة فى اى وقت تتعرض فيه للعدوان ، انما تسخر « لرجالنا وللرجال الاشراف الذين يخفون لنجدتنا » ولكى ينفى عن الاتفاق شبهة التحالف بشكل قاطع « فانه يقول فى نفس المقال ان « الشعب المصرى . . وشعوب الأمة العربية جميعا يرفضون اى لون من ألوان التحالف بعدما ذاقوا مرارة معاهدات التحالف المفروضة والتى كانت كلها غنما للطرف الذى فرضها ، ولم تعرف ذلك الشعوب منها الا الغرم كل الغرم » .

وبالرغم من ذلك ، وبالرغم من ان انور السادات قد وجد ان هذا الاتفاق بالنسبة للشعب هو « عيد حرته » ، الا انه وبعد التوقيع على الاتفاق

(١) الجمهورية : ١٨ يوليو ١٩٥٤ — مقال بعنوان « باسم الشعب » ،

(٢) عبد الرحمن الرافعى : ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ (تاريخنا القومى فى سبع سنوات

١٩٥٢ — ١٩٥٦) — مكتبة النهضة المصرية — القاهرة — ١٩٥٦ — ص ١٨٧ ، ١٨٨

بالأحرف الأولى ، سرعان ما ظهرت المعارضة له ، وظهرت أول صورة عنيفة لهذه المعارضة في نسف كوبرى « أبو سلطان » في منطقة القناة يوم ٢ أغسطس ١٩٥٤ وقد حامت الشبهات حول الإخوان المسلمين في هذه العملية نظرا لأن نفوذهم على منطقة « أبو سلطان » كان نفوذا كاملا ^(١) « وكانت مثل هذه الأعمال في رأى أنور السادات نوعا من « التشكيك » في العمل المجيد الذى تم على يد الثورة أخيرا أى الجلاء » ^(٢) .

ومن كتابات أنور السادات نستطيع ان نحدد محور هذه المعارضة للاتفاق والنقاط التى دارت حولها ، ونستطيع كذلك ان نحدد طبيعة القوى التى كانت وراء هذه المعارضة .

فيما يتعلق بالنقطة الأولى ، فان محور المعارضة كان يدور حول النقاط التالية :

- ١ — اعتبار الاتفاق نوعا من التحالف .
- ٢ — الربط بين اتفاقية ١٩٣٦ واتفاق يوليو ١٩٥٤ ^(٣) .
- ٣ — ادانة الثورة في عدم اعتمادها على الكفاح المسلح كبديل للمفاوضات التى أدت الى هذا الاتفاق .

وفيما يتعلق بالنقطة الثانية ، فقد كانت القوى السياسية ^(٤) التى مثلت هذه المعارضة هى :

(١) كمال الدين رفعت : حرب التحرير الوطنية (مذكرات) اعداد مصطفى طيبة — دار الكاتب العربى — القاهرة — ١٩٦٨ — ص ٢٥٦

(٢) الجمهورية : أول أغسطس ١٩٥٤ — مقال بعنوان « هذه الثورة بخيرها وشرها » .

(٣) نصت المادة السابعة في معاهدة ١٩٣٦ على انه « اذا اشتبك أحد الطرفين في حرب ، بالرغم من أحكام المادة السابقة المتقدم ذكرها فان الطرف الآخر يقوم في الحال بانجاده بصفته حليفا وذلك مع مراعاة المادة العاشرة الآتى ذكرها وتحصر معاونة صاحب الجلالة ملك مصر في حالة الحرب أو خطر الحرب الداهم أو قيام حالة دولية مفاجئة يخشى خطرها . ان يقدم الى صاحب الجلالة الملك والامبراطور داخل حدود الأراضي المصرية ومع مراعاة النظام المصرى للإدارة والتشريع جميع التسهيلات والمساعدة التى في وسعه بما في ذلك استخدام موانئه ومطاراته وطرق المواصلات » انظر : محمد فؤاد شكرى ومحمد اتيس والسيد رجب حراز : نصوص ووثائق في التاريخ الحديث والمعاصر — مكتبة الانجلو المصرية — بدون تاريخ — ص ٢٢٢

(٤) كانت الأحزاب السياسية قد أعلن حلها في ١٦ يناير ١٩٥٣

١ — الاخوان المسلمون .

٢ — الوفد .

وقد كان من الطبيعي أن يتصدى أنور السادات لهذه المعارضة ، ليس مجرد الرد على هذه الدعاوى المثارة ضد الاتفاق فقط ، وإنما لكي يستمر تجاوب الشعب مع الثورة ، ولكي يظل الناس « مؤمنين بها حريصين عليها » كما يقول (١) ، ولهذا نجده يواصل الكتابة على مدى ما يقرب من شهرين بعد اعلان الاتفاق ، يرد على هذه النقاط السالف ذكرها ، ويوضح حقيقة الاتفاق .

وفي هذه النقطة الأخيرة بالذات ، يكتب أنور السادات عن عدد من الاتفاقيات التي عقدتها دول أخرى مع أعدائها في ظروف مماثلة ، ويقارن بين هذه الاتفاقيات وبين اتفاقية الجلاء في مصر . فيضرب مثلاً بما حدث في الهند — « لقد انتهت الحرب العالمية الثانية والقوات البريطانية تحتل أراضي الهند ، وكان الشعب كله هناك يتطلع الى الحرية ، وتجدد كفاحه الوطني تحت زعامة غاندى ونهرو وجناح ، وكان في الهند وخارجها آلاف من الجنود من أبناء الشعب الهندي الكامل العدد والعدة ، كان هذا العدد الضخم قد خاض الحرب العالمية الثانية جنباً الى جنب مع قوات الحلفاء في كافة ميادين القتال في أوربا وفي الصحراء الافريقية ، ثم عاد هؤلاء الجنود الى بلادهم وقد صمموا على نيل حريتهم ، فلم يجد الانجليز بدا من الجلاء أو مواجهة هذه القوات المدربة على القتال ومن ورائها الشعب . فكانت مباحثات ثم مفاوضات ، انتهت الى اتفاقية « مونتباين » المشهورة ، والتي على اساسها تم جلاء الانجليز عن الهند . . . وقسمت الى هندوستان وباكستان ، مع انضمامها الى الكومنولث . واطن أن احدا لا يستطيع أن ينكر ماضى نهرو وكفاحه في السجون والمعتقلات . . . وفهمه لقضية بلاده وحريتها وكرامتها . ومع ذلك فانه برغم هذا التقسيم وهذه العضوية في الكومنولث استطاعت الهند ان تجعل من استقلالها هذا حقيقة واقعة في المحيط العالمى . فأين اتفاقية الجلاء التي أتمناها من اتفاقية « مونتباين » (٢) .

ثم يضرب السادات أمثلة مقارنة أخرى لعدة اتفاقيات ، من بينها اتفاقية « لاهى » عام ١٩٥٠ بين أندونيسيا « التي كافحت الاحتلال اليابانى ونالت

(١) الجمهورية : أول أغسطس ١٩٥٤ — مقال بعنوان « هذه الثورة بخيرها وشرها » .

(٢) الجمهورية : ٢ أغسطس ١٩٥٤ — مقال بعنوان « الثوار في مصر وفي خارج مصر » .

حريتها بالسيف ثم نشبت معركة دامية بينها وبين الاستعمار الغربى ممثلا فى هولندا ، حتى انتهت الى جلوس الطرفين معا على مائدة المفاوضات والمباحثات التى أدت الى اتفاقية لاهاي عام ١٩٥٠ « . ويضرب السادات امثلة اخرى ثم يخلص من ذلك الى القول بأن كل هذا « حدث فى الهند واندونيسيا والهند الصينية ، ولم يقل أحد ان نهرو أو سوكارنو ، أو هوشي منه قد تنكب الطريق بالجلوس الى مائدة المباحثات مع أعداء البلاد للوصول الى اتفاق سلمى للمشكلة . ذلك لأن قادة هذه الشعوب وأبناء هذه الشعوب يؤمنون عن وعى ان الكفاح المسلح وسيلة لا غاية « ثم يقول « اتفاقية الجلاء التى أبرمتها الثورة لا تنص على كومنولث ولا دفاع مشترك ، ولا حلف ثنائى ، ولا أى حلف آخر سوى حلف البلاد العربية » .

وكما يقارن أنور السادات بين اتفاقية الجلاء فى مصر وفى غيرها من البلاد الأخرى ، فإنه يوضح الفارق بين هذه الاتفاقية وبين معاهدة ١٩٣٦ ، مؤكدا الفارق الرئيسى بينهما والذي يتمثل فى ان الأولى كانت تنص على التحالف ، بينما تحدد الثانية موعدا للجلاء عن القاعدة فيقول : « كانت معاهدة ١٩٣٦ التى أطلقوا عليها معاهدة الشرف والاستقلال ، تنص على ان التحالف ابدى بين مصر وبريطانيا بنص العبارة التى عبر عنها المرحوم أمين عثمان وزير مالية حكومة الوفد ابلغ تعبير حين قال (ان علاقتنا ببريطانيا علاقة الزواج الكاثوليكي) . . أى الذى لا ينقسم أبدا ، اما فى هذه الاتفاقية ، فليس فيها شبهة حلف ، بل ان جلاء البريطانيين يتم فى عشرين شهرا ، وبعد ذلك تصبح القاعدة بقائدها وضباطها مصرية صميمة » (١) ثم يستطرد السادات مهاجما موقف الوفد من القضية الوطنية فيقول « ان حكومة الوفد لم تكن تقف موقفا فذا من القضية الوطنية كما يزعم البعض . . انها كانت على استعداد للاتفاق بأى ثمن » (٢) ، واغلب الظن ان مهاجمة أنور السادات للوفد ، فيما هو أبعد من مجرد المقارنة بين معاهدة ١٩٣٦ واتفاقية الجلاء ، انما يرجع الى مهاجمة بعض قيادات الوفد لهذه الاتفاقية (٣) اذ نجد السادات يواصل هجومه على الوفد فى مقال آخر متهما الوفد مرة أخرى بأنه « لم يكن جادا فى إلغاء المعاهدة التى وقعها رئيسه ، ولم يكن جادا فى الكفاح المسلح

(١) نفس المصدر .

(٢) نفس المصدر .

(٣) كان محمود أبو الفتح قد عقد مؤتمرا صحفيا فى أمريكا يهاجم فيه الاتفاقية : الجمهورية — العدد رقم ٢٣٤ — بتاريخ ٣١ يوليو ١٩٥٤

انذى دفع ثمنه شبان أمجاد أبرياء ، خاضوا المعركة بحسن نية ، وهم لا يعلمون ان قيادة الوفد القت بهم كوقود لتغطية موقفها أمام الشعب « (١) .

واذا كان هجوم السادات على الوفد قد أنصب في غالبته على المقارنة مع معاهدة ١٩٣٦ ، وموقف الوفد من القضية الوطنية ، والكفاح المسلح ، فان هجومه على الاخوان المسلمين يكشف عن أنهم قاموا بحملة واسعة من التشكيك ضد الاتفاق وضد الثورة في آن واحد .

ولذا نجد السادات في هجومه على الاخوان المسلمين ، انما يتوجه الى الشعب فيما يشبه البيان أو النداء :

« أيها الشعب .. يا اهلى في المدن والقرى ، ويا أحبابى في الكفور والنجوع .. اذا جاءكم المنافقون وتجار السياسة ، ومن يتاجرون بالدين ليقولوا لكم اتبعونا فقولوا لهم ان الله قد هدانا من عنده ، واضاء لنا الطريق ، وبعث لنا آيات بينات لا يجحدها الا انتم يا معشر المضللين » ثم يطلب السادات الى الشعب ان يرد على « المنافقين وتجار السياسة ومن يتاجرون بالدين » — يرد عليهم بما حققتة الثورة من انجازات ، « ألم تقضى الثورة على الفساد ، والرشوة والمحسوبية ، ألم يعد السودان ملكا لأبنائه وبعد كل ذلك . ألم تعد مصر منذ أمس حرة طليقة من كل قيد عجز عن حله الزعماء والأقوال طوال اثنتين وسبعين سنة » (٢) واذا كان السادات في هذا المقال قد اكتفى بإيراد أوصاف على غرار « من يتاجرون بالدين » وغيرها ، دون ذكر اسم الاخوان صراحة وكرر ذلك في مقال آخر فوصفهم بأنهم « عناصر معينة أخذت تشيع سموم الخيانة ضد اتفاقية الجلاء » و « كان هذا شأن تلك العناصر منذ قيام الثورة » وانهم « يعتبرون أنفسهم المحتكرين للدين مع ان السماء والأرض تبراآن من الحقد » (٣) . فاننا نجد بعد ذلك يهاجم المرشد العام للاخوان صراحة ، ويقارن بين « الاتفاق السرى » الذى أطلق عليه

(١) الجمهورية : ٣ أغسطس ١٩٥٤ — مقال بعنوان « جلاء بغير دماء » .

(٢) الجمهورية : ٣٠ يوليو ١٩٥٤ — مقال بعنوان « رأى » .

(٣) الجمهورية : ٥ أغسطس ١٩٥٤ — مقال بعنوان « رأى » — وكان عدد من الاخوان المسلمين قد غادر البلاد الى سوريا ، وعقدوا مؤتمرا في دمشق في شهر سبتمبر ١٩٥٤ هاجموا فيه الثورة واتهموا قادتها بأنهم هادنوا اسرائيل وقبلاوا الاخلاف العسكرية مشيرين بذلك الى اتفاقية الجلاء — انظر : الجمهورية : ١١ سبتمبر ، ١٦ سبتمبر ١٩٥٤

اسم مفاوضات « الهضيبي — ايفانز » وبين اتفاقية الجلاء فيقول « اذا كان فضيلة المرشد العام قد قبل أو وعد بأن يعقد مع الانجليز اتفاقا سريا يعودون بموجبه الى البلاد عند اعتداء روسيا ، فما باله اليوم لا يقبل ان تعقد الثورة اتفاقا علنيا مع الانجليز يعودون بموجبه الى القاعدة وحدها في خلال مدة معينة أقصاها خمس سنوات وأربعة أشهر بعد الجلاء . . بشروط معينة واضحة محددة ؟ ان الاتفاق السري الذي اعترف به « فضيلته » يسمح للانجليز بالعودة الى البلاد كلها بعد الاعتداء . والاتفاق العلني الذي أبرمته الثورة لا يزيد عن ذلك في شيء . . بل ينقص . . فلماذا يغضب الأستاذ الهضيبي اليوم ولماذا يحاول ان يقيم الدنيا ويقعدها ضد هذا الاتفاق « (١) .

واذا كان أنور السادات ، من خلال تفنيده لدعاوى المعارضة على هذا النحو ، قد اهتم بالتركيز على شرح الاتفاق وتفسيره واخضاعه للمقارنة بما ينفي عنه شبهة التحالف ، وبما يثبت ان المفاوضات قد حققت الهدف منها دون حاجة للجوء الى الكفاح المسلح ، فانه يصبح من الضروري البحث عن تفسير للأسباب التي حدثت بالمفاوضين المصريين الى قبول نص يبيح لبريطانيا استخدام القاعدة والموانئ المصرية في حالة وقوع هجوم مسلح على احدى الدول العربية أو على تركيا .

فان كان مقبولا اننا جميعا « نرحب من كل قلوبنا بمن يخف لنجدتنا ارد اى عدوان تتعرض له الشقيقات العرب » كما قال أنور السادات (٢) ، فكيف يمكن قبول استخدام القاعدة والموانئ والمطارات المصرية للدفاع عن تركيا وهي عضو في حلف الاطلنطي ؟

وثمة سؤال آخر يرتبط بهذا الموضوع ارتباطا مباشرا . هو : لماذا وافقت بريطانيا فجأة على قبول مبدأ الجلاء عن القاعدة ، رغم المعارضة الشديدة التي لقيتها الحكومة في مجلس العموم ، وحيث شهد حزب المحافظين انقسامًا حادًا بين أعضائه أثناء المفاوضات واصدار المعارضين للجلاء بيانًا يعلنون فيه أنهم سوف يصوتون ضد أى اتفاق تعقده الحكومة وينص على الانسحاب ، لأن ذلك من شأنه ان يعرض سلامة إسرائيل للخطر (٣) . وأيضا

(١) الجمهورية : ٢٨ أغسطس ١٩٥٤ — مقال بعنوان « مودة الى الاتفاقية السرية » .

(٢) الجمهورية : ١٨ يوليو ١٩٥٤ — مقال بعنوان « باسم الشعب » .

(٣) Connell (John) : The Most Important Country, The true Story of the Suez Crisis, Cassell, London 1957 P. 51.

كيف وافقت الحكومة البريطانية على مبدأ الجلاء وهي التي كانت دائما تصر على أن يكون ذلك مقابل اشراك مصر في مشروع للدفاع المشترك على النحو الذى كان واضحا خلال المفاوضات الأولى .

وبحثا عن تفسير لذلك فأننا نجد ان هذا النص كان مقبولا لكلا الجانبين (البريطانى والمصرى) وفقا لوجهات نظر معينة :

بالنسبة لبريطانيا ، فان تعبير « الهجوم المسلح الذى ورد فى الاتفاق كشرط أساسى يبيح لها استخدام القاعدة والموانئ الجوية والبحرية المصرية ، فقد كان المقصود به أن يكون هجوما مسلحا من الاتحاد السوفيتى على تركيا ، وفى هذه الحالة فانه — من وجهة نظر بريطانيا — لابد ان تكون هناك حرب عالمية قد وقعت ، وبذلك يتحتم ان يكون لبريطانيا قاعدة استراتيجية فى مصر خلال هذه الحرب ^(١) ، فاذا كان بإمكانها ان تحصل على مثل هذه القاعدة فى الوقت الذى تحتاج اليه وبموجب اتفاق فلا شك ان ذلك من شأنه ان يوفر عليها النفقات الباهظة التى تتكلفها نتيجة لوجود قواتها فى القاعدة بشكل دائم ^(٢) ومن ناحية أخرى فانه — وبناء على رأى قيادة أركان حرب الامبراطورية — ثبت ان مصالح بريطانيا الاستراتيجية يمكن الدفاع عنها من اماكن أخرى غير قاعدة السويس ^(٣) . أما مصالح بريطانيا المباشرة فى قناة السويس من حيث هى طريق ملاحى حيوى ومن حيث هى شركة تساهم فيها بريطانيا ، فان ذلك أصبح مضمونا بموجب المادة الثامنة من اتفاقية الجلاء والتى تنص على ضرورة احترام الاتفاقية التى تكفل حرية الملاحة فى القناة والموقع عليها فى القسطنطينية عام ١٨٨٨ ^(٤) .

أما بالنسبة لمصر ، فأننا نتفق مع القائلين بأن هذا النص لم يكن ليستدعى أن ترفض مصر الاتفاق ذلك لأن العودة للقناة بعد الجلاء ستكون

(١) أرسكين تشيلدرز : الطريق الى السويس — تعريب خيرى حماد — الدار القومية للطباعة والنشر — القاهرة — ١٩٦٢ — ص ١٢٥ ، ١٢٦

(٢) Connell (John) : The Most Important Country, The True Story of the Suez Crisis, Gassell, London 1957, P. 51.

(٣) Connell (John) : The Most Important Country, The True Story of the Suez Crisis, Gassell, London, 1957, P. 51.

(٤) عبد الرحمن الرافعى : ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ (تاريخنا القومى فى سبع سنوات ١٩٥٢ — ١٩٥٩) مكتبة النهضة المصرية — القاهرة — ١٩٥٩ — ص ٦٠

بداهة مرهونة بارادة مصر ، وستكون العودة بعد الجلاء أصعب بكثير من استمرار الاحتلال في القناة بقواته ومعداته^(١) . وفي نفس الوقت ، فإنه حتى مع ورود هذا النص في الاتفاق ، فإن مصر تكون قد ضمنت جلاء القوات البريطانية عنها في أوقات السلم — على الأقل —^(٢) ، أما في حالة نشوب الحرب ، فإن الموقف في تلك الحالة سوف يخضع لظروف دولية لا يمكن التنبؤ بها مقدما . وإلى جانب هذا فإن قيادة الثورة كان يهمها ان تصل الى اتفاق ينهى قضية الاحتلال ، حتى تتفرغ بعد ذلك الى بناء مجتمع جديد ، وذلك ما يشير اليه أنور السادات عندما يقول « بدانا نحس بالراحة بعد توقيع اتفاقية الجلاء ، اذ ان المعركة المسلحة التي كنا نعد لها لطرد بريطانيا من مصر ، وما يصاحبها من خسائر وتكاليف وتعويق لعملية البناء ، أقول ان هذه المعركة أصبحت غير ذات موضوع »^(٣).

ولكنه ومع قبول هذا النص والتوقيع على الاتفاق في صورته النهائية يوم ١٩ أكتوبر ١٩٥٤ ، وبالرغم مما أبداه الطرفان عقب ذلك من استعداد لبداية عهد جديد من الصداقة ، فإن اتفاقية الجلاء هذه لم تكن هي نهاية الصراع مع الاستعمار وإنما كانت هذه الاتفاقية ايدانا ببدء مرحلة جديدة من الصراع ، واجهت فيها ثورة ٢٣ يوليو الاستعمار البريطاني وإلى جانب قوى استعمارية أخرى ، وواجهت أسلوبا آخر من أساليب الاستعمار .

(١) نفس المصدر — ص ١٩٣

(٢) أرسكين تشيلدرز : الطريق الى السويس — تعريب خيرى حماد — الدار القومية للطباعة والنشر — القاهرة — ١٩٦٢ — ص ١١٥

(٣) مجلة التحرير : ٣٠ يوليو ١٩٥٧ — مقال بعنوان « مفكرات أنور السادات » .

الفصل الثانى

قضية الديمقراطية

مفهوم الديمقراطية عند رجال الثورة والموقف من القوى السياسية :

عندما قامت اللجنة التأسيسية (التى سميت فيما بعد باسم مجلس قيادة الثورة) ، بمناقشة موضوع نظام الحكم وهل يكون نظاما ديمقراطيا أم ديكتاتوريا ، وكان ذلك يوم ٢٧ يوليو ١٩٥٢ ، فان الأغلبية العظمى من أعضائها حبذت الأخذ بمبدأ الديكتاتورية ، وكما يقول أنور السادات . كانت النتيجة سبعة أصوات فى صالح الديكتاتورية ، وصوت واحد فى صالح الديمقراطية هو صوت جمال عبد الناصر ، بينما كان هناك عضو لم يحضر هذا الاجتماع هو خالد محى الدين (١) .

كان تحبيذ فكرة الأخذ بالديكتاتورية دون الديمقراطية راجعا فى الأساس إلى فهم هذه الأغلبية من أعضاء اللجنة التأسيسية إلى أن الديمقراطية تعنى أن تستمر الحياة السياسية فى مصر على نفس النمط الذى كانت عليه قبل قيام الثورة ، وب نفس الصورة التى كانت ماثلة فى أذهانهم ، وكان ذلك يعنى فى رأيهم مزيدا من « الفوضى » ومزيدا من الفساد ، وكان التصور أن الديكتاتورية هى « أقصر طريق لإعادة البناء واللاحاق بسرعة بركب العالم » ولتحقيق أهداف هذا الشعب بعد المظالم الرهيبة التى تعرض لها (٢) .

وإذا كان السادات لم يتعرض فى كتاباته لتصور الأغلبية العظمى من أعضاء مجلس قيادة الثورة لمثل هذه الديكتاتورية التى تحقق أهداف الشعب ، وتحقق له العدالة وترفع عن كاهله « المظالم الرهيبة التى تعرض لها » ، إلا أن تعبيره عن ذلك بهذه الصيغة المتقدمة لا يحتمل أكثر من تفسير واحد هو أن مجلس القيادة كان يرى ضرورة اتخاذ إجراءات عنيفة لتنفيذ المبادئ الستة

(١) مجلة التحرير : ١٤ مايو ١٩٥٧ - مقال بعنوان « مذكرات أنور السادات » .

(٢) الأهرام : ٢١ نوفمبر ١٩٧٥ - خطاب أنور السادات فى اللجنة المركزية - وقد ورد نفس المعنى فى مقال للسادات بمجلة التحرير بتاريخ ١٤ مايو ١٩٥٧ بعنوان « مذكرات أنور السادات » .

التي أعلنت الثورة أنها قامت من أجل تحقيقها ، وكانت كلها من أجل الشعب وتمثل تهديدا مباشرا للاقطاعيين وكبار الرأسماليين الذين لم يكن من السهل ان يستجيبوا بسهولة لمطالب الثورة أو يوافقوا عليها .

أما بالنسبة لموقف عبد الناصر وتصويته الى جانب الديمقراطية ، فإننا نعرف من كتابات أنور السادات ان مبررات ذلك عنده كانت راجعة الى سببين :

الأول : أنه كان يرى ان فساد الحياة الديمقراطية في مصر انما سببه الوحيد هو ان ارادة الشعب لم تكن مفروضة على الحكام « ولو ان ارادة الشعب كانت هي العليا لما اندفع الزعماء والوزراء فيما اندفعوا فيه من خيانة لمصالح الشعب ومقدراته (١) » .

والثاني : أنه كان يرى ان قيام الثورة أصلا كان لتخليص الشعب مما عاناه من استبداد ومظالم لا لتبدأ عهدا جديدا من الاستبداد والمظالم (٢) .

معنى هذا ان الحرص على مصالح الشعب كان هو أهم ما يعنى به أعضاء مجلس قيادة الثورة . فالذين نادوا بالديكتاتورية والأخذ بها كانوا يرون أن ذلك من أجل مصلحة الشعب ، وجمال عبد الناصر في موقفه الى جانب الديمقراطية كان يرى ان ذلك أيضا من أجل الشعب . وان دل ذلك على شيء فهو ان قيادة الثورة منذ ساعاتها الأولى اعتبرت نفسها مفوضة من الشعب وممثلة له بغض النظر عن أى شكل دستوري لهذا التفويض أو هذا التمثيل ، وعلى هذا فان كثيرا من القرارات والاجراءات التي اتخذتها الثورة بعد ذلك كانت تعلنها باسم الشعب تأكيدا لهذا التفويض والتعبير عنه .

واذا كان الأمر قد انتهى بعد ذلك الى الرأى بالأخذ بالديمقراطية كنظام للحكم ، نزولا على رغبة جمال عبد الناصر — والذي كان قدم استقالته احتراما لرأى الأغلبية في الأخذ بالديكتاتورية — فإنه لم يكن معروفا ولم يكن واضحا شكلا للحكم يبرر عن هذه الديمقراطية التي يريد لها أعضاء مجلس القيادة في ذلك الوقت بحيث يمكن أن يقال عنه حكما ديمقراطيا أو غير ديمقراطي ذلك لأن كلمة ، الديمقراطية ، نفسها تفسر بعدة معان وفق مذاهب سياسية

(١) مجلة التحرير : ١٤ مايو ١٩٥٧ — مقال بعنوان « مذكرات السادات » .

(٢) نفس المصدر .

متعددة ومتباينة ، فيقول بها الليبراليون والاشتراكيون والشيوعيون . . .
ولكل « ديمقراطيته » .

فكلمة ديمقراطية ، كما وردت في اللغة الاغريقية تعنى « حكم الشعب »
أو « سلطة الشعب » — وهو المعنى المشتق من «Demos» بمعنى شعب
و Kratia وتعنى سلطة أو حكم^(١) . وإذا كان المعنى الحرفى لكلمة
« ديمقراطية » قد ورد على هذا النحو في كل دوائر المعارف والقواميس
السياسية تقريبا الا ان الديمقراطية لم تتمثل في شكل سياسى واحد . فهناك
الديمقراطية « المباشرة » وهى التى يكون للمواطنين فيها مباشرة حق اتخاذ
القرار السياسى تطبيقا لحكم الأغلبية ، وهناك — الديمقراطية « التمثيلية »
أو « النيابية » بمعنى ممارسة الأفراد لحقوقهم السياسية من خلال ممثلين
أو نواب يختارونهم بالانتخاب ويصبحون مسئولين أمامهم^(٢) .

وإذا كانت الديمقراطية بالمفهوم الليبرالى السائد في الولايات المتحدة
الأمريكية وبريطانيا ، والتى تقوم أساسا على الحكومة الدستورية والتمثيل
الشعبى وحق الانتخاب العام^(٣) فان بعض بلاد العالم الثالث قد رأت في مثل
هذه الديمقراطية كنظام سياسى لا يلائم ظروف شعوبها ، ورات الأخذ
بديمقراطية أطلق عليها الرئيس سوكارنو رئيس أندونيسيا السابق تعبير
« الديمقراطية الموجهة »^(٤) .

وقد أطلقت الأحزاب الشيوعية في أوروبا الوسطى والشرقية بعد الحرب
العالمية الثانية تعبير « الديمقراطيات الشعبية » على الأنظمة السياسية
انجديدة التى أخذت بها بعد الحرب والتى تقوم على أساس اقتصادى بحث
يعتمد على ادارة الدولة للاقتصاد وتوجيهه وتأميم المؤسسات الكبرى وتوزيع
الأراضى الزراعية^(٥) .

(١) الموسوعة السياسية — المؤسسة العربية للدراسات والنشر — بيروت — ١٩٧٤ ،

ص ٢٧٥

(٢) Encyclopedia Britanica, William Benton Puplicher,
London, 1973, Volume 7. PP. 215, 224.

(٣) Encyclopedia American, American Corporation, U.S.A.
1963, Volume 8, P. 639.

(٤) الموسوعة السياسية — المؤسسة العربية للدراسات والنشر — بيروت — ١٩٧٤ ،

ص ٢٧٥

(٥) نفس المصدر — ص ٢٧٤

وإذا كان البعض يرى أن الديمقراطية لا يمكن تحقيقها إلا بتحقيق المساواة في المجال الاقتصادي الذي هو أساس المساواة في المشاركة السياسية لكل المواطنين^(١) فإن البعض الآخر يرى أن الديمقراطية ليست إلا تحقيق المصالح الفردية وحماية ثروة الفرد^(٢) .

وبينما تأخذ الدول الغربية التي تؤمن بنظام الديمقراطية الليبرالية بمبدأ تعدد الأحزاب وحرية الملكية^(٣) ، فإن الماركسيين والشيوعيين يرون في مثل هذه الديمقراطية أداة لقمع الطبقة العاملة^(٤) ويرون كذلك أن الديمقراطية الصحيحة لا يمكن أن تقوم في مجتمع يعترف بالطبقات لأنها في هذه الحالة تكون « ديمقراطية طبقية »^(٥) في رأيهم . وعلى هذا الأساس أيضا فهم يرفضون تعدد الأحزاب أو حريتها ويأخذون دائما بنظام الحزب الواحد والملكية العامة لوسائل الإنتاج^(٦) .

نبأى مفهوم كانت نظرة قيادة الثورة لقضية الديمقراطية ؟

يقول أنور السادات « أردنا ديمقراطية صحيحة تمكن الشعب من فرض ارادته وحكم نفسه بنفسه »^(٧) ونفس المعنى يقوله عبد الناصر أيضا « لقد تعلمنا عند قيامنا بهذه الثورة أن نحقق هدفا واحدا هو أن يحكم الشعب نفسه بنفسه وأن يكون قويا بمجموعه لا بأفراده »^(٨) ، هذه المعاني العامة لمفهوم الديمقراطية عند رجال الثورة ورغبتهم في أن يحكم الشعب نفسه بنفسه وأن يفرض ارادته ارتبطت امكانية تطبيقها في رأى أنور السادات

(١) Laski (Harold) : Democracy in Crisis, George Allen Unwin, London. 1933. PP. 44, 53.

(٢) Wheeler (Harvey) : Democracy in Revolutionary, Era Belikan Books, London, 1971 - P. 117.

(٣) الموسوعة العربية - دار الريحاني للطبع والنشر - بيروت - ١٩٥٥ ص ٣٣٩ ، ٣٤٠

(٤) كارل ماركس : الحرب الأهلية في فرنسا - دار التقدم - موسكو - ١٩٦٣ - ص ١٩

(٥) لينين : المختارات - الجزء الأول - المجلد الثالث - دار التقدم - موسكو ١٩٦٣ -

ص ٩٧

(٦) الموسوعة العربية : مصدر سابق - ص ٣٤٠

(٧) الجمهورية : ٣١ يناير ١٩٥٥ - مقال بعنوان « قصة الثورة والديمقراطية » .

(٨) الجمهورية : ٣٠ مارس ١٩٥٤ - نص خطاب لجمال عبد الناصر في نقابة عمال النقل

المشترك يوم ١٩٥٤/٣/٢٩

بضرورة « تحرير الفرد من كل القيود » ، وحدد أنور السادات أيضا المقصود بكلمة الفرد المعنى في هذا التعبير واستطرد قائلا « تحرير عبيد الأرض حتى يمكن أن يعبروا عن ارادتهم ، وبالتالي يمكن اختيار ممثليهم في البرلمان بلا ضغط من أصحاب الأرض الاقطاعيين » وكان ذلك في رأى أنور السادات هو الديمقراطية « كما يفهمها كل الديمقراطيون في جميع أنحاء العالم » (١) .

أى أن الشكل الديمقراطي الذى كان ماثلا في أذهانهم هو الديمقراطية « النيابية » أما الشرط الوحيد لها فهو أن يكون النواب ممثلين حقيقيين للشعب . ولما كان ذلك يتطلب « تحرير عبيد الأرض » كما ذكر السادات ، فإن الثورة أعدت لذلك مشروع قانون الإصلاح الزراعى . وعلى هذا يتضح معنى « تحرير عبيد الأرض » هذا ومفهومه . عندما يقول أنور السادات عن هذا المشروع أن « الشعب كان في أشد الحاجة الى إصداره لمحو الفوارق الرهيبة بين طبقات الشعب » (٢) .

ومن الملاحظ أن مفهوم الديمقراطية بالمعنى الذى ذكره السادات وهو « تمكين الشعب من فرض ارادته وحكم نفسه بنفسه » قد ارتبط عنده بمفهوم العدالة الاجتماعية والحقوق الأساسية للإنسان . فنجدته يعرض في إحدى مقالاته لرواية من روايات المؤرخ المصرى عبد الرحمن الجبرتى يذكر فيها موقفا لأبناء الشعب عبروا — خلاله عن سخطهم ورفضهم للمظالم التى تمثلت في فرض ضرائب باهظة عليهم . ويعلق السادات على هذه الرواية ويفسرها قائلا : « ان العدالة الاجتماعية التى لم يعرفها العالم الا حديثا قررها شعب مصر في حوار الساذج مع حكامه ، حين اشتكى ممثلو الشعب من فداحة الضرائب . . فرد الدفتردار ان النفقات باهظة . فكان رد الشعب : وما الباعث على الاكثار من النفقات والأمير يكون أميرا بالعطاء لا بالأخذ » . ثم يقول السادات « أتعرف يابنى ماذا تحويه هذه العبارة الهادئة المرسلة في غير تكلف ولا غرور ؟ أنها تعنى ان الأمير الحاكم فرض عليه ان يرفع عن كاهل رعيته الأعباء . . فلا يكلفها من النفقات الباهظة ما لا تطيق . . وأن الحاكم لا يستحق تأييد شعبه ، الا اذا كانت سياسته هى العطاء ، أى توفير الحياة الكريمة لجميع أفراد هذا الشعب باعطائهم حقوقهم ، واعطائهم فرصا متكافئة في الحياة . . واعطاء الشعب نصيبه العادل في أمواله وميزانيته . .

(١) الجمهورية : ٢١ يناير ١٩٥٥ — مقال بعنوان « قصة الثورة والديمقراطية » .

(٢) الجمهورية : ٩ مارس ١٩٥٤ — مقال بعنوان « ان تترد الثورة الى الخلف » .

فلا يستأثر لنفسه ، ولا لحاشيته ، ولا لفئة دون فئة بما يكون ملكا لهذا الشعب » ثم يخرج أنور السادات من ذلك بنتيجة مؤداها ان ذلك « كان دليلا على ما لشعب مصر من وعى ديمقراطى أصيل » (١) . وهذه العبارة الأخيرة بالذات تضع أيدينا على حقيقة جديدة تشير الى موقف رجال الثورة من قضية الديمقراطية وتكشف عن ادراكهم لعمق التجربة الديمقراطية لدى الشعب المصرى وحساسيته للمظالم وسخطه عليها ، بل تكشف كذلك عن ادراكهم لبعدها هذا الوعى الديمقراطى باعتباره أحد ملامح الحضارة المصرية لأنه « وعى ليس مفتعلا ولا مدسوسا ، وانما هو وعى من صميم البيئة المصرية التى ورثت على مر الأجيال والسنين ، تقاليد حضارات مجيدة . . كانت كلها حضارات علم وبناء وعمران » (٢) .

واذا كان السادات فى هذا المقال أيضا قد حدد مواصفات « الحاكم العادل » الذى يستحق تأييد شعبه ووصفه بأنه الحاكم الذى تكون « سياسته هى العطاء » وتوفير الحياة الكريمة لجميع أفراد الشعب واعطائهم فرصا متكافئة فى الحياة — أى انه الحاكم الذى يحقق لشعبه عدالة اجتماعية ، فان السادات يضيف الى صفات هذا الحاكم ضرورة أن يكون رجلا يخضع لمنطق العقل لا لمنطق العاطفة ولذلك « يجب أن يحكم عقله وعقله فقط ، وأن يضبط أعصابه ويطوى عادته حتى لا ينحرف الحكم » (٣) .

ومن ذلك يمكن رصد ملامح مفهوم الديمقراطية عند رجال الثورة فى ذلك الوقت وتصورهم لها كنظام للحكم . فهى ديمقراطية نيابية ، وهى ديمقراطية تحقق العدالة الاجتماعية بأن « تمحو الفوارق الرهيبة بين طبقات الشعب » دون القضاء على النظام الطبقي أصلا وهى ديمقراطية تكفل لطبقة الفلاحين من « عبيد الأرض » اختيار ممثليهم الحقيقيين فى البرلمان ، أى إتاحة الفرصة لهذه الطبقة للمشاركة فى الحكم من خلال نواب يمثلونهم . وان كان هذا المفهوم على هذا النحو لم يشر الى العمال كطبقة أو الى الطبقة المتوسطة التى ينتمى الضباط من قادة الثورة اليها ، فليس معنى ذلك أنها كانت ثورة من أجل الفلاحين من عبيد الأرض تستهدف تحقيق أهدافهم فقط . وانما كان

(١) مجلة التحرير : ١٩ مارس ١٩٥٧ — مقال بعنوان « مذكرات أنور السادات » .

(٢) نفس المصدر .

(٣) الجمهورية : ٢٥ يوليو ١٩٥٤ — مقال بعنوان « رأى » .

معناه ان الضباط قادة الثورة كانوا يرون ان هناك طبقة واحدة كانت تحكم هي طبقة الاقطاع وكبار الرأسماليين .. وطبقة واحدة محكومة تمثل باقى الشعب بمختلف طبقاته — الطبقة المتوسطة ، والمتوسطة الصغيرة وعبيد الأرض — وكانوا يدركون كذلك ان الحكم ليس الا تمثيلا لمصالح طبقة ، وهذا ما يشير اليه أنور السادات بقوله « ان الزعامة السياسية — أى الحكم — هي باختصار مصالح طبقة معينة تبلورت وتجمعت فألقت تلك الطبقة مسئولية حماية تلك المصالح او تحقيقها ان لم تكن موجودة على كاهل شخص ينتمى الى هذه الطبقة ، ويشترط في هذا الشخص ان يكون كفاحه في سبيل معتقدات طبقته وأهدافها ضخما مستمرا » (١) ، وعلى هذا الأساس فان تحقيق الديمقراطية بالمفهوم الذى يريده قادة الثورة هو ان يكون الحكم ممثلا لمصالح أغلبية الشعب لا لطبقة واحدة من طبقاته ، واذا كان واضحا ان قادة الثورة قد انحازوا أساسا الى جانب طبقة « عبيد الأرض » فذلك لأنها كانت الطبقة التى تمثل الأغلبية العظمى للشعب من جهة ، ولأنها الطبقة التى كان واضحا معاناتها من المظالم الاجتماعية التى نتجت عن فساد الحياة السياسية في مصر نتيجة لانفراد وسيطرة طبقة الاقطاعيين وكبار الرأسماليين على الحكم من جهة ثانية ، ولقد كان من أبسط البديهيات ان يدرك رجال الثورة ان ديمقراطية بهذا المفهوم لا يمكن ان تحققها أحزاب تمثل مصالح الاقطاعيين وكبار الرأسماليين وتعتمد على « السلطة المحتلة والسيادة الداخلية في حكم البلاد » وانعزلت عن تمثيل الشعب تمثيلا صحيحا كما وصفها أنور السادات من قبل . ومن ثم كان ينبغى التفكير في أسلوب آخر تتحقق به هذه الديمقراطية عن طريق غير طريق الأحزاب القائمة .. ولكن مثل هذا الأسلوب لم يكن واضحا ولم يكن معروفا لسببين :

السبب الأول : انه لم يكن هناك في ذلك الوقت لدى قادة الثورة أى

تصور لاقامة مؤسسات سياسية تتحقق من خلالها حياة ديمقراطية على النحو الذى يريدهونه وتكون بديلا للمؤسسات القائمة ، ذلك لأنهم كانوا يرون ان الأحزاب هي « القيادة الطبيعية .. للشعب » (٢) .

السبب الثانى : ان رجال الثورة لم يكن واردا في حسابهم في البداية

ان يتسلموا مقاليد السلطة وأن يستمروا في الحكم ، وعلى هذا الأساس لم

(١) الجمهورية : ١٢ سبتمبر ١٩٥٤ — مقال بعنوان « من أى طبقة أنت ؟ »

(٢) الجمهورية : ١٥ مايو ١٩٥٨ — مقال بعنوان « كيف حدثت المعجزة » .

يكن امامهم إلا ان يسلموا السلطة إلى الأحزاب وأن يعود الجيش إلى ثكناته (١) ، وذلك ما اشار إليه عبد الناصر وأكدته أكثر من مرة بقوله « لم يكن في خاطرنا بأى حال من الأحوال أن نحكم ، لم يكن في خاطرنا بأى حال من الأحوال أن نستولى على الحكومة ولكننا كنا نعبر عن أمل الشعب في القضاء على الملكية الفاسدة والقضاء على حكم القصور وحكم الحاشية وحكم السفارات الأجنبية ، وحكم أعوان الاستعمار » (٢) . ثم يقول عبد الناصر أيضا « في أول أيام الثورة طلبنا من الأحزاب أن تستعد لتولى السلطة » (٣) .

ولكن ذلك لم يكن يعنى بأى حال من الأحوال أن الثورة أغفلت فجأة تاريخ الأحزاب وزيف الحياة الديمقراطية وفسادها في ظل هذه الأحزاب ولم يكن يعنى كذلك أن الثورة قررت تسليم مقاليد الحكم للأحزاب بلا قيد ولا شرط . بل تكشف كتابات أنور السادات عن أن هذه المسألة على وجه التحديد قد نوقشت بين أعضاء مجلس قيادة الثورة واتخذ بشأنها قرار محدد ، وأنه كان هناك داخل مجلس القيادة من نادى بالقضاء على هذه الأحزاب بالفعل . ويقول أنور السادات في ذلك أنه « كان هناك رأيان يتصارعان . . الرأي الأول يقول : بما أننا كنا ننوى أن نبدأ الشرارة الأولى للثورة بفرض حزب الأغلبية على الملك (٤) فماذا يمنع لو استدعينا برلمان الوفد لتسيير الأمور ونجلس نحن نراقب الأحوال والخطوات وتنفيذ أهداف الثورة . والرأي الثانى يقول : لا يصح أن يحدث هذا . . فالوفد وكل الأحزاب والهيئات بما فيهم الإخوان قد تخلفوا عن التعاون معنا قبل الثورة وتخلفهم هذا يعنى أنهم لا يؤمنون بما ينادى به الشعب وكفاحهم من أجل مصالحهم هم لا مصالح الشعب وقيادة كل هيئة وكل حزب أصبحت معزولة عن الشعب تماما ، ومصلحتها متناقضة مع مصالح الشعب فهى — أى تلك القيادات — سوف تكون حربا على

(١) ر. ك. كارانجيا : كيف نجح عبد الناصر — تعريب خيرى حماد — دار المعارف — القاهرة — ١٩٦٤ — ص ٣٠

(٢) الطريق إلى الديمقراطية — اللجنة التحضيرية للمؤتمر الوطنى للقوى الشعبية — سلسلة كتب قومية — الدار القومية للطباعة والنشر — القاهرة — ١٩٦١ — ص ١٠

(٣) نفس المصدر .

(٤) يوضح أنور السادات هذه النقطة بالذات في مقال آخر فيقول « أننا في وقت من الأوقات قد وضعنا خطتنا على أساس أن نأتى بالوفد ونفرضه فرضا على فاروق كشرارة أولى للثورة ثم نكمل نحن التنفيذ الخطر » — الجمهورية ٧ ديسمبر ١٩٥٣ مقال بعنوان « صفحات مجهولة من كتاب الثورة » .

اهداف الثورة لو مددنا أيدينا اليها » ويقول أنور السادات مستطردا « اقتنعنا أن كل الأحزاب والهيئات بما فيها الإخوان ما هي إلا نتاج طبيعي للوضع السياسى فى البلاد خلال الربع قرن الأخير . . أى أنها ما وجدت إلا لتعمل فى كنف الاستعمار وعملاء المستعمر والقصر » ثم يقول السادات انه « على هذا الأساس أعدت الهيئة التأسيسية للضباط الأحرار قرارا يقضى بحل الأحزاب كلها والإخوان أيضا وأبعاد كل السياسيين القدامى الذين تعاونوا مع القصر والمستعمر وانسلخوا عن القاعدة الشعبية نفسها » ثم ينهى السادات إلى القول بأنه « فى النهاية رأينا أن نعطى الأحزاب فرصة لتطهير نفسها وتحديد برامجها وأهدافها بما يتفق والوضع الجديد وبما يتفق ومصالح هذا الشعب ، وصدر القرار فعلا بهذا وتحدد موعد أقصاه شهر فبراير عام ١٩٥٣ — أى ستة شهور — لأجراء الانتخابات بعد أن تفتى الأحزاب من تطهير نفسها » (١).

ويكشف هذا المقال عن عدد من الحقائق على قدر كبير من الأهمية فيما يتعلق بموقف الثورة من قضية الديمقراطية . يمكن تحديدها على النحو التالى :

أولا : ان التفكير فى إلغاء الأحزاب السياسية كان واردا فى ذهن عدد من أعضاء مجلس قيادة الثورة ، ومنذ الساعات الأولى لقيامها .

ثانيا : ان الثورة وان قبلت الأخذ بمبدأ الإبقاء على الأحزاب إلا انها لم تجعل من ذلك موافقة مطلقة ، وانما جعلت من تطهير الأحزاب وتحديد برامجها شرطا لبقائها وتسليمها مقاليد الحكم .

ثالثا : حددت الثورة مواصفات هذا التطهير واشترطت فى البرنامج الذى طلبته من الأحزاب أن يأتى بما « يتفق وصالح هذا الشعب » (٢) أى أنه لن يقبل برنامج لحزب تتعارض أهدافه وأهداف الثورة التى هى « الوضع الجديد » وكذلك لن يقبل برنامج لحزب ترى فيه الثورة — من وجهة نظرها — أنه « لا يتفق وصالح هذا الشعب » وان كان ذلك يؤكد مرة أخرى حرص الثورة على أن تكون ممثلة للشعب ومعبرة

(١) الجمهورية : ٢٠ يناير ١٩٥٥ — مقال بعنوان « قصة الثورة والديمقراطية » .

(٢) الجمهورية : ٢٠ يناير ١٩٥٥ — مقال بعنوان « قصة الثورة والديمقراطية » .

عنه . إلا انه يعنى ما هو أهم من ذلك وهو أن الثورة ورغم اعلان احترامها للدستور ، فقد احتفظت لنفسها بأن تكون فيصلا نهائيا في الحكم على الأحزاب كمؤسسات ديمقراطية بغض النظر عن قواعد هذا الدستور ونصوصه في هذا الشأن . وكان ذلك هو « التجاوز » الثانى للدستور وقد كان « التجاوز » الأول هو طرد الملك . وهو الأمر الذى لم يكن يقره الدستور أيضا لو كانت المسائل قد خضعت كلها للقواعد الدستورية البحتة .

رابعاً: لم تكتف قيادة الثورة بأن تدعو الأحزاب لتطهير صفوفها واعلان برامجها دون أن تحدد مدة زمنية لذلك ، بل حددت في نفس اليوم الذى وجهت فيه إلى الأحزاب دعوة التطهير ، وهو يوم ٣١ يوليو ١٩٥٢ ، حددت موعداً لاجراء الانتخابات التى تتم عقب هذا التطهير وهو شهر فبراير ١٩٥٣ وبذلك تكون الثورة قد حددت للأحزاب مدة ستة أشهر تكون قد انتهت خلالها من التطهير واعداد البرامج . وبذلك لم تترك الأمر معلقاً بحيث يقبل التسويف وفى نفس الوقت فإن قادة الثورة أصبحوا مطالبين باتخاذ اجراء ما تجاه هذه الأحزاب إذا تقاعست عن تنفيذ نداء الثورة . أى أصبحوا مرغمين على ضرورة الاعتداء على شكل من اشكال الديمقراطية كما يراها الشعب .

خامساً: إذا كان أنور السادات يرى أن موقف قيادة الثورة من الأحزاب على هذا النحو كان راجعاً إلى أن الثورة « أحسنت الظن بالأحزاب » (١) . . فقد كان واضحاً أن « حسن الظن » هذا قد انصب على حزب الوفد أكثر منه بالنسبة للأحزاب الأخرى ، وإلى حد بلغ التفكير فى تسليمه مقاليد الحكم وتكليفه بتنفيذ أهداف الثورة ، فيقول أنور السادات ان جمال عبد الناصر أراد « أن يشرك كل الهيئات والأحزاب فى تحقيق أهداف الثورة وفى صنع مستقبل الشعب . ودفعه إيمانه بهذا الرأى الى مقابلة فؤاد سراج الدين قطب الوفد الكبير ومحرك سياسته وصاحب الكلمة الأولى فى اتجاهات الحزب المذكور . وتكلم جمال عن حزب الأغلبية وعن إيمانه بأنه من الممكن جداً للحزب الكبير أن يصلح من الأوضاع السائدة فيه وفى قيادته ، ويعبر من أهدافه وبرامجه بما يتفق والوضع السياسى الجديد بعد فاروق » .

(١) الجمهورية ١٠ أبريل ١٩٥٤ — مقال بعنوان « أخطأت الثورة » .

(٢) الجمهورية : ٣١ يناير ١٩٥٥ — مقال بعنوان « قصة الثورة والديمقراطية » .

سادسا: حرصت قيادة الثورة على أن تشارك معها الشعب في الحكم على هذه الأحزاب حتى إذا ما أقدمت على خطوة مضادة تجاهها تضمن ألا يكون لها ردود أفعال سيئة بين صفوف الشعب . وهذا ما يعبر عنه انور السادات بقوله انه « في اعطاء هذه الفرصة للأحزاب والهيئات اشراك للشعب معنا في الحكم عليها . . . وسوف يعرف أن كانت ستعمل بعد اعطائها تلك الفرصة — على تحقيق مصالحه وأهدافه — أم أنها لا تزال كما هي تستهدف مصالح قادتها وأهدافها » (١) .

ولقد كشف موقف الأحزاب من دعوة الثورة لها بتطهير صفوفها عن أن هذه الأحزاب بوغتت بما لم تكن تتوقعه . فتفاوتت ردود الفعل بينها تفاوتاً واضحاً ، فبالنسبة لحزب الأحرار الدستوريين اجتمع مجلس إدارة الحزب وقرر أن يكون التطهير بمعرفة لجان رسمية حكومية ، واجتمع شباب الحزب يوم ٥ سبتمبر وأعلن تأييده لهذه القرارات (٢) ثم أكدها رئيسه الدكتور محمد حسين هيكل بتصريح قال فيه ان هذا التطهير ينبغي أن تقوم به سلطات لها قوة قضائية حتى لا يتم على اعتبارات من الأغراض الشخصية (٣) .

أما الحزب السعدي فقد انقسمت زعامته انقساماً واضحاً أمام هذه الدعوة ، فبينما أعلن حامد جوده وكيل الحزب أنه « ليس في الحزب من يستحق التطهير » (٤) ، فان رئيس الحزب ابراهيم عبد الهادي أعلن ترحيبه بقبول دعوى التطهير وضرورة الاستجابة لها . ورغم الفارق بين الموقفين ، فان هيئة جديدة من الحزب أعلنت عن تأليفها برئاسة محمود غالب ووكالة سامح موسى وقررت فصل كل من رئيس الحزب ووكيله وأوقفت جريدة «الأساس» لسان حال الحزب (٥) .

كان حزب الوفد هو الحزب الوحيد الذي أعلن قبوله السافر لدعوى التطهير وأذاع قائمة بأسماء الذين شملهم هذا التطهير وإذا كانت هذه الاستجابة السريعة على هذا النحو ليس لها من تفسير غير أن الوفد بحكم

(١) الجمهورية : ٢٩ يناير ١٩٥٥ — مقال بعنوان « قصة الثورة والديمقراطية » .

(٢) المصري : ٥ سبتمبر ١٩٥٢

(٣) المصري : ١٢ أغسطس ١٩٥٢

(٤) المصري : ٦ سبتمبر ١٩٥٢

(٥) نفس المصدر .

انه حزب الاغلبية كان مطمئنا إلى عودته للحكم إذا ما قبل دعوة الثورة بتطهير صفوفه — وكان قد أفهم ذلك على النحو الذى أوضحه السادات من قبل — إلا أن الاسماء التى تضمنتها قائمة التطهير لم تكن من الاسماء التى تشكل أهمية داخل الحزب إلى جانب أن عددا كبيرا منهم كان يعد من المعارضين والمتمردين على سياسته (١) ، وعلى ذلك فقد رأت الثورة أن الأحزاب وقفت من دعوتها موقف الرفض ، وعبر أنور السادات عن ذلك بقوله « راحت الثورة تطلب اليهم أن يطهروا أنفسهم فما استجابوا » (٢) أى أنه يفسر حتى موقف الوفد بالتغيرات التى أحدثها بين صفوفه بأنها لم تكن هى التغيير والتطهير الذى تنشده الثورة ومن ثم فإن الوفد هو الآخر قد رفض الاستجابة لدعوة مجلس القيادة ويوضح أنور السادات فى إحدى مقالاته أثر هذا الموقف الذى اتخذته الأحزاب تجاه دعوة التطهير وردود الفعل التى أحدثها لدى أعضاء مجلس القيادة ونظرتهم لما حدث فيقول أن « ما حدث خيب ظننا وأفقدنا الأمل نهائيا فيها — أى الأحزاب — لقد قام كل حزب بفصل هذا العضو من أعضائه أو ذاك لكى يثبت لصاحب الجلالة الجديد (مجلس قيادة الثورة) انه نفذ توجيه (جلالته) بكل خضوع وولاء ، ولم يبق إلا أن يتفضل ويولى رعاياه المخلصين ثقته ويعهد إليهم بالحكم . ويا ليت فصل الأعضاء كان فصلا حقيقيا ، كان فى الواقع فصلا سوريا فقط لاثبات الخضوع والولاء ظنا منهم أن ذلك سيتيح لبقية الأعضاء الجلوس على مقاعد الحكم ، ويمكن بعد ذلك مجازاة العضو أو الأعضاء المفسولين على توضيحتهم الكبرى خير الجزاء . . المهم فقط هو الوصول إلى الحكم » (٣)

كان ذلك محاولة لخداع الثورة والشعب كما يقول السادات ، « ولكن الأحزاب لم تستطع خداعنا أو خداع الشعب بهذا الطلاء الظاهري » (٤) وكان معنى هذا أن أول ضمان لاقامة حكم ديمقراطى سليم من وجهة نظر

(١) كان الأعضاء الذين شملهم التطهير هم (عبد اللطيف محمود ، حامد زكى ، حسن الجندى ، أحمد قرشى ، أحمد عثمان حمزاوى ، محمود عثمان حمزاوى ، شحاته متولى ، سليمان عبد الفتاح ، أمين المفري ، عبد الرحيم مكاوى ، يحيى محمود مصطفى ، حسن السيد فودة ، مهنا امام قرشى ، مهنا شريف قرشى) راجع : المصرى — ٥ أغسطس ١٩٥٢

(٢) الجمهورية : ١٠ أبريل ١٩٥٤ — مقال بعنوان « أخطأت الثورة » .

(٣) الجمهورية : ١٥ مايو ١٩٥٨ — مقال بعنوان « كيف حدثت المعجزة » .

(٤) نفس المصدر .

قيادة الثورة ، شيء لا يمكن تحقيقه بواسطة هذه الأحزاب وبعد أن فشلت المحاولة لأن تطهر نفسها بنفسها (١) .

ولقد تأكد ذلك بصورة نهائية في موقف هذه الأحزاب من جوهر قضية الديمقراطية نفسها على الأساس الذي تفهمه قيادة الثورة . ذلك لأن المنح الرئيسى في هذه القضية كان هو مشروع الإصلاح الزراعى الذى تفهم الثورة أنه خطوة على طريق الديمقراطية ، كما يفهمها الديمقراطيون في جميع أنحاء العالم (٢) . وعلى النحو الذى يؤكد الحديث الذى دار بين عبد الناصر وفؤاد سراج الدين والذى أورده أنور السادات في أحد مقالاته قائلا « فؤاد سراج الدين رفض الموافقة على تحديد الملكية .. وقال انه لا يمانع في رفع الضريبة على الأرض ، أما تحديد الملكية فلا ، ولا . ورد عليه جمال بأن رفع الضريبة ربما ضاعف من إيرادات خزينة الدولة ولكنه لا يحقق الهدف السياسى الذى تؤمن به الثورة .. أى تحطيم قيود عبيد الأرض ليختاروا ممثلهم الحقيقيين في البرلمان بلا قهر أو ارهاب ، وهذا هو أساس الديمقراطية الحقة » (٣) وعلى ذلك فإن الغرض من القانون كان هو تحطيم النفوذ السياسى للطبقة التى استهدفتها القانون ، وتحرير الفلاحين من سيطرتها السياسية (٤) .

وقد بان لقيادة الثورة معارضة الأحزاب لهذه الخطوة الأساسية لاقامة الديمقراطية الصحيحة على النحو الذى تتصوره عندما أعلنت الأحزاب الثلاثة الرئيسية برامجها تلبية لدعوة الثورة إليها بذلك ، وجاءت كلها خلوا من الموافقة على مشروع الإصلاح الزراعى أو الرأى بالأخذ به . فقد تعرض برنامج الوفد إلى تقرير حد أدنى لأجر العامل الزراعى وتعديل فئات الضرائب تعديلا جوهريا وزيادتها على الإيرادات والتركات الكبيرة ولا شيء عن الإصلاح الزراعى (٥) .

(١) نفس المصدر .

(٢) الجمهورية : ٣١ يناير ١٩٥٥ — مقال بعنوان « قصة الثورة والديمقراطية » .

(٣) الجمهورية : ٣١ يناير ١٩٥٥ — مقال بعنوان « الثورة والديمقراطية » .

(٤) باتريك أوبريان : ثورة النظام الاقتصادى في مصر من المشروعات الخاصة الى

الاشتراكية — تعريب خيرى حماد — الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر — القاهرة — ١٩٧٠ —

ص ١٠٦

(٥) المصرى : اول اغسطس ١٩٥٢

وجاء برنامج الاحرار الدستوريين مشابها إلى حد كبير لبرنامج الوفد ، فقد رأى أن توزع « الضرائب توزيعا عادلا على أساس تصاعدي » وان الحكومة يمكنها أن تتخلى للشعب عما في حوزتها من الأراضي الصالحة للزراعة أو البناء في حدود القانون (١) .

ولم يخرج حزب السعديين في برنامجه بأكثر مما جاء في برنامجى الوفد والاحرار الدستوريين « تحديد حد أدنى لأجور الفلاحين ، ووضع القواعد لعلاقة المؤجر بالمستأجر على أساس من العدل ، وتوزيع جميع أراضي الحكومة إلى ملكيات صغيرة بعد اصلاحها ، وفرض ضرائب مباشرة بنسبة تصاعدية على الدخل الحقيقية من جميع مصادرها وعلى التركات بحيث تمتص الدخل بنسبة عالية بعد حد معين » (٢) .

كان هذا الموقف من قبل الأحزاب ، يعنى أمام رجال الثورة ان هناك انقوة التى يمكن ان تعارض ، لا مبدأ اقامة الديمقراطية فقط ، بل مبادئ الثورة كلها . وكان يعنى أيضا ان الأحزاب القائمة بما فيها الوفد لا يمكن ائتمانها على تحقيق أهداف الثورة وتنفيذ مبادئها خاصة وقد وضع لمجلس القيادة ان الأحزاب عموما والوفد بالذات يسعى لتنفيذ هدفه وهو الوصول الى الحكم بفض النظر عن تحقيق أهداف الثورة ، وهذا ما يشير اليه أنور السادات بقوله أن زعماء الوفد « كانوا يتحدثون الينا بلهجة اخرى ، بنفس اللهجة التى كانوا يتحدثون بها الى فاروق ، وكانوا يهدفون من وراء هذه اللهجة الى هدف واحد ، هو نفس هدفهم فى أيام فاروق .. الحكم .. وكانوا فى الوقت نفسه يعتقدون أنهم مناورون بارعون أمام فئة من العسكريين يجهلون السياسة وفنونها . وبدأ الوفد يفصح عن نفسه أكثر ، أو بدأ يفصح نواياه بنفسه بصورة ظاهرة ، بدأ يلوح لنا بسلطات فاروق وأبهته وصولجانه ، وهى سلطات تكفى إذا وزعت اثنى عشر رجلا ، أن تجعل منهم اثنى عشر ملكا لا ينقص أحدهم شىء من مظاهر الملك وسطوته » (٣) .

وان كان هناك من المبررات ما يمكن التماسه للوفد الذى يرى زعماءه انه الحزب صاحب الحق الطبيعى والشرعى فى الحكم فى تلك الفترة ، نظرا

(١) المصرى : ٧ أغسطس ١٩٥٢

(٢) المصرى : ٨ أغسطس ١٩٥٢

(٣) الجمهورية : ٨ ديسمبر ١٩٥٣ — مقال بعنوان « صفحات مجهولة من كتاب الثورة » .

لأنه كان موجودا في الحكم حتى تعطل برلمانه القائم بعد حادث ٢٦ يناير ١٩٥٢ ، إلا أن الأحزاب الأخرى كانت تطمح الى نفس الهدف في الوصول الى الحكم . وذلك ما يشير اليه أنور السادات بقوله « تجمع علينا رجال الأحزاب القديمة كالذباب لاعتقادهم ان الضباط الأحرار قد أصبحوا مصدر السلطة ، أو بمعنى أدق ، المصدر الذي يوزع كراسي الحكم ، وكأن جمال عبد الناصر قد خلق الملك ليجلس على كرسيه ، وتبقى السيطرة الملكية الاستعمارية كما هي » (١) .

كان المعنى الوحيد المستخلص من موقف الأحزاب هو « ان هذه الأحزاب لم تعد تصلح الا لتبادل الحكم ومكاسبه في ظل الأوضاع الاستعمارية ، وانها لا يمكن أبدا ان تصلح لقيادة شعب كشعبنا في ثورة ضد الاستعمار » ويضيف أنور السادات الى ذلك قائلا « كنا نحس بقلوب الملايين من أفراد الشعب تنبض بالسخط على الاستعمار وتغلي بالثورة وتنتظر الإشارة ، وكان رجال الأحزاب لا يفكرون إلا في التنافس على كراسي الحكومة وبديل التشريعات » (٢) .

وعلى ذلك ، فقد وجدت الثورة انها مطالبة باتخاذ تدابير تكفل لها امكانية تنفيذ مبادئها بما فيها اقامة حياة ديمقراطية ، حتى ولو تعارضت هذه التدابير مع مفهوم الديمقراطية بمعناها السائد ووفق ما هو قائم في الحياة السياسية في مصر .

كان أول هذه التدابير هو اقالة حكومة على ماهر ، وفي نفس اليوم ٦ سبتمبر ١٩٥٢ تقرر القاء القبض على عدد من السياسيين من مختلف الاتجاهات بلغ عددهم (٧٤ شخصا) من زعماء الأحزاب والوزراء السابقين ورجال الحاشية (٣) ، وأصدرت القيادة العامة للقوات المسلحة بيانا عن هذه الاعتقالات أشارت إلى السبب فيها وهو « ان الأحزاب والهيئات تقاعدت عن تنفيذ التطهير ولجأت الى المراوغة والتحايل مما اضطر القيادة الى القبض

(١) الجمهورية : ١٥ مايو ١٩٥٨ — مقال بعنوان « معنى الاتحاد القومي — كيف حدثت المعجزة » .

(٢) نفس المصدر .

(٣) عبد الرحمن الرافعي — ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ (تاريخنا القومي في سبع سنوات ١٩٥٢ — ١٩٥٩) — مكتبة النهضة العربية — الطبعة الأولى — القاهرة — ١٩٥٩ — ص ٤٧

والتحفظ على بعض الأفراد ممن تحوم حولهم الشبهات لتعطى الجهات المختصة الفرصة لاجراء عمليات التطهير في جو لا يسوده تأثيرهم ونفوذهم^(١) ، ثم أعلنت الثورة في اليوم التالي تشكيل الوزارة برئاسة اللواء محمد نجيب ، وكانت هذه أول وزارة يرأسها رجل عسكري في تاريخ مصر الحديث بعند محمود سامي البارودي وأحمد عرابي في عهد الخديوى توفيق^(٢) وبعد ذلك بيومين ، أعلنت الثورة قانون الاصلاح الزراعى وقانون تنظيم الأحزاب في أن واحد يوم ٩ سبتمبر ١٩٥٢^(٣) وكان المعنى الوحيد لقانون تنظيم الأحزاب هذا هو ان اقامة الأحزاب أصبحت رهنا بموافقة الجيش ممثلا في سلطة وزير الداخلية بحكم المادة رقم (٥) من القانون والتي تنص على أنه « لوزير الداخلية ان يعترض على تكوين الحزب لمخالفة حكم من أحكام هذا القانون » .

ومنذ هذا التاريخ الذى صدر فيه هذا القانون لم يقدر لهذه الأحزاب ان تعود الى الحكم او الى ممارسة العمل السياسى مدة أخرى ، ذلك لان الثورة رأت ان تتسلم مقاليد السلطة كاملة لتنفذ باسم الشعب أهدافها التى أعلنتها باسمه ، ولما كان وجودها في السلطة يستلزم اتخاذ المزيد من التدابير لحماية أمنها ضد القوى التى يمكن ان تتصدى لها وتعارضها ويستلزم اتخاذ القرارات التى ترى انها تحقق أهداف الشعب ، فانها لذلك اسقطت الواجهة الديمقراطية القديمة كلها ، اسقطت دستور ١٩٢٣ ، وأعلن محمد نجيب ذلك يوم ١٠ ديسمبر ١٩٥٢ قائلا أنه « أصبح لزاما ان تغير الأوضاع التى كادت تودى بالبلاد والتى كان سندها دستور ١٩٢٣ » ، وأنه « لا مناص من أن يستبدل بذلك الدستور — دستور آخر جديد يمكن للأمة ان تصل الى أهدافها حتى تكون بحق مصدر السلطات »^(٤) وأعلنت حل الأحزاب يوم ١٧ يناير ١٩٥٣ ببيان اذاعه القائد العام للقوات المسلحة بصفته رئيس حركة الجيش ، وذكر فيه أن أموال الأحزاب جميعها قد صودرت لصالح

(١) نفس المصدر — ص ٤٧

(٢) محمد نجيب — كلمتى للتاريخ (مذكرات) — بدون اسم الناشر وبدون تاريخ ص ٥٣

(٣) عبد الرحمن الرافعى : ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ (تاريخنا القومى في سبع سنوات ١٩٥٢ — ١٩٥٩) — مكتبة النهضة المصرية — الطبعة الاولى — القاهرة ١٩٥٩ — ص ٤٨ ، ٤٩

(٤) عبد الرحمن الرافعى : ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ (تاريخنا القومى في سبع سنوات ١٩٥٢ — ١٩٥٩) — مكتبة النهضة المصرية — الطبعة الاولى — القاهرة — ١٩٥٩ — ص ٦٥

الشعب كما جاء في نفس البيان الاعلان عن قيام فترة انتقال لمدة ثلاث سنوات تنتهى في ١٦ يناير ١٩٥٦ حتى تتمكن الثورة « من اقامة حكم ديمقراطى سليم » (١) .

غير أن أهم ما يلفت النظر في موقف الثورة من قضية الديمقراطية هو موقف الثورة من القوى السياسية الأخرى التى لم تكن ضمن الأحزاب ، الليبرالية القائمة . وهذه القوى بالتحديد هي « الشيوعيون والأخوان المسلمون » أما بالنسبة للشيوعيين . . فان موقف الثورة منهم كان واضحا ومحددا منذ البداية ، فانور السادات يقول « لسنا شيوعيين ، بل لم نعرف ما هي معتقدات ماركس ولينين وستالين بالتحديد » (٢) وإذا كان ذلك يشير بشكل قاطع الى ان الفكر السياسى للضباط في مجلس القيادة كان بعيدا عن أى فكر ماركسى وبعيدا عن أى تأثير لضباطين من الضباط الماركسيين في المجلس هما خالد محيى الدين ويوسف صديق ، فان موقف الثورة من الشيوعيين كان قد تحدد كذلك نتيجة لعامل آخر هو موقف الشيوعيين في الداخل والخارج من الثورة . فقد اخذ الشيوعيون المصريون في الداخل موقفا مناوئا للثورة منذ قيامها وذلك ما يشير اليه انور السادات بقوله « عندما قامت هذه الثورة وكانت لا تزال في أيامها الأولى ارتفعت أصوات من يسمون أنفسهم تقدميين هاتفة بسقوط الديكتاتورية العسكرية ومعلنة بكل شجاعة ان هؤلاء الضباط قاموا بانقلاب عسكرى لصالح الاستعمار لا بثورة لصالح الشعب وأذاعوا آراءهم وطبعوا منشوراتهم وانتشروا في كل مكان يخرقون آذان الشعب بهذا الصياح العجيب » (٣) ، وعلى ذلك فان انور السادات يرى ان الشيوعيين « اشتركوا مع الاستعمار والرجعية والاقطاع وفلول النظام الذى سقط في محاربة الثورة المصرية » (٤) .

وفي خارج مصر . . كان عدد من الأحزاب الشيوعية قد اتخذ نفس موقف الرفض للثورة المصرية ودأب على هجومها ووصفها بأنها حركة فاشستية عسكرية ، وقد اشتد هذا الهجوم من قبل هذه الأحزاب بشكل حاد بعد وقوع الاضطرابات العمالية في كفر الدوار في شهر أغسطس ١٩٥٢ — وبعد أن

(١) نفس المصدر .

(٢) الجمهورية : ٦ يناير ١٩٥٥ — مقال بعنوان « الثورة والديمقراطية » .

(٣) مجلة التحرير : ١٥ أغسطس ١٩٥٨ — مقال بعنوان « حكاية التقدميين » .

(٤) نفس المصدر .

أصدرت الثورة أحكام الأعدام على العاملين مصطفى خميس ومحمد حسن البقرى (١) .

وعلى هذا الأساس لم يكن موقف الثورة من الشيوعيين ورفضها لهم مقاصرا على الخلاف الفكرى معهم فقط بل كان لوقوفهم فى الجبهة المعادية للثورة أيضا وهى الجبهة التى شملتهم الى جانب « الاستعمار والرجعية والاقطاع وفلول النظام الذى سقط » كما ذكر السادات ومن هنا فان مجرد التفكير فى الاستعانة بالشيوعيين أو الاعتماد عليهم بأى شكل من الأشكال أو السماح لهم بالتعبير عن أفكارهم أو نشرها لم يكن مسألة واردة على الإطلاق ، بل كانت مقاومة هذا المذهب السياسى هى النهج الذى سارت عليه الثورة معهم واستمر ذلك حتى بعد أن توطدت علاقات الصداقة بين الثورة وبين الاتحاد السوفيتى وبلاد الكتلة الشيوعية والانفتاح على هذه الدول عقب عقد صفقة السلاح بين مصر والاتحاد السوفيتى ، ذلك لأن قيادة الثورة كانت قد حددت لهذه الصداقة أن تكون فى اطار العلاقات الدونية بدول العالم أجمع وليس على حساب المبادئ التى تعتنقها وهذا ما يؤكدته أنور السادات عندما يقول « أننا لن نقبل المذهب الشيوعى أو نسمح بأن تكون هذه الصداقة طريقة الى تسلله إلينا » (٢) .

أما بالنسبة للأخوان المسلمين فان موقف الثورة تجاههم كان يختلف كل الاختلاف عن موقفها تجاه كافة القوى السياسية المصرية الأخرى ، ففى الوقت الذى حددت فيه الثورة موقفها من هذه القوى ووضعتها ضمن جبهة الأعداء وأخذت تتعامل معها على هذا الأساس ، فانها تجاه الإخوان المسلمين راحت تعبر عن اهتمامها ورعايتها لهم بمختلف الوسائل والطرق وأحد مظاهر ذلك هو ما يشير اليه أنور السادات بقوله « ان الثورة أصدرت عفوا عن جميع الإخوان المسلمين الذين حكم عليهم فى عهد فاروق ، ولأول مرة ينعم الإخوان بعد الثورة بالحرية الكاملة ، وأظن أن أحدا لم ينس أيضا ان الثورة أعادت الى الإخوان أموالهم وممتلكاتهم لينعموا بنشاطهم كيفما يريدون » (٣) ، وكذلك أمرت الثورة بإعادة التحقيق فى قضية اغتيال حسن

(١) أحمد جهروش : قصة ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ — الجزء الأول (مصر والعسكريون) المؤسسة العربية للدراسات والنشر — بيروت — ١٩٧٤ — ص ٢٨٨

(٢) الجمهورية : ٦ سبتمبر ١٩٥٥ — مقال بعنوان « ثمن الصداقة » .

(٣) الجمهورية : ٦ سبتمبر ١٩٥٤ — مقال بعنوان « رجل وموقفان » .

البنا (١) . وان كان أنور السادات يعطل ذلك بأنه « اجراء اتخذته الثورة كجزء من برنامجها الضخم في ازالة آثار الماضى البغيض ومحاسبة المسؤولين عنه بالحق والعدل » (٢) .

غير أن أهم ما يسترعى الانتباه في موقف الثورة من الاخوان المسلمين هو انها لم تتخذ موقفا مضادا من هذه الجماعة عندما بان اختلافها معهم حول مشروع الاصلاح الزراعى والذى جعلت الثورة من قبوله والموافقة عليه شرطا أساسيا لبقاء الأحزاب ، وقد أشار أنور السادات الى هذا الخلاف بين الاخوان المسلمين والثورة حول مشروع الاصلاح الزراعى قائلا ان الاخوان المسلمين كانوا يرون أن يكون تحديد الملكية ٥٠٠ فدان وليس ٢٠٠ فدان (٣) ، ومع ذلك فان الثورة بدلا من الصدام مع الاخوان — كما حدث مع الأحزاب الليبرالية سلكت سلوكا مختلفا تماما وذلك بأن طلبت إلى المرشد العام ترشيح عضوين من الاخوان ليكونا وزيرين في وزارة محمد نجيب التى تشكلت يوم ٨ سبتمبر ١٩٥٢ وهذا ما يكشف عنه أنور السادات بقوله « طلبت الثورة يوم ٨ سبتمبر ١٩٥٢ عند تشكيل وزارة محمد نجيب الأولى إلى الاخوان ان يشتركوا في الوزارة فرشح كبيرهم الأستاذين حسن العشماوى ومدير الداله ، وهما من أصفياؤه والخلان » (٤) بل وأكثر من هذا كانت الجماعة الوحيدة التى سمحت لها قيادة الثورة بمزاولة نشاطها واستثنائها من قانون حل الاحزاب ولم تضع أى قيد على حركتها الى حد أن بلغ عدد شعب الاخوان في هذه الفترة ١٥٠٠ شعبه في جميع أنحاء البلاد (٥) ، وحرص أعضاء القيادة على ابداء مظاهر التعاطف والمودة معهم وذلك بحضور احتفالاتهم ومؤتمراتهم الدينية (٦) .

(١) عبد الرحمن الرافعى : ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ (تاريخنا القومى فى سبع سنوات ١٩٥٢ — ١٩٥٩) مكتبة النهضة المصرية — الطبعة الأولى — القاهرة — ١٩٥٩ — ص ١٠٤
(٢) الجمهورية : ٧ ديسمبر ١٩٥٢ — مقال بعنوان « صفحات مجهولة من كتاب الثورة » .

(٣) الجمهورية : ١٥ يناير ١٩٥٤ — « مؤتمر صحفى لأنور السادات » .
(٤) الجمهورية : ٦ سبتمبر ١٩٥٤ — مقال بعنوان « رجل وموقفان » .
(٥) محمد ثنوقى زكى : الاخوان المسلمون والمجتمع المصرى — مكتبة وهبه — القاهرة ١٩٥٤ — ص ٣٣

(٦) نفس المصدر ص ٣٤ ، ٣٥

وان كان ذلك يعنى بما لا يدع مجالا للشك ، أن جماعة الاخوان المسلمين كانت هى القوة السياسية الوحيدة التى حرصت قيادة الثورة على الاصطدام بها بل وعلى اشراكها فى الحكم فان تفسير ذلك لا يخرج عن أحد أمرين :

الأول : ان تكون الثورة — وكما جاء فى البيان الذى أعلنته عن حل جماعة الاخوان كانت تعول عليهم أملا وتنتظر جهودهم وجهادهم فى معركة التحرير (١) ، خاصة وأنه كانت هناك صلات وطيدة ربطت بين تنظيم الضباط الأحرار وجماعة الاخوان قبل الثورة بلغت حد التفكير والتدبير فى القيام بعمليات مشتركة كما يقول أنور السادات وأنه « تكوّنت أول جبهة متحدة من الضباط الأحرار والاخوان والبوليس سنة ١٩٤١ بقيادة الفريق عزيز المصرى » (٢) .

الثانى : ان تكون الثورة قد خشيت الاصطدام بالاخوان دون الاعداد والترتيب لاحتمالات هذا الصدام بدقة ، خاصة وان قادة الثورة يعرفون فى الاخوان أنهم القوة المنظمة سياسيا وعسكريا أكثر من كل القوى السياسية الأخرى والى حد ان تنظيم الضباط الأحرار فى فترة من الفترات قبل قيام الثورة فكر فى الاستعانة بالاخوان فى بعض العمليات العسكرية ضد الانجليز ولكى يكونوا هم القوة التى تمثل الشعب ، وذلك ما يكشف عنه أنور السادات بقوله « كانت خطتنا اذ ذاك لآبادة الجنود الانجليز العائدين من العملية قد تمت من الناحية العسكرية وكانت استعدادتنا كافية فعلا .. وكنا قد بدأنا نفكر فى التنفيذ العملى .. فكان لابد لنا من ان نعاود الاتصال بالاخوان المسلمين لكى يكونوا هم القوة الشعبية التى تشاركنا باسم الشعب تبعات العمل الكبير » (٣) .

وهذا الأمر الأخير هو الأكثر ترجيحاً فى رأينا ويؤكد أنه الثورة قد أهملت الاخوان فترة أكثر بكثير مما فعلته مع الاحزاب السياسية الأخرى

(١) عبد الرحمن الرافعى : ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ (تاريخنا القومى فى سبع سنوات ١٩٥٢ — ١٩٥٩) ص ١٠٥

(٢) الجمهورية : ٩ سبتمبر ١٩٥٤ — مقال بعنوان « قلت لنائب المرشد العام » .

(٣) الجمهورية : ١٩ ديسمبر ١٩٥٣ — مقال بعنوان « صفحات مجهولة من كتاب الثورة » .

ولم تقرر حلها الا في ١٢ يناير عام ١٩٥٤^(١) وبعد ان أصبحت تمثل تهديدا مباشرا للثورة وتسلك سلوكا من شأنه ان يسقط هيبتها امام الجماهير . ويكشف السادات عن ذلك بقوله ان « المشكلة المزمنة ، كانت هي سياسة الاخوان التي تقوم على العداوة بسبب او بغير سبب والطريقة التي يتبعونها وقتذاك في محاولة بث هذه العداوة بين صفوف الجيش والبوليس من جهة ، ومن جهة أخرى الطريقة التي يتبعونها بين أفراد الشعب الى اليوم باشاعة الاشاعات الكاذبة وبث الفتنة عن طريق رواية وقائع وهمية عن الثورة او عن أشخاص القائمين عليها » (٢) .

ثم يلخص أنور السادات أسباب موقف الثورة من هاتين القوتين « الشيوعيين والاخوان المسلمين » في عبارة واحدة عندما يقول « قالوا عنا في البداية أننا من الاخوان المسلمين ثم تبين ان الاخوان المسلمين يريدون ان يحفروا للثورة قبرا كبيرا وقالوا عنا أننا شيوعيون ثم تبين أن الشيوعيين أيضا يريدون أن يوقعوا بيننا وبين الشعب » (٣) .

وبالانتهاء من أبعاد الاخوان المسلمين عن ساحة العمل السياسي في ١٢ يناير ١٩٥٤ ، انفرد مجلس قيادة الثورة بمهام السلطة وأصبحت مصر تحكم بمجموعة من العسكريين في ظل دستور مؤقت لفترة انتقال تنتهي في شهر يناير ١٩٥٦ حتى تتمكن الثورة من اقامة حكم ديمقراطي سليم .

تجربة الثورة في اقامة نظام ديمقراطي :

كان الدستور المؤقت لفترة الانتقال — دستور ١٠ فبراير ١٩٥٣ — هو أول الوثائق الدستورية لثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ — وقد جاءت مواد هذا الدستور متسقة تماما مع رغبة الضباط في تسلم السلطة وتركيزها في أيديهم . فأصبح « قائد الثورة » مخولا بموجب هذا الدستور حق اتخاذ التدابير التي يراها ضرورية لحماية الثورة ، والنظام القائم عليها لتحقيق أهدافها وله حق تعيين الوزراء وعزلهم^(٤) . كما نص هذا الدستور على أن

(١) الجمهورية : ١٥ يناير ١٩٥٤ — « بيان حل جماعة الاخوان » .

(٢) الجمهورية : ٩ سبتمبر ١٩٥٤ — مقال بعنوان « قلت لنائب المرشد العام » .

(٣) التحرير : ٢١ سبتمبر ١٩٥٥ — مقال بعنوان « نحن وأمريكا » .

(٤) الأهرام : ١١ فبراير ١٩٥٣ — نص الدستور المؤقت — المادة الثامنة .

يكون وضع السياسة العامة للدولة وما يتصل بها من موضوعات ومحاسبة الوزراء من حق المؤتمر المشترك الذى يتكون من مجلس قيادة الثورة ومجلس الوزراء^(١) ، وان كانت المادة الخامسة من هذا الدستور قد نصت على أن يكون القضاء مستقلا ولا سلطان لأحد عليه بغير القانون ، فان هذا النص فى حقيقة الأمر كان عديم القيمة بعد ان اندمجت — بموجب هذا الدستور — السلطتان التشريعية والتنفيذية فى سلطة واحدة هى سلطة مجلس الوزراء^(٢) ، مما يجعل القضاء خاضعا بالضرورة للقوانين التى يصدرها مجلس الوزراء الذى هو سلطة تنفيذية فى نفس الوقت ، ولا يمكن للقضاء أن يكون مستقلا إلا إذا كانت سلطة التشريع غير سلطة التنفيذ^(٣) .

وعلى ذات النسق الذى ييسط يد السلطة فى الحكم ويهيىء لها تنفيذ سياستها جاء أول تنظيم سياسى للثورة ممثلا فى « هيئة التحرير » التى أعلن برنامجها يوم ١٥ يناير ١٩٥٣ — أى اليوم السابق على إعلان قرار حل الأحزاب السياسية . فقد كانت هيئة التحرير تنظيما انشأته السلطة العسكرية بقرار منها وتولت هى قيادته ووضعت برنامجها^(٤) . وهو برنامج وان كان قد حدد أغراض التنظيم وأهدافه إلا أنه لم يحدد الكيفية التى تتحقق بها هذه الأهداف أى أنه برنامج ترك للتجريب فبينما نص البرنامج على أن من أغراض هيئة التحرير « توجيه النظام الاقتصادى الى ما فيه تحقيق العدالة الاجتماعية وحسن توزيع الثروة ووسائل الانتاج » و « كفالة الحقوق والحريات الأساسية من الناحيتين السياسية والاجتماعية »^(٥) . فان كيفية تنفيذ ذلك لم تأت الاشارة اليها من قريب أو بعيد فى هذا البرنامج وعلى ذلك كانت هيئة التحرير تنظيما للتعبئة وليس برنامجا للحكم ، وذلك ما أكدته جمال عبد الناصر بقوله « ان هيئة التحرير لا تعدو كونها هيئة يراد بها تعبئة

(١) نفس المصدر : المادة الحادية عشرة .

(٢) نفس المصدر : المادة الأولى والمادة العاشرة .

(٣) طارق البشرى : الديمقراطية والناصرية — دار الثقافة الجديدة — القاهرة — ١٩٧٥ — ص ١٧

(٤) محمد نجيب : كلمتى للتاريخ (مذكرات) — بدون اسم الناشر وبدون تاريخ — ص ٩٨

(٥) المصرى : ٢٣ يناير ١٩٥٣ — برنامج هيئة التحرير .

الشعب لتحقيق أهدافه « (١) وعلى ذلك أيضا فهي لا تعبر عن مصالح محددة لطبقة بعينها ولا يمكن اعتبارها حزبا سياسيا يعبر عن أهداف الثورة ، ولكنها — ورغم أنها تنظيم سياسي — لا تخرج عن كونها تدبيرا من تدابير الثورة لبسط سيطرتها على الحكم يملأ فراغا تركته الأحزاب .

وإذا كانت الثورة قد خطت بعد ذلك خطوة أخرى في هدم نظام الحكم القديم كله بإعلان الجمهورية في ١٨ يونيو ١٩٥٣ — وانفردت قيادة الثورة بالحكم في فترة انتقال حددت لانتهائها تاريخا هو ١٦ يناير ١٩٥٦ — وفي ظل دستور يمكنها من بسط نفوذها ، واغتمادا على تنظيم سياسي شكلته على النحو الذي ترغبه وفي استمرار أحكام عرفية وصحافة مقيدة — لحين الوصول الى اقامة حياة ديمقراطية صحيحة — فانه وقبل انتهاء فترة الانتقال بوقت طويل ، أعلن مجلس قيادة الثورة يوم ٥ مارس ١٩٥٤ بيانا باتخاذ الاجراءات فورا لعقد جمعية تأسيسية منتخبة بطريق الاقتراع العام المباشر على أن تجتمع خلال شهر يوليو ١٩٥٤ — لمناقشة مشروع الدستور الجديد واقراره وعلى ان تقوم هذه الجمعية بمهمة البرلمان الى الوقت الذي يتم فيه عقد البرلمان الجديد وفقا لأحكام الدستور الذي ستقره الجمعية التأسيسية ، وجاء في البيان كذلك ان الأحكام العرفية سوف تلغى قبل انتخابات الجمعية التأسيسية حتى تجرى الانتخابات في جو تسوده الحرية التامة — كما أعلن البيان رفع الرقابة على الصحف والنشر فورا ، فيما عدا الشئون الخاصة بالدفاع الوطني (٢) .

معنى ذلك ان مجلس قيادة الثورة رأى — فجأة — اعادة الحياة النيابية للبلاد دون انتظار لانتهاء فترة الانتقال — وكان واضحا كذلك انه سلم بقيام الأحزاب ، اذا ما أقر الدستور ذلك ، كما جاء على لسان جمال عبد الناصر (٣) الذي صرح أيضا بانتهاء دور مجلس قيادة الثورة بعد ذلك لانه « يجب أن يبعد الجيش عن السياسة » (٤) .

فهل كان ذلك هو الرأي الذي انتهى اليه مجلس قيادة الثورة لاقامة

(١) المصري : ٩ يناير ١٩٥٣ — حديث لأحمد أبو الفتح مع جمال عبد الناصر .

(٢) المصري : ٦ مارس ١٩٥٤ — بيان مجلس قيادة الثورة .

(٣) المصري : ٦ مارس ١٩٥٤ « مؤتمر صحفي لجمال عبد الناصر » .

(٤) نفس المصدر .

حياة ديمقراطية في البلاد وهل كانت هذه هي الحياة الديمقراطية الصحيحة التي يريدونها ؟ ثم — ومن ناحية أخرى — ألا يبدو هذا التسليم المفاجيء بعمومية قيام الأحزاب دون وضع مواصفات وشروط محددة تكفل عدم عودة الأحزاب والقوى السياسية القديمة للحكم وهي الأحزاب والقوى السياسية التي رأت فيها قيادة الثورة افسادا للحكم وافسادا للحياة الديمقراطية وتزييفها ، ألا يبدو هذا التسليم المفاجيء شيئا غريبا على الفكر السياسي لرجال الثورة ؟ حقيقة الأمر في ذلك أن مجلس قيادة الثورة لم يكن مؤمنا بهذه القرارات بل كان مضطرا اليها ولم تكن هذه القرارات وليدة اقتناع بل كانت خضوعا للأمر الواقع تسليما للخروج من أزمة هددت البلاد كلها في ذلك الوقت بدأت عندما قدم محمد نجيب استقالته يوم ٢٣ فبراير ١٩٥٤ — وإذا كان بيان مجلس الثورة الذي أعلن يوم ٢٥ فبراير عن قبول استقالة محمد نجيب لم يشر الى وجود خلاف بين محمد نجيب ومجلس قيادة الثورة حول الخطوات التي يجب اتخاذها قبل إعادة الحياة البرلمانية أو حول قضية الديمقراطية عموما وركز فقط على أن محمد نجيب كان بعيدا عن صفوف مجموعة الضباط الأحرار وأنه أخطر باختياره قائدا للثورة قبل قيامها بشهرين فقط وأنه بعد ستة شهور من قيام الثورة بدأ يطلب بين وقت وآخر من المجلس منحه سلطات تفوق سلطة العضو العادي بالمجلس ولم يقبل المجلس مطلقا أن يحيد عن لائحته وأنه طالب اجمالا بسلطة فردية مطلقة (١) فان أنور السادات يشير الى هذا الخلاف بين محمد نجيب ومجلس القيادة بقوله أنهم — أي مجلس القيادة ومحمد نجيب « لم يكونوا أمام طغيان ولا أمام فساد بل كانوا أمام سبل تشعبت كل منهم يرى أن واحدا منها هو الأفضل لمصر والأسلم لها فكان الخلاف الذي برز عنده الاتزان وظهرت عنده الحكمة وتجلت معه أفضل فضائل الثورة من إثارة للوطن على كل شيء في الوجود وإنكار للذات في سبيل الهدف الواحد الذي لا خلاف عليه ولا نزاع فيه » (٢) .

ورغم أن أنور السادات لم يوضح تفصيلا بموقف نجيب ومطالبه وموقف مجلس القيادة من ذلك ورغم أنه لم يوجد مصدر واحد تعرض لموقف نجيب ومطالبه التي كان يريدتها على وجه التحديد وتصوره لأقامة حياة ديمقراطية

(١) الجمهورية : ٢٥ فبراير ١٩٥٤ — بيان مجلس قيادة الثورة بقبول استقالة محمد نجيب

(٢) مجلة التحرير : أول مارس ١٩٥٤ — مقال بعنوان « أمة جيشها شعب .. وشعبها جيش » .

أدت الى الخلاف بينه وبين مجلس القيادة ، حتى محمد نجيب نفسه لم يشر الى ذلك بشكل قاطع أو محدد بل يقول « الاستقالة ليست من أجلى فقط . . ولكنها من أجل شعب مصر الذى استمد منه سلطتى ومركزى » ويقول « نحن لم نجلس فى مواقعنا بانتخابات شرعية . . . ولا يمكن ان تتبلور ارادة شعب مصر فى عدد محدود من الأفراد » (١) . الا أنه أصبح واضحاً ان الخلاف بين محمد نجيب والمجلس كان حول قضية الديمقراطية . ومن هنا فان هذا الموقف المفاجئ لمحمد نجيب وتبنيه لقضية الديمقراطية وهو الذى وافق على ارجائها لمدة ثلاث سنوات فى يناير ١٩٥٣ — وهو الذى هاجم الأحزاب بشدة فى الأشهر الأولى للثورة واعتبرها « قد ماتت . ولفظت الأنفاس » . لا شك أنه موقف يدعو للتساؤل . والتفسير الوحيد لذلك هو ان محمد نجيب وبعد أن أحس ان مجلس القيادة قد أخذ يباعد بينه وبين السلطة عن طريق التجاهل المتعمد أثر ان ينتقل الى جانب القوى السياسية المعادية للثورة وكان مظهر هذا التقارب هو تبني قضية الديمقراطية (٢)

أما لماذا رجع مجلس الثورة عن قراره واعاد محمد نجيب مرة أخرى معلناً عن ذلك فى ٢٨ فبراير ١٩٥٤ — فذلك كان بسبب حوادث الاضطرابات التى شهدتها البلاد فى ذلك الوقت وبعض حوادث الاضطرابات داخل الجيش وخاصة فى سلاح الفرسان الذى كان لخالد محيى الدين تأثير واضح بين ضباطه وجنوده والذى كان يقف موقفاً مؤيداً لمحمد نجيب داخل المجلس فى ذلك الوقت ٢٣ . ومع استمرار هذه الاضطرابات حتى بعد إعادة محمد نجيب وجد مجلس القيادة ان البلاد تتعرض لمؤامرة ، يقول عنها أنور السادات انها « لم تستطع ان تطل برأسها الا يوم ان قرر مجلس الثورة إعادة محمد نجيب » (٤) .

أما تفصيل هذه « المؤامرة » فان أنور السادات يوضحها قائلاً ان « ما وقع من خلاف بين نجيب ومجلس الثورة لم يكن هو الخلاف الأول الذى

(١) محمد نجيب : كلمتى للتاريخ (مذكرات) بدون اسم الناشر وبدون تاريخ ص ١٢٠

(٢) عبد العظيم رمضان : الصراع الاجتماعى والسياسى فى مصر منذ قيام الثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ الى نهاية أزمة مارس ١٩٥٤ — مكتبة مبدولى — القاهرة — ١٩٧٥ — ص ٨٨

(٣) أحمد حمروش : قصة ثورة ٢٣ يوليو — الجزء الأول (مصر والعسكريون) المؤسسة العربية للدراسات والنشر — بيروت — ١٩٧٤ — ص ٣٢٩ ، ٢٣٠

(٤) الجمهورية : ١٠ مارس ١٩٥٤ — مقال بعنوان « حقائق » .

يقع وانما وقعت خلاقات قبله مع أعضاء آخرين واتخذت بشأنهم قرارات ونفذت على ضوء مصالح هذا الشعب الذى تمثلها أهداف هذه الثورة فالأمر اذن والحالة هذه أمر عادى فوقوع الخلاف فى ذاته لابد ان يوجد طالما تعددت الآراء على ان يكون الخلاف على المبادئ وليس على الأمور الشخصية أو الذاتية وفى هذه الحالة لن يكون لهذا الخلاف أية قيمة لأنه يهدف الى المصلحة العليا وقد صدرت قبل ذلك قرارات من المجلس خرج فيها أعضاء ولم يحدث شئ مما الذى دعا الى كل هذا عندما صدر قرار المجلس بقبول استقالة محمد نجيب ، هنا تبرز الحقيقة الثانية وهذه الحقيقة هى ان اناسا من الموترين والانتهازيين والنفعيين كانوا قد أذاعوا فى طول البلاد وعرضها ان مجلس الثورة منقسم على نفسه ، وان ما يصدر من قرارات انما يكون الطيب فيها هو الذى أوصى به نجيب ، اما ما لا يرضى بعض الطوائف فانه يصدر زغما عن نجيب « (١) ثم يضرب السادات مثلا على ذلك بما أشيع من ان محمد نجيب كان ضد قرار حل جماعة الاخوان المسلمين ويرد على ذلك قائلا « للحقيقة والتاريخ اذكر ان قرار مجلس الثورة الذى صدر بحل جماعة الاخوان المسلمين صدر بالاجماع ، وحقيقة أخرى اذكرها هى ان نجيب وأعضاء المجلس جميعا كانوا ينادون منذ بدء الثورة ومنذ التصرفات الأولى للهضيبي وشقيقه فى الشهور الأولى من الثورة أقول ان نجيب وجميع أعضاء المجلس كانوا ينادون منذ تلك الأيام بحل جماعة الاخوان ما عدا فرد واحد هو جمال عبد الناصر « (٢) ويحدد أنور السادات هذه القوى المعادية التى تدبر هذه الاضطرابات بأنها « عناصر معينة من اليساريين ومن اذناب الرجعيين والمنتفعين السابقين من الأحزاب وعناصر من جماعة الاخوان « (٣) .

وان كان ذلك يشير بالدرجة الأولى الى ان مجلس القيادة قد فوجئ بوقوف هذه القوى السياسية القديمة الى جانب محمد نجيب وهو الموقف الذى لم يكن قد وضعه فى حساباته عند قبول الاستقالة فان الذى بات واضحا أكثر من أى شئ آخر هو ان تهديد استمرار الثورة قد أصبح من داخلها أيضا . وهذا ما يشير اليه أنور السادات بقوله « أننا لم نكن نواجه

(١) الجمهورية : ١٠ مارس ١٩٥٤ — مقال بعنوان « حقائق » .

(٢) نفس المصدر .

(٣) نفس المصدر .

العقبات فقط من الرجعيين وانصار الحكم الفاسد وانما واجهناها أيضا من داخل الثورة نفسها . . . حينما خرج على مبادئها الجنرال محمد نجيب . . وهو الرجل الذى اخترناه أول الأمر لقيادتها . . ففضل ان يتعامل مع الرجعيين أعداء الثورة وكادت المسألة تنتهى بكارثة « (١) » .

وأمام هذا الواقع الذى بات يهدد الثورة ويهدد البلاد كلها ، كان على مجلس قيادة الثورة أن يواجه الموقف بما يجنب البلاد هذه الكارثة ، كما يقول انور السادات فقد « قرر — رأى المجلس — على أن تنتهى مرحلة الانتقال فى أيام لو أمكن وان يتسلم أمر البلاد ممثلون لها مهما كانت صبغتهم أو أهدافهم إذ أن استمرار الوضع على ما هو عليه فيه كارثة محققة على البلاد » (٢) ، ونعرف من كتابات انور السادات ان هذا المطلب بانتهاء فترة الانتقال كان ملحا ومطلوبا لالتهاء منه فى أسرع وقت ممكن خشية « أية محاولة قد تبذل لجذب فريق من ضباط الجيش لاتجاه معين أو لمصلحة فرد أو أفراد وانه اذا ما حدث مثل هذا الاجراء فستكون العاقبة وخيمة لا على الجيش وحده بل على كيان البلاد بأسرها » (٣) ، ولقد بلغ الاهتمام بانتهاء فترة الانتقال هذه فى أسرع وقت الى حد التفكير بأن « يعاد فوراً دستور ١٩٢٣ وتجرى الانتخابات على أساسه لانتخاب برلمان يتسلم الحكم فى البلاد » .

وفى ذلك الوقت كان مجلس قيادة الثورة يناقش وضعه فى ظل النظام الليبرالى الجديد وبدأ التفكير فى أن يشكل المجلس حزبا هو « الحزب الجمهورى » أو الحزب الاشتراكى الجمهورى « . . لكى يخوض المعركة الانتخابية على مبادئ الثورة » (٤) . وأعلن ان برنامج الحزب سيقوم على أساس « مبادئ اشتراكية معتدلة » تتفق مع ظروف البلاد ومصالحها (٥) غير ان خطوات تأليف هذا الحزب لم تلبث أن توقفت واتخذ مجلس قيادة الثورة قرارا بذلك يوم ٢٥ مارس ١٩٥٤ (٦) . وذلك بعد ان تطورت الأمور

(١) التحرير : ٩ أبريل ١٩٥٧ — مقال بعنوان « مذكرات انور السادات » .

(٢) الجمهورية : ٢٦ مارس ١٩٥٤ — مقال بعنوان « خفايا وأسرار » .

(٣) نفس المصدر .

(٤) الجمهورية : ٢٦ مارس ١٩٥٤ — مقال بعنوان « خفايا وأسرار » .

(٥) الأهرام : ٢٠ مارس ١٩٥٤

(٦) المصرى : ٢٦ مارس ١٩٥٤

داخل مجلس قيادة الثورة على نحو أصبح معه مستحيلا ان يستمر في موقعه
لحين اجراء انتخابات الجمعية التأسيسية بسبب المطالب الدائمة لمحمد
نجيب والتي أصبحت من الصعب التسليم بها والتي كان من بينها — كما يقول
السادات — الاقتراح « بأن لا يجتمع مجلس قيادة الثورة حتى قيام الجمعية
التأسيسية ولا يكون له الحق في اصدار أى قرار أو يحل هو مجلس قيادة
الثورة فورا ولا مانع لديه من تشكيل مجلس استشارى يمثل فيه كل من
الوفد والأحرار الدستوريين والسعديين كل بثلاثة أو أربعة مقاعد وينضم
اليهم أعضاء مجلس الثورة ويسمى هذا المجلس الجديد بالمجلس الجمهورى
لرئيس الجمهورية ، وتكون سلطته استشارية فقط وغير ملزمة لقائد
الثورة » (١) .

وأمام هذا الوضع ، اجتمع المؤتمر المشترك « مجلس قيادة الثورة
ومجلس الوزراء » لى يحسم موضوع اعادة الحياة النيابية والخطوات
التي تتخذ لاعادتها بشكل محدد حتى لا يستمر محمد نجيب في مطالبه
المستحيلة التنفيذ ويقول انور السادات « وهنا تبلورت الآراء حول طريقتين
لا ثالث لهما » :

الأولى : ان تطلق الحرية فورا . . . وهذا يتطلب الغاء الأحكام العرفية
منذ الآن — وقيام الأحزاب وعدم التعرض لاي اجراء استثنائي إلى ان تقوم
الجمعية التأسيسية ولا يحرم أى مواطن من حقوقه السياسية وان تقوم
وزارة مدنية .

الثانية : ان يحرم كل مفسد في هذه البلاد وكل رجعى من حقوقه
السياسية وان تتخذ كل الاجراءات الضرورية لحماية البلاد حتى قيام
الجمعية التأسيسية وهى التى تنظم موضوع الأحزاب » (٢) .

وكما يقول السادات « كان الذى دفع الى هذه الحلول تلك الحالة
المأساة التى تجتازها البلاد ، اذ أن كل مسئول يجب ان يعرف السياسة
التي ينتهجها (٣) » وان كان ذلك الاجتماع لم ينته الى قرار بسبب امتناع محمد

(١) الجمهورية : ٢٦ مارس ١٩٥٤ — مقال بعنوان « خفايا وأسرار » .

(٢) الجمهورية : ٢٦ مارس ١٩٥٤ — مقال بعنوان « خفايا وأسرار » .

(٣) الجمهورية : ٢٦ مارس ١٩٥٤ — مقال بعنوان « خفايا وأسرار » .

نجيب عن التصويت وابداء رأيه — كما يقول انور السادات (١) . الا ان ذلك كان مؤشرا الى الخطوة التي يفكر المجلس في اتخاذها بالفعل وهى التسليم الكامل للقوى السياسية القديمة بالاستيلاء على الحكم . او استمرار الثورة لتحقيق مهامها . وهذا ما نوقش بالفعل فى اجتماع مجلس القيادة يوم ٢٥ مارس ١٩٥٤ — والذي استمر خمس ساعات وضغت فيه الأمور على طرفى نقيض : اما الغاء قرارات ٥ مارس ١٩٥٤ — واما رفع كافة القيود عن عودة الأحزاب والافراج عن كل المعتقلين .

وانتهى الأمر بصدور القرارات التى عرفت تاريخيا بقرارات ٢٥ مارس ١٩٥٤ وهى :

- ١ — يسمح بقيام الأحزاب .
 - ٢ — مجلس قيادة الثورة لا يؤلف حزبا .
 - ٣ — لا حرمان من الحقوق السياسية حتى لا يكون هناك تأثير على حرية الانتخابات .
 - ٤ — تنتخب الجمعية التأسيسية انتخابا حرا مباشرا بدون ان يعين أي فرد وتكون لها السيادة الكاملة والسلطة الكاملة ، وتكون لها سلطة البرلمان كاملة وتكون الانتخابات حرة .
 - ٥ — حل مجلس قيادة الثورة يوم ٢٤ يوليو ١٩٥٤ باعتبار الثورة قد انتهت وتسلم البلاد لمثلئ الأمة .
 - ٦ — تنتخب الجمعية التأسيسية رئيس الجمهورية بمجرد انعقادها (٢) .
- وكان معنى ذلك ان الثورة قد انتهت وسلمت مرة اخرى للأحزاب ان تقيم حكمها الفاسد وديمقراطيتها الزائفة وفشلت هى فى ان تقيم ديمقراطية صحيحة على النحو الذى ارادته بل فشلت كذلك فى تحقيق اهدافها كلها . فهل كان ذلك هو ما تريده قيادة الثورة بالفعل ؟

(١) نفس المصدر .

(٢) المصرى : ٢٦ مارس ١٩٥٤

ان هذه القرارات فى رأى أنور السادات لم تكن لتحقيق الديمقراطية بأى حال من الأحوال ، بل كانت تعنى ان البلاد ستخضع مرة أخرى لحكم « أقطاب الرجعية المصرية » ويشير السادات الى ذلك بقوله « هل كان نجيب سيطلق الحريات والعدالة والحق ؟ . وباختصار هل كان سيجىء للشعب بالديمقراطية .. وعلى يد من ؟ هذا هو السؤال على يد من كان نجيب سيحقق أهداف الثورة المصرية ؟ .. على يديه وحده ، أم كان سيكمل اتصالاته ويجىء بآبراهيم عبد الهادى وبالهضيبى وبالنحاس وسراج الدين وبكل أقطاب الرجعية المصرية ليحكموا البلاد من جديد » (١) . معنى ذلك ان عودة هذه القوى السياسية للحكم لن يكون إهدارا للديمقراطية وحدها بل يعنى إهدارا لأهداف الثورة جميعها . فهل يعنى ذلك أن قيادة الثورة كانت قد بلغت من اليأس حد التسليم للقوى القديمة بتسلم السلطة مرة أخرى رغم ادراكهم للنتائج التى ستترتب على ذلك أم أن القيادة كانت قد رتبت للأمر بتدبير معارضة شعبية لهذه القرارات تضمن إلغاءها وإعادة بسط نفوذها وإنفرادها الكامل بالسلطة وهو الذى حدث بالفعل عندما أعلنت نقابات العمال الإضراب العام والاعتصام احتجاجا على هذه القرارات مطالبة بالفائز محددة مطالبها على النحو التالى :

- ١ — عدم السماح بقيام الأحزاب .
- ٢ — استمرار مجلس الثورة فى مباشرة سلطاته حتى يتم جلاء المستعمر .
- ٣ — قيام هيئة تمثل جميع النقابات بمثابة جمعية وطنية تفرض عليها القرارات التى يرغب المجلس فى إصدارها .
- ٤ — عدم الدخول فى معارك انتخابية (٢) .

ان كثيرا من ظواهر الأمور يشير الى ان هذا الموقف الذى اتخذته قيادة الثورة بإعلانها لقرارات ٢٥ مارس ١٩٥٤ — هذه — لم يكن موقفا عشوائيا أو تلقائيا بل كان موقفا مرتبا ومقصودا لذاته بحيث يكون مبررا

(١) الجمهورية : ١٥ يناير ١٩٥٥ — مقال بعنوان « أنور السادات يسرد قصة محمد نجيب كاملة » .

(٢) المصرى : ٢٠ مارس ١٩٥٤

لقيام العمال بحركتهم في الإعتصام واعلان الاضراب العام ويمكننا ان نرصد هذه الظواهر على النحو التالي :

أولا : ان مجلس القيادة كان مصمما على الاستمرار بالثورة ولم يكن مستعدا لأن يسلم بأي حال من الأحوال للقوى السياسية القديمة في ان تعود إلى ساحة العمل السياسي أو ان تتولى مقاليد الحكم ذلك لأنه كان واضحا أمام قيادة الثورة ان جوهر الصراع بين هذه القوى السياسية ممثلة في موقف محمد نجيب ، وبين مجلس القيادة كان صراعا على الحكم أساسا وان تخفى في ظاهره وراء شعارات المطالبة بالديمقراطية ، ويشير أنور السادات الى هذه الحقيقة في كتاباته فيقول « ليس من المعقول ان تترد الثورة عن الأهداف النبيلة التي قامت لتحقيقها لأن معنى هذا هو العودة بالبلاد الى عهد الفساد القديم وانما ستظل الثورة في خدمة أهداف الشعب حتى تعيد إليه حياة دستورية برلمانية سليمة مبراة من عيوب الماضي وآثامه » (١) . وكذلك عكست تصريحات جمال عبد الناصر في تلك الفترة ما يشير الى هذا التصميم على استمرار الثورة والوقوف في وجه كل القوى السياسية التي تعمل ضدها وحرصه على ان يكون الجيش جزءا من قوى الثورة في وجه هذه القوى المضادة . فنجدده يقول في خطاب له أمام المؤتمر الوطني للقوات المسلحة يوم ٩ مارس ١٩٥٤ « أنتم الذين سترغمون الرجعية على النكوص على أعقابها والانزواء في جحورها » ، « واذا كانت الرجعية تحطم الأشخاص فانها لن تقوى ابدا أن تحطم المبادئ السليمة والأهداف العظيمة والمثل العليا لن تستطيع الرجعية ذلك أبدا ما دمت مؤمنين بها » . « سأحارب الرجعية والاستعمار بكل ما أوتيت من قوة » ، « قالوا ان الثورة تصفى أعمالها ولكنى اقول ان الثورة تسير في طريقها بقوة وشجاعة وحزم وعزم وأن هذه الثورة ممثلة فيكم وستحقق كل شيء ولن نخاف ابدا ولن نرهب أحدا » (٢) .

ثانيا : حرصت قيادة الثورة على ان تستميل جانبا من القوى السياسية يكون مع الجيش الى جانبها ضد القوى السياسية التي تنادى بتصفية الثورة ، وكانت جماعة الاخوان المسلمين هي هذه القوة التي سعت قيادة

(١) التحرير : ٩ مارس ١٩٥٤ مقال بعنوان « لن تترد الثورة الى الخلف » .

(٢) المصرى : ١٠ مارس ١٩٥٤ — خطاب لجمال عبد الناصر في مؤتمر للقوات المسلحة عقد يوم ٩ مارس ١٩٥٤

الثورة لاستمالتها ، ووضح ذلك من خلال حرص جمال عبدالناصر وصالح سالم في ان يقوموا بزيارة خاصة للمرشد العام للاخوان المسلمين حسن الهضيبي فور الافراج عنه من السجن يوم ٢٥ مارس ١٩٥٤ (١) وكان استقطاب هذه الجماعة الى جانب الثورة في ذلك الوقت يمثل أهمية كبيرة من حيث أنها كانت هي الجماعة التي قامت بدور ايجابي وفعال في اثارة الاضطرابات تأييدا لـ محمد نجيب عندما قدم استقالته التي كانت هي البداية لتفجير أزمة مارس من الأساس وبالفعل فقد حقق هذا الاستقطاب لجماعة الاخوان المسلمين من جانب الثورة أثره الفعال اذ تخلت هذه المرة عن تأييدها لـ محمد نجيب وأعلنت على لسان مرشدها العام رفضها لعودة الاحزاب بل واتهمت هذه الاحزاب بأنها كانت هي السبب في فساد الحياة النيابية في البلاد فقال المرشد العام « أفهم ان شخصا ينادى بعودة الحياة النيابية ، ولكن لا ينادى بعودة الاحزاب كي تباشر مهامها . فنحن اذ نطالب بالحياة النيابية فانما نطالب بحياة نيابية سليمة » (٢) .

ثالثا : لم تكن القيادات العمالية التي نفذت حركة الاضراب العام بعيدة الصلة ببعض رجال الثورة — والصف الثاني منهم بالذات — حتى يمكن القول بأن حركة العمال هذه تمت بعيدا عن موافقة رجال الثورة عليها أو تحبيذهم لها والايحاء بها . والدليل على ذلك هو اللقاء الذي تم بين الصاغ أحمد عبدالله طعيمة أحد المسؤولين عن هيئة التحرير وبين قيادات العمال التي نفذت الاضراب واللقاء الذي أبلغهم فيه بقرارات مجلس قيادة الثورة (قرارات ٢٥ مارس) قبل اعلانها (٣) . ومثل هذا اللقاء الذي تم على هذا النحو لهذا الغرض لا يمكن أن يكون له غير تفسير واحد هو أن الاضراب العمالي وعلان الاغتصام كان أمرا مدبرا والدليل عليه أيضا هو أن محطة الاذاعة قامت باذاعة قرارات العمال بالاضراب من قبل اتخاذ هذه القرارات وتنفيذها بالفعل (٤) .

وعلى ذلك فإنه وبعد ان نجح تنفيذ اعتصام العمال ودعوتهم للاضراب

(١) المصري : ٢٦ مارس ١٩٥٤

(٢) الجمهورية : ٣١ مارس ١٩٥٤

(٣) عبد العظيم رمضان : الصراع الاجتماعي والسياسي في مصر منذ قيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ الى نهاية أزمة مارس ١٩٥٤ — مكتبة مدبولي — القاهرة — ١٩٧٥ — ص ١١٢

(٤) نفس المصدر — ص ١١٢

العام بادر مجلس قيادة الثورة الى الانعقاد يوم ٢٩ مارس ١٩٥٤ وأصدر
القرارين التاليين :

١ — أرجاء تنفيذ القرارات التى صدرت يومى ٥ مارس و ٢٥ مارس ١٩٥٤
حتى نهاية فترة الانتقال .

٢ — تشكيل مجلس وطنى استشارى يراعى فيه تمثيل الطوائف والهيئات
والمناطق المختلفة (١) .

وكان هذان القراران على هذا النحو — نزولا على مطلب شعبى —
واستجابة من قيادة الثورة لهذه الارادة الشعبية كبديل لآية انتخابات ،
وأصبح استمرار الثورة فى الحكم على هذا النحو أيضا وليدا لارادة شعبية
بالتفويض وأصبح هناك ما يبرر اطلاق يد المجلس فى اتخاذ قرارات لتدابير
جديدة لحماية الثورة . وصدرت بالفعل عدة قرارات تقضى بمحاسبة
المسؤولين عن الفساد السياسى فى العهود الماضية وإبعادهم عن العمل فى
محيط السياسة وحرمان كل من تولى الوزارة فى السنوات العشر السابقة
على الثورة من تولى الوظائف العامة وتولى مجالس ادارات النقابات
والهيئات وحرمانهم من ممارسة حقوقهم السياسية لمدة عشر سنوات قادمة
كما صدرت قرارات أخرى بحل مجلس نقابة الصحفيين وإبعاد عدد من
أعضائها عن العمل الصحفى (٢) :

ونزولا على هذه الارادة الشعبية أيضا كان القرار بتشكيل المجلس
الوطنى الاستشارى « الذى يراعى فيه تمثيل الطوائف والهيئات والمناطق » ،
وإذا كان السادات قد أشار الى هذا المجلس بأنه سيكون ممثلا للبلاد
تمثيلا صحيحا وأنه لا فرق بينه وبين الجمعية التأسيسية فى هذا التمثيل لأنه
سيتم تشكيله من أعضاء النقابات ومجالس ادارة الهيئات وهى التى انتخبها
أعضاؤها بمحض رغبتهم واختيارهم دون أى تدخل خارجى « و « يمثل
الطوائف التى انتخبتهأ أصدق تمثيل » (٣) . إلا أننا لم نجد فى أى مصدر من

(١) المصرى : ٣٠ مارس ١٩٥٤

(٢) عبد الرحمن الرافعى : ثورة ٢٣ يوليو (تاريخنا القومى فى سبع سنوات ١٩٥٢ —
١٩٥٩) مكتبة النهضة المصرية — الطبعة الاولى — القاهرة ١٩٥٩ — ص ١٢٦ ، ١٢٧

(٣) التحرير : ٦ ابريل ١٩٥٤ — مقال بعنوان « الذين يسخطون على ارادة الشعب » .

(م ٨)

المصادر ما يشير الى قيام هذا المجلس الاستشارى او قيام غيره من الهيئات التى تمثل المشاركة الشعبية فى الحكم حتى صدور دستور ١٦ يناير عام ١٩٥٦ وبذلك يكون مجلس القيادة قد انفرد وحده بالسلطة قرابة أربع سنوات يتخذ ما يشاء من قرارات يحمى بها وجوده فى ظل الاحكام العرفية .

فهل كان فى ذلك ما يمكن توجيه الاتهام للثورة — على اساسه — بأنها اقامت حكما ديكتاتوريا واستبدت بالسلطة ؟

اننا نجد فى كتابات أنور السادات اجابة على هذا السؤال بشكل محدد . وقد تناول الاجابة عليه فى سلسلة مقالات تناول خلالها تفسير الثورة للديمقراطية على ضوء ما واجهته من ظروف وتحديات خلال هذه الفترة حتمت الأخذ بهذه التدابير والاجراءات المتقدمة والتى ان بدت فى مظهرها العام اجراءات منافية للديمقراطية الا انها فى حقيقة الامر — كما يشير أنور السادات كانت من أجل الديمقراطية ، وكان فى اتخاذها ضرورة لأقامة حياة ديمقراطية صحيحة ويفسر السادات ذلك بقوله ان « الثورة كان لابد ان تمضى فى طريقها كان لابد وان تحقق للشعب حاجاته .. لابد ان تقضى على الظلم الاجتماعى والاستغلال والرجعية ويستحيل أن نحقق الثورة أهدافها وهى بيضاء وليست دموية الا اذا اخلى الطريق أمامها من كل الاعداء ، فكيف يمكن أبعاد هؤلاء الاعداء عن طريق الثورة . هل برلمان سراج الدين ، ام بدستور وأحزاب الاقطاع ام بحرية الصحافة .. صحافة أبو الفتح والاحرار الدستوريين وبقية الانساب ام بمعركة دموية كما حدث فى الصين ام بمساذا ! (١) ؟

ويرى أنور السادات ان الثورة لو كانت قد تركت الأمور تسير على النحو الذى كانت عليه غابقت على دستور ١٩٢٣ « وهو دستور وضع على اساس النظام الملكى الاقطاعى » وأبقت على البرلمان « بنوابه الذين يمثلون الارستقراطية المصرية ويعملون لمصالحها » وأبقت على الأحزاب « بما فيها حزب عبد الهادى وحسن الهضيبى وحزب البيوتات الذى يضم ذوى الأصل العريق جدا الاحرار الدستوريين » وأبقت على الصحافة « تقول ما تشاء وتدعو الى ما تشاء » لو كانت الثورة أبقت على كل هذا لما كان هناك معنى لقيامها ولانتفى الغرض الحقيقى والاساسى من القيام بها وكما يقول السادات

(١) الجمهورية : ٧ يناير ١٩٥٥ — سلسلة مقالات بعنوان « الثورة والديمقراطية » .

كان ينبغي على قيادتها في هذه الحالة ان تعود مرة أخرى الى الجيش « وتترك البلاد لنفس الأشخاص الذين حكموا قبل ثورة ٢٣ يوليو » (١) .

على هذا الأساس يرى أنور السادات أنه كان ضروريا ان تتخذ الثورة ما اتخذته من اجراءات وقرارات وما قامت به من الغاء للمؤسسات الدستورية التي كانت قائمة للمباعدة بين الذين حكموا قبل ثورة ٢٣ يوليو ، وبين العودة للحكم مرة أخرى . لأنه لو تم الإبقاء على ذلك باسم احترام الديمقراطية والمحافظة على أشكالها ومؤسساتها القائمة فإنه كان يعنى كما يقول السادات « ان يترك كل شيء كما هو بعد طرد فاروق يبقى البدرأوى » فى درين « يشرب دم الآلوف من المواطنين .. ويبقى كل باشا فى قصره يدوس بأقدامه على مستقبل الشعب ويبقى سراج الدين يدخن سيجاره وهو يحكم مع أذنابه ... ويبقى الأمراء والأميرات فى مصايفهم وأوكارهم يستأنفون أكل لحم البشر ويبقى .. ويبقى .. ويبقى كل شيء ما عدا فاروق » (١) .

كان ذلك هو الأساس الذى استندت اليه قيادة الثورة فى هدم المؤسسات الديمقراطية التى كانت قائمة . أما ما صاحب ذلك وأعقبه من محاكمات واعتقالات ومصادرة حريات وفرض رقابة على الصحف والغاء للصحف التى قامت بدور مناوئ للثورة تحت شعار الديمقراطية وهى صحف « المصرى » والجمهور المصرى والقاهرة « غاننا نجد فى كتابات أنور السادات ما يشير الى الأسباب التى حتمت اتخاذ هذه الإجراءات ، وهى ان الثورة عندما حلت الأحزاب وأبعدت القوى السياسية القديمة عن الحكم وبان أنها بصدد تسلم السلطة وأنها ترتب لأقامة نظام لا يتيح لهذه القوى العودة مرة أخرى الى ممارسة نشاطها السياسى أو استلام السلطة . كان طبيعيا ألا تسلم هذه القوى القديمة للثورة بما تطلبه دون مقاومة تحاول ان تسترد بها مواقعها القديمة وعلى ذلك أصبحت هذه القوى هى الجبهة المعارضة للثورة ولبقائها واستمرارها فى الحكم وكان على الثورة وهى أمام ضرورة إبعادها عن طريقها ان تستخدم لذلك — كما أوضحت كتابات أنور السادات — احدى وسيلتين اما « بمعركة مسلحة يلقي فيها كل عبء

(١) الجمهورية : ٨ يناير ١٩٥٥ — من سلسلة مقالات بعنوان « الثورة والديمقراطية » .

(٢) نفس المصدر .

للشعب مصرعه « أو « بقانون الثورة » بالحزم والصمود والاضرار » ويقول السادات ان قيادة الثورة رأت الأخذ بهذه الوسيلة الأخيرة وفضلتها على « المذابح والمجازر » (١) .

ومن ذلك يتضح ان الاجراءات التي اتبعتها الثورة في تقييد الحريات ، كانت هي الحل الوحيد « البديل عن القيام بمعركة مسلحة مع هذه القوى كان يمكن ان تعرض الشعب للمذابح وسفك الدماء » . وفي نفس الوقت فان مثل هذه الاجراءات في رأى أنور السادات لم يكن فيها ما يتنافى مع الديمقراطية لأنها كانت حماية للثورة والشعب من اعدائهما الذين رفعوا شعار الديمقراطية كى تتاح لهم فرصة التآمر واستعادة سيطرتهم على الحكم لتحقيق مصالحهم . وذلك ما يوضحه أنور السادات عندما يقول « هل اذا وقف أبو الفتح — ومصلحه مرتبطة بمصالح سراج الدين وباقى القطيع السياسى — واتهمنا بأننا كذا وكذا .. هل نتركه يواصل نشاطه الاجرامى ضد ثورة الشعب باسم الديمقراطية فاذا اسكتناه وكشفنا القناع عن وجهه يقال لنا انتم ضد الديمقراطية . وهل اذا حوكم جواسيس الانجليز أمام محكمة الثورة وصدر الحكم باعدام شيخهم كنج صبرى واذا القينا بالمدعو كريم ثابت فى الليمان نصبح ضد الديمقراطية . وهل اذا منعنا صاحب السيجار الفاخر والسياسى البارع فؤاد سراج الدين من التآمر على الثورة ووضعناه فى زنزانة بعيدا عن الشعب نصبح ضد الديمقراطية » (٢) .

وعلى هذا النحو فان هذه الاجراءات التى اتخذتها الثورة وفق ضرورات حتمتها لحماية الشعب من أعدائه — وان بدت مخالفة للقواعد الديمقراطية التى تقضى باحترام الدستور وكفالة الحريات . فانها فى رأى السادات كانت خطوة أولى لامكان قيام ديمقراطية صحيحة . ويشير أنور السادات الى ذلك بالقول انه كان على الثورة « لكى تحقق الديمقراطية ولكى تعلن عن الدستور المتضمن نصوصها وأسسها جميعا ان تتخلص أولا من أعداء الديمقراطية أى أعداء الدستور » وان « الخطوات التى تمت خلال أعوام

(١) الجمهورية : ٨ يناير ١٩٥٥ — مقال بعنوان « الثورة والديمقراطية » .

(٢) الجمهورية : ٨ يناير ١٩٥٥ — مقال بعنوان « الثورة والديمقراطية » .

الانتقال الثلاثة لم تكن لتمهد على الاطلاق إلا لشيء واحد هو الدستور الذى يجعل الديمقراطية السليمة مصونة من كل سوء « (١) .

وهذه الاجراءات وان كانت قد بدت منافية للديمقراطية من حيث انها لم تستند الى اصل تشريعى يقننها . فان المبرر الوحيد الذى استمدت منه شرعيتها هو شرعية وجود الثورة ذاته ، وهى شرعية مستمدة من اعتبار انها ثورة تمثل الشعب وتعبّر عنه فى كل ما تتخذه من اجراءات وقرارات وقامت لتحقيق اهدافه ، وذلك ما حرص انور السادات على تأكيده فى كثير من كتاباته . فهو يقول ان « قيادة الثورة هى التى تحدد ما تراه متفقاً مع مصالح الشعب لا مصالح أعدائه » (٢) . ويقول أن الثورة كان من « المحتم عليها أن تحقق — هى — للشعب مطالبه بأسلوبها الذى بدأت به عملها التاريخى » . « لأنها — ثورة — كما قلت — وليست حكومة » ، « وتولت هى الحكم لتقلب ذلك النظام وتغيره .. وقد فعلت » (٣) . ثم يقول أن « مجلس قيادة الثورة كان حتماً عليه أن يحمى الثورة .. او بمعنى أكثر وضوحاً — يحمى الشعب من الرجعيين » (٤) .

وعلى ذلك كان تفسير الثورة للديمقراطية بأنها كل عمل فعلى تحققه للشعب من أجل حريته بعد أن حددت من هو الشعب ومن هم أعداء الشعب ودون حاجة الى إعلان نص مكتوب يحدد للشعب خطوات الثورة من أجل الديمقراطية اكتفاء بأن مبادئها الستة المعلنة كانت كلها من أجل تحرير الشعب وتحقيق حريته « وحكم نفسه بنفسه » وعلى أساسها يمكن قياس الخطوات العملية التى تخطوها لتحقيق الديمقراطية . وهذا ما يشير اليه انور السادات بقوله « ان الثورة تفسر الديمقراطية بأعمالها وبخطواتها التى تتم فى العلن . الثورة تفسر الديمقراطية بالكفاح العلنى من أجلها فهى عندما تقضى على النظام الملكى العفن وترسى قواعد النظام الجمهورى فتلك خطوة نحو الديمقراطية كان الشعب سيخطوها لو لم تقم الثورة فى ٢٣ يوليو

(١) الجمهورية : ٢٣ يناير ١٩٥٦ — مقال بعنوان « اخبار تصنع التاريخ — ما هى الديمقراطية » .

(٢) الجمهورية : ٦ يناير ١٩٥٥ — من سلسلة مقالات بعنوان « الثورة والديمقراطية » .

(٣) الجمهورية : ٤ يناير ١٩٥٥ — من سلسلة مقالات بعنوان « الثورة والديمقراطية » .

(٤) الجمهورية : ٧ يناير ١٩٥٥ — من سلسلة مقالات بعنوان « الثورة والديمقراطية » .

« الثورة تفسر الديمقراطية بالقضاء على الاستغلال والظلم الاجتماعى »
« الثورة تفسر الديمقراطية بالوقوف فى وجه الارستقراطية المصرية التى
كانت تحكم بأبنائها والباشوات والبكوات » (١) .

وفى مقال آخر يوضح أنور السادات كيف كانت هذه الخطوات كلها من
اجل الديمقراطية وتحقيقها لها فيقول ان العدو الأول للشعب كان هو « الملك
بل هى الأسرة التى كانت تحكم وانتصرت الثورة على العدو الأول وبهذا
ارست الثورة أول قواعد الديمقراطية ثم كان جلاء القوات المحتلة عن بلادنا
هو الانتصار الثانى ، أما الانتصار الثالث للديمقراطية فكان قانون الاصلاح
الزراعى وبعد ذلك مضت الثورة ترسى قواعد النظام الديمقراطى الذى
سيسود البلاد بعد فترة الانتقال وتعد له الضمانات التى تكفل قيامه وحمايته
وازدهاره . ولم يكن رفض الثورة الارتباط بحلف عسكرى مع الدول الكبرى
الا ايمانا منها بالديمقراطية والتصميم على قيامها فى جمهورية مصر ذلك لأن
الحلف العسكرى كان سيجعل أرض الشعب وموارد الشعب فى خدمة
مصالح تلك الدول الكبرى وتحقيق المنافع لها . وفى ظل الحلف العسكرى
المذكور كانت مصر ستصبح دولة تابعة ، والديمقراطية من المحال ارساء
قواعدها وتحقيق مضمونها الا فى الدولة التى لا تخضع لسيطرة اجنبية او
لتوجيه من خارج حدودها ، واصرار الثورة اذن على موقفها من الحلف
العسكرى كان الغرض منه حماية النظام الديمقراطى الذى ستحكم به مصر
بعد فترة الانتقال وبالتالي حماية مصالح الشعب » (٢) .

وأثور السادات يتفق بذلك فى الراى مع بعض مفكرى الغرب الذين
يرون أن المفهوم الرئيسى للديمقراطية هو أن تكون « الحكومة تعبيراً عن
الشعب » وأن يكون « الشعب هو الدولة » وأن الحرية بمعنى « Freedom
هى مرحلة مهيأة للديمقراطية » « Democracy (٣) » وإذا كان هؤلاء
المفكرون يرون أن التحرر بمعنى « Liberation » وهو المفهوم السياسى

(١) الجمهورية : ١ يناير ١٩٥٥ — من سلسلة مقالات بعنوان « الثورة والديمقراطية » .

(٢) الجمهورية : ٢٣ يناير ١٩٥٦ — مقال بعنوان « اخبار تصنع التاريخ — ما هى
الديمقراطية » .

Bailey (P.H.) What is Democracy, The Comstoc (٣)
Puplishing, U.S.A., 1918. PP. 35, 45.

للحرية — لا يعنى الديمقراطية (١) . فان انور السادات يشير الى نفس المعنى عندما يقول ان تحطيم الاستعمار « خطوة كبرى نحو الديمقراطية » (٢) ولم يقل انه هو الديمقراطية وان « الديمقراطية من المحال ارساء قواعدها وتحقيق مضمونها الا فى الدولة التى لا تخضع لسيطرة اجنبية (٣) ، وبذلك يؤكد ان التحرير ليس الا خطوة على طريق الديمقراطية وليس هو الديمقراطية ذاتها .

ويغض النظر عن الصواب والخطأ فى الأسلوب الذى أخذت به ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ فى معالجتها لقضية الديمقراطية خلال فترة الانتقال فانه يعبر تعبيراً دقيقاً عن كيفية تشكيل الفكر السياسى للثورة من خلال الممارسة « التجريب » فى مواجهة الأمر الواقع بكل ما يمكن ان تخضع له التجربة من احتمالات الصواب والخطأ والنجاح او الفشل . وذلك ما يشير اليه انور السادات ايضا عندما يقول « ان الاجراءات التى اتخذها مجلس قيادة الثورة فى مرحلة الانتقال بصوابها وخطئها وصلاحياتها وعدم صلاحيتها هى جزء لا يتجزأ من ثورتنا وهى جزء لا يتجزأ من انتصارنا فى ثورتنا حين انتصرنا اذ هى نفسها الاجراءات التى ادت الى انتصار الثورة » (٤) أى أن هذه التجربة ان كان لأحد ان يسجل عليها بعض الملاحظات او الاعتراضات لما جاءت به من اجراءات استثنائية فى تقييد الحريات فانه كانت الطريق الوحيد الذى جربته الثورة وتمكنت به ان تحقق أهداف الشعب فى وقت لم يكن فيه امامها غير « التجريب » ولم تكن تملك أسلوباً سواه . وكما يقول انور السادات لأن « الطريق الى الحرية لا يدرس فى المدارس ولا توجد جامعة يتخرج منها قادة الاستقلال فنحن فى المعركة تعلمنا ومن أخطائنا تعلمنا ومن نجحنا تعلمنا ومن غيرنا تعلمنا ومن عدونا تعلمنا ومن أضفائنا تعلمنا » (٥)

كانت مرحلة الانتقال بكل ما شهدته من اجراءات — وباعتبارها التجربة

Ibid.

(١)

(٢) الجمهورية : ٤ يناير ١٩٥٥ — من سلسلة مقالات بعنوان « الثورة والديمقراطية » .

(٣) الجمهورية : ٢٣ يناير ١٩٥٦ — مقال بعنوان « اخبار تصنع التاريخ — ما هى الديمقراطية » .

(٤) الجمهورية : ١٧ مايو ١٩٥٨ — سلسلة مقالات بعنوان « معنى الاتحاد القومى ما معنى كلمة الديمقراطية » .

(٥) نفس المصدر .

الأولى لمجلس القيادة في الحكم — فترة كافية لأن تبلور لقيادة الثورة الشكل الذي يكون عليه نظام الحكم . وبدأ واضحا فيما كتبه أنور السادات ان الركائز الأساسية لنظام الحكم قد استقرت على أساس انتهاء النظام الحزبي وعدم العودة للأخذ به والاتجاه لأقامة مجتمع اشتراكي وتحديد مفهوم الحرية في اطار ما يتفق واهداف الثورة واقامة « برلمان وطني يعمل للوطن والأغلبية ولا يعمل لرأس المال والاقطاع » (١) وهذا ما أشار اليه أنور السادات في مقال كان يناقش من خلاله أسس الحكم بعد فترة الانتقال وكانت الرقابة قد رفعت عن الصحف فيما يختص بمناقشة هذا الموضوع بالتحديد فكتب أنور السادات يقول انه « اذا كانت تعنى مناقشة الأسس قيام الأحزاب » . . فلا « واذا كانت تعنى مناقشة الأسس تصوير الحرية على الصورة التي نادت بها الأحزاب في الماضي أو تتمم بها بعض الموتورين . . مناقشات ديماجوجية ومصالح ورشوة وفساد فكلأ والف كلا » (٢) . ثم يقول السادات « من ذا الذي يستطيع اليوم أن يسحب الأرض من صغار الزراع بعد أن تملكوها ؟ من ذا الذي يستطيع اليوم ان يندد بالاشتراكية كمبدأ يسعد فيه مجتمعنا بعد استعباد دام آلاف السنين ومن ذا الذي يعارض مبدأ تكافؤ الفرص » (٣) .

أما بالنسبة للبرلمان فقد أشار أنور السادات الى الأساس الذي سيقوم عليه ، وكان ذلك في مجال رده على سؤال لأحد القراء يقول « هل يمثل البرلمان القادم الفلاحين والعمال فقط وهل يعني هذا ان الطبقات الكادحة والعاملة هي التي ستخوض المعركة وحدها وما وضع الطبقة المتوسطة (٤) » . ويجيب أنور السادات بقوله « انه سيكون هناك برلمان وطني يعمل للوطن والأغلبية ولا يعمل لرأس المال والاقطاع . هذا هو الأساس الذي سيقوم عليه البرلمان الجديد » ، « والطبقة المتوسطة ليست رأسمالية اقطاعية » فالملاك والمهندسون والمدرسون والأطباء والتجار وكل اصحاب المهن في البلاد هم الذين سيمثلون طبقتهم المتوسطة في البرلمان الجديد « ويرى السادات » ان هذه هي الديمقراطية السليمة « الديمقراطية

(١) الجمهورية : ٢٨ مايو ١٩٥٥ — مقال بعنوان « كل الطبقات ما عدا الالهة » .

(٢) الجمهورية : ٢٢ مارس ١٩٥٥ — مقال بعنوان « أنور السادات يشرح أهداف استفتاء الشعب » .

(٣) نفس المصدر .

(٤) الجمهورية : ٢٨ مايو ١٩٥٥ — مقال بعنوان « كل الطبقات ما عدا الالهة » .

التي تعطى الشعب الفرصة دون تمييز بين طبقة وطبقة تعطى لها لكي يمارس حقوقه ، أما الآلهة فقد أسقطتهم الثورة من فوق أعناق الشعب حتى يصبح قادرا على أن يرفع رأسه » (١) .

ومن ذلك يتضح بما لا يدع مجالا للشك أن قيادة الثورة كانت قد قررت وضع الضوابط لاستبعاد العناصر التي لا ترغب في أن تكون ممثلة في البرلمان والحيلولة دون ترشيحها في الانتخابات وهذا يعنى أيضا أنها كانت ترى أن القوى السياسية القديمة لا زالت قادرة على العمل والحركة والتأثير في مجال دوائرها الانتخابية .

وجاء دستور ١٦ يناير ١٩٥٦ متضمنا للأسس التي تكفل ذلك ، ونص في مادته الأولى على أن مصر « جمهورية ديمقراطية » وفي مادته السادسة على أن الدولة تكفل « الحرية والأمن والطمأنينة وتكافؤ الفرص لجميع المواطنين » وفي مادته الخامسة والأربعين على أن « حرية الصحافة والطباعة والنشر مكفولة وفقا لمصالح الشعب وفي حدود القانون » . ونص في المادة التاسعة والثلاثين على أنه « لا يجوز أن يحظر على مصرى الإقامة في جهة ولا أن يلزم الإقامة في مكان معين إلا في الأحوال المبينة في القانون (٢) »

ولكن هذه الحريات التي كفلها الدستور على هذا النحو كانت محكومة بما حددته الثورة من أن تكون هذه الحريات في إطار تحقيق أهداف الشعب — من وجهة نظر الثورة — وضمنت ذلك المادة ١٩٢ من الدستور حيث نصت على أن يؤلف المواطنون « اتحادا قوميا » للعمل على تحقيق الأهداف التي قامت من أجلها الثورة وقد أوضح النص طريقة تكوين الاتحاد وتكون « بقرار من رئيس الجمهورية » (٣) ولما كان الاتحاد القومى بحكم النص الدستورى هو التنظيم السياسى الذى يتولى ترشيح الأعضاء للبرلمان فإن المعنى الواضح لذلك هو تمكين رئاسة الدولة ، من أن تتخذ عن طريقه الاجراءات السياسية التى لا يمكن اتخاذها بقرار تنفيذى — كحق الاعتراض على الترشيح والمرشحين . وعلى ذات النسق كان القرار بتنظيم الصحافة والذى بموجبه نقلت ملكية المؤسسات الصحفية الى الاتحاد القومى

(١) الجمهورية : ٢٨ مايو ١٩٥٥ — مقال بعنوان « كل الطبقات ما عدا الآلهة » .

(٢) الجمهورية : ١٧ يناير ١٩٥٦ — نص الدستور .

(٣) نفس المصدر .

باعتباره مؤسسة شعبية ودون ان يعتبر ذلك سيطرة من الحكومة على وسائل اعلان الراى (١) .

من هنا كان النص الدستورى باقامة الاتحاد القومى يرمى أصلا الى تحديد مفهوم الحرية فى اطار ما تريده الثورة وتراه لتحقيق مصالح الشعب، وباعتباره التنظيم السياسى الوحيد ، لأن ذلك كفيل بتوجيه العمل السياسى فى الاتجاه الذى تريده الحكومة . وعلى هذا الأساس كان هذا التنظيم هو البديل للأحزاب التى لم يعد السماح باقامتها ممكنا بعد أن أصبح الاتجاه واضحا لتوحيد وجهات النظر فى القضايا الخارجية والداخلية . ويوضح أنور السادات ذلك عندما تصدى للاجابة على سؤال يقول : لماذا لم ينص الدستور على حرية تأليف الأحزاب بدلا من الاتحاد القومى ؟ وكان رد أنور السادات على السؤال هو ان « معنى تأليف الأحزاب أنه سوف يوجد أكثر من حزب وسيكون لكل حزب وجهة نظره الخاصة فى مختلف قضايانا الخارجية والداخلية . ومعنى ذلك أنه سيكون ، لحزب من الأحزاب ، ان يطالب بقبول مشروع ايزنهاور الذى مات أو حلف بغداد الذى يحتضر ، وطبقا لنص الدستور سيكون من حق حزب كهذا ان يمارس نشاطه ويصدر صحفا ويعقد اجتماعات ويدعو لرايه بكل ما فى طاقته من قوة ولا يستطيع كائن من كان أن يعترض على هذا . . تماما كما كان يحدث أيام الملك حين كانت تدعو بعض الأحزاب والصحف الى قبول معاهدة صدقى بينن » (٢)

فمن الدستور على هذا النحو تدابير أمن الثورة . أو تدابير أمن حكومة الثورة بمعنى أدق وأصبح العمل السياسى خارج نطاق الاتحاد القومى يعد خرقا للدستور وخروجاً على القانون كما أصبح من غير الممكن لاي اتجاه سياسى ان يجد وسيلة للتعبير عن رأيه تجاه أى من القضايا الداخلية أو الخارجية بعيدا عن التنظيم السياسى الرسمى للدولة . ويؤكد أنور السادات ذلك بقوله ان « الحرية هى دائما حرية الحركة داخل وضع محدد وقد كنا وسنظل داخل وضع محدد يحتم علينا ان نتحرك فى نطاقه فقط وان لا نتجاوزه . . وإلا هلكنا وأن لنا أعداء وأذنباً ، أعداء استعمرونا وأذلونا

(١) طارق البشرى : الديمقراطية والناصرية — دار الثقافة الجديدة . القاهرة — ١٩٧٥
ص ٣٣ ، ٣٤

(٢) الجمهورية : ١٨ مايو ١٩٥٨ — من سلسلة مقالات بعنوان « الاتحاد القومى » مقال بعنوان « الاتحاد القومى وسيلة لزاولة مسئولياته » .

ثم ثرنا عليهم وطردهناهم وخرجوا من بلادنا ولا يزالون يتربصون بها ويتحينون الفرصة لطمعنا واستعادة سيطرتهم علينا . . . ونحن لا نهزل حين نقول هذا لأن أعدائنا لا يهزلون . . ان اجرامهم لا حدود له ودماء ضحايا بورسعيد لم تجف بعد . . ضحايا حقيقيين صرعتهم أيدي أعدائنا الغاشمة . . ونفس الأيدي التي يقطر منها الدم لا تزال تتحين الفرصة للوثوب علينا وإذا عسكرت جماعة في غابة فانها لا تزال حريتها في النوم أو اليقظة كما يحلو لها » . ثم يقول السادات « ولهذا يتحتم ان نضع في اعتبارنا دائما الوضع الذي نحن فيه عند تفكيرنا في الوسيلة التي يمكن للشعب بها أن يزاوّل حريته ومسئوليته » ويستطرد السادات قائلا « نحن كلنا متفقون بالإجماع على مقاومة الأعداء مهما كان أولئك الأعداء والتعاون مع الأصدقاء مهما كان أولئك الأصدقاء ، تلك هي الحقيقة البسيطة وهي أيضا الطريقة الوحيدة لكي نبقى أحرارا ولكي لا نموت . . . ذلك هو الاتحاد القومى بكل بساطته . أنه ليس حزبا وليس جبهة وليس معنى انشائيا مجردا ، أنه طريقنا للدفاع عن النفس ولا طريق سواه ، أنه ليس وسيلة اختيارية بل هو ضرورة حتمية تملئها ظروفنا الجديدة » (١) .

وغير ذلك فإن دستور ١٦ يناير ١٩٥٦ جعل رئاسة الجمهورية هي محور الحياة الدستورية كلها . فرئيس الجمهورية يتم اختياره باستفتاء شعبي عام فتتوفر له بذلك صفة النيابة عن الشعب كما يتولى السلطة التنفيذية في المجتمع (٢) . وبذلك أصبح رئيس الجمهورية في ظل الدستور الجديد يملك سلطات تساوى ما كان يملكه مجلس قيادة الثورة في فترة الانتقال .

وإذا كان أنور السادات قد ذكر بعد تسعة عشر عاما من إصدار هذا الدستور « أنه لم تتحقق الديمقراطية الى هذه اللحظة » (٣) وان إجراءات حماية الثورة قد استغرقت وقتا أطول مما كان ينبغي (٤) ، فإنه قد عبر بذلك

(١) نفس المصدر .

(٢) طارق البشرى : الديمقراطية والناصرية — دار الثقافة الجديدة — القاهرة — ١٩٧٥

ص ٢٦

(٣) الاهرام : ٢١ نوفمبر ١٩٧٥ — نص خطاب لانور السادات في اللجنة المركزية .

(٤) الاهرام : ١٨ يناير ١٩٧٦ — نص حديث أدلى به أنور السادات لصحيفة السياسة

الكوفية .

عن نواحي القصور في تجربة ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ لأقامة حياة ديمقراطية صحيحة بعد صدور دستور ١٦ يناير ١٩٥٦ . وفي رأينا أن أبرز الملاحظات التي يمكن ان تؤخذ على هذه التجربة هي :

أولا : على النطاق الدستوري . فان دستور ١٦ يناير ١٩٥٦ بكل الملاحظات السالبة عليه سرعان ما ألغى بعد الاستفتاء على الوحدة بين مصر وسوريا عام ١٩٥٨ ، وظلت مصر بعد ذلك التاريخ تحكم وفق دساتير تصدر بقرار من رئيس الجمهورية الى ان صدر دستور ١٩٧١ وكان الدستور الثاني الذي تم الاستفتاء عليه منذ قيام الثورة عام ١٩٥٢ .

ثانيا : على النطاق البرلماني لم يقدر للانتخابات ان تتم في موعدها المحدد عام ١٩٥٦ لاختيار نواب الشعب في أول مجلس نيابي يقام بعد الثورة ، وكما ذكر أنور السادات فقد كانت الانتخابات قد أرجئت لحين خروج آخر جندي بريطاني من قناة السويس في شهر يوليو عام ١٩٥٦ ، ثم أرجئت مرة أخرى بسبب وقوع العدوان الثلاثي على مصر واستمر الأرجاء حتى تم جلاء آخر جندي اسرائيلي من سيناء . . . ولذلك لم يتشكل البرلمان الأول الا في عام ١٩٥٧ ثم ما لبث ان انتهى عمل هذا المجلس في فبراير عام ١٩٥٨ بقيام الوحدة بين مصر وسوريا وهي التي شكل لها برلمان مشترك « بالتعيين » عام ١٩٦٠ من أعضاء المجلسين المصري والسوري ، ما لبث هو الآخر ان انتهى عمله بوقوع الانفصال عام ١٩٦١ ولم يتشكل برلمان آخر الا عام ١٩٦٤ (١) وهكذا تعثرت التجربة البرلمانية مثلما تعثرت تجربة اقامة الدستور .

ثالثا : طالت فترة الأحكام العرفية التي عاشت مصر في ظلها فقد استمرت الأحكام العرفية التي أعلنت بعد حريق القاهرة — قبل قيام الثورة في ٢٦ يناير ١٩٥٢ ، حتى تم الاستفتاء على الدستور في شهر يونية عام ١٩٥٦ فرفعت ثم فرضت بعد شهور من ذلك عندما وقع العدوان الثلاثي في أكتوبر من نفس العام واستمرت حتى صدور الدستور المؤقت عام ١٩٦٤ ، فرفعت وان كان قد حل محلها قانون تدابير أمن الدولة رقم ١١٩ لسنة ١٩٦٤ وهو القانون الذي يمنح رئيس

(١) الأهرام : ٢١ نوفمبر ١٩٧٥ نص خطاب أنور السادات في اللجنة المركزية .

الجمهورية في الظروف العادية سلطات استثنائية (١) ، ثم فرضت الأحكام العرفية مرة أخرى مع حرب يونيو ١٩٦٧

رابعاً : كانت فترة الانتقال تجرية أثبتت لمجلس قيادة الثورة جدوى الاستغناء عن مبدأ الحزبية في عمومها وكان نجاح الثورة بهذا الأسلوب هو الذى رجح لدى قادتها فاعلية الأخذ به في العمل السياسى فصار جهاز الدولة هو الجهاز السياسى الشعبى والادارى معا ، بعد ان استعاض عن الأحزاب بإنشاء تنظيمات رسمية تعمل في اطار سياسة الدولة ووفق أهدافها ، وشهدت مصر من هذه التنظيمات « هيئة التحرير ثم الاتحاد القومى والاتحاد الاشتراكى » وبذلك لم تكن هناك فرصة لممارسة أى نشاط سياسى أو التعبير عن رأى أو فكر الا في اطار ما توافق عليه الحكومة وتسمح به .

واذا كانت هذه الملاحظات وغيرها مما يمكن تسجيله على تجربة الديمقراطية فان مجيء التجربة على هذا النحو كان في رأى انور السادات راجعا الى عاملين رئيسيين هما :

أولاً : اعتماد قادة الثورة على « التجريب » دون الاعتماد على نظرية مكتملة لاقامة الديمقراطية .

ثانياً : الحرص على استمرار الثورة وتمهيد الطريق أمامها لتمكينها من تحقيق أهدافها (٢) .

ولكن ذلك لم يمنع انور السادات من القول بأن هذه الاجراءات والتدابير التى حتمتها الرغبة في حماية الثورة ، قد استغرقت وقتا أطول مما كان ينبغى وأنه كان يمكن تجنب هذه التدابير واقامة حياة ديمقراطية صحيحة بعد انتهاء فترة الانتقال عام ١٩٥٦ (٣) .

(١) طارق البشرى : الديمقراطية والناصرية — دار الثقافة الجديدة — القاهرة — ١٩٧٥ — ص ٢٠

(٢) الاهرام : ٢١ نوفمبر ١٩٧٥ — نص خطاب انور السادات في اللجنة المركزية .

(٣) الاهرام : ٨ يناير ١٩٧٦ — نص حديث لانور السادات الى جريدة السياسة الكويتية .

الباب الثالث

أنور السادات والقضايا السياسية التي فرضتها الأحداث على الثورة

مقدمة :

لم تكن المبادئ الستة هي كل القضايا التي واجهتها ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ في مجال العمل السياسي . فهذه المبادئ وإن كانت هي القضايا التي اختارتها الثورة من البداية ووضعتها دليلا لعملها السياسي ، فقد كانت هناك قضايا أخرى جاءت بها الأحداث وفرضت على الثورة مواجهتها دون أن يكون لها في ذلك خيار .

وفي هذا المضمار ، فإن أبرز هذه القضايا التي واجهتها الثورة كانت :
١ - قضية الأحلاف الغربية التي حاولت أمريكا وبريطانيا أن تضم مصر إليها وتشركها فيها .

٢ - قضية الصراع بين الاستعمار والثورة ، وهو الصراع الذي جاء في إطار مجموعة من الأفعال وردود الأفعال بين مصر والاستعمار الغربي (ممثلا في كل من أمريكا وبريطانيا وفرنسا) بدأت بكسر الثورة لاحتكار السلاح الذي فرضته هذه الدول الغربية عليها ، وانتهت بالعدوان على مصر عام ١٩٥٦ .

٣ - القضية القومية ، وهي القضية التي انتهى موقف الثورة حيالها للأخذ بالفكرة العربية ، وانتهاجها لسياسة بارزة في هذا المجال .

ولما كان أنور السادات قد تناول في كتاباته الصحفية هذه القضايا والأحداث التي وقعت في إطارها ، فإن ذلك كان كفيلا بأن يكشف عن جوانب جديدة للفكر السياسي للثورة أبعد بكثير مما جاء في حدود المبادئ الستة الأساسية .

ولهذا فإن بحثنا عن هذه الأبعاد الجديدة في الفكر السياسي للثورة خلال كتابات أنور السادات الصحفية ، يمكن أن يندرج تحت هذه القضايا الثلاث الرئيسية التي تتناولها فصول هذا الباب .. وهي :

١ - قضية الأحلاف .

٢ - الصدام المسلح بين الاستعمار والثورة .

٣ - القضية القومية .

الفصل الأول

قضية الأحلاف (١)

بانتهاى الحرب العالمية الثانية ، بدأ الوطن العربى يحتل أهمية خاصة فى الحسابات الأمريكية . وكان ذلك نتيجة لحصول الولايات المتحدة على امتيازات البترول فى المملكة العربية السعودية ، ولرغبتها فى ان تحل محل النفوذ البريطانى (بعد انحساره النسبى فى المنطقة (٢) ، ثم لحاجتها الى إقامة محطات على طريق شبكة مواصلاتها الجوية العالمية النطاق (٣) .

(١) الأحلاف العسكرية هى أسلوب من أساليب القوة التى أخذ بها كل من الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة الأمريكية فى سبيل تدعيم معسكره ، وفى سبيل الإبقاء على روابطه ، ويطلق اسم احلاف الحرب الباردة على الأحلاف التى تكون احدى الدولتين الكبيرين طرفا فيها ، او الأحلاف التى تكون قد انعقدت تحت اشرف أحدهما ، ذلك لأن هناك أحلafa تعقد بعيدا عن هذا الصراع الدائر بين الطرفين ، وتلتزم الحياد بالنسبة لكليهما . ومن ذلك معاهدة الدفاع المشترك التى عقدت بين البلاد العربية فى ١٣ ابريل ١٩٥٠ (ميثاق الضمان الجماعى) راجع : بطرس بطرس غالى — الأحلاف العسكرية — ملحق الأهرام الاقتصادى — اول نوفمبر ١٩٦٥ ، ص ٢٣ ، ٢٨ ، ٤٨

ومن أشهر الأحلاف التى خلقها الصراع بين الكتلتين ، حلف جنوب شرقى آسيا ، او « السيتو » وهو حلف عسكرى اقليمى قام على أساس معاهدة دفاعية جماعية اشتركت فى توقيعها كل من الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا واستراليا ونيوزيلندا والباكستان وتايلاند والفلبين فى ٨ سبتمبر ١٩٥٤ ، وحلف شمال الاطلسى أو « الناتو » وتشترك فيه اثنا عشرة دولة من الدول الاوربية والأمريكية الواقعة على سواحل المحيط الاطلسى الشمالى الى جانب ايطاليا واليونان وتركيا ، ووقع هذا الحلف فى ٤ ابريل سنة ١٩٤٩ وانضمت اليه ألمانيا الغربية فى ٢٣ اكتوبر ١٩٥٤ . والحلف الثالث هو حلف « وارسو » الذى وقعته الدول الاشتراكية الاوربية فى ١٤ مايو ١٩٥٥ ويضم كلا من الاتحاد السوفيتى وألمانيا وبلغاريا وتشيكوسلوفاكيا وألمانيا الشرقية والمجر وبولندا ورومانيا . راجع (أحمد عطية الله : القاموس السياسى — الطبعة الثالثة — دار النهضة العربية — القاهرة — ١٩٦٨ — ص ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٧٨

(٢) ر. ك. كارانجيا : كيف نجح عبد الناصر — تعريب خيرى حماد — دار المعارف القاهرة ١٩٦٤ — ص ٦٤

(٣) محمد حسنين هيكل : عبد الناصر والعالم — دار النهار للنشر — بيروت — ١٩٧٢ —

وكذلك — وهذا هو الأهم — لتنفيذ سياستها في فرض الحصار على الاتحاد السوفيتي (١) .

ومنذ ذلك الوقت ، توالى الاتفاقات الثنائية مع دول المنطقة للأمن المتبادل والمعونة الفنية والاقتصادية والعسكرية ، وغير ذلك من ألوان الاتفاقات والمعاهدات التي كانت تهدف الى ربط دول المنطقة بأمريكا تحت ستار جديد من السيطرة غير التقليدية (٢) . كما توالى المشروعات الأمريكية والغربية فيما سمي بمشروعات الدفاع عن الشرق الأوسط ، والتي لم تكن في حقيقتها للدفاع عن المنطقة بقدر ما كانت للهجوم على الاتحاد السوفيتي (٣) .

وقد شهدت مصر — قبل الثورة — عدة مشروعات من هذه المشروعات الأمريكية والغربية ، كان من بينها مشروع النقطة الرابعة الأمريكية الذي وقعته حكومة الوفد مع الولايات المتحدة الأمريكية في ٥ مايو ١٩٥٠ (٤) . ثم الاقتراح بضم مصر الى حلف شمال الاطلسي في شهر مايو ١٩٥١ ، وهو الاقتراح الذي لم تأخذ به مصر أيضا ، وإن كانت قد اعتبرته دليلا على ان الولايات المتحدة الأمريكية تعتقد بإمكانية انسحاب القوات البريطانية من السويس (٥) ، ثم المشروع الذي قدم باسم الدول الأربع الذي تمخض

(١) فؤاد دارة : احلاف العدوان الأمريكية — المؤسسة العامة للتأليف والنشر — القاهرة — ١٩٦٧ — ص ١١٥

(٢) نفس المصدر : ص ١١٥

(٣) Kimche (John) : Seven Fallen Pillars — The Middle East 1945—1952, Secker & Warburg, London, 1953. P. 363.

(٤) مشروع النقطة الرابعة هو المشروع الذي قدمه الرئيس الأمريكي ترومان في ٢٠ يناير ١٩٤٩ الى الكونجرس وكانت النقطة الرابعة في المشروع تدعو الى تصدير رأس المال الأمريكي الى المناطق المتخلفة اقتصاديا بدعوى « مساعدة الشعوب الحرة في العالم على أن تنتج بجهودها الخاصة كميات أكبر من الغذاء والكساء ومواد البناء والقوى الميكانيكية » ولذا فقد أشارت النقطة الرابعة هذه الى تصدير الخبرة الفنية والأمريكية أيضا الى جانب رأس المال — وكان المشروع على هذا النحو هو لب الاستعمار وغايته . وكانت حكومة الوفد قد قبلت هذا المشروع قاصرة قبولها على المعونة الفنية مرجئة النظر في المسائل المالية الى وقت آخر . راجع أحمد بهاء الدين : الاستعمار الجديد (أو مشروع النقطة الرابعة الأمريكية) — بدون اسم الناشر — القاهرة — ١٩٥١ — ص ٨ ، ٨١

(٥) Kimche (John) : Seven Fallen Pillars — The Middle East 1945—1952, Secker & Warburg, London, 1953, P. 438.

عن اجتماع مؤتمر حلف الاطلنطي الذي عقد في أوتاوا في ١٨ سبتمبر ١٩٥١ وحيث رأى « أنه لا يمكن أن يكون هناك تنظيم للدفاع عن منطقة الشرق الأوسط دون أن تنضم مصر إليه ودون أن تكون قاعدة السويس مقرا لقيادة تتولى أمر هذا الدفاع » (١) . وكما فشل هذا المشروع هو الآخر فقد فشلت كذلك المحاولات التي جرت عام ١٩٥٢ لحيائه تحت اسم « الاتحاد الاسلامي » (٢) .

وبعد قيام الثورة واجهت القيادة عدة مواقف مباشرة جعلتها تدرك أن السياسة الأمريكية تسعى الى ربط مصر إليها من خلال ضمها الى « أحلاف العالم الحر » — كما يطلقون عليها — وقد وضح هذا الاتجاه الأمريكي منذ الشهور الأولى للثورة على لسان « جيفرسون كافري » سفير أمريكا في القاهرة ، والذي كانت تربطه برجال الثورة علاقة وطيدة ، عندما أعرب لهم صراحة عن رغبة بلاده في أن تنضم مصر الى أحلاف « العالم الحر » بدعوى أن بلاده تخشى على مصر من خطر التسلسل الشيوعي إليها (٣) .

وبالرغم من أن قيادة الثورة رفضت صراحة الاستجابة الى هذا المطلب الأمريكي ، فإن أمريكا من جانبها لم تعتبر أن المسألة قد انتهت عند هذا الحد ، ولم تيأس من أن تجرب عدة محاولات أخرى لسبر أغوار هؤلاء الضباط في هذا الشأن بمحاولة إغرائهم بالارتباط بسياساتها ، ملوحة لهم بأن الارتباط بهذه السياسة هو السبيل لتلبية مطالبهم والخروج من بعض الأزمات التي يواجهونها :

ونجد مثلا لذلك في محاولتين محددين :

أما المحاولة الأولى فقد جاءت عندما طلبت مصر الى أمريكا أن تبيعها السلاح ، والذي كانت في أشد الحاجة إليه في ذلك الوقت ، فوجدت أمريكا

(١) Campbell (John) : Defence of the Middle East Problems of American Policy, Harper & Bros, New York, 1958, PP. 45, 46.

(٢) راشد البراوى : من حلف بغداد الى الحلف الاسلامي — مكتبة النهضة — القاهرة — ١٩٦٦ — ص ٥٣

(٣) محمد نجيب : كلمتى للتاريخ (مذكرات) — بدون اسم الناشر وبدون تاريخ — ص ٨٤

في هذا الطلب فرصة مواتية لاغراء مصر بقبول مبدأ الارتباط « بالسياسة الأمريكية » والدخول في « موائيق » مع الولايات المتحدة . وكما يقول أنور السادات ، فإن رد أمريكا على طلب مصر لشراء السلاح جاء في « صورة نسخة مما يسمى ميثاق الأمن المتبادل ، وهو عبارة عن اتفاقية قالوا لنا انه بمجرد أن توقعها ، فائنا لن نكون بحاجة الى أن ندفع مليما واحدا بل ستتدفق الأسلحة على الجيش المصرى مجانا ، هذا بخلاف المعونات الأخرى . وقد كان العرض على الطريقة الأمريكية محاطا بالتشويق والدعاية المغرية ، فتارة يقولون ان أكثر من أربعين دولة تنعم بخيرات هذا الاتفاق اليوم وتسبح في بحبوحة الرفاهية ، وتارة يقولون لماذا تخصصون من ميزانيتكم أية مبالغ تنفقونها على التسليح في الوقت الذى يمكنكم فيه ان تحصلوا على السلاح بالمجان » (١) . ثم يستطرد السادات موضحا جوهر الاتفاق الحقيقى ، مشيرا الى ان بعض ما فيه « هو أن الجيش المصرى سيكون خاضعا لاشراف بعثة عسكرية أمريكية تتولى التدريب وتتولى التنسيق وبذل النصيحة والمساعدة في وضع الخطط » (٢) .

أما المحاولة الثانية ، فقد جاءت هي الأخرى — كما يقول السادات — « مقترنة بطلب لمصر لاستثمار رؤوس أموال أمريكية بها » (٣) ، وكان شرط مصر الوحيد في ذلك هو أن تخضع رؤوس الأموال الأمريكية للقوانين التى يخضع لها رأس المال المصرى . أما شرط أمريكا للموافقة على ذلك فهو ان توقع مصر اتفاقية اقتصادية معها ، وبالفعل فقد بعثت أمريكا « اتفاقية مطبوعة بالاسلوب نفسه الذى جاءت به اتفاقية الأمن المتبادل ، أى بطريقة

(١) مجلة التحرير : ٤ يونيه ١٩٥٧ — مقال بعنوان « مذكرات أنور السادات » .

(٢) نفس المصدر .

(٣) يقول أنور السادات انه بعد أن امتنعت بريطانيا عن شراء القطن في الأيام الأولى للثورة (ديسمبر ١٩٥٢) بهدف حرمان الخزينة المصرية من المصدر الأساسى للعملة الأجنبية جرت دراسات اقتصادية انتهت الى ضرورة توافر رأس المال الأجنبى لاستثماره في قيام صناعات توفر للبلاد حاجتها وتستوعب العمال وتوفر الرخاء ، وفكروا في الاستعانة بأمريكا في هذا الصدد : راجع مجلة التحرير ١٨ يونيه ١٩٥٧ — مقال بعنوان « مذكرات أنور السادات » .

مشوقة مغرية « (١) . فكيف كانت نظرة السادات وكيف كان تقييمه لهاتين المحاولتين ؟

لقد ربط أنور السادات بين اتفاقية الأمن المتبادل ، وما جاء بها من محاولة لاختضاع الجيش المصرى لأشراف بعثة عسكرية ، وبين البعثة العسكرية البريطانية التى سيطرت على الجيش المصرى حتى عام ١٩٤٧ ، فهو يرى أن البعثة العسكرية البريطانية كانت أخطر نكبة حلت بالجيش المصرى « لأن أفراد هذه البعثة كانوا يمنعون السلاح عمدا عن الجيش المصرى » وكانوا « يتجسسون على الضباط المصريين لحساب بريطانيا ، بل إن الأسلحة التى كان يشتريها أفراد هذه البعثة لحساب الجيش المصرى على أنها أسلحة جديدة ، كانت فى الواقع أسلحة مستعملة فرغ الجيش البريطانى من التمرن عليها » . (٢) وعلى هذا الأساس يرى السادات فى اتفاقية الأمن المتبادل أنها ليست إلا « استعمارا جديدا اتكى واشد مما عانىناه على يد بريطانيا » (٣) ، وكانت هذه هى المرة الأولى التى يستخدم فيها أنور السادات لفظ الاستعمار الجديد على هذا النحو .

أما اتفاقية رأس المال ، فأنور السادات يرى أنها « كشفت عن وجه أمريكا » . وذلك لأن هذه الاتفاقية كانت تنص على أن رأس المال الأمريكى الخاص الذى يأتى الى مصر « تضمنه الحكومة الأمريكية لصاحبه نظير فائدة معلومة بينها وبينه » . ومعنى هذا عند أنور السادات هو أن « يصبح رأس المال التجارى البرىء ملكا للحكومة الأمريكية والسياسة الأمريكية ويحميه الأسطول السادس الأمريكى إذا كان فى الشرق الأوسط ، أو السابغ إذا كان فى الشرق الأقصى » . وعلى هذا الأساس رأى أنور السادات فى هذه الاتفاقية ، هى الأخرى أنها ليست إلا « استعمارا أخبث وأبشع من كل ما عرفه العالم طوال القرون الماضية على يد حلفاء أمريكا » (٤) .

وبرغم أن هاتين التجريبتين كانتا كافيتين لاقتناع أمريكا بموقف النظام

(١) مجلة التحرير : ١٨ يونيه ١٩٥٧ — مقال بعنوان « مذكرات أنور السادات » .

(٢) مجلة التحرير : ٤ يونيه ١٩٥٧ — مقال بعنوان « مذكرات أنور السادات » .

(٣) مجلة التحرير : ٤ يونيه ١٩٥٧ — مقال بعنوان « مذكرات أنور السادات » .

(٤) مجلة التحرير : ٢٨ يونيه ١٩٥٧ — مقال بعنوان « مذكرات أنور السادات » .

الجديد في مصر من قضية الأحلاف ، إلا أن أمريكا لم تكف عن المحاولة . وجاء دالاس وزير الخارجية الأمريكي لأول مرة الى مصر في ١١ مايو ١٩٥٣ — أي بعد فشل المفاوضات الأولى بين مصر وبريطانيا بأسبوع واحد — ليعرض على مصر ضرورة الانضمام الى حلف أو منظمة « للدفاع عن الشرق الأوسط ، معربا مرة أخرى عن خشية حكومته من تسلل النفوذ الشيوعي الى الشرق الأوسط ، عارضا لفكرة (الحزام الشمالي) الذي تسعى بلاده الى إقامته لتطويق الاتحاد السوفيتي » (١) . ولقد فهم دالاس من إجابة عبد الناصر على هذا الموضوع — وكان عبد الناصر قد ذكر أنه « لا يمكن البحث في هذا الأمر قبل أن يجلو البريطانيون عن منطقة القناة » (٢) — فهم دالاس من ذلك إمكانية إقناع مصر ، بالانضمام الى الأحلاف بعد جلاء البريطانيين عن القاعدة . ولكن ذلك لم يكن صحيحا ، إذ لم يكن معنى هذا الرد أن مصر يمكن أن ترتبط بأحلاف في المستقبل ، بقدر ما كان يعنى ضرورة الانتهاء من مشكلة الجلاء قبل كل شيء حتى يمكن للقائمين بالحكم تحديد موقفهم في ظل الاستقلال التام . وهذا ما يوضحه أثور السادات في إحدى مقالاته من أن مصر « لن ترتبط بحلف عسكري أو غير عسكري إلا إذا نالت حريتها الكاملة واستقلالها الخاص ، وبعد ذلك إذا نالت حريتها لا مائع من أن نبحث كل حلف يعرض علينا ، فإذا رأينا أنه يحقق مصلحة مؤكدة لمصر أبرمناه ، وإذا رأينا أنه وسيلة لاستغلالنا أو لاتخاذنا مخربا لأي قط رفضناه » . ثم يستطرد السادات قائلا : « ونحن لا نرفض التحالف عن تعنت وعدم تدبير ، بل نرفضه لأن كل تحالف يعقد وأرض بلادنا محتلة يصبح تعاقدنا بين قوى وضعيف أو بين غاصب ومغصوب ، فنحن لا يمكن أن نهد يدا الى انجلترا أو الى أمريكا إلا إذا خلت بلادنا خلوا تماما من كل أثر من آثار الاحتلال ، ليكون تحالفنا تحالف الند الحر مع الند الحر » (٣) .

ويشير السادات بذلك الى أن مصر تحدد بإرادتها الحرة تماما شكل

(١) عبد الرحمن الرافعي : ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ . (تاريخنا القومي في سبع سنوات ١٩٥٢ — ١٩٥٩) — مكتبة النهضة المصرية — القاهرة — ١٩٥٩ ، ص ٢٠١

(٢) محمد حسين هيكل : عبد الناصر والعالم — دار النهار للنشر — بيروت ، ١٩٧٢ ص ٦٧

(٣) مجلة التحرير : ١٥ أبريل ١٩٥٤ — مقال بعنوان « سنعلم انجلترا كيف تياس » .

والإصرار على اتخاذ موقف الحياد ، إنما كان له دوافعه وأسبابه الرئيسية ، ذلك لأن التجارب السابقة لمصر مع الأحلاف الأجنبية كان واضحا أنها ماثلة في ذهن مجموعة الضباط . فإذا كان مشروع صدقى — بيفن قد كشف عن موقف الشعب المصرى من مبدأ الأحلاف واتفاقات الأمن الإقليمية عام ١٩٤٦ (١) ، فإن أنور السادات يشير في كتاباته الى ذلك ، ضاربا المثل بموقف الشعب المصرى في ذلك الوقت. ورفضه لهذا الاتفاق ، بل وبنفس الموقف للشعوب العربية الأخرى ، مرجعا هذا الرفض الى وعيها لطبيعة هذه الأحلاف . فهو يقول « انه وعى الشعوب العربية التى وقفت في وجه الأحلاف منذ أطلت بشبحها عليهم ، ثم خاضت معارك عديدة في سبيل تحطيمها ، وموقف الشعب المصرى من مشروع (صدقى — بيفن) الذى نص على الدفاع المشترك .. أقول ان موقف الشعب المصرى من ذلك المشروع كان صادقا وحاسما ، فلم توقعه حكومة صدقى خوفا من ثورة الشعب المصرى وهو كان قد تحرك فعلا ليثور في ذلك الوقت . وفي العراق وقف الشعب العراقى الباسل نفس الموقف من اتفاقية (جير — بيفن) فلم تتم المساومة . وفي كل بلد عربى كان الشعب يلعن الأحلاف ويهتف من أعماقه بسقوطها ، ويسقوط كل حكومة تتحرك لتوقع حلفا عسكريا . وفي لبنان وسوريا والعراق وقفت الشعوب العربية بكل عواطفها مع شعب مصر أيام مخنة صدقى — بيفن » (٢) .

وبنفس القدر كان واضحا تأثير إلغاء معاهدة ١٩٣٦ ، وما صاحب ذلك من انتفاضة شعبية ، كان من نتائجها رفض حكومة الوفد لمشروع الدول الأربع « للدفاع المشترك » ، وهو المشروع الذى قدم لمصر بعد خمسة أيام فقط من إلغاء المعاهدة (٣) . فقد كان معنى ذلك كما هو واضح في كتابات أنور السادات « أن الشعب المصرى يرفض — كمبدأ — الدخول في الأحلاف أيا كانت » ، « لأن التعاقد بين طرفين غير متكافئين معناه سيطرة الطرف الأقوى على الطرف الضعيف وإملاء الأوامر عليه ، أو بمعنى

(١) طارق البشرى : الحركة السياسية في مصر ١٩٤٥ — ١٩٥٢ — الهيئة المصرية العامة للكتاب — القاهرة — ١٩٧٢ — ص ٢٥٨

(٢) الجمهورية : ٢ فبراير ١٩٥٥ — مقال بعنوان « مهزلة المهازل في الشرق الأوسط » .

(٣) Campbell (John) : Defence of the Middle East. (٢)

pp. 45, 46.

آخر فرض الطرف القوي السيطرة على الطرف الضعيف وإملاء الأوامر عليه ، والتصرف في مصيره ، وهو ما يسمى بالاستعمار « (١) . وعلى ذلك فقد أصبح مبدأ عدم الارتباط بأية أحلاف عسكرية « يقينا وعقيدة منذ أعلنت حكومة الوفد ذلك » (٢) .

ومن ناحية أخرى ، فإن التهديد العسكري السوفيتي أو انتشار الشيوعية — وهو الخطر الذي كان شعاعا تختفى وراءه رغبة أمريكا في ضم مصر إلى الأحلاف — لم يكن مثل هذا الخطر يمثل شيئا محسوسا بالنسبة للنظام في مصر أو في غيرها من الدول العربية (٣) ، ومن ثم فلم يكن بالسبب المقنع الذي يجعل حكومة الثورة تقبل مبدأ الانضمام إلى الأحلاف ، وهي التي كان يهمها بالدرجة الأولى أن تحقق للبلاد استقلالاً كاملاً ، لأنه كما يقول السادات : كانت تلك هي « السياسة التي يؤمن بها شعب مصر حتى من قبل الثورة » (٤) .

نهجت ثورة ٢٣ يوليو منهج الحياد في سياستها دون أن تفقد الأمل في التعاون مع أمريكا ، وبالرغم من المعاني التي خرجت بها من اتفاقيتي الأمن المتبادل ورأس المال . ذلك أنها رأت أن ردها برفض الاتفاقيتين قد يكون فيه الكفاية لاقناع أمريكا بموقف مصر النهائي من قضية الأحلاف كما ذكر السادات (٥) ، وعلى هذا الأساس استمرت في محاولاتها لشراء السلاح من أمريكا . وفي نفس الوقت أبدت استعدادها لبدء صفحة جديدة من العلاقات الطيبة بينها وبين بريطانيا بعد توقيع اتفاقية الجلاء في أكتوبر ١٩٥٤ .

غير أن هذا الأمل في كل من أمريكا وبريطانيا ، وفي أن تحترما سياسة الحياد التي انتهجتها الثورة ، سرعان ما تبدد عندما تكشف لحكومة الثورة — كما يقول أنور السادات — وجود محاولات تجسري « لفرض الأحلاف

(١) مجلة التحرير : ٦ أغسطس ١٩٥٧ — مقال بعنوان « مذكرات أنور السادات » .

(٢) محمد نجيب : كلمتي للتاريخ (مذكرات) — بدون اسم الناشر وبدون تاريخ — ص ٩٠ .

(٣) Campbell (John) : Defence of the Middle East. P. 46.

(٤) مجلة التحرير : ٣٠ يوليو ١٩٥٧ — مقال بعنوان « مذكرات أنور السادات » .

(٥) مجلة التحرير : ٩ يوليو ١٩٥٧ — مقال لأنور السادات بعنوان « مذكرات أنور السادات » .

فرضا عن طريق التآمر من خلف الظهر « (١) ، فبدأت بذلك مرحلة جديدة من العلاقات بين مصر وأمريكا يرى أنور السادات أنها كانت « مرحلة ظهور النوايا » (٢) .

وقد بدأت هذه المرحلة عندما تبين أن حكومتى الولايات المتحدة وبريطانيا — وفي الوقت الذى كانت المفاوضات المصرية البريطانية لا تزال جارية — كانتا تتباحثان في هذه الفترة ذاتها مع نوري السعيد رئيس وزراء العراق لإقامة حلف من أحلاف الحرب الباردة (٣) . وكان طبيعيا أن يرسو الاختيار على العراق لإقامة مثل هذا الحلف نظرا لأهميتها الاستراتيجية بالنسبة « للحزام الشمالى » الممتد على طول حدود الاتحاد السوفيتى الجنوبية من تركيا غربا الى باكستان شرقا (٤) ، والذى كانت أمريكا تحرص حرصا بالغا على إقامته لتطويق الاتحاد السوفيتى ، ومن ناحية أخرى لأن إقامة هذا الحلف مع بغداد بدت ممكنة في ظل وجود حكومة نوري السعيد التى كانت تحبذ إقامة العلاقات الودية مع تركيا وبريطانيا والولايات المتحدة (٥) .

كانت هذه المباحثات التى دارت بين كل من أمريكا وبريطانيا من ناحية وبين نوري السعيد من ناحية أخرى ، تعنى في رأى أنور السادات أن « أمريكا وبريطانيا قد دبرتا فيما بينهما أمرا » ، وأن الحديث بين أمريكا والثورة طوال الفترة الماضية لم يكن « إلا من باب المطاولة والتضليل حتى يتم طبخ المؤامرة لكى تظهر على الملأ (٦) . وظهرت المؤامرة على الملأ بالفعل ، وبصورة علنية ، في ١٢ يناير عام ١٩٥٥ عندما أعلن رسميا عقد ميثاق بين العراق وتركيا (تم توقيعه يوم ٢٤ فبراير من نفس العام) ،

(١) مجلة التحرير : ٣٠ يوليو ١٩٥٧ — مقال بعنوان « مذكرات أنور السادات » .

(٢) مجلة التحرير : ٦ أغسطس ١٩٥٧ — مقال بعنوان « مذكرات أنور السادات » .

(٣) أرسكين تشيلدرز : الطريق الى السويس — تعريب خيرى حماد — الدار القومية للطباعة والنشر — القاهرة ١٩٦٢ — ص ٤٠ .

(٤) محمد أنيس والسيد رجب حراز : ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ وأصولها التاريخية — مكتبة النهضة العربية — القاهرة — ١٩٦٥ — ص ٤٢٧ ، ٤٢٨ .

(٥) Fisher (Sydney Nelton) : The Middle East —
A History, Routledge Kegan Paul, London, 1960. P. 588.

(٦) مجلة التحرير : ٣٠ يوليو ١٩٥٧ — مقال بعنوان « مذكرات أنور السادات » .

والذى أصبح يعرف بعد ذلك بحلف بغداد بعد أن انضمت إليه بريطانيا في ٤ أبريل ١٩٥٥ ثم باكستان وإيران بعد ذلك . وبرغم أن الولايات المتحدة الأمريكية لم تعلن انضمامها الى هذا الحلف ، إلا أنها سرعان ما أرسلت البعثات العسكرية الى المنطقة وقدمت المساعدات العسكرية للدول الاعضاء ، ثم ارتبطت رسميا بلجان الميثاق الاقتصادية و (لجنة مقاومة النشاط الهدام) ، ثم الى اللجنة العسكرية بعد ذلك عام ١٩٥٧ « (١) » .

ولم تكن الحجج والمبررات التى أعلنتها حكومة العراق فى ارتباطها بهذا الحلف ، وفى دعوتها للانضمام إليه ، مما يمكن به إقناع حكومة الثورة . وكانت هذه الحجج تتركز بشكل رئيسى فى نقطتين :

الأولى : انه لا سبيل للعرب إلا بالتعاون مع الغرب ، وأن أول خطوة لذلك هى التحالف مع بريطانيا وأمريكا للحصول على الأسلحة .

الثانية : أن التحالف مع أمريكا وبريطانيا يضمن الحماية للبلاد العربية من الخطر الشيوعى والغزو السوفيتى (٢) .

ويتصدى أنور السادات لتفنيد هاتين الحججتين ، غيرى أن الاقتناع بالنقطة الأولى هو « دليل فعلى للفهم الخاطيء للموقف فى هذه المنطقة ، ذلك أن « الغرب إذا ما حقق هدفه عندما توقع الدول العربية حلف الشرق الأوسط ، سوف يبدأ فى انتهاج سياسة مع العرب ، ونفس السياسة سيتبعها مع إسرائيل فهى أيضا حليفة له . فمثلا إذا أعطى الغرب لإسرائيل مدفعا فسيعطى العرب جميعا — أى الخمسين مليوناً — مدفعا واحدا من نفس النوع ، وإذا سمح الأجنبى الذى ارتبطنا به — مثلا — لنا نحن العرب بطائرة فسيعطى إسرائيل نفس الطائرة ، أى أن الأجنبى الذى يعمل بعض سياسة العرب على الارتباط به سوف يضعنا نحن العرب جميعا فى كفة ويضع إسرائيل فى الكفة الأخرى » (٣) .

(١) عبد الرحمن الرافعى : ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ (تاريخنا القومى فى سبع سنوات — ١٩٥٢ — ١٩٥٩) — مكتبة النهضة المصرية — القاهرة — ١٩٥٩ — ص ١٤٠ ، وفؤاد دواره : احلاف العدوان الأمريكية — المؤسسة العامة للتأليف والنشر — القاهرة — ١٩٦٧ — ص ١٣

(٢) مجلة التحرير : ٣٠ يوليو ١٩٥٧ — مقال بعنوان « مذكرات أنور السادات » .

(٣) جريدة الجمهورية : ٢ فبراير ١٩٥٥ ، مقال بعنوان « مهزلة المهازل فى الشرق الأوسط » — من سلسلة مقالات بعنوان « الى أين يا رجال العرب » .

أما بالنسبة للحجة الثانية ، فمبرر بطلانها عند أنور السادات هو أن « العدو الحقيقي لهذه المنطقة ليس هو الذى يعيش على بعد آلاف الأميال ، وإنما هو إسرائيل التى تقبّع فى قلب الأمة العربية وفى قلب الشرق الأوسط » (١) .

وبذلك فإن مثل هذا الحلف لا يمكن أن يحقق « السلام والأمن » لدول المنطقة ، ومهما نص فى ميثاقه على ذلك (٢) بل هو فى نظر أنور السادات « يعجل بالحرب التى لا ناقة لنا فيها ولا جمل » ، ذلك أنه يرى أن السلام لا يمكن أن يتحقق « إلا إذا كانت كل دولة صغيرة تملك مقدراتها ويتحكم أبناؤها فى مصيرها ، ويقود جيوشها هؤلاء الأبناء لا القادة الأوروبيون الذين ما جاءوا الى الشرق إلا كمستعمرين ومستغلين وباطشين » (٣) .

وإذا كان أنور السادات بذلك قد أسقط عن هذا الحلف مبررات قيامه التى استندت إليها حكومة العراق ، والتى لم تقدمها لتبرير موقفها فقط ، بل لدعوة البلاد العربية الأخرى لأن تحذو حذوها فى الانضمام إليه (٤) فإنه يوضح إصرار الدول الكبرى وسعيها لربط البلاد العربية بمثل هذه الأحلاف ، بأنه « ليس من أجل سواد عيوننا وسحرها » ، وليس من أجل الدفاع عن مصالحنا كذلك ، بل تسعى الى ربطنا بتلك الأحلاف الملعونة لكي تستعمرنا بشكل جديد » (٥) .

الأحلاف إذن هى « الشكل الجديد » للاستعمار — كما يوضح أنور السادات — وفى رأيه أنه ليس هناك أدنى فارق بين هذا الاستعمار فى شكله الجديد أو فى شكل من أشكاله القديمة ، ذلك لأن المعنى واحد

(١) مجلة التحرير : ٣٠ يوليو ١٩٥٧ — مقال بعنوان « مذكرات أنور السادات » .

(٢) جاء فى نص المادة الخامسة من الميثاق أنه مفتوح أمام أية دولة « يهمها أمر السلام والأمن فى هذه المنطقة بصورة فعالة » . راجع : فؤاد دواره : أحلاف العدوان الأمريكية — المؤسسة العامة للتأليف والنشر — القاهرة — ١٩٦٧ — ص ٥٤

(٣) مجلة التحرير : ٩ أغسطس ١٩٥٥ — مقال بعنوان « لا حرب فلماذا تبقون على الأحلاف » ؟

(٤) محمد حسنين هيكل : نحن وأمريكا — دار العصر الحديث — القاهرة — ١٩٦٧ — ص ٩٢

(٥) مجلة التحرير : ٩ أغسطس ١٩٥٥ — مقال بعنوان « لا حرب فلماذا تبقون على الأحلاف » ؟

في كل الحالات وهو « السيطرة » ومهما كان الشكل او كان الأسلوب .
ومن هذا المنطلق يحدد أنور السادات حقيقة الهدف من حلف بغداد
فيقول انه إذا كانت قد وضحت « نيات أصحاب هذا الحلف من أول يوم
عندما أعلنوا صراحة تصميمهم على جر الدول العربية كلها الى عربته »
فذلك لأن هدفهم هو « السيطرة الاستعمارية وليس الدفاع عن الخطر
الوهمي » (١) .

ويرى أنور السادات أن مثل هذه السيطرة بهذا الأسلوب الجديد
الذي تمثل في حلف بغداد ، كانت تستهدف بالضرورة تحقيق أغراض محددة .
فألى جانب أنها تؤكد النفوذ الغربى وتحقق السيادة الكاملة لهذا النفوذ
في المنطقة ، وذلك لأن هذا الحلف في رايه « عون ضخم للنفوذ الأجنبى
في الشرق الأوسط » (٢) ، فإنها في نفس الوقت، كفيلة بأن تمزق وحدة الصف
العربى وتعمل على تفرقة كلمته والحيلولة دون وحدته ، وذلك ما يشير
إليه أنور السادات عندما يقول « ان الغرب بإقامته لمثل هذا الحلف يكون
قد نجح في دق أول مسمار في كيان الأمة العربية » ، ثم تتوالى بعد ذلك
المسامير . وهنا يتحقق للغرب هدفه باختيارنا وعن طواعية وكرم حاتمى
جدا ، ويكون الحلف الذى رفضته مصر وأصرت على رفضه حكومة وشعبا
.. أقول يكون هذا الحلف قد حاز القبول لدى دولة عربية فيها قوات
محتلة ، أى فيها خطر قائم فعلا داخل الحدود وليس وراء الحدود ،
وفي هذه الحالة تعزل الدول العربية التى ارتبطت بميثاق جامعتهما عن
شقيقاتها الواحدة وراء الأخرى ، فينهار البناء الذى تريد مصر أن تجعل منه
قوة فعالة ظاهرة لها قيمتها وكيانها الموحد ، وهذا البناء الذى لا يريده
الغرب أن ينهض هو ميثاق الضمان الجماعى » (٣) . وعلى ذلك يرى
السادات أن سياسة بغداد « وغير بغداد » بقبولهم لهذا الحلف ، فإنهم
لا يسيئون الى الأمة العربية فقط ، بل « ويحدثون انشقاقا مروعا يهدد
تلك الوحدة المقدسة التى لم يصنعها البشر في هذا العالم العربى ، بل
صنعها الله سبحانه وتعالى منذ وجدت شعوب هذه المنطقة » (٤) .

(١) مجلة التحرير : ٦ أغسطس ١٩٥٧ — مقال بعنوان « ملكرات أنور السادات » .

(٢) الجمهورية : ٢ فبراير ١٩٥٥ — مقال بعنوان « مهزلة المهازل في الشرق الأوسط » .

(٣) الجمهورية : ٢ فبراير ١٩٥٥ — مقال بعنوان « مهزلة المهازل في الشرق الأوسط » .

(٤) مجلة التحرير : ٩ أغسطس ١٩٥٥ — مقال بعنوان « لا حرب فلماذا تبقون على

وإذا كان جمال عبد الناصر قد أشار الى نفس هذا الموضوع في خطاب له يوم ٢٠ مارس ١٩٥٨ بقوله : ان حلف بغداد « معناه أننا داخل مناطق النفوذ البريطانية ، ومعناه إضافة استعمار جديد تحت اسم جديد في الوقت الذي كنا ننادى فيه بالتخلص من الارتباطات القديمة » (١) ويكون بذلك قد عبر عن أهداف الحلف على نفس النحو الذي ذكره السادات ، فان كثيرا من الباحثين أيضا يتفقون في الرأي مع أنور السادات في ان نجاح الغرب في إقامة حلف بغداد كان خليقا بأن يقسم الصف العربي ويعرقل عملية الوحدة ، بل يقضى على فكرتها أساسا (٢) .

أما الهدف الثالث الذي يرى أنور السادات ان حلف بغداد يرمى الى تحقيقه ، فهو ان هذا الحلف « يخدم بالدرجة الأولى اسرائيل » (٣) ، غالى جانب أنه سيحول « أنظار العرب عنها بوصفها العدو والخطر الحقيقي في المنطقة الى العدو الوهمي ، وهو روسيا التي تقع على بعد آلاف الأميال من المنطقة » (٤) ، فإنه في نفس الوقت يحقق اعترافا ضمنيا من الدول العربية باسرائيل في حالة انضمام هذه الدول العربية الى الحلف . ويشرح أنور السادات ذلك بأن « صانعي هذا الحلف هم الذين صنعوا اسرائيل ، وهم الانجليز والأمريكان . واسرائيل يقولون عنها انها وجدت لتبقى ، أي أنها في نظرهم دولة من دول الشرق الأوسط الذين يدعون ان هذا الحلف وجد لخدمة أغراض السلام فيه والدفاع عنه . فقبول الدخول في هذا الحلف اعتراف كامل باسرائيل ، خاصة وأن الذين صمموا هذا الحلف جعلوا العدو الوحيد الذي يشكل الخطر على المنطقة هو روسيا » (٥) .

بعد أن يحدد أنور السادات أهداف حلف بغداد على هذا النحو السابق ويرى فيها تأكيدا للنفوذ الغربي في المنطقة ، وتفتيتا لوحدة الصف العربي

(١) راشد البراوي : من حلف بغداد الى الحلف الاسلامي — مكتبة النهضة المصرية — القاهرة — ١٩٦٦ — ص ٢٥٦

(٢) نفس المصدر — ص ٥٥ ، ٥٦ — والترلاكور : الاتحاد السوفيتي والشرق الأوسط تعريب مجموعة من الأسانذة — المكتب التجاري للطبع والتوزيع والنشر — بيروت — ١٩٥٩ — ص ٢٤٢ ، وعبد الرحمن الرافعي ، ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ — مصدر سابق — ص ١٤٠

(٣) مجلة التحرير : ٦ أغسطس ١٩٥٧ — مقال بعنوان « مذكرات أنور السادات » .

(٤) نفس المصدر .

(٥) نفس المصدر .

واعترافا بإسرائيل ، فإنه يصل من هذه الأهداف الى النتائج الأساسية التي لابد وأن تترتب على قيام هذا الحلف واستمرار وجوده في قلب الأمة العربية ، وهي نتائج في رأى السادات لا يقف تأثيرها عند حدود بلد عربي دون الآخر ، ولا تقتصر على الحكومات والأنظمة السياسية فقط ، بل هي ترتبط ارتباطا مباشرا بمستقبل الشعوب العربية ومصائرها وفي كافة المجالات الاقتصادية والاجتماعية وسياسية ، وهذه النتائج تعنى من وجهة نظر انور السادات أنها « الفناء والضياع للعرب » . ولهذا نجده عندما يكتب عن هذه النتائج مشيرا الى المصير الذى ينتظر الأمة العربية انما يتوجه الى « رجال العرب » و « سياسة العرب » فيما يشبه « النداء » الذى يحذر من هذا المصير .. فيقول انور السادات :

« فانظروا إذن يا رجال العرب .. ويا سياسة هذا الشرق الأوسط النهائية التى تريدون أن تضعوها لشعوبكم .. انظروا كيف أنكم تسلمون مصائر هذه الشعوب لجلاديكُم ، انكم تجعلون من إسرائيل ندا لكم في هذا الشرق الأوسط ، وإسرائيل هى عدوتكم الاولى هنا في الشرق الأوسط ، انكم تحكمون بالاعدام على القومية ، انكم تدوسون مقدساتكم بالنعال ، انكم تتاجرون بمصائر الملايين المشردة في الشرق الأوسط والملايين التى ستشرد فيما بعد عندما يصبح حلف الشرق الأوسط حقيقة واقعة ، وعندما لا يصبح لكم كيان عربي ، وعندما تنفتت الوحدة العربية ويدفن ميثاق الضمان الجماهيري في قبور بغداد .. فسلام على موتاكم في فلسطين ، و سلام على شعوبكم المريضة الجاهلة العارية ، و سلام على المستقبل كله .. فليس بعد حلف الشرق الأوسط المطلوب سوى الضياع والفناء للعرب ، وليس لكم طبعاً فأنتم لستم عرباً إذا قررتم توقيع الحلف » (١) .

ولكن انور السادات لا يكتفى بمجرد وضع النتائج على هذا النحو محذرا سياسة العرب وسياسة الشرق الأوسط من المصير الذى ينتظر العرب جميعا من جراء توقيع هذا الحلف أو الانضمام إليه .. ولم يكتف كذلك بأن يلوح لهم بخيانتهم لوتانا في فلسطين ، وخيانة القضية العربية كلها ، بل يتجاوز ذلك الموقف الذى هو مجرد التحذير والتلويح بالخطر والانتهاك بالخيانة الى الدعوة لاتخاذ المواقف الايجابية لدرء هذا الخطر والوقوف

(١) الجمهورية : ٢ فبراير ١٩٥٥ — مقال بعنوان « مهزلة المهازل في الشرق الأوسط » .

ضد هذا الحلف ، فيقول انه « لا يصح أن نسمح لشعوبنا وحكومات للذين يعملون على هدم امتنا العربية ، وتفكيك وحدتها ، بارتكاب هذا الوزر العظيم . ولنستفد بما يجرى الآن في العالم داخل المنظمات والتكتلات الدولية » (١) .

وقد كانت مصر هي أول الدول العربية التي بادرت للحيلولة دون قيام حلف بغداد في أول الأمر (٢) . أما وبعد أن أقيم الحلف بالفعل فلم يكن أمامها إلا أن تعمل على تحطيمه بثتى الوسائل والطرق ، فوضعت خططها لذلك ، مستهدفة تحقيق غرضين رئيسيين :

(١) نفس المصدر .

(٢) كانت مصر — منذ أن علمت باتجاه العراق لتوقيع حلف مع الدول الغربية — قد سعت للحيلولة دون ذلك فبعثت بوزير الارشاد القومى آنذاك صلاح سالم الى بغداد لشرح وجهة نظر مصر في هذا الموضوع والرغبة في أن يجرى العمل على توحيد السياسة العربية الخارجية وتحويل الضمان الجماعى العربى الى حقيقة واقعة وتدعيم الجامعة العربية ، وقد اشار نورى السعيد خلال هذا اللقاء الى أنه يحتاج الى مساعدة لمقاومة الشيوعية التى تهدد العراق (أحمد خيروشى : قصة ثورة ٢٣ يوليو — الجزء الثانى — مصدر سابق — ص ١٢٤) — ثم دعت مصر الى اجتماع اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية وعقد وزراء الخارجية العرب تسع جلسات اتفقوا بعدها على تحديد اطار للسياسة الخارجية للدول العربية من واقع ميثاق الجامعة العربية ومعاهدة الدفاع المشترك والتعاون الاقتصادى بين الدول العربية وميثاق الأمم المتحدة — والأساس فى هذه السياسة الخارجية على هذا النحو هو الاقرار بعدم توقيع ائتلاف مع الغرب . على أن يقوم التعاون مع الدول الغربية على أساسين : (١) حل القضايا العربية حلاً عادلاً (٢) اتاحة القوة اللازمة للبلاد العربية لكى تحافظ على سلامتها وكيانها من أى عدوان بدون أن يكون فى ذلك أى انتقاص من سيادتها . وقد أبدى العراق تحفظاً واحداً على ذلك هو أن يحتفظ لنفسه بحق تعديل المعاهدة العراقية البريطانية على غرار ما فعلته مصر مع بريطانيا مع اضافة ايران وتركيا كحق لعودة القوات البريطانية الى العراق فى حالة الاعتداء عليها — وقد وافق وزراء الخارجية على هذا التحفظ (الجمهورية ١ فبراير ١٩٥٥) — وإلى جانب هذا الاجراء فقد هدبت مصر بالانسحاب من الضمان الجماعى العربى اذا وقع نورى السعيد حلفه مع عدنان مندريس وأنها ستدعو الى ميثاق جديد ينص على أنه لن تشترك فيه سوى الدول العربية التى لا ترغب فى دخول ائتلاف اجنبية (الجمهورية : ٣ فبراير ١٩٥٥) — وفى ٢١ يناير ١٩٥٥ سافر وفد مكون من بعض السياسيين العرب ومنهم صلاح سالم فى محاولة أخيرة لاقتناع نورى السعيد بالعدول عن الفكرة . ثم بدأت مصر توجه الدعوة الى عدد من المسئولين العرب للحضور والتفاهم حول هذا الامر ، فجاء رئيس وزراء السعودية يوم ١٧ فبراير ١٩٥٥ ، والملك حسين يوم ٢١ فبراير ١٩٥٥ . وكان الملك سعود قد وجه نداء الى الشعوب العربية يدعوها للكفاح فى سبيل وحدة العرب ورفض الدخول فى أى حلف يضر بالامة العربية ، وأعلن عن موقف بلاده فى صف الجامعة العربية — راجع : الجمهورية — ١٢ فبراير ١٩٥٥

أولا : عزل العراق عن الدول العربية الأخرى ، الى أن تمكنه ظروفه السياسية الداخلية من رفض الحلف والعودة الى الصف العربي (١) .

ثانيا : مقاومة كافة الجهود والمحاولات التي تبذلها الدول الغربية وحكومة العراق لضم دول عربية أخرى الى الحلف ، خاصة وأن المادة الخامسة من ميثاقه كانت تنص على أن يكون « هذا الميثاق مفتوحا للانضمام اليه من قبل أية دولة عربية من دول الجامعة العربية وغيرها » (٢) . وبذلت بالفعل محاولات لذلك ، فكتب الملك فيصل ملك العراق الى الملك حسين في الأردن يدعوه للانضمام الى الحلف بحجة أنها يواجهان تحالفا بين جمهوريتي مصر وسوريا ، كما يواجهان أعداءهما في السعودية . وكذلك قام الرئيس التركي جلال بايار بزيارة لعمان بعد اجتماع للحلف وذلك لاقتناع الملك حسين بضرورة الانضمام إليه ، وبذلت بريطانيا نفس المساعي فأوفدت الفيلد مارشال تيلر الى عمان للحصول على موافقة الملك مقابل وعد بأمداده بالسلاح (٣) .

أما الوسائل التي استخدمت لذلك ، فانه الى جانب الحملات الاعلامية المكثفة التي استخدمت فيها كل أجهزة الاعلام ، والتي بدأت بعد أيام قليلة من التوقيع على ميثاق الحلف ، وعلى نحو لم يسبق له مثيل في الوطن العربي ، فان مصر استطاعت كذلك أن تتوصل الى عقد عدد من الاتفاقيات الثنائية أدت في النهاية الى تشكيل محور (القاهرة — سوريا — الرياض) (٤) . ويدلل أنور السادات بذلك على أن « الثورة لم تأس ولم تتراجع ، ولم تقف مكتوفة الأيدي ، بل نادت ببيروت وعمان ودمشق والرياض وصنعاء : هاتوا أيديكم فنحن لها » (٥) . وقد كانت مصر

(١) شهدى عطية الشافعى : تطور الحركة الوطنية المصرية (١٨٨٢ — ١٩٥٦) ، الدار المصرية للكتب — القاهرة — ١٩٥٨ — ص ١٦١

(٢) راشد البراوى : من حلف بغداد الى الحلف الاسلامى — مكتبة النهضة المصرية — القاهرة — ١٩٦٦ — ص ٥٥ ، ٥٦

(٣) محمد حسنين هيكل : عبد الناصر والعالم — دار النهار للنشر — بيروت ، ١٩٧٢ — ص ١٢٢ ، ١٢٣

(٤) كانت مصر قد وقعت اتفاقية للدفاع المشترك مع سوريا يوم ٢٢ أكتوبر ١٩٥٥ واتفاقية أخرى مع المملكة العربية السعودية يوم ٢٦ أكتوبر — الجمهورية ٢٦ ، ٥٥/١٠/٢٧

(٥) مجلة التحرير : ٩ أغسطس ١٩٥٥ — مقال بعنوان « لا حرب — فلماذا تبكون على الأحلاف » .

بهذا المسمى إلى عقد الاتفاقات الثنائية ، انما نحاول خلق نوع من التضامن العربى لا لمجابهة الحلف فقط ، بل للتدليل على أن هذا التضامن العربى هو الذى يمكن أن يحقق للدول العربية أهدافها وليست الأحلاف الغربية بأى حال من الأحوال . ولذا نجد أنور السادات كثيراً ما يشير الى ضرورة التمسك بميثاق الضمان العربى ووضعه موضع التنفيذ أو الفائه إذا كان سيصبح مجرد « حبر على ورق » . وفى ذلك يقول :

« أن كل واحد من الخمسين مليون عربى هنا فى الشرق الاوسط يتساءل مثلى عن سر بقاء الضمان الجماعى حتى الآن على الورق ، ولماذا لا يصبح حقيقة واقعة فى الحال ؟ أو يلغى فى الحال .. فيتحدد بذلك موقف كل حكومة عربية من مصالح شعبها ومن مستقبله » (١) .

وإذا كان هذا الموقف الذى وقفته مصر من حلف بغداد قد حقق الهدف منه بالفعل (٢) ، وإلى الحد الذى طلبت معه بريطانيا وقف الحملات « الدعائية » المصرية مقابل أن تجهد مساعيها لضم دول عربية أخرى إليه (٣) ، وإلى حد أنه لم تنضم بالفعل من الدول العربية أية دولة أخرى غير بغداد ، فقد كان هذا الموقف المناوئ للحلف له أسبابه ودوافعه القوية بالنسبة لها . ويكشف أنور السادات عن هذه الأسباب ، فهى الى جانب موقف حكومة الثورة المبدئى من قضية الأحلاف عامة ، وموقفها من اسرائيل وحرصها على وحدة الصف العربى ، والنظر على « أننا دولة صغيرة توشك أن تتخلص من السيطرة الأجنبية التى عطلت الشعب عن تقدمه .. ونريد أن نبني بلدنا لى لا نظل متخلفين كما تصفنا بريطانيا وأمريكا ، ولا مصلحة لنا فى معاداة أحد فى هذا العالم ، ولا مصلحة لنا أيضاً فى الانحياز الى كتلة دون أخرى من الكتل المتصارعة فى هذا العالم » (٤)

(١) الجمهورية : ٣ فبراير ١٩٥٥ — مقال بعنوان « هل انتم مع شعوب العرب ام مع اسرائيل — من سلسلة مقالات بعنوان « الى أين يا رجال العرب » .

(٢) راشد البراوى : من حلف بغداد الى الحلف الاسلامى — مكتبة النهضة المصرية — القاهرة — ١٩٦٦ — ص ٥٦

(٣) محمد حسنين هيكل : عبد الناصر والعالم — دار النهار للنشر — بيروت ١٩٧٢ — ص ١٢٢ — ١٢٤

(٤) مجلة التحرير : ٦ أغسطس ١٩٥٧ — مقال بعنوان « مذكرات أنور السادات » .

فانه الى جانب ذلك كله كان حلف بغداد في رأى السادات يعنى أن « مصر وشقيقات مصر يواجهون خطرا واحدا » (١). ومصر حين « ترفع صوتها منادية شقيقاتها بالتكتل والتعاون والوقوف جنبا الى جنب لمواجهة ذلك الخطر ، انما تفعل ذلك لأنها حريصة على أن تمنع في هذه المرة المأساة الكبرى التى ظلت تعصف بالعرب منذ اطل عليهم النفوذ الأجنبى » (٢) . ومعنى ذلك أنه كان هناك لدى مصر ما يحفزها لاتخاذ هذا الموقف ، وذلك يتجاوز حدود الاحساس بمجرد مصالحها الخاصة الى الاحساس بأن جزءا من دورها هو « تخليص منطقة الشرق الأوسط من كل نفوذ أجنبى » (٣) .

على أن حكومة الثورة خطت في نفس الوقت خطوة أخرى في سبيل تأكيد سياستها هذه في رفض الأحلاف ومناوأة قيامها ومقاومة النفوذ الاستعماري في المنطقة ، وكان ذلك بمشاركتها — ولأول مرة — في مؤتمر للشعوب الافريقية والآسيوية ، وهو مؤتمر باندونج الذى عقد في الفترة من ١٨ الى ٢٤ أبريل عام ١٩٥٤ (٤) ، وكان هذا المؤتمر الذى هو في رأى أنور السادات « رمزا للتحرر ومقاومة الاستعمار » (٥) واعلانا عن « صيحة مصر الجبارة المخلصة لتصفع اعداء الحرية والاستقلال والحضارة ..

(١) الجمهورية : اول فبراير ١٩٥٥ — مقال بعنوان « صوت مصر قادم من اعماق شعوب العرب — سلسلة مقالات بعنوان الى أين يا رجال العرب » .

(٢) نفس المصدر .

(٣) نفس المصدر .

(٤) ضم هذا المؤتمر ٢٩ دولة من الدول الآسيوية الافريقية هي مصر ، الهند ، الصين الشعبية ، الباكستان بورما ، سيلان ، اندونيسيا ، أفغانستان ، سوريا ، لبنان ، تركيا ، فيتنام الشمالية ، فيتنام الجنوبية ، السودان ، ساحل الذهب ، ليبيريا ، اثيوبيا ، كمبوديا ، لاوس ، نيبال ، تايلاند ، الفلبين ، اليابان ، العراق ، الأردن ، السعودية ، اليمن ، ليبيا ، ايران . وتضم هذه الدول ١٣٠ مليون نسمة أى أكثر من نصف سكان العالم وقد نشأ موقف « الحياد الإيجابى » الذى عقد هذا المؤتمر على أساسه لمواجهة اسراف المعسكرين الشرقى والغربى في التسابق على انشاء الأحلاف العسكرية ، وكضرورة ارتأتها الدول الافريقية الآسيوية المعترف رسميا باستقلالها لدعم السلام العالمى واستقراره ، ومبدأ الحياد الإيجابى هذا تعبير هندى في الأصل يرمز الى موقف معين من الصراع في الحرب الباردة بين المعسكرين الشرقى والغربى ، وهو يعنى من الناحية الموضوعية عدم الانحياز الى أحد المعسكرين وتكوين شخصية مستقلة في المجال الدولى (راجع : أحمد عطية الله — المقاموس السياسى ، ص ١٧٩ ، ١٨٠ وعبد الرحمن الرافعى : ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ص ١٤٤ — ومحمد أنيس والسيد رجب حراز : ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ — ص ٣٠٥ و ٣٠٦) .

(٥) مجلة التحرير : ١٣ أغسطس ١٩٥٧ — مقال بعنوان — مذكرات أنور السادات » .

لتلطم المستعمرين حيث كانوا .. ولتهز الأرض تحت أقدام أعداء التطور في آسيا وفي قارتنا الحبيبة افريقيا» (١). كان هذا المؤتمر بالنسبة لمصر ولغيرها من الدول التي شاركت فيه ، ومن خلال المبادئ التي أرساها ، يعنى بالدرجة الأولى المحافظة على الاستقلال الوطنى سياسيا واقتصاديا وعسكريا ، وإعلانا عن وجود كتلة من الدول المستقلة تتخذ موقف الحياد من الكتلتين المتصارعتين ، وترفض مبدأ الانضمام الى الأحلاف العسكرية (٢). وفي نفس الوقت فانه بالنسبة لمصر ، وإن كانت قد هدفت بمشاركة في هذا المؤتمر الى « كسر طوق الحصار والعزلة الذى تفرضه الدول الغربية على الشرق الأوسط » (٣) ، فانها قد نجحت كذلك في أن تجعل منه تأكيدا لوجهة نظرها في مسألة الدفاع عن الشرق الأوسط القائلة « بأن الدفاع عن المنطقة يجب أن ينبثق من داخلها وعلى هدى من مصالحها الحقيقية » وتنديدا بخلف بغداد العسكرى . وتمكنت من ذلك بأن أصدر المؤتمر قرارا بحق الدول في الدفاع المشترك ، على ألا يخضع هذا الدفاع المشترك لخدمة مصالح دولة أجنبية (٤). أما بالنسبة لكل من بريطانيا وأمريكا — وقد استخدمت كل منهما كافة الوسائل الممكنة لمحاولة اقناع مصر بعدم المشاركة في هذا المؤتمر (٥) — فإن فشلها في ذلك ، ومشاركة مصر في المؤتمر بالفعل ، كان يعنى بالنسبة لهما أن مصر وإن كانت بذلك تسعى لتأكيد شخصيتها المستقلة ، فانها في نفس الوقت قد بدأت في اطراد تحديدها للغرب (٦)، ولم تصبح بمفردها مناوئة لسياسة الأحلاف ، بل أضحت عضوا في كتلة دولية تؤمن بنفس المبادئ والأهداف ، وتنتهج نفس السياسة . ومن هنا فان النظام في مصر أصبح

(١) الجمهورية : ٣ مايو ١٩٥٥ — مقال بعنوان « صيحة البطل » .

(٢) محمد أنيس والسيد رجب حراز : ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ واصولها التاريخية — مكتبة النهضة العربية — القاهرة — ١٩٦٥ — ص ٢٠٨ ، ٢٠٩ .

(٣) ر. ك. كارانجيا : كيف نجح عبد الناصر — تعريب خيرى حماد — دار المعارف — القاهرة — ١٩٦٤ — ص ١٧١ .

(٤) محمد أنيس والسيد رجب حراز : ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ واصولها التاريخية — مكتبة النهضة العربية — القاهرة — ١٩٦٥ — ص ٢٢٥ .

(٥) ر. ك. كارانجيا : كيف نجح عبد الناصر — تعريب خيرى حماد — دار المعارف — القاهرة — ١٩٦٤ — ص ١٧٠ .

(٦) نفس المصدر .

يمثل خطرا واضحا يهدد مصالح الغرب تهديدا مباشرا وعلى مستوى المنطقة كلها ، كما أصبح يهدد أيضا أمن إسرائيل ووجودها ، خاصة وأن مصر كانت قد نجحت بالفعل في الحيلولة دون حضور إسرائيل للمؤتمر^(١) ، وكانت هذه النقطة الأخيرة بالذات — تهديد أمن إسرائيل — كفيلة بأن تثير مخاوف كلا من بريطانيا وأمريكا ، بل وفرنسا أيضا ، لأن هذه الدول الثلاث كانت قد تعهدت « أن تضمن الوضع الراهن بين العرب وإسرائيل ، وهو الوضع الذي أقرته اتفاقيات الهدنة عام ١٩٤٨ ، وقرره البيان الثلاثي الصادر عام ١٩٥٠ »^(٢) .

وإذا كانت حكومة الثورة قد بدأت على ضوء هذا الواقع الجديد تعيد تقدير موقفها تجاه كل من أمريكا وبريطانيا^(٣) ، فإن هذا التقدير قد أدخل في اعتباره في نفس الوقت ، نتائج « حدث آخر كان هو نقطة التحول التاريخية في حياة مصر كدولة مستقلة كاملة السيادة . كان هذا الحدث هو عدوان إسرائيل على غزة في ٢٨ فبراير ١٩٥٥ »^(٤) ، ذلك لأن هذا العدوان قد كشف — كما قال جمال عبد الناصر — عن « أن مشكلة إسرائيل ليست مشكلة داخلية إلى البعد الذي كانت تبدو قبل غارة غزة ، وتبين أننا لا نستطيع أن نمضي في معركة البناء غافلين عن الخطر الذي يهدد ما نبنيه ويهدد وجودنا بأسره ، لأن الطرق والمستشفيات والمدارس والمصانع والمراكز الاجتماعية لا تكفي وحدها لصيانة أمننا وحماية نطاق سلامنا »^(٥) . وإذا كان ذلك يعبر عن شدة احتياج مصر إلى السلاح على نحو لم يعد من الممكن تأجيله أو إرجائه^(٦) ، وإلى حد جعل عبد الناصر يطلب من أمريكا وبشكل محدد كما يقول أنور السادات « طلبين .. أولهما

(١) فؤاد مطر : بصراحة عن عبد الناصر (حوار مع محمد حسنين هيكل) — دار القضايا — بيروت — ١٩٧٥ — ص ٢٦ .

(٢) أرسكين تشيلدرز : الطريق إلى السويس — تعريب خيرى حماد — الدار القومية للطباعة والنشر — القاهرة — ١٩٦٢ — ص ١٤٥ .

(٣) مجلة التحرير : ٦ أغسطس ١٩٥٧ — مقال للسادات بعنوان « مذكرات أنور السادات » .

(٤) نفس المصدر .

(٥) من خطاب لجمال عبد الناصر يوم ١٩٥٧/٧/٢٢ — مجموعة خطب جمال عبد الناصر — الهيئة العامة للاستعلامات — القاهرة — ١٩٥٧ .

(٦) جورج فوشيه : جمال عبد الناصر في طريق الثورة — مصدر سابق ص ٢١٠ .

السلاح .. وثانيهما ما هو حقيقة رأى الحكومة الأمريكية في إمدادنا بالسلاح «^(١) . فان رد أمريكا على ذلك كما يقول السادات أيضا كان « هو المساومة والتسوية على التسليح »^(٢) . وكان معنى ذلك في رأى أنور السادات أن احتكار السلاح على هذا النحو أصبح هو الوسيلة الوحيدة التى أصبحت تضغط بها الدول الغربية لإرغام مصر على الانضمام إلى حلف بغداد ، ذلك لأنه « عن طريق التحكم فى السلاح استطاع الغرب أن يعقد حلفه مع نوري السعيد ، والذي يبرره نوري السعيد الى اليوم بشيء واحد فقط هو انه كان الوسيلة الوحيدة للحصول على السلاح »^(٣) ، وكما يقول السادات أيضا لأن « الدول الغربية حريصة على أن تستبقى فى يدها دون سواها حق احتكار السلاح وبيعه أو إهدائه لمن يستظل برعايتها ويمشى تحت رايتها من الدول الضعيفة أو المستضعفة ، إنهم يعلمون أن احتكار السلاح هو الأثر الباقي من آثار الاستعمار المنقرض والأداة الوحيدة التى خيل إليهم أنها تكفل سيطرتهم على الدول الصغرى غير المنتجة للسلاح ، فهي إذن وسيلة للمساومة على استقلال هذه الدول الصغيرة وسيادتها »^(٤) .

وعلى هذا الأساس ، فقد وجدت ثورة يوليو نفسها أمام عدد من الحقائق الرئيسية ، استخلصتها من واقع الأحداث خلال تلك الفترة ، وبوضحها أنور السادات على النحو التالى :

أولا : ان مصر لن تستطيع الحصول على السلاح من الغرب دون أن ترتبط بحلف من أحلافه . وكما يقول السادات « إما أن ندخل أحلاف أمريكا وبريطانيا ، ونعود مرة أخرى الى ذلك الطوق الاستعماري البغيض فننتلقى الأوامر من جديد ونرسل بأبنائنا الى الحرب كما يريدون ، وإما أن نحرم من السلاح والحماية ، فلا يكون أماننا من سبيل إلا أن نطلب الحماية »^(٥)

(١) الجمهورية : ٢٣ أكتوبر ١٩٥٥ — مقال بعنوان « على حساب مصر » .

(٢) الجمهورية : ٢ نوفمبر ١٩٥٥ — مقال بعنوان « قصة معارك الحدود » .

(٣) الجمهورية : ١٩ أكتوبر ١٩٥٥ — مقال بعنوان « ألا تعتبرون » .

(٤) الجمهورية : ٧ أكتوبر ١٩٥٥ — مقال بعنوان « اصحوا من نومكم أيها الفرسان » .

(٥) مجلة التحرير : ١٣ أغسطس ١٩٥٧ — مقال بعنوان « مذكرات أنور السادات » .

ثانيا : وضوح موقف أمريكا بالنسبة للنظام في مصر ، واكتشاف أن محاولاتها مع الثورة منذ الأيام الأولى « لم يكن إلا ستارا خداعا ، وأن وعودها ببيع السلاح لم تكن إلا محاولة لكسب الوقت حتى تتمكن من تنفيذ مشروعاتها في المنطقة ووضعنا أمام الأمر الواقع ، فلما أن نسلم وإما أن نموت » (١) .

ثالثا : وضوح موقف بريطانيا — وهي التي كانت قد بدأت الثورة معها صفحة جديدة من العلاقات بعد توقيع اتفاقية الجلاء — وبدء هذا الموقف في رأى السادات « أن مفهوم الصداقة عند بريطانيا هو الخضوع لأوامرها والدخول في أحلافها والتسليم لسيطرتها أو تحكمها » (٢) .

رابعا : إدراك أهداف كل من بريطانيا وأمريكا بالنسبة لإسرائيل ، وتتركز في الإصرار على أن يتم الصلح بين العرب وإسرائيل « وضرورة تصفية القضية بينها وبين العرب » (٣) .

معنى ذلك — وكما يقول أنور السادات — أنه « كانت لأمريكا وبريطانيا خطة ، وكان لابد لنا نحن الآخرون من خطة مضادة بعد أن وضحت النوايا سافرة » (٤) . وكانت هذه الخطة هي « أنه لابد من الحصول على السلاح ، فقد كان السلاح هو آخر مظهر من مظاهر التحكم والسيطرة » (٥) ، وبذلك بدأت جولة جديدة لثورة ٢٣ يوليو مع الاستعمار .

(١) مجلة التحرير : ٣٠ يوليو ١٩٥٧ — مقال بعنوان « مذكرات أنور السادات » .

(٢) مجلة التحرير : ٦ أغسطس ١٩٥٧ — مقال بعنوان « مذكرات أنور السادات » .

(٣) نفس المصدر .

(٤) مجلة التحرير : ١٣ أغسطس ١٩٥٧ — مقال بعنوان « مذكرات أنور السادات » .

(٥) نفس المصدر .

الفصل الثانى

الصدام المسلح بين الاستعمار والثورة

عندما أعلنت مصر يوم ٢٧ سبتمبر ١٩٥٥ عن تعاقدتها لشراء السلاح من تشيكوسلوفاكيا ، كان ذلك إيذانا ببدء مرحلة جديدة من الصراع بين الاستعمار وثورة ٢٣ يوليو ، ذلك لأن هذه الخطوة من جانب مصر لم تكن تعنى مجرد الخلاف مع الاستعمار ، وإنما كانت تعنى بداية الصدام ، والذي تطور بعد ذلك — فى سلسلة من الأفعال وردود الأفعال ، ليبلغ حد العدوان المسلح على مصر فى شهر أكتوبر ١٩٥٦ .

ولم يكن سعى مصر للحصول على السلاح من بلاد الكتلة الشرقية والاتفاق على هذه الصفقة أساسا مع الاتحاد السوفيتى^(١) ، إلا لأن ذلك كان هو الطريق الوحيد الممكن أمامها للحصول على ما تريده من سلاح^(٢) ، وبعد أن فقدت الأمل نهائيا فى أن يستجيب الغرب لمطلبها فى شراء الأسلحة . ذلك لأن حكومة الثورة كانت حتى آخر وقت ، وبعد أن أنهت محادثاتها مع تشيكوسلوفاكيا وانتهت إلى إعداد قوائم الأسلحة المطلوبة والاتفاق على أسعارها ، قد أثرت أن تمنح أمريكا الفرصة الأخيرة فى أن تبيعها الأسلحة بدلا من الكتلة الشرقية لأنها كانت تدرك أن مثل هذه الصفقة تعنى صداما مباشرا مع الأمريكان ومع البريطانيين الذين لم تكن قواتهم قد جلت بعد عن منطقة القناة ، ولكن أمريكا « لم تأخذ الأمر مأخذ الجد » كما يقول أنور السادات « وإنما اعتبرت أن كلام مصر هو من قبيل التهويش ، لذلك أهملت الموضوع كلية على أمل أن ينكشف التهويش

(١) كان الاتفاق على صفقة السلاح قد تم أصلا مع الاتحاد السوفيتى ورؤى أن يكون التعاقد بين الحكومة المصرية وحكومة تشيكوسلوفاكيا لأن ذلك قد يقلل من حجم المشكلة أمام الغرب . راجع (أحمد حمروش — ثورة ٢٣ يوليو — مجتمع جمال عبد الناصر) — المؤسسة العربية للدراسات والنشر — بيروت — ١٩٧٥ ، ص ٧٠ .

(٢) محمد حسنين هيكل : العقد النفسى الذى تحكم الشرق الأوسط — الشركة العربية للطباعة والنشر — القاهرة — ١٩٥٨ — ص ٤٣ .

وتعود مصر إلى الحظيرة فتخضع وتركع « (١) . وعلى ذلك لم يكن أمام حكومة الثورة إلا أن تسعى للحصول على السلاح من أى مكان ومن أى بلد بغض النظر عن هويتها السياسية . وكما عبر أنور السادات عن ذلك بقوله « أننا منحالف الشيطان إذا اقتضى الأمر لى تتحقق لبلادنا الحرية الكاملة » (٢) ، غير أن هذا « التحالف مع الشيطان » من أجل تحقيق الحرية كما عبر عنه أنور السادات ، لم يكن يعنى دخول مصر الى أحلاف الكتلة الشرقية ، أو انحيازها الى جانبها ضد الكتلة الغربية ، بل كان تأكيدا لرفض مصر أن تنحاز الى أى من أحلاف الحرب الباردة غربية كانت أو شرقية ، وتصميمها على الحصول على السلاح . وذلك ما يوضحه أنور السادات أيضا بقوله : « ان مصر لا تدخل فى مزايدات ولا مكایدات مع أحد أو ضد أحد ، ولكن الذى يهمها هو أن تحصل على حاجتها التى لا تنكر الى سلاح تدافع به عن نفسها وتشتريه بحر مالها حتى لا تربط نفسها بعجلة الأحلاف العسكرية ، شرقية كانت أو غربية ، وحتى لا تتعرض مرة أخرى لأية سيطرة أجنبية » (٣) .

ولكن الغرب — أمريكا وبريطانيا وفرنسا — لم يكن ليقبل مثل هذه الخطوة من جانب مصر ، ذلك لأن حصول مصر على السلاح عن هذا الطريق وعلى النحو الذى تم الاتفاق عليه (٤) ، من شأنه أن يحطم كل حسابات وخطط الغرب فى المنطقة . فالى جانب أنه يعتبر — فى رأى الغرب — بمثابة قفزة من الدول الشيوعية فوق الحزام الشمالى الذى أعد لمحاصرة الاتحاد السوفيتى (٥) ، ومن شأنها أن تحطم نمط هذه الأحلاف التى عقدت لهذا الغرض ، فإنه فى نفس الوقت قد أثار مخاوف الغرب

(١) مجلة التحرير : ١٢ أغسطس ١٩٥٧ — مقال بعنوان « مذكرات أنور السادات » .

(٢) الجمهورية : ١٢ سبتمبر ١٩٥٥ — خواطر بعنوان « فى الأسبوع مرة » .

(٣) الجمهورية : ٢٨ سبتمبر ١٩٥٥ — مقال بعنوان « التوازن الذى يتحدثون عنه » .

(٤) كان من بين شروط هذه الصفقة للسلاح أن تسلم تشيكوسلوفاكيا قطع الفيار والذخيرة اللازمة للطائرات والدبابات والمدافع على الفور ، وبكميات تكفى لمدة خمس سنوات ، كما كان من بين شروطها أن يكون تسليم الأسلحة فى شحنات ضخمة ، وأن تباع لمصر مصانع لانتاج الذخائر الثقيلة وأن يتم تدريب المصريين على هذه الأسلحة الحديثة فى أوربا الشرقية . راجع أرسكين تشيلدرز : الطريق الى السويس — مصدر سابق — ص ١٥٥

(٥) بول جونسون : حرب السويس — بدون ذكر اسم المترجم — سلسلة اخترنا لك —

العدد ٣٤ — دار المعارف — القاهرة — ١٩٥٧ ص ١٥ ، ١٦

على مواقعه في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا ، إذ أصبح مثل هذا السلاح في يد مصر يمثل تهديدا مباشرا لها ^(١) . ويشير أنور السادات الى موقف الدول الغربية الثلاث من هذه الصفقة ، فيقول ان أمريكا « اعتبرت عقد صفقة الأسلحة المصرية التشيكية هزيمة نكراء للسياسة الأمريكية في الشرق الأوسط . . . وهزيمة أيضا لمشاريع أمريكا في هذه المنطقة ، سواء من ناحية إسرائيل أو من ناحية الأحلاف ، وسياسة الحصار التي تريد ان تطوق بها روسيا » ^(٢) . أما بريطانيا « فقد اعتبرت عقد صفقة الأسلحة المصرية التشيكية — هي الأخرى — هزيمة نكراء للسياسة البريطانية في الشرق الأوسط ، وهزيمة أيضا لمشاريع بريطانيا . وبريطانيا أشد حساسية في هذا الأمر من أمريكا ، باعتبار أنها كانت تعتبر منطقة الشرق الأوسط منطقة نفوذ بريطانية لبريطانيا فيها مصالح حيوية أهمها البترول ، هذا بخلاف إسرائيل وبخلاف عامل آخر أشد وطأة من كل ما سبق وهو احتضار الامبراطورية » ^(٣) . أما بالنسبة لفرنسا ، فيقول السادات انها وإن كانت تشترك مع أمريكا ومع بريطانيا في كل هذه الأسباب ، إلا أن هناك سببا أساسيا آخر في رأي السادات هو مشكلة الجزائر « فقد كانت فرنسا متوترة هي الأخرى من مصر بسبب التأييد الذي تقدمه مصر لثوار الجزائر العرب الذين يحاربون في معركة الاستقلال والحرية ، وكان قائلهم يقول ان معركة الجزائر تحسم في مصر وليس في الجزائر » ^(٤) .

وإذا كانت مواقف الدول الثلاث من صفقة السلاح قد تفاوتت أسبابها في بعض جوانبها ، واتفقت في بعضها الآخر ، فان الذي جمع بينها في نهاية الأمر في رأي السادات هو « الرغبة في السيطرة والتحكم وفرض النفوذ » ^(٥) ، والخوف من أن يطيح السلاح الذي حصلت عليه مصر بهذه السيطرة ، كما « يدخل في نطاق هذا الخوف الذي يؤرق مضاجع الدول

(١) ولترلاكور : الاتحاد السوفيتي والشرق الأوسط — نقله الى العربية مجموعة من

الترجمين — المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر — بيروت ١٩٦٩ — ص ٢٤٩

(٢) مجلة التحرير : ٢٠ أغسطس ١٩٥٧ — مقال بعنوان « مذكرات أنور السادات » .

(٣) مجلة التحرير : ١٣ أغسطس ١٩٥٧ — مقال بعنوان « مذكرات أنور السادات » .

(٤) مجلة التحرير : ٣ سبتمبر ١٩٥٧ — مقال بعنوان « مذكرات أنور السادات » .

(٥) الجمهورية : ١٩ أكتوبر ١٩٥٥ — مقال بعنوان « ألا تعتبرون » .

الغربية أن مصر يجب ألا تسليح جيشها ، ويجب ألا يبلغ جيشها من القوة حدا يزعج إسرائيل والدول الغربية التي خلقت إسرائيل « (١) » .

وعلى هذا الأساس كان رد الفعل من جانب الغرب حيال صفقة السلاح كفيلا بأن يحدث تازما شديدا في العلاقات المصرية الغربية ، وخاصة العلاقات بين مصر وأمريكا التي قامت بجهود مكثفة في البداية لوقف هذه الصفقة ومحاولة إقناع مصر بالعدول عنها ، بل وبلغت هذه الجهود حد التهديد المباشر لمصر إن هي أقدمت على ذلك كما يقول السادات (٢) . وقد تمثلت ردود فعل الغرب في شكل حملات مكثفة من الهجوم على مصر في الصحافة وأجهزة الاعلام الغربية الأخرى وعلى لسان كبار المسؤولين في الدول الثلاث . وبالرغم من أن أنور السادات كان يرى في هذه الحملات أنها كانت « حربا باردة ولكن على شعوبهم وعلى أفكارهم » (٣) ، إلا أنه تصدى للرد على النقاط الرئيسية التي قامت على أساسها هذه الحملات في الهجوم على مصر . فنجدته يرد على دعاوى الغرب أن هذه الصفقة من شأنها أن تخل « بتوازن القوى » في الشرق الأوسط وتفتح الطريق أمام نشوب حرب عالمية . ويفند السادات هذا الادعاء بقوله « هل التوازن الذي يفيد الانجليز والأمريكيين هو أن يوضع المليون إسرائيلي في كفة والخمسون مليون عربي في كفة أخرى ؟ هل التوازن الذي ينشده هو ألا يوضع في أيدي الجيوش التي تحمي حدود البلاد العربية المترامية الأطراف ، والتي تدافع عن خمسين مليون عربي ، أسلحة تزيد على الأسلحة التي يملكها جيش إسرائيل الذي يدافع عن المليون ألق الذين هبطوا كالجراد على جزء من أرض فلسطين ؟ » (٤) . ثم يوضح أنور السادات ما ينبغي أن يكون عليه التوازن حقيقة إذا شاء الغرب ذلك فيقول « إن التوازن كما يجب أن يطبق بصرف النظر جدلا عن وجود

(١) الجمهورية : ٢٩ سبتمبر ١٩٥٥ — مقال بعنوان « قليلا من الحكمة ... وشيئا من المنطق » .

(٢) الجمهورية : ٣٠ سبتمبر ١٩٥٥ — مقال بعنوان « بل قليل من كحل ... أو شيء من الحياء » .

(٣) مجلة التحرير : ٣٠ سبتمبر ١٩٥٧ — مقال بعنوان « مذكرات أنور السادات » .

(٤) الجمهورية : ٢٨ سبتمبر ١٩٥٥ — مقال بعنوان « التوازن الذي يتحدثون عنه » .

اسرائيل الشيطاني ، هو ان تعطى لبنان وحدها مثلاً قدرها من الاسلحة يعادل ما يعطى لاسرائيل ، ما دام تعداد البلدين متقارباً ، وأن تعطى مصر على هذا القياس مثل ما تعطى اسرائيل عشرين او خمسة عشر مرة ، وبهذه النسبة نفسها تسلم الاسلحة لبقية الدول العربية » (١) ثم يكشف السادات عما وراء هذا الادعاء والهدف الحقيقي منه ، وهو أن « أمريكا صراحة تريدك أيها الشعب ان تكون أنت والعرب في ضعف واسرائيل في قوة .. وأمريكا تريدك أيها الشعب خاضعاً لتوجيهات واشنطن والدولار تحت اسم الديمقراطية والعالم الحر .. وأمريكا تصر على ان تضع المليون أفاق الاسرائيلي في كفة والخمسين مليون عربي في الكفة الأخرى » (٢) .

ثم يتصدى أنور السادات أيضاً لما اشاعه الغرب في حملاته كذلك من أن مصر بعقدتها لهذه الصفقة ، وما يتبع ذلك من وجود خبراء من الكتلة الشرقية للإشراف على التدريب الذي يتطلبه هذا السلاح الجديد وقيام بعثات عسكرية لهذا الغرض ، انها تفتح الباب لتسرب السيطرة الشيوعية . فيرد أنور السادات على ذلك بأن « مصر ليست للبيع الى المعسكر الشيوعي ، كما انها ليست للبيع الى المعسكر الغربي ، ايا كانت المفريات ، وايا كانت العلاقات التجارية وغير التجارية بين المعسكرين المتنافسين » (٣) . ثم يصل إلى ما هو أبعد من ذلك فيضرب مثلاً للغرب بموقف مصر من البعثة العسكرية البريطانية في الجيش المصري ، وهو النموذج الذي عرفت منه مصر حقيقة هذه البعثات ودورها فيقول : « إن مخاوفنا نحن ونفورنا نحن من البعثات العسكرية الأجنبية ليست مبنية على نصيحة أحد من الأصدقاء هنا وهناك ، وليست قائمة على بحوث نظرية حول مآسى البعثات العسكرية الأجنبية ، بل هي مبنية على تجربتنا المرة على أيدي البعثات العسكرية البريطانية ، والخبراء والمستشارين العسكريين البريطانيين . وأظن أن في استطاعتنا نحن المصريين عامة ،

(١) نفس المصدر .

(٢) الجمهورية : ٣٠ سبتمبر ١٩٥٥ — مقال بعنوان « بل قليل من خجل أو شيء من

الحياء » .

(٣) الجمهورية : ٢٩ سبتمبر ١٩٥٥ — مقال بعنوان « قليلاً من الحكمة وثيلاً من

المنطق » .

لا المصريين العسكريين وحدهم ، أن نقدم نصائح غالية إلى الآخرين في ضرورة الحذر من البعثات العسكرية والخبراء العسكريين الأجانب من أي جنس ومن أي لون « (١) » .

ولا شك أن أنور السادات في اهتمامه بالرد على دعاوى الغرب ، وحرصه على تنفيذها ، فإن ذلك لم يكن لمحاولة إقناع الغرب بوجهة النظر المصرية في هذه الأمور ، بل كان الهدف منه هو تنوير الرأي العام المصري والعربي أولا بحقيقة هذه الادعاءات والغرض منها ، ولذلك نجده يرد على أحد التعليقات لواحدة من الاذاعات الغربية الموجهة للشعب العربي (٢) كانت تدعو فيه الشعب المصري لرفض « الأسلحة الروسية » لأنها « أسلحة ملحدة » ، محاولة بذلك استغلال العامل الديني ، وهو العامل المؤثر في مصر والوطن العربي . ولذلك نجد السادات في رده على ما جاء في تعليق الإذاعة ، أنها يعتمد في حجته على العامل الديني نفسه ، فتسأل « إذا كانت الأسلحة الروسية ملحدة .. فماذا تكون أسلحة إسرائيل التي شردت مليوناً من اللاجئين بين مسلمين ومسيحيين ، وقتلت النساء والشيوخ والأطفال ؟ وماذا تكون أسلحة فرنسا التي تنشر الموت والدمار في مراكش والجزائر ؟ وماذا تكون أسلحة حلف الاطْلنطى التي تستخدمها فرنسا اليوم ضد الأحرار في شمال إفريقيا ؟ أتكون أسلحة إسرائيل هذه « مؤمنة » وأسلحة فرنسا وحلف الاطْلنطى « مؤمنة » في كل هذه الأحوال وتكون الأسلحة الروسية « ملحدة » لأنها ستخصص لحماية المسلمين المشردين وإخوانهم المسيحيين ؟ » (٣) .

وإذا كانت صفقة السلاح مع الاتحاد السوفيتي هذه قد أدت إلى توتر العلاقات على هذا النحو بين حكومة الثورة من جهة ، وبين الغرب — وفي مقدمته الولايات المتحدة — من جهة أخرى . فقد كان هناك عاملان آخران — وفي إطار صفقة السلاح هذه — ساهما أيضاً بقدر غير قليل في ازدياد حدة هذا التوتر .

(١) الجمهورية : أول أكتوبر ١٩٥٥ — مقال بعنوان (رأى) .

(٢) كانت هذه المحطة هي المعروفة في ذلك الوقت باسم « محطة الشرق الأدنى للإذاعة العربية » وكانت تشرف عليها بريطانيا وتوجهها للدعاية ضد مصر في الوطن العربي .

(٣) الجمهورية ٣٠ سبتمبر ١٩٥٥ — مقال بعنوان (رأى) .

كان العامل الأول هو اعتراف مصر بالصين الشيوعية في ١٦ مايو ١٩٥٦ ، وكان لهذا الاعتراف أسبابه ودوافعه القوية — غير الصداقة القوية التي ربطت بين عبد الناصر وشواين لاي في مؤتمر باندونج — ذلك أن مصر كانت تخشى أن تفرض الأمم المتحدة حظرا على السلاح يلتزم به الاتحاد السوفيتي ، وقد بدا ذلك ممكنا خاصة عندما أصدر الاتحاد السوفيتي في ذلك الحين بيانا أعلن فيه أنه يقف موقف العطف والتأييد من جهود بلدان الشرق الأدنى الموجهة الى تحقيق وتوطيد الاستقلال الوطني لمصر وسوريا ولبنان واسرائيل ، ويرى أنه من الضروري الاتجاه نحو تسوية للقضية الفلسطينية على أساس مقبول من الجانبين داخل هيئة الأمم المتحدة (١) . . فكان خوف مصر من أن يكف الاتحاد السوفيتي عن إرسال السلاح هو الذي دفع الى التفكير في طريقة يمكن أن يستمر بها مجيء السلاح فيما لو التزم الاتحاد السوفيتي بمبدأ حظر تفرضه الأمم المتحدة على توريد السلاح لدول المنطقة ، وكانت هذه الطريقة هي أن تعترف مصر بالصين الشيوعية ، حتى تضمن وصول الأسلحة السوفيتية عن طريقها ، وهي التي لم تكن عضوا بالأمم المتحدة في ذلك الوقت ومن ثم فإنها غير ملزمة بأي قرار يصدر عنها (٢) . .

ولكنه بالرغم من وجود هذه الأسباب الأساسية التي دفعت مصر الى هذا الاعتراف بالصين ، إلا أن أمريكا رأت في هذا الاعتراف — وأيا كانت أسبابه — نوعا من الاستفزاز الشديد لها ، فدفعها ذلك لأن تسمح للفرنسيين بأن يزودوا اسرائيل بعدد من طائرات « المستير » المتطورة التي كان حلف الاطلنطي متعاقدا على إنتاجها (٣) . .

أما العامل الثاني فقد تمثل في مخاوف الغرب من بروز دور للاتحاد السوفيتي في المنطقة من خلال العلاقة الجديدة التي ربطت بينه وبين حكومة الثورة في مصر ، وتكشف كتابات أنور السادات عن أن الاتحاد السوفيتي في ذلك الوقت كان يمثل أهمية كبيرة بالنسبة لمصر وثورتها . فقد كانت

(١) الجمهورية : ٢٤ ابريل ١٩٥٦ — مقال لاتور السادات بعنوان « الاستعمار والبيان الروسي » .

(٢) محمد حسنين هيكل : عبد الناصر والعالم — دار النهار للنشر — بيروت — ص ٩٠ ، ٩١ .

(٣) نفس المصدر .

مساعدته في تسليح مصر تعنى في رأى أنور السادات « أنها حماية صدور العرب من رصاص إسرائيل ، وتمكين العرب من الدفاع عن أنفسهم ضد عدوان إسرائيل »^(١) . ولم يكن رأى أنور السادات هذا يعنى أن مصر قد شكلت نظرتها الجديدة الى الاتحاد السوفيتى على أساس أن هناك عداوة بين الاتحاد السوفيتى وإسرائيل ، هو الذى قرب بين الاتحاد السوفيتى ومصر ، بحيث تصبح العلاقة بينهما تحالفا ضد عدو مشترك ، لأنه يشير الى هذه النقطة بالذات قائلا : « اننا هنا في مصر حين عقدنا صفقة الأسلحة مع تشيكوسلوفاكيا كنا نعلم تمام العلم أن تشيكوسلوفاكيا لها سفارة في إسرائيل ، وأن روسيا لها سفارة أيضا في إسرائيل ، وأنهما تعترفان بإسرائيل كما تعترف بها بريطانيا وفرنسا وأمريكا والأمم المتحدة ، ونحن لم نشترط على تشيكوسلوفاكيا أو روسيا لسكى نشترى منها السلاح أن تقطع علاقتها بإسرائيل أو أن تغلق سفارتها في إسرائيل »^(٢) .

ثم يوضح أنور السادات بعد ذلك مبررات هذه النظرة الجديدة ، وهى أنه « عندما طلبت مصر من تشيكوسلوفاكيا أن تبيعها سلاحا وافقت تشيكوسلوفاكيا وعقدت صفقة الأسلحة بدون قيد ولا شرط ، واحترمت تشيكوسلوفاكيا توقيعها فسلمت الأسلحة المطلوبة قبل الوقت المحدد »^(٣) ، أى أن العلاقة التى ربطت بين مصر والاتحاد السوفيتى لم يكن أساسها — كما يقول السادات — « حلفا دفاعيا أو ميثاقا عسكريا كميثاق بغداد حتى نعمل معها أو نعمل معنا على القضاء على إسرائيل أو أن تسحب اعترافها بإسرائيل »^(٤) ، ولكن أساسها كان فى السلوك الذى سلكه الاتحاد السوفيتى تجاه حكومة الثورة وتجاه قضية مصر . وعلى هذا الأساس يرى أنور السادات فى الاتحاد السوفيتى أنه « هو الدولة الكبرى التى تحترم ثورتنا ولا تقف فى طريق الانتصارات الشعبية فى بلادنا » . وفى رأيه كذلك أن « الاتحاد السوفيتى دولة كبرى ، ربما اكبر من أى دولة من تلك التى تناصبنا العداوة وتريد القضاء على ثورتنا ، ولا يقف تأييدا

(١) الجمهورية : ١٢ نوفمبر ١٩٥٥ — مقال بعنوان « لوموا روسيا أما نحن فنشكرها » .

(٢) الجمهورية : ٢٤ أبريل ١٩٥٦ — مقال بعنوان « الاستعمار والبيان الروسى » .

(٣) الجمهورية : ٢٤ أبريل ١٩٥٦ — مقال بعنوان « الاستعمار والبيان الروسى » .

(٤) نفس المصدر .

الاتحاد السوفيتى ودول الكتلة الشرقية عند حد القضية المصرية ، بل يؤيد قضايا العرب كلها تأييدا أدبيا وماديا ، ولا يدخر وسعا فى سبيل إظهار هذا التأييد كلما سنحت فرصة لذلك ، وفى مجلس الأمن لم يقف الى جوارنا سوى الاتحاد السوفيتى ، فى الوقت الذى كانت فيه أمريكا وبريطانيا وفرنسا تسلح عدونا إسرائيل ، وتتيح لهذا العدو ألف فرصة لى يعتدى علينا ، ويقتل أطفالنا ونساعنا ورجالنا العزل الآمنين « (١) .

وأما ذلك ، وجد الغرب أن مجرد حملات الدعاية التى يشنها ضد مصر وضد الاتحاد السوفيتى فى آن واحد ، ليست — من وجهة نظره — هى الأسلوب الأمثل لمعاكبة مصر وتطويق سياستها التى باتت تهدد مصالحه تهديدا مباشرا وفعالا ، وبدا التفكير حتى سنحت الفرصة لذلك عندما طلبت مصر الى البنك الدولى قرضا لتمويل المرحلة الأولى فى بناء السد العالى . . فأيدت كل من أمريكا وبريطانيا استعدادهما للمساهمة فى تمويل المشروع مع البنك الدولى — الذى لم يكن فى طاقته القيام بذلك دون مساعدة من الدول الكبرى — وكان الشرط الذى طلبته هاتين الدولتين فى البداية لتقديم المساعدة ، هو أن يتأكد البنك الدولى من أن السد العالى سيؤمن لمصر عائدا اقتصاديا يتناسب مع القروض التى تطلبها ، ويجعلها قادرة على الوفاء بالتزاماتها فى سداد هذه القروض (٢) . وإمعانا فى التضييل أوضح دالاس وزير الخارجية الأمريكى لسفير مصر فى واشنطن خلال لقاء بينهما يوم ١٧ أكتوبر ١٩٥٥ أنه رغم انزعاج الولايات المتحدة الأمريكية من عقد مصر لصفقة السلاح والزيادة المضطردة فى علاقاتها مع الاتحاد السوفيتى ، إلا أن الولايات المتحدة لن تأخذ « من الثأر أسلوبا للتعامل مع مصر » (٣) . بل أكثر من ذلك — كما يقول أنور السادات — « بدأت الصحف الأمريكية تخفف من هجومها بالتدريج » . وأعلن دالاس فى مؤتمر صحفى « أن الأسلحة التى اشترتها مصر إنما هى أسلحة قديمة وأن الأمر لا يستحق كل ما حدث من تهويل » (٤) .

(١) الجمهورية : ٩ ابريل ١٩٥٦ — مقال بعنوان « مؤامرة باسم الأمن » .

(٢) محمد خليل جبارة : السد العالى ونتائجه الاقتصادية والاجتماعية — رسالة دكتوراه —

كلية الآداب ، جامعة القاهرة — ١٩٧٢ — ص ١١٤

(٣) محمد حسنين هيكل : عبد الناصر والعالم — مصدر سابق . ص ٩٢

(٤) مجلة التحرير : ١٠ سبتمبر ١٩٥٧ : مقال بعنوان « مذكرات أنور السادات » .

وكان واضحا ان مصر رأت في مثل هذه المواقف ما يمكن أن يكون بداية لعلاقات صحيحة بين مصر والولايات المتحدة الأمريكية ، ذلك أنه عند إعلان البنك الدولي لقبول تمويل المشروع في ١١ فبراير ١٩٥٦ على أساس أن عائداته الاقتصادية يتيح لمصر الاضطلاع بأعبائها المالية (١) ، وهو الشرط الذي كانت قد طلبته كل من أمريكا وبريطانيا ، نجد أنور السادات يشير الى أن ذلك يمكن أن يكون بداية لسياسة أمريكية جديدة تجاه مصر قائلا : « هل نستطيع أن نقول ان هذا الاتفاق يعد بداية طيبة لسياسة أمريكية جديدة ؟ نحن نرجو هذا ونتمناه فليس أحب على شعب مصر من أن تتعامل معه أمريكا وغير أمريكا على أساس احترام سيادته ومصالحه واستقلاله الذي أصبح حقيقة واضحة » (٢) .

غير أن ذلك لم يدم طويلا إذ قدم البنك الدولي شروطه للتمويل بعد ذلك ، وتضمنت هذه الشروط كما يقول أنور السادات « شرطين جوهريين أساسيين » :

الأول : وهو أن تشترك أمريكا مع البنك بنصف القرض .

والثاني — وهو الأهم — فهو سلسلة من القيود والالتزامات تجعل مدير البنك الدولي وزيرا لمالية مصر ومهيما على اقتصادها » (٣) .

وإذا كان أنور السادات لم يذكر تفصيلا هذه القيود والالتزامات التي تجعل مدير البنك الدولي وزيرا لمالية مصر ، فلقد كانت هي شروط البنك الدولي في أن يتولى الاشراف على ميزانيات الدول التي تطلب منه قروضا ، وأن تتعهد كل دولة تقترض منه ألا تطلب أية قروض أخرى من أية جهة أخرى دون موافقة البنك (٤) . وكانت الشروط التي طلبها البنك الدولي من مصر على وجه التحديد هي :

(١) موسى عرفه : السد العالي — دار المعارف — القاهرة — ١٩٦٥ — ص ١١٤

(٢) الجمهورية : ١٢ فبراير ١٩٥٦ — مقال بعنوان « أخبار تصنع التاريخ — بعد السد العالي والمعمل الذري — مساعدات واشنطن وموسكو » .

(٣) مجلة التحرير : ١٠ سبتمبر ١٩٥٧ — مقال بعنوان « مذكرات أنور السادات » .

(٤) أرسكين تشيلدرز : الطريق الى السويس — تعريب خيرى حماد — الدار القومية للطباعة والنشر — القاهرة — ١٩٦٢ — ص ١٦٣

- ١ — الاطمئنان الى أن العملات الأجنبية المطلوبة ، والتي ستحصل عليها مصر من كل من الولايات المتحدة وبريطانيا لن تنقطع .
- ٢ — الاتفاق على « صيغة » للإشراف على المصروفات العامة للدولة .
- ٣ — ألا تقوم مصر بإبرام أية اتفاقيات اقتصادية تحملها ديناً خارجياً إلا بعد الرجوع الى البنك الدولي وموافقة على ذلك (١) .

وكان أمراً طبيعياً أن ترفض مصر هذه الشروط ، وهي التي مرت بمائة عام من التجارب الماضية من الضغط المالى الأجنبى ، الذى أدى الى احتلالها كما يقول آرسكين تشيلدرز (٢) . ويشير أنور السادات إلى هذا الرفض ومبرراته فيقول : « إن قبول هذه الشروط كان يعنى أننا عدنا الى الحلقة المفرغة مرة أخرى في قضية السد العالى بعد أن حطمتها في قضية شراء السلاح ، أو بمعنى آخر طردنا النفوذ الأمريكى والنفوذ البريطانى اللذين كانا يريدان السيطرة علينا بالتحكم في بيع السلاح من الباب فوجدناهما يطلان من الشباك في شروط البنك الدولي » (٣) ، إلا أن هذه الشروط لم تكن هي السبب الأساسى والوحيد لرفض مصر ، فالبنك الدولي كما يقول السادات « لم يكن إلا « سيم » في كل هذه المناورات ، فبرغم أنه بنك دولى واننا أعضاء فيه لنا من الحقوق ما لبريطانيا وما لأمريكا إلا أن أمريكا هي المساهم الأكبر فيه ومديره أمريكى ولا بد أن يخضع في أقل القليل لتوجيه أكبر المساهمين » (٤) .

ولم تكن هذه الشروط إلا محاولة من جانب أمريكا لسبر أغوار حكومة الثورة في مصر ، لتبين إمكانية الوصول الى أهداف أبعد من ذلك . . وقد وضح هذا خلال لقاء بين أحمد حسين سفير مصر في واشنطن وادجار هوفر — الابن — مساعد وزير الخارجية الأمريكى في شهر مايو عام ١٩٦٥ ، فبالرغم من أن السفير المصرى عرض موافقة مصر على الشروط المالية

(١) محمد أنيس والسيد رجب حراز : ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ وأصولها التاريخية — مكتبة النهضة العربية — القاهرة — ١٩٥٩ — ص ٢٧٥

(٢) آرسكين تشيلدرز : الطريق الى السويس — مصدر سابق — ص ١٦٢

(٣) مجلة التحرير : ١٠ سبتمبر ١٩٥٧ — مقال بعنوان « مذكرات أنور السادات » .

(٤) نفس المرجع .

التي تطلبها أمريكا وبريطانيا (١) ، إلا أن إدجار هوفر طلب أن تصدر مصر بياناً رسمياً تعلن فيه امتناعها عن عقد المزيد من صفقات السلاح مع الاتحاد السوفيتي ، كما يجب أن تقوم مصر كذلك بممارسة نفوذها لعقد صلح بين العرب وإسرائيل ، وذلك لأن بناء مشروع السد العالي يتطلب أولاً إزالة أسباب التوتر في المنطقة (٢) ، أي أن موافقة أمريكا على المساهمة في تمويل السد العالي أصبحت رهناً بتنفيذ شرطين أساسيين من جانب مصر : تقليص العلاقة مع الاتحاد السوفيتي (بها يتبع ذلك من وقف لصفقات السلاح ، وعقد صلح بين العرب (بها فيهم مصر) وإسرائيل . وهذا بالطبع لم يكن ممكناً لحكومة الثورة أن تقبله أو أن تفعله . وهنا وجدت كل من الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا فرصتهما في توجيه « الضربة » إلى مصر . فأصدرت الولايات المتحدة الأمريكية يوم ١٩ يوليو ١٩٥٦ بياناً تعلن فيه أنها سحبت معونتها لبناء السد العالي ، وأعقبته بريطانيا في اليوم التالي بإعلان سحب عرضها هي الأخرى ، وأعلنت على لسان وزير خارجيتها أنها سحبت عرضها لتمويل السد لأن مصر خصصت محصول قطنها لسداد نفات التسليح (٣) ، ثم أعلن البنك الدولي كذلك سحبه للعرض .

كان البيان الأمريكي صفقة قاسية للنظام في مصر بالفعل ، ذلك لأن أمريكا كان بإمكانها أن تعان رفضها لتمويل مشروع السد العالي ، دون حاجة للتشهير باقتصاد مصر ، لو أن الأمر لم يكن مقصوداً لذاته وعلى النحو الذي صيغت به عبارات هذا البيان مثل « هناك اعتبار هام آخر يتعلق بإمكان تنفيذ المشروع ومن ثم بجدوى المعونة الأمريكية من الناحية العملية وهو استعداد مصر وتوافر القدرة لديها على تخصيص مواردها الاقتصادية لهذا البرنامج الإنشائي الضخم .. ولكن الشهور السبعة التالية لتقديم العرض لم تكن ملائمة لنجاح المشروع » . ومثل « إن مقدرة مصر على تخصيص موارد كافية تضمن نجاح المشروع صارت أكثر افتقاراً

(١) والمرجح أن ذلك كان محاولة من جانب مصر أيضاً للوقوف على نية أمريكا ومدى جديتها في تقديم العرض .

(٢) محمد حسنين هيكل : عبد الناصر والعالم — دار النهار للنشر — بيروت — ١٩٧٢ ص ٩٩

(٣) الجمهورية : ٢٦ يوليو ١٩٥٦ : مقال لآثور السادات بعنوان « فار البحرين » .

الى التوكيد مما كانت عليه عند تقديم العرض « (١) . وإذا كان القصد من مثل هذه العبارات هو التشكيك في مقدرة مصر على الوفاء بديونها ، والتشهير بوضعها المالى والاقتصادى ، وتصوير حكومتها أمام الرأى العام فى الداخل والخارج على أنها عاجزة عن النهوض بمشروعاتها الحيوية وفى مقدمتها السد العالى ، فإن البيان استهدف كذلك استفزاز الدول التى تنتفع بمياه النيل لمعارضة بناء السد ، ودعوتها للتدخل لملء شروطها أو ما يشاء الاستعمار من شروط (٢) . ذلك لأن من بين ما جاء فى البيان من عبارات القول بأن المشروع « لا يمس حقوق مصر ومصالحها وحدها بل يمس كذلك مصالح وحقوق دول أخرى ومصالحها تشترك فى مياه النيل ، وهى السودان وأثيوبيا وأوغنده » . وأنه لذلك « انتهت الحكومة الأمريكية الى أنه من غير العملى فى الظروف الحاضرة أن تشترك فى المشروع إذا لم يتم الاتفاق بين الدول المشتركة فى موارد مياه النيل » (٣) .

وتكشف كتاباته أنور السادات عن أن هذه الحجج التى جاءت فى البيان الأمريكى لم تكن غير حجج واهية لا تقوم على أساس . ونجده فى رده على النقطة الخاصة بوضع الاقتصاد المصرى يشير الى ما كتبه يوجين بلاك مدير البنك الدولى حول هذا الموضوع — وقبل إعلان أمريكا لبيانها بإيام قليلة — فيقول أنور السادات : « أن يوجين بلاك مدير البنك الدولى وهو الخاضع مائة فى المائة لتوجيهات وزارة الخارجية الأمريكية يكتب الى وزير خارجية مصر يوم ٩ يوليو الحالى ، مشيرا الى المحادثات الأخيرة التى دارت فى مصر حول تمويل السد العالى فى الشهر الماضى فقط وهو شهر يونيو . يكتب المستر يوجين بلاك مؤكدا عزم البنك الدولى الصادق على تمويل المشروع واتخاذ الخطوات النهائية لتنفيذه ، ومعنى ذلك أن البنك الدولى يعترف بداهة بسلامة الاقتصاد المصرى وقدرته على سداد القروض التى تحتاج إليها مصر للتمويل الخارجى » . ثم يمضى السادات قائلا : « فهل تغير حال الاقتصاد المصرى الذى اقتنع به خبراء البنك الدولى خلال عشرة أيام فقط ؟ » (٤) .

(١) عبد الرحمن الراافعى : ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ (تاريخنا القومى فى سبع سنوات ١٩٥٢ — ١٩٥٩) — مكتبة النهضة المصرية — القاهرة — ١٩٥٩ — ص ٢٠٨

(٢) نفس المصدر .

(٣) نفس المصدر .

(٤) الجمهورية : ٢٤ يوليو ١٩٥٦ — مقال بعنوان « الأمريكانى المضحك » .

ثم يكشف السادات عن الأسباب الحقيقية وراء هذا الاجراء من جانب كل من أمريكا وبريطانيا فيقول : « ان البيان الأمريكاني المضحك يفضح نفسه بنفسه ، فهو يقرر انه منذ سبعة شهور وأحوال الاقتصاد المصري لا تعجب الأمريكان !! اي بصراحة منذ عقدت مصر صفقة الأسلحة التشيكية لتحمي نفسها بعد أن بذلت ماء الوجه مع أمريكا وانجلترا بدون جدوى ، لانهما كانتا تريدان فرض السيطرة وفرض التحكم من جديد على مصر من خلال السلاح . ولعل واضع البيان الأمريكاني المضحك أرادوا من فترة السبعة شهور هذه أن تكون غمزا وتلميحا على مصر . ونحن في مصر نقول للخواجهات جميعا — أمريكا وانجلترا — اننا نحتقر هذا الضغط ونرفضه وعلى اتم استعداد لأن نسحقه » (١) . ثم يكشف السادات عن جانب آخر من هذه الأسباب بقوله : « كان الأجدر بالخواجه دالاس أن يكون شجاعا فيعلن أن أمريكا تنسحب لأن ظروفها الداخلية تمنعها من الاشتراك (٢) ، كان الأجدر به أن يقول ان الصهيونيين الذين يستعمرون أمريكا اليوم وقتلوا وزير دفاعها بالأمس لا يريدون من أمريكا أن تشترك » (٣) .

وفي مقال آخر بعنوان « غار البحرين » يرد أنور السادات على حجج بريطانيا في سعيها لقرار التمويل ، ويكشف عن جانب آخر من الأسباب التي حدت بالدولتين لاتخاذها ، فيقول : « ان المسألة في نظر بريطانيا إذن كما صورها المدعو سلوين لويد هي أن مصر لا يجب أن تسلح نفسها ضد عدوان إسرائيل الغادر لكي تبقى تحت أمر وإذن بريطانيا وأمريكا تتصرفان في أرضها ومستقبلها وحريتها كما تريدان ، وكما يريد ربيها بن جوريون المدلل .. والمسألة أيضا في نظر بريطانيا — كما صورها المدعو سلوين لويد — هي أن مصر كان لا يجب أن تصنع نفسها حتى لا يرتفع مستوى المعيشة فيها الى الأبد فتظل فقيرة ، وتظل بريطانيا تباع لنا

(١) الجمهورية : ٢٤ يوليو ١٩٥٦ — مقال بعنوان « الأمريكاني المضحك » .

(٢) لا شك أن السادات كان يقصد بذلك الضغوط التي فرضها أعضاء الكونجرس الأمريكي من ممثلي الولايات الجنوبية والذين كانوا يخشون من زيادة محصول القطن في مصر كاحدى نتائج التوسع في الزراعة التي ستنتج عن مشروع السد العالى . راجع : بول جونسون : حرب السويس — مصدر سابق — ص ١٤ ، وأرسكين تشيلدرز — الطريق الى السويس — مصدر سابق — ص ١٧٧

(٣) الجمهورية : ٢٤ يوليو ١٩٥٦ — مقال بعنوان « الأمريكاني المضحك » .

صناعتها لكي يزدهر المجتمع البريطاني وينمو على دمائنا كما تعود أن ينمو دائما على دماء الناس في الهند وأفريقيا وفي أماكن كثيرة في أنحاء العالم» (١) .

وإذا كان أنور السادات قد فند الحجج التي قام عليها البيان الأمريكي والتصريح البريطاني في سحبهما لقرار تمويل السد العالي ، وكشف عن الأسباب الرئيسية في اتخاذ مثل هذا الإجراء ، فإنه كان من وجهة نظر أمريكا وبريطانيا أنهما حققا الهدف الأساسي من مناورتهما .. فلقد كان الهدف هو أنه في حالة قبول مصر للشروط التي قدمها البنك الدولي على النحو الذي أرادته كل منهما ، فإن ذلك من شأنه أن يربط مصر إلى أمريكا فترة طويلة من الزمن ، إما أن يتقلص خلالها حجم التعاون مع السوفييت وإما أن يسقط نظام الحكم فيها (٢) . أما في حالة رفضها فإن الغرب يكون قد نجح في توجيه طعنة للنظام تزلزل الثقة فيه وتسبب إلى سمعة مصر المالية والاقتصادية في المجال الدولي (٣) ، ويكون الغرب كذلك قد نجح في فرض نوع من الحصار على حكومة الثورة (٤) .

وعلى ذلك فقد كان هذا البيان في رأى السادات هو الخطة التي دبرها دالاس واختار لها اللحظة المناسبة « ليضرب ضربة ينتقم فيها من مصر ويكشف موقفها ، وفي الوقت نفسه يرد الإهانة إلى روسيا بأشد مما أحس به من مهانة وفشل » (٥) . وإذا كان أنور السادات يرى أن ذلك كان « مؤامرة واضحة كل الوضوح » من جانب أمريكا التي « تريد أن تطيح بالثورة المصرية » ، فإنه يكشف عن الأسباب الحقيقية لذلك بقوله : أن أمريكا تريد أن تطيح بالثورة المصرية التي احتضنت التحرر والاستقلال ، ورفضت في عزم وإصرار كل أشكال السيطرة الأجنبية وتحكم الدول

(١) الجمهورية : ٢٦ يوليو ١٩٥٦ — مقال بعنوان « فار البحرين » .

(٢) محمد حسنين هيكل : عبد الناصر والعالم — دار النهار للنشر — بيروت — ١٩٧٢ —

ص ٩٤

(٣) عبد الرحمن الرافعي : ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ (تاريخنا القومي في سبع سنوات ١٩٥٢ — ١٩٥٩) مكتبة النهضة المصرية — القاهرة — ١٩٥٩ — ص ٢٠٨

(٤) ر. ك. كارانجيا : كيف نجح عبد الناصر — تعريب خيرى حماد — دار المعارف — القاهرة — ١٩٦٤ — ص ٧٩

(٥) مجلة التحرير : ١٠ سبتمبر ١٩٥٧ — مقال بعنوان « مذكرات أنور السادات » .

الكبرى ، وأمريكا أيضا تريد أن تطيح بالثورة المصرية العربية التي احتضنت القومية العربية ، وتجاوب معها العرب في حماس وعزم في كل انقطارهم وبكل قلوبهم وأرواحهم . وأمريكا غاضبة على مصر لأنها قاومت حلف بغداد ، وأمريكا غاضبة على مصر لأنها ترفض المساومة على حقوق فلسطين العربية وحقوق أهلها المشردين اللاجئين ، وأمريكا غاضبة على مصر لأنها اختطت لنفسها سياسة الحياد الإيجابي وعدم الانحياز ، وأمريكا غاضبة على مصر لأنها حطمت الطوق الحديدي واشترت السلاح — لتدعم جيشها — من الكتلة الشرقية . وأمريكا لا تريد للعرب أن يستيقظوا أو أن يتضامنوا خشية أن يلحق مصالحها الضرر كما تصوره لها خيالاتها الاستعمارية البغيضة . وأمريكا تريد أن تفرض إسرائيل على العرب فرضا شاعوا أم لم يشاعوا « (١) .

أما هدف بريطانيا من ذلك أيضا ، فيقول أنور السادات : « إنها تريد أيضا هي الأخرى أن تطيح بالثورة المصرية للأسباب نفسها » ، ولكن بريطانيا كانت أشد حنقا على مصر من أمريكا بعد أن أجبرت على الجلاء عن أرض مصر ، وبعد أن تولى زمام الأمور فيها رجل منهار هو المستر ايدن « (٢) .

وتلاحقت الأحداث في إطار سياسة الأفعال وردود الأفعال هذه بين مصر والغرب ، فأعلنت مصر قرارها بتأميم شركة قناة السويس في ٢٦ يوليو ١٩٥٦ — أي بعد أسبوع واحد فقط من سحب أمريكا وبريطانيا عرضهما لتمويل السد العالي — وإذا كانت هناك بعض الآراء التي تقول أن قرار التأميم لم يأت كرد فعل لموقف الغرب من قضية تمويل السد ، بل كان تنفيذا لفكرة سبق دراستها من قبل (٣) ، فإن أنور السادات يكشف في كتاباته عن أن قرار مصر بتأميم شركة القناة ، إنما جاء نتيجة ورد فعل مباشر لقرار الغرب بالفعل ، بل كان قرار الغرب هذا هو الذي

(١) أنور السادات : يا ولدي هذا عمك جمال — الشركة المصرية للطباعة والنشر — القاهرة ١٩٧٢ — ص ١٨١ — ١٨٢

(٢) نفس المصدر .

(٣) محمود أمين العالم وآخرون : ٢٣ يوليو (خمسة أبعاد) — دار القدس — بيروت — ١٩٧٤ — ص ٣٦ — وأحمد حمروش — قصة ثورة ٢٣ يوليو — الجزء الثاني — (مجتمع جمال عبد الناصر) المؤسسة العربية للدراسات والنشر — بيروت — ١٩٧٥ ، ص ٨٨

حدا بمصر لأن تفكر في التأمين أساسا . وكما يقول السادات : « لأنهم بحقد هم الأعمى فتحوا عيوننا على مالنا الحلال وحققنا الذى لا ينازعنا فيه أحد » (١) . ويمضى السادات في توضيح ذلك لنجد أن تأمين مصر للقناة إنما كان بمثابة « ثأر » من الغرب « لقد أخذنا جمال بثأرنا » (٢) . وردا على الطعنة التى وجهها الغرب الى مصر ومحاولاته الضغط على حكومتها ، وفى ذلك يقول السادات أيضا : « هل كانوا يظنون أنهم بذلك الضغط الأهوج يستطيعون أن يجبرونا أن نذل لهم أو نصغر ؟ ان الحملة الانتقامية التى أرادوا بها كيدا لمصر لم تلبث بعد أيام قليلة أن ردت الى نحورهم طعنة نجلاء على يد جمال ، وهم الذين كانت تهلل صحفهم الى الأمس بقرب انتهاء الثورة وبالمأزق الحرج الذى وضع فيه جمال » (٣) . ويؤكد أنور السادات نفس هذا المعنى فى مقال آخر مشيرا كذلك الى الحملة النفسية التى شنتها صحف الغرب ، والتى كانت جزءا من الضغط الغربى ، فيقول : « بالأمس اجتمعت كلمتك يا سيد ايدن انت وشركاؤك واصلتم للعالم اجمع قرارا بتجوييع مصر .. وإذلال مصر .. وتحدى مصر .. ولم تكتفوا باصدار هذا القرار ، بل راحت صحفكم تهاجم مصر وحكومة مصر وتتشفى بطريقة دنيئة فى المستقبل الأسود الذى ينتظر مصر .. وظننتم انه لا ملجأ لهذا الشعب إلا إليكم .. وبين يوم وليلة يرد جمال طعنكم بأعنف منها » (٤) .

وإذا كان تأمين مصر لشركة القناة على هذا النحو الذى يوضحه أنور السادات قد جاء ردا مباشرا على موقف الغرب ، فإنه من ناحية أخرى كان هو الحل الذى يحقق لحكومة الثورة إمكانية تنفيذ مشروعاتها فى بناء السد العالى . وكما يقول السادات : « بدلا من أن نستدين ونبذل ماء الوجه ، ونتعرض للتدخل الأجنبى » (٥) .

لكن حكومة الثورة بعد إعلانها هذا القرار بتأمين شركة قناة السويس ، لم يكن بين توقعاتها أن يأتى رد فعل الغرب على هذا القرار

(١) الجمهورية : ٢٩ يوليو ١٩٥٦ — مقال بعنوان « النار .. النار » .

(٢) نفس المصدر .

(٣) نفس المصدر .

(٤) الجمهورية : ٢٨ يوليو ١٩٥٦ — مقال بعنوان « قادر .. وفاجر » .

(٥) مجلة التحرير : ٣ أكتوبر ١٩٥٦ — مقال بعنوان « حكاية من أمريكا » .

باستخدام السلاح وبمحاولة غزو مصر (١) . وتكثيف كتابات أنور السادات عن أن موقف مصر من ردود الأفعال السياسية والدبلوماسية كان قد تحدد على النحو التالي :

أولا : التصدى لكافة الضغوط السياسية والغربية التي تناقش حق مصر في تأمين القناة ، ورفض ذلك رفضا قاطعا .

ثانيا : عدم الاستجابة لاية تهديدات من قبل الغرب والاستعداد لمناقشة الأمور الناجمة عن التأمين ، ووفقا للمواثيق والمعاهدات الدولية والمعاهدات الخاصة بالقناة .

ثالثا : العمل على كسب تأييد قطاعات كبيرة من الرأي العام للوقوف الى جانب مصر .

وقد وضحت هذه النقاط الأساسية في السياسة المصرية في كتابات أنور السادات من خلال تعليقه وتفسيره للأحداث التي أعقبت التأمين .

فنجده يتصدى بالتعليق والرد على احتجاج الحكومتين البريطانية والفرنسية على التأمين وادعائهما أن في ذلك انتهاكا خطيرا لحرية الملاحة وانهما لمصر بتحمل نتيجة ذلك (٢) . وكان هذا هو أول رد فعل بعد

(١) كان جمال عبد الناصر قد قدر أن نجاح التأمين وسيطرة مصر على القناة ، يتأكد اذا مضى شهر دون تدخل البريطانيين ، ولما كانت المعلومات المتوفرة لديه أن البريطانيين المقيمين في مصر لن يغادروها قبل شهرين ، فقد استبعد على هذا الأساس التدخل العسكري من قبل بريطانيا صاحبة المصلحة الأولى في القناة . راجع : أحمد حمروش - قصة ثورة ٢٣ يوليو - (مجتمع جمال عبد الناصر) مصدر سابق - ص ٩٨

(٢) جاء الاحتجاج البريطاني في صورة مذكرة بعثت بها الحكومة البريطانية عن طريق سفارتها في القاهرة وتضمنت ما نصه « ان حكومة حضرة صاحبة الجلالة تحتج على هذا العمل التعسفي الذي يمثل انتهاكا خطيرا لحرية الملاحة في مجرى مائي ذي أهمية دولية حيوية ، وهي تحتفظ بجميع حقوقها وحقوق رعايا المملكة المتحدة كما أقرتا الاتفاقات القائمة وأن مسئولية نتائج هذا العمل التعسفي الذي يمثل انتهاكات خطيرا لحرية الملاحة في مجرى مائي ذي أهمية دولية حيوية ، وهي تحتفظ بجميع حقوقها وحقوق رعايا المملكة المتحدة كما أقرتها الاتفاقات القائمة وأن مسئولية نتائج هذا العمل تقع بكاملها على كاهل الحكومة المصرية » - أما احتجاج فرنسا فقد رفض سفير مصر في باريس أن يتسلمه من كريستيان بينو وزير خارجية فرنسا إذ رأى في ملبساته خروجاً على قواعد اللياقة وأنه تهديد مباشر لمصر (راجع عبد الرحمن الرافعي - ثورة ٢٣ يوليو - مصدر سابق - ص ٢٢٨ ، ٢٢٩) .

ساعات من إعلان مصر لقرار التأميم ، فإرد السادات على ذلك قائلا :
« أما إن حرية الملاحة في خطر فأننى أريد أن أسأل المظالط إيدن كيف
أصبحت هذه الحرية اليوم فقط في خطر ، والقنال في مصر منذ قامت
الثورة وتحت سيطرة مصر منذ قامت الثورة ، وهل يتصور الحضيف إيدن
أن جنوده الذين كانوا على القنال في يوم من الأيام هم الذين كانوا يحمونها ؟
إذا تصور ذلك فهو أحمق . أما إذا كان الأمر لوجه المغالطة ، وهو
ما تفصح عنه هذه العصبية وذلك الهوس ، فإننا ننصح له أن يهدأ
أو يتحمل هو وحكومته نتائج مقالته وصلفه وغروره . أما أن هذا القرار
تعسفى فإن ذلك أمر يدعو إلى السخرية والهزاء . أما عن أن الحكومة
المصرية تتحمل نتائج ما يترتب على هذا القرار ، فأننى يا مستر إيدن لم
تأت بجديد . لكننى أريد أن أضح لك معلوماتك الواهية فإن ثلاثة
وعشرين مليوناً على أتم استعداد لكى يتحملوا نتيجة هذا القرار » (١) .

ويمضى السادات فى نفس المقال متوجها بالحديث إلى فرنسا فيقول :
« فالخوافة بينو يعيب علينا أننا نساعد الجزائر اختنا فى العروبة ، ثم يصف
قرار التأميم بأنه عمل من أعمال النهب ، وأضحكوا معى يا عرب فى المشرق
والمغرب على هذا الخبل وذلك الهذيان . أضحكوا معى لأن بينو لبس جلد
الأسد أمام سفيرنا فى باريس ولم يلبث أن فقد أعصابه وجن جنونه . الذى
ينهب هو الذى لا يزال إلى يومنا هذا يستحل ملايين الأمدنة من أوقاف المسلمين
فى الجزائر ويقطعها للفرنسيين المستوطنين هناك » ويمضى السادات بعد ذلك
فى سرد الأمثلة على استغلال فرنسا لدول شمال أفريقيا وعرب تونس
والجزائر ، ليصل من ذلك إلى استغلال فرنسا لمصر من خلال شركة قناة
السويس قائلا « أن الذى ينهب هو الذى كان يمتص دماء مصر عن طريق
شركة القتال . . فكان يتخم بالذهب وأصحاب القناة لا يجدون الفتات » (٢) .

وإذا كانت كتابات السادات على هذا النحو قد أخذت طابع الحدة
واستخدام الكلمات الجارحة ، فإن ذلك كان يتناسب مع طبيعة التهديد الذى
حملته المذكرة البريطانية ، والموقف الذى اتخذته وزير الخارجية الفرنسى
مع السفير المصرى فى باريس . ولكنها تكشف فى نفس الوقت أيضا عن موقف

(١) جريدة الجمهورية : ٢٨ يوليو ١٩٥٦ — مقال بعنوان « قادر .. وفاجر » .

(٢) نفس المصدر .

مصر من أية استفزازات أو ضغوط من قبل الغرب . ويتأكد ذلك مرة أخرى من كتابات السادات في رده على البيان الثلاثي الذي أصدرته كل من الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا وبعد تجميدها لأرصدة مصر من العملات الحرة لدى كل منهما (١) وكان هذا البيان الثلاثي هو أول بادرة من الغرب تناقش عدم أحقية مصر في تأمين القناة بحجة أن للقناة « صفة دولية » (٢) ، وانتهى إلى المطالبة بعقد مؤتمر من الدول الموقعة على معاهدة الآستانة والدول الأخرى التي لها مصلحة حيوية في استخدام القناة ، وحدد لهذا المؤتمر تاريخ للانعقاد في لندن يوم ١٦ أغسطس (٣) ، ورأى السادات في هذا البيان وفي الدعوة الى هذا المؤتمر نوعا من الضغوط والوصاية التي يريد الغرب فرضها على مصر ، فاطلق عليه اسم « التهديد الثلاثي » بدلا من « البيان الثلاثي » وعبر عن رفض مصر لمثل هذا الضغط بقوله أن « مجرد التفكير في قبول هذا التهديد والضغط مرفوض من أساسه ، لأن أساس المعركة هو رفض مصر للضغط والتهديد والسيطرة ، وبديهي أيضا أن هذا المنطق في التعامل الدولي بلطجه وفتونة » (٤) ، ثم يتساءل السادات في مقال آخر « من الذي أعطى هؤلاء الثلاثة حق الولاية والوصاية على العالم فيجتمعون ليقرروا عقد مؤتمر في لندن تحضره كذا من الدول ولا تحضره كذا من الدول ثم ما هي فائدة هيئة الأمم المتحدة مثلا اذا كان يحلو لكل ثلاثة من أعضائها أن يجتمعوا ليقرروا سياسة جديدة للعالم ويدعوا الى مؤتمر ليقرر كما يقولون قرارات تهم دول العالم » (٥) .

واذا كان أنور السادات قد أوضح في هذا المقال أن هيئة الأمم المتحدة هي الجديرة بالنظر في مثل هذا الأمر ، وهذا يكشف عن استعداد مصر لمثل هذه الخطوة ، فقد كان طبيعيا أن ترفض مصر أية خطوة خارج هذا الإطار ،

(١) كانت هذه هي أول خطوة عدائية ايجابية من جانب الدول الثلاث ، وقد بدأتها بريطانيا يوم ٢٨ يوليو ١٩٥٦ وكان لديها ١١٢ مليون جنيه استرليني ثم تبعتها فرنسا بعد ذلك ثم الولايات المتحدة التي كان لديها ٦٠ مليون دولار — راجع : عبد الرحمن الرافعي — ثورة ٢٣ يوليو — مصدر سابق — ص ٢٢٩

(٢) نفس المصدر .

(٣) نفس المصدر .

(٤) الجمهورية : ٤ أغسطس ١٩٥٦ — مقال بعنوان « منطق البلطجية » .

(٥) الجمهورية : ٥ أغسطس ١٩٥٦ — مقال بعنوان « ثم » .

ومن ثم ترفض عقد مؤتمر لندن يوم ١٦ أغسطس ١٩٥٦ ، وترفض قراراته التي « توصل اليها للاشراف الدولي على القناة من خلال « هيئة » أو « مجلس » أو « مكتب » وهو الاسم الذي رأى دالاس اطلاقه على الهيئة الدولية للاشراف على القناة حتى يبدو مقبولا في نظر مصر (١) . ويكتب أنور السادات قبل يوم من انعقاد المؤتمر ويتوجه بالكتابة الى الرأي العام خارج المنطقة العربية قائلا « أخى فى الشرق .. فى الهند وفى الصين .. وأندونيسيا .. وفى بورما والملايو .. وفى سيلان والافغان .. وإيران وباكستان » ، ان مصر كلها تحرس اليوم القناة .. فهى الطريق اليك يا أخى .. اننى احمل السلاح وأنا فى الاجازة .. لكى أؤمن الطريق اليك يا أخى .. ولكى يظل السلام يرعرع على ضفاف القناة .. وهم يريدون الحرب .. لقد عرفتهم يا أخى وعرفتهم ارضك المقدسة فى الصين أشرارا وانجاسا .. وعرفتهم جبالك ووديانك السمحة فى اندونيسيا .. لصوص الأرض والمال .. وخبرتهم ارضك الطيبة الوادعة فى الهند .. وكم سلبوك من مال .. وقتلتهم جبالك وفرسانك فى الافغان (٢) ويكرر أنور السادات مثل هذا « النداء » فى اليوم التالى — أى يوم انعقاد المؤتمر ، متوجها كذلك إلى نفس بلاد الشرق قائلا لهم « اذكروا جميعا هذا اليوم .. انه يوم الشرق والغرب .. اذكروا هذا اليوم الذى أعدت له دول كبرى ثلاث هى انجلترا وفرنسا وأمريكا لكى يثبتوا للعالم أنهم أقوياء وانهم ما زالوا يستطيعون ان يجعلوا من الاطماع قانونا ومن السيطرة والتحكم ارادة يفرضونها باسم العالم الحر على الأمم الصغيرة التى تحافظ على استقلالها وتمارس سيادتها (٣) .

كان أنور السادات فى توجهه بالحديث الى دول الشرق على هذا النحو وفى الاشادة بمواقفهم من الاستعمار الذى سبق وان جربوا المعاناة من جراء سيطرته عليهم ، انما كان يهدف الى كسب تأييد هذه البلاد أو اكبر عدد منها « مؤكدا لهم ان القناة عندما تسيطر عليها مصر ، فانها تؤمن بذلك طريق اللقاء بين مصر وهذه البلاد المتحررة » ولكى يظل السلام يرعرع على ضفاف القناة .

(١) بول جونسون : حرب السويس — مصدر سابق — ص ٨٨ ، ٨٩

(٢) الجمهورية : ١٥ أغسطس ١٩٥٦ — مقال بعنوان « أخى فى الشرق » .

(٣) الجمهورية : ١٦ أغسطس ١٩٥٦ — مقال بعنوان « العار يا كبار » .

رفضت مصر قرار مؤتمر لندن الخاص بتدويل القناة — وقال أنور السادات عن هذا القرار أنه « لا يصلح أبدا كأساس لاية تسوية » (١) ، ورأى ان الطريق الصحيح للوصول الى التسوية ، هو ان يؤخذ بوجهة نظر « الشعب المصرى » وفهمه للمشكلة ويضع أنور السادات « فهم الشعب المصرى » للمشكلة أمام لجنة « منزيس » التى كلفت بعرض قرارات مؤتمر لندن على مصر (٢) . ويكتب قائلا « لا شك أنك تريد ان تستمع الى وجهة نظر مصر يامستر منزيس وانت قادم لكى تتحدث مع رئيس مصر فى أمر يخص هذا الشعب » « فالشعب المصرى يفهم المشكلة على الوجه التالى : ان شركة قناة السويس المنحلة كانت شركة مصرية مساهمة كما ينص عقد امتيازها وهو موجود ومعروف وهذه الشركة ايا كان لون المساهمين فيها ، هى شركة مصرية تخضع لسيادة الدولة كما تخضع أى شركة مصرية او أى مرفق مصرى آخر ، كان عقد امتياز الشركة سينتهى فى سنة ١٩٦٨ أى بعد اثنتى عشرة سنة من اليوم الذى أمت فيه ، فكل ما حدث هو ان الدولة المصرية استعملت حقها فى السيادة وحلت محل الشركة القديمة وأخذت على نفسها بمقتضى مرسوم التأمين جميع التزامات الشركة المؤممة والمنصوص عليها فى عقد الامتياز . ولم تكف الدولة المصرية بذلك بل نص قانون التأمين أيضا على تعويض المساهمين حسب سعر البورصة فى اليوم السابق للتأمين . وأعلنت مصر عقب التأمين مباشرة اعترافها وتمسكها بمعاهدة ١٨٨٨ الخاصة بضمان حرية الملاحة . بل أكثر من ذلك أعلنت مصر على لسان رئيسها استعدادها لعقد مؤتمر على غرار معاهدة ١٨٨٨ وتسجيلها فى الأمم المتحدة بفرض ضمان حرية الملاحة » (٣) .

وبينما كان ذلك هو منطق مصر ونظرتها للأمر . فان نظرة الغرب الى المشكلة كان يختلف عن ذلك كل الاختلاف . فبالنسبة لبريطانيا فان تأمين مصر لشركة القناة — وبعد شهر واحد من جلاء آخر جندي بريطاني عنها — كان كفيلا بأن يثير لديها مخاوف عدة ذلك لأن ٧٥ ٪ من احتياجات بريطانيا

(١) الجمهورية : ٣٠ اغسطس ١٩٥٦ — مقال بعنوان « لا .. لا » .

(٢) جاءت اللجنة الى مصر يوم ٢ سبتمبر وكانت مؤلفة من مندوبين عن حكومات استراليا والولايات المتحدة الأمريكية والسويد وايران واثيوبيا — برئاسة روبرت منزيس رئيس وزراء استراليا — راجع — عبد الرحمن الرافعى — ثورة ٢٣ يوليو — مصدر سابق — ص ٢٣٥

(٣) الجمهورية : ٢ سبتمبر ١٩٥٦ — مقال بعنوان « الى المستر منزيس » .

البتروولية تمر عبر القناة من بينها نسبة كبيرة من البترول الذى تستورده من الشرق الأوسط (١) ، وفى نفس الوقت فان ٣٣ ٪ من السفن التى تعبر القناة هى سفن بريطانية وان تتعطل الملاحة فى القناة لاي سبب من الاسباب ، فان ذلك يعنى تهديدا مباشرا للصناعة البريطانية (٢) الى جانب أنه عند اللجوء لاستخدام طريق رأس الرجاء الصالح ، فذلك من شأنه أن يكلف بريطانيا زيادة فى النفقات تصل الى ٣٠ ٪ من النفقات الأصلية فى حالة استخدام القناة. (٣) .

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فان بريطانيا كانت تخشى من أن يصبح تأمين مصر للقناة حافزا أمام الدول العربية لتأمين البترول خاصة شركتى البترول البريطانية فى الكويت والعراق (٤) .

أما بالنسبة لفرنسا فان شركة قناة السويس كانت تمثل لها آخر معقل دولى للراسمال الفرنسى ، وكان مقرها باريس ومديرها فرنسى وأغلبية موظفيها من الفرنسيين (٥) والأهم من ذلك ان مصر كانت هى التى تمثل السند المباشر للثورة فى الجزائر ، وای انتصار لمصر يعنى مزيدا من الدعم لثوار الجزائر فى نفس الوقت (٦) .

بان واضحا مما كتبه السادات ان مصر كانت على استعداد لأن تؤمن للغرب ومن خلال معاهدات تسجل فى الأمم المتحدة — كل مصالحه فى حرية الملاحة فى القناة وفق معاهدة ١٨٨٨ ، وان تقوم بتعويض المساهمين والقيام بكافة التزامات الشركة المؤممة وفق ما هو منصوص عليه فى عقد الامتياز . ولكنها لم تكن لتقبل أى ضغط أو تهديد من الغرب تتم بموجبه أية تسوية ، ويشير انور السادات الى ذلك مذكرا الغرب بتجاربه فى الضغط على مصر وكيف انتهت كلها الى الفشل ، فيقول أنه « ليس فى عالم اليوم مكان لمنطق الاستعمار الذى كان ولا يزال يعتمد على القوة والضغط وعلى التهديد ، وقد

(١) محمد حسنين هيكل : خبايا السويس — دار العصر الحديث — القاهرة ١٩٦٧ .

ص ١٢

(٢) بول جونسون : حرب السويس — مصدر سابق — ص ٢٧

(٣) نفس المصدر — ص ٢٨

(٤) نفس المصدر — ص ٢٩

(٥) نفس المصدر — ص ٢٣

(٦) محمد حسنين هيكل : خبايا السويس — مصدر سابق — ص ٢٠

جريت بريطانيا ذلك طوال السنوات الماضية مع مصر ومع ذلك لم تتعظ ، جريت بريطانيا ذلك طوال سنتين قبل امضاء اتفاقية الجلاء وجريت بريطانيا وفرنسا وأمريكا ذلك طوال سنة وبعد حصول مصر على الأسلحة التشيكية وجريت بريطانيا وفرنسا وأمريكا تلك السياسة بـ ان أممت مصر شركة قناة السويس المصرية . فماذا كانت النتيجة في كل هذه الأحوال ؟ ثم يمضى السادات قائلا « ان السبيل الوحيد لحل هذه المشكلة — هو في التفاهم الودى مع مصر التى أبدت استعدادها للتعاون والتفاهم خارج كل تلك المظاهرات والحشود والتهديدات » (١) .

وبالرغم من ذلك فقد ظل قرار التأميم المصرى لشركة القناة شيئاً لا يمكن السماح به من قبل الغرب أو السكوت عليه . وتلاقت رغبتهما « بريطانيا وفرنسا » فى الهجوم المسلح على مصر ، فى الوقت الذى كانت فرنسا قد ارتبطت ارتباطاً كاملاً بإسرائيل وأيدت قيامها بحركة عسكرية ضد مصر قبل ذلك التاريخ ووقعت معها اتفاقية عسكرية سرية فى باريس يوم ١٠ أكتوبر ١٩٥٦ (٢) . وبذلك تهيأت الظروف لتوجيه الضربة العسكرية الى مصر رغم اعتراض أمريكا على ذلك ، وكان دالاس يرى ان الحصار الاقتصادى لمصر اجدى من استعمال القوة معها نظراً للظروف الدولية القائمة (٣) ، ولكن ذلك لم يمنع بريطانيا وفرنسا وإسرائيل من العدوان المسلح على مصر والذي بدأ أولاً بهجوم إسرائيلى يوم ٢٩ أكتوبر ١٩٥٦ اتخذ ذريعة للتدخل من قبل بريطانيا وفرنسا .

لم يكن هذا العدوان المسلح على مصر فى رأى أنور السادات سبباً تأميم مصر لشركة القناة . بل كان هذا التأميم مجرد رمز فى نظر الغرب لـ

(١) التحرير : ٢ أكتوبر ١٩٥٦ — مقال بعنوان « امنا الغولة .. ومجلس الأمن » .

(٢) كانت إسرائيل قد خططت لشن حرب وقائية ضد مصر منذ أن عقدت مصر صفقة السلاح مع الكتلة الشرقية وكان هدفها من ذلك تدمير قواعد الفدائيين فى غزة وفتح طريق العقبة وطريق قناة السويس للملاحة الإسرائيلية . وكان محدداً لهذه العملية أوائل شهر نوفمبر ١٩٥٥ فى الوقت الذى تكون أمريكا مشغولة فيه بالانتخابات وقد حذو بينو ذلك ووعد بالوقوف الى جانب إسرائيل فى مجلس الأمن واكثرت فرنسا من شحنات طائرات المستر الى إسرائيل فزادت من ١٦ طائرة الى ٦٠ طائرة وفى ١٠ أكتوبر وقعت الاتفاقية العسكرية السرية مع إسرائيل فى باريس . راجع : محمد حسنين هيكل — خبايا السويس — مصدر سابق — ص ٤٤ — وبول جونسون : حرب السويس — مصدر سابق — ص ١١١

(٣) محمد حسنين هيكل : العقد النفسى التى تحكم الشرق الأوسط — مصدر سابق

وصلت اليه مصر من قدرة على التخلص من آخر اشكال السيطرة الاستعمارية والتي بدأت أولى خطواتها في كسر مصر لاحتكار السلاح . وعلى هذا يرى انور السادات ان المؤامرة قد بدأت على مصر منذ ذلك اليوم الذي انتهت فيه مصر سيطرة الغرب على السلاح . وان تأميم القناة لم يزد عن كونه فرصة لتدمير كل قوة لدى مصر ويعبر السادات عن ذلك بقوله « لقد بدأت المؤامرة من قبل تأميم قناة السويس بوقت طويل . بدأت يوم كسر جمال عبد الناصر لأول مرة في تاريخ العرب ومنطقة الشرق الأوسط ذلك القيد الحديدي الذي كانت تفرضه بريطانيا على المنطقة ، فلا يتصرف حاكم الا بأوامر بريطانيا ، الرزق بيد بريطانيا ، والموت والحياة رهن لمشينة بريطانيا .. كسر جمال عبد الناصر هذا القيد يوم ان ارادوا ان يظل العرب اذلاء مجردين من القوة لكي تظل اسرائيل سيدة المنطقة تضرب وتغزو وتتوسع وعلى العرب ان يركعوا لهذا السيد » ، ثم يمضي الى القول بأنه من أجل ذلك كان ولا بد من « تدمير كل سلاح وكل قوة لدى مصر » (١).

واذا كان هذا العدوان المسلح على مصر ، يعنى ان الاستعمار قد استخدم اقصى وسائل الضغط الممكنة لاسترداد مواقعه في مصر واعادة سيطرته عليها ، فان اخفاق هذه الوسيلة وفشل الاستعمار في أن يحقق بها أهدافه تمخض عن نتائج كانت نقطة تحول هامة في الفكر السياسي للثورة . ويمكننا رصد هذه النتائج على النحو التالي وكما عبرت عنها كتابات السادات :

(اولا) لم تعتمد حكومة الثورة في مقاومتها للعدوان على القوات المسلحة النظامية وخدها ، بل اعتمدت في ذلك على الشعب بشكل رئيسي . وقد بان هذا الاعتماد على الشعب واضحا منذ الأيام الأولى لوقوع العدوان فيما كتبه انور السادات — على نحو يشبه النداء للشعب وبكل طوائفه وفئاته لمقاومة هذا العدوان — اذ كتب (باللهجة العامية) يقول : يازهران .. ياخليل يامحمد يامرقس ياخضره ياعوض ياعوضين . تار ابويا وابوك وجدي وجدك .. تار زهران . ودينشواي . كل جلده جلدوها لزهرا ن قصاها راس واحد منهم ، فرصة العمر يا جماعة ، انجليز وفرنساويين نازلين بلدنا علشان يأخذوا أرضنا ويهيجوا حماينا ويحرقوا اجرائنا زي ما عملوا في دنشواي ؛

(١) الجمهورية : ٥ ديسمبر ١٩٥٦ — مقال بعنوان « املكار » — واملكار هو اسم اب القائد المشهور هانيبال — ويقول السادات ان هذا الاسم كان هو الذي أطلقه المعتدون على خطتهم في غزو مصر .

وانتم يافتوات الحسينية والدرب الأحمر وبولاق والعباسية .. وانتم ياجدعان السيدة .. وانتم يامجاديع الاسكندرية ، متخلهوش يدخلوا شارع ولا يقعدوا في بيت » (١) ، فان كان ذلك يكشف عن ايمان الثورة بالشعب وعلى النحو الذي عبر عنه السادات بقوله « ان شعب مصر لم يسلم أبدا للظلم أو الغزو ، وانما الذي كان يخاف هم حكامه في الماضي لانهم لم يكونوا يؤمنون بهذا الشعب » (٢) ، فقد كان الانتصار على العدوان يمثل اكتشافا للطاقة التي أصبحت تملكها الثورة في مواجهتها للاستعمار ويؤكد للغرب في نفس الوقت قدرة الشعب المصري على مقاومة ضغوطه حتى وان بلغت حد استخدام السلاح .

(ثانيا) كان العدوان تجربة عملية لاختبار فاعلية التضامن العربى وامكانيته فاذا كان انور السادات قد كتب منذ اليوم الاول لعدوان اسرائيل (٢٩ اكتوبر ١٩٥٦) قائلا انه « يعتوان اسرائيل الذى بدأ مساء أمس تكون معركة القومية قد دخلت طورها النهائى .. وتكون معركة الاستعمار ضد العرب قد دخلت ايضا في مرحلة حاسمة من مراحل تطورها » (٣) ، فقد كان موقف الكثير من الشعوب العربية الى جانب مصر وتعبيرها عن ذلك بارغام حكوماتها على وقف ضخ البترول الى دول العدوان ، وقيام بعض الشعوب العربية بنسف أنابيب البترول (٤) ، كفيلا بأن يؤكد لحكومة الثورة أهمية التضامن العربى وفاعليته والعمل على تأكيده .

(ثالثا) كان انتصار مصر على هذا العدوان بمثابة اعلان لسقوط هبة الاستعمار الغربى امام شعوب العالم الثالث التى تخوض معارك استقلالها ، ويعبر انور السادات عن ذلك عندما يشير الى موقف بريطانيا بعد العدوان متسائلا : « أين الامبراطورية التى لا تغيب عنها الشمس ؟ أين الهيبة والوقار ؟ أين الغرور والكبرياء ؟ » ثم يمضى الى القول بأنه « لطالما ضحكت بريطانيا على الشعوب ولا زالت بأساطير وهمية عن قوتها التى لا تقهر وأساطيلها التى تسود البحار ، وهى فى الواقع تاجر لص لا يرمى حتى أبسط مبادئ الشرف فى الانجار ، وها هى تخرج من معركة بورسعيد مفلسة جائعة ذليلة

(١) مجلة التحرير : ٦ نوفمبر ١٩٥٦ — مقال بعنوان « تار ابويا .. وابوك » .

(٢) مجلة التحرير : ١١ ديسمبر ١٩٥٦ — مقال بعنوان « المجد للشعب » .

(٣) الجمهورية : ٣٠ أكتوبر ١٩٥٦ — مقال بعنوان « والبادىء اظلم » .

(٤) د. محمد انيس والسيد رجب حراز : ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ مصدر سابق — ص ٢٩٧

موصومة من العالم كله بالخزى والعار» (١) ، وإذا كانت مصر قد أصبحت بعد انتصارها على العدوان رمزا مجسدا للدول الصغيرة في مقاومتها للاستعمار فقد دفعها ذلك الى الاتجاه لتأييد حركات التحرر في هذه الدول الصغيرة خاصة وأنها كانت تعتبر معركتها أثناء العدوان الثلاثي انما هي من أجل هذه الشعوب الصغيرة كلها . ويعبر أنور السادات عن ذلك بقوله « كتب علينا في لوح القدر ان نخوض في مصر معركة التحرر باسم جميع الشعوب الصغيرة » « ونحن مصريون على تحقيق أهدافنا لا من أجل الشعب المصرى وامتنا العربية فقط وانما من أجل الشعوب الصغيرة المغلوبة التى تؤمن بالمثل التى تؤمن بها » (٢) .

(رابعاً) كانت الآثار التى ترتبت على فشل العدوان والتى تمثلت في البغاء مصر لاتفاقية الجلاء التى وقعتها عام ١٩٥٤ ، وسقوط حلف بغداد وانسحاب فرنسا من شمال إفريقيا (٣) ، تأكيداً لجدوى النضال الذى مارسته حكومة الثورة منذ قيامها ، ودافعاً لاستمرار سياستها في مقاومة الاستعمار .

(خامساً) كان العدوان عاملاً من العوامل التى ساهمت في تأكيد العلاقات بين الاتحاد السوفيتى ومصر وازدياد نمو هذه العلاقات . ذلك لأن الاتحاد السوفيتى بموقفه في شجب العدوان وادانته وانهاءه للدول المعتدية كان موضع تقدير بالغ من جانب الحكومة في مصر ، فأنور السادات يصف هذا الانذار بأنه كان « الضربة الثانية » التى وجهت لدول العدوان وكانت الضربة الأولى في رأيه — هى قرار سحب الجيش المصرى من سيناء كى لا تحقق دول العدوان هدفها في القضاء عليه . ويقول السادات « أما الضربة الثانية فكانت الانذار الروسى المروع .. أن الكلمات التى صيغ فيها هذا الانذار ، كانت أروع وأعنف درس تلقاه مجرم الحرب وزميله .. ففى صراحة صارمة كشفت هذه الكلمات للعالم عن فساد الغرور الذى يدفع المجرم للعدوان مجرد أنه قوى .. ووضعت هذه الكلمات بريطانيا وفرنسا في مكانهما الحقيقى بعيداً جداً عن الدول الكبرى وبعيداً جداً على الدول القوية » (٤) ، ومرة أخرى يعبر السادات عن ذلك بقوله « رأى العالم كله بعينه كيف أن الانذار

(١) مجلة التحرير : ٢٥ ديسمبر ١٩٥٦ — مقال بعنوان « أكبر بلعة » .

(٢) مجلة التحرير : ١٩ مارس ١٩٥٧ — مقال بعنوان « مذكرات أنور السادات » .

(٣) فؤاد مطر : بصراحة عن عبد الناصر — مصدر سابق — ص ٨٨

(٤) الجمهورية : ١١ نوفمبر ١٩٥٦ — مقال بعنوان « سبحانه ربى » .

الروسي التاريخي قد القى الرعب في قلب كل من ايدن وموليه مجرمي الحرب
مما جعلهما يبدوان قزمين بعد ان ظننا انهما لن يحاسبا على اجرامهما . . ولقد
كان اول رد فعل لهذا الانذار هو ان يهرول مجرمو الحرب ليحتموا في أمريكا .
وبدأنا نقرأ في البرقيات عن محاولات كل من ايدن وموليه الملحة لعقد اجتماع
مع أيزنهاور يستران به ضعفهما وهزالهما الذي ظهر في صورة مخجلة
بعد صلاصة القنابل والاساطيل « (١) .

على هذا النحو كان العدوان الثلاثي على مصر نقطة هامة في تحول
الفكر السياسي لثورة ٢٣ يوليو . واذا كان البعض يضيف الى ذلك انه « كان
لازمة السويس اثرها في توجيه ثورة التحرر الوطني في طريق التحول
الاشتراكي ، اذ بفضلها لمست قيادة الثورة اهمية السيطرة القومية على
مصادر المال والتجارة » وينتهون الى القول بأن القطاع العام قد تكون من
خلال معركة التحرر الوطني المسلحة ضد القوى الاستعمارية « ويدللون على
ذلك بأنه » لم تمض بضعة اسابيع على انسحاب قوات المعتدين من بورسعيد
حتى صدرت قرارات اخضاع المصالح الفرنسية والبريطانية والاسترالية
لأشراف الحراسات العامة وانشاء المؤسسة الاقتصادية وتمصير البنوك
وهيئات التأمين (٢) . الخ . الا اننا لا نجد في كتابات السادات ما يشير الى
ذلك من تريب او بغيد . ولكنه — وايا كانت النتائج التي تمخضت عن فشل
العدوان وانتصار مصر عليه — فان ذلك لم يضع نهاية للصدام بين الاستعمار
والثورة ، ذلك لان الثورة المصرية بعد ذلك ظلت تواجه ضغوط الاستعمار
متمثلة في مظهرين رئيسيين : المظهر الاول : وجود اسرائيل — ككيان
استعماري يعمل لحساب الاستعمار العالمي في قلب الوطن ، ويهدد مسيرة
الثورة في انتهاج سياسة مستقلة على طريق التحرر الوطني . . والمظهر
الثاني : استمرار المحاولات الأمريكية لفرض السيطرة على الوطن العربي
بما فيه مصر .

وبالنسبة للمظهر الاول وهو اسرائيل ، فان أنور السادات يرى انها
اصبحت هي المشكلة الرئيسية في الشرق الاوسط ، والسبب الاساسي لكل
الاضطراب والغليان فيه . ويعبر عن ذلك ويفسره بقوله ان « مشاكل

(١) الجمهورية : ١٨ نوفمبر ١٩٥٦ . مقال بعنوان « روسيا وأمريكا » .

(٢) د. محمد انيس والسيد رجب حراز : التطور السياسي للمجتمع المصري الحديث —
مكتبة النهضة العربية — القاهرة — ١٩٧١ — ص ٢٤٢ ، ٢٤٣ .

الشرق الأوسط واضحة لا يحتاج المرء في فهمها إلى بحث أو تنقيب وأكثر من ذلك فإن العدوان الفرنسي البريطاني الأخير على مصر قد القى كل الضوء على هذه المشاكل . فالشرق الأوسط مضطرب وفي حالة غليان . ولكن لا يمكن أن نقول هذا لنبرر أى حل لا يقتضى على هذا الاضطراب ، أو يعالج ذلك الغليان ، ولنستقصى أسباب ذلك الاضطراب والغليان ، أن أول هذه الأسباب هو إسرائيل « فبسبب إسرائيل تشرد أكثر من مليون عربي من ديارهم ومنازلهم لا لشيء إلا لأن بعض الدول الكبرى كانت ولا تزال تريد قيام دولة تسمى إسرائيل حتى ولو كان هذا على حساب أرض الآخرين وأموالهم الآخرين » (١) ، ويرى السادات كذلك أنه منذ أن فرضت إسرائيل على أرض العرب « فقد تراكمت الأخطاء بعضها فوق بعض من جانب أولئك الذين فرضوا إسرائيل ضد العرب بقصد حماية إسرائيل ودوام قيامها » (٢) فإذا كان ذلك في رأى السادات قد تسبب في « مئات من المشاكل التي أصبحت جرحاً قومياً للعرب » فإن الحل الوحيد الذي يراه لن يتأتى إلا بزوان هذا السرطان إلى الأبد (٣) وهكذا أصبح القضاء على إسرائيل مرادفاً عند أنور السادات لاستقرار الشرق الأوسط وانتهاء مشاكل العرب جميعاً .

أما عن المظهر الثانى وهو استمرار المحاولات الأمريكية لفرض السيطرة على الوطن العربى بما فى ذلك مصر ، فقد كان ذلك شيئاً طبيعياً بالنسبة للسياسة الأمريكية — لم تفتن إليه مصر فى بادئ الأمر — ذلك لأن حكومة الثورة قد نظرت إلى موقف أيزنهاور فى أدانته للعدوان نظرة التقدير والاستحسان على نحو عبر عنه السادات بقوله أن « المستر أيزنهاور وقف — يا بنى — وقفة لابد أن أسجلها له بالشكر والتقدير برغم ما فات » (٤) وبالرغم من أن موقف أمريكا هذا كان ناتجاً عن ظروف الانتخابات فى الولايات المتحدة وحرص الرئيس الأمريكى على أن يقيم دعايته فى هذه الانتخابات على أساس أنه « رجل سلام » (٥) وبالرغم من أن أمريكا كذلك قد شاركت بريطانيا

(١) الجمهورية : ٧ يناير ١٩٥٧ — مقال بعنوان « مشكلة الشرق الأوسط » .

(٢) نفس المصدر .

(٣) نفس المصدر .

(٤) أنور السادات : يا ولدى هذا عمك جمال — مصدر سابق — ص ١٩٢

(٥) محمد حسنين هيكل : خبايا السويس — مصدر سابق — ص ٢١ ، ٢٢

وفرنسا في كثير من الاجراءات العدائية ضد مصر (١) ، فائنا نجد أنور السادات في كتاباته يعبر عن أمل حكومة الثورة في أن تقوم أمريكا بدور فعال من أجل السلام ، وفي أن تكف عن تأييدها للدول الاستعمارية التي حددتها أنور السادات بأنها « بريطانيا وفرنسا » وفي « ألا تخدع أمريكا مرة أخرى منهما كما خدعت من قبل وسمحت لهما باستخدام أسلحة حلف الاطلنطي في العدوان على مصر » فيقول أنور السادات « اذاع ايزنهاور باسم أمريكا معارضته للعدوان الفرنسي البريطاني الاسرائيلي ووصفه بأنه ضد الخلق وضد الشرف ، فلماذا لا تتعاون روسيا وأمريكا داخل نطاق الأمم المتحدة وهما اليوم ميزان القوة وميزان السلام ؟ . . ان هذا التعاون اذا تم سيقضي على كل التراث الاستعماري القذر الذي تمثله اليوم بريطانيا وفرنسا ودول أخرى » ثم يقول السادات « داء العالم اليوم وقلقه وشقاؤه هو من الدول الاستعمارية أمثال فرنسا وبريطانيا اللتين لا تعرفان الشرف ولا الخلق » والدواء هو تعاون روسيا وأمريكا داخل الأمم المتحدة لكي تقطعا الطريق على هذه الطفيليات العفنة التي تريد أن تعيش على دماء الأحرار » (٢) .

ولكن هذا « الأمل » في أن تقوم أمريكا بدور الى جانب روسيا من أجل السلام لم يكن يعنى بأى حال من الأحوال ان نظرة مصر الى أمريكا قد تبدلت بين يوم وليلة ، وأن « التراث الاستعماري القذر » أصبح ممثلا اليوم « في بريطانيا وفرنسا ودول أخرى » ليس من بينها أمريكا . بل ان السادات بذلك كان يعبر عن أمل حكومة الثورة في « تحييد » أمريكا على الأقل تجاه المشكلة والا تنحاز الى جانب بريطانيا وفرنسا بعد ان حاولا « ايدن وموليه عقد اجتماع مع ايزنهاور يستران به ضعفهما وهزالهما » (٣) ، بعد توجيه الانذار الروسى ويؤكد السادات ذلك في مقال آخر عندما يقول : « نحن أيضا نطالب أمريكا ان تتعقل وتساعد العالم وليس بريطانيا فقط في محنته ، نحن نطالب أمريكا بأن تصغى إلى ضمير العالم بدلا من أن تصغى إلى ضمير العدوان » ونحن نطالب أمريكا ان يكون سلام العالم وأمنه فوق ما يسمى

(١) شاركت أمريكا كلا من بريطانيا وفرنسا في اصدار البيان الثلاثي واقترحت تدويل القناة وجهدت أرصدة مصر من العملات الصعبة ووافقت على استخدام أسلحة حلف الاطلنطي في العدوان على مصر . راجع (عبد الرحمن المرافعى : ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ — المصدر السابق — ص ٢٤٦ ، ٢٤٧)

(٢) الجمهورية : ١٨ نوفمبر ١٩٥٦ — مقال بعنوان « روسيا وأمريكا » .

(٣) نفس المصدر .

بالتحالف الغربى الذى جعلت منه بريطانيا أداة عدوان وهدم « التحالف الغربى الذى تتمسح فيه بريطانيا اليوم يا أمريكا هو الأداة التى أمدت بريطانيا بالطائرات والدبابات والدولارات وغيرها لكى تغير بها على مصر وتقتل النساء والأطفال فى بورسعيد وبرغم أنك قدمت احتجاجا يا أمريكا على استخدام هذه المعدات ضد مصر فإنها لا زالت الى هذه الساعة تستخدم فى قتل الأبرياء فى بورسعيد وفى غزة وفى رفح على مرأى من العالم وتحت اسم التحالف الغربى الشريف » (١) .

وامريكا وان كانت قد اتخذت موقفا ايجابيا الى جانب مصر فى شجبها للعدوان الثلاثى وأدانتة ، فلم يكن معنى ذلك أنها موافقة على قرار مصر بتأميم القناة . ذلك ان تأميم القناة وظروف تعطل الملاحة فيها قد جسد أمامها أخطارا جديدة عبر عنها الرئيس ايزنهاور فى رسالة الى الكونجرس بقوله « ان الشرق الأوسط هو مفتاح الطريق بين أوربا وآسيا وأفريقيا وان هذه المنطقة تحوى قرابة ثلثى الاحتياطي من بترول العالم وانها هى التى تمد كثيرا من شعوب أوربا بحاجتها من البترول ، وان شعوب أوربا تعتمد اعتمادا خاصا على هذا المورد وهذا الاعتماد لا يقتصر على البترول نفسه وانما على وسائل نقله ايضا وقد اتضح ذلك أثناء اغلاق القناة وتخريب بعض أنابيب البترول (٢) » وعلى ذلك فان أمريكا لم تكن لتوافق على هذه الخطوة من جانب مصر ، أو أن تتركها دون الرد عليها . وكانت أمريكا ترى أن الأسلوب الأمثل لهذا الرد هو القضاء على الثورة المصرية ، على أن يكون ذلك « بالحصار » وليس باطلاق الرصاص (٣) ، وبدأت بتنفيذ هذه الخطة عقب انتهاء العدوان الى الفشل . كان هدف أمريكا من هذه الخطة كما يقول السادات هو تحقيق « الأهداف التى لم تستطع بريطانيا وفرنسا بجيوشهما ان تحققها ولكن من غير حرب » (٤) ، وقد وضعت على اساس « العزل من الخارج » و « الغزو من الداخل » ويقول أنور السادات ان « العزل من الخارج » هذا بدأ مباشرة على شكل ضغط سياسى وحصار اقتصادى وتجميد لاموال مصر ومنعها من

(١) الجمهورية : ٢٥ نوفمبر ١٩٥٦ — مقال بعنوان « لا يا أمريكا » .

(٢) شهادى عطية الشافعى : تطور الحركة الوطنية المصرية ١٨٨٢ — ١٩٥٦ — الدار

المصرية للكتب — القاهرة — ١٩٥٧ — ص ٢٠٧ ، ٢٠٨

(٣) محمد حسنين هيكل : العقد النفسى الذى تحكم الشرق الأوسط — مصدر سابق

ص ٨٦

(٤) أنور السادات : يا ولدى هذا عمك جمال — مصدر سابق — ص ١٩٦ ، ١٩٧

الحصول على حاجاتها من أسواق العالم » ، كما رفضت أمريكا أن تبيعنا « القمح يوم أن كنا نعد العدوان على وشك أن نجوع » ، ورفضت أن تبيعنا « البترول بعد العدوان أيضا وبعد أن حطمت إسرائيل — بتأييد حليفتيها بريطانيا وفرنسا وبالسلاح الذي اعطاه لها مستر دالاس — وبعد أن حطمت إسرائيل أبارنا في سيناء » وأوعز المستر دالاس الى الأسواق الغربية لكي لا تشتري منا أو تبيعنا شيئا « (١) ، أما الضغط السياسي — وهو جزء من خطة العزل الخارجي — فيقول السادات أنه بدأ بسلسلة من التصريحات تقول « بحق إسرائيل في المرور من قناة السويس ، وبحق إسرائيل في المرور من خليج العقبة ومحاولة تدويل قطاع غزة أو ضمه الى إسرائيل » (٢) .

أما « الغزو من الداخل » — وهو الذي لم يشر أنور السادات الى تفاصيله فيما كتب ، واكتفى بالقول بأن دالاس « أوعز الى عملائه من ملوك ورؤساء العرب بأن يستعدوا للدخول في المعركة ضد مصر » وأنه « بدلا من ان تعزل مصر — عزل الملوك والرؤساء العرب — من عملاء أمريكا » (٣) ، فإن السادات كان يقصد بذلك محاولة أمريكا بعث الحياة في « مشروع الاتحاد أو الحلف الاسلامي » والذي كان الهدف الأساسي منه — كما جاء في مذكرات الرئيس الأمريكي ايزنهاور « ان يجعلوا من الملك سيفود ندا لعبد الناصر ، وان اختيار الملك كان اختيارا مثاليا لأنه يدعو الى مقاومة الشيوعية ، الى جانب مكانته الدينية في العالم الاسلامي ، وعلى ذلك كانت الاهداف هامة وخطيرة » (٤) .

ولسكن الفشل في احياء مشروع الاتحاد الاسلامي هذا ، لم يمنع أمريكا من أن تتقدم — وعلى الفور بمشروع آخر — هو المشروع الذي قدمه الرئيس الأمريكي يوم ٥ يناير ١٩٥٧ الى الكونجرس — وعرف باسمه — يطلب فيه « حق تخويله سلطة استخدام القوات المسلحة الأمريكية «لوقاية» اراضي الشرق الأوسط واستقلاله السياسي اذا طلب مثل هذه المساعدة لمقاومة أي

(١) نفس المصدر .

(٢) نفس المصدر .

(٣) نفس المصدر .

(٤) Eisenhower (Dwight) : The White House Years A Personal Account 1951-1961, Doubleday & Company, New York, 1965, P. 114.

عدوان مسلح سافر تقوم به أية دولة تسيطر عليها الشيوعية الدولية « وجاء في المشروع » أنه سنيخول للولايات المتحدة التعاون مع أي شعب أو مجموعة من الشعوب في منطقة الشرق الأوسط ومساعدته أو مساعدتها في تعزيز قوته أو قوتها الاقتصادية « (١) .

كان مشروع أيزنهاور هذا نتيجة طبيعية لفشل العدوان على مصر ويقول مايلزكوبلاند : « أننا أدركنا أن خروج البريطانيين من المنطقة بعد هزيمة السويس سيترك فراغا فيها » وأنه كان على مخططي السياسة الأمريكية أن يبحثوا عن مشروع تملأ به أمريكا هذا الفراغ (٢) ، ولكن أنور السادات يكشف عن الهدف الرئيسي لهذا المشروع فيقول « أن أمريكا تريد أن تحتل نفس الوضع ونفس المكانة التي كانت لبريطانيا وفرنسا في هذه المنطقة ضد إرادة شعوب المنطقة وأهلها » وأن أمريكا تريد أن تكمل المعركة التي بدأتها فرنسا وبريطانيا ولم تستطعا أن تصمدا فيها ، معركة مناطق النفوذ وفرض إرادة الدول الكبرى على الدول الصغرى بالقوة » ، « أمريكا تريد أن تقول لشعوب هذه المنطقة أنها أقوى من روسيا ، لا عن طريق استخدام القوة وحدها ، وإنما أيضا عن طريق الرشوة والدولار » (٣) ، ويعبر السادات عن نفس المعنى في مقال آخر قائلا : « أن أمريكا بالعربي الفصيح تريد أن تفرض نفوذها على منطقة الشرق الأوسط بعد أن انهار نفوذ بريطانيا وفرنسا » (٤) ، وعلى هذا الأساس تصدت مصر لمشروع أيزنهاور ، وشنت حملة من الهجوم الشديد على البلاد العربية التي قبلته (لبنان والأردن) . ذلك لأن أي حاكم عربي كان يقبل هذا المشروع ، يعنى أنه وضع نفسه « أداة لهذه القوى الأجنبية أعداء الأمة العربية » . . كما يقول السادات « (٥) .

وبعد استعراض كل ما جاء في كتابات السادات حول هذه القضايا التي واجهت الثورة ، يمكن أن نخرج بالحقائق التالية :

(١) الجمهورية : ٦ يناير ١٩٥٧

(٢) مايلزكوبلاند : لعبة الأمم — تعريب مروان خير — المركز الدولي — بيروت — الطبعة الأولى — ١٩٧٠ ، ص ٢٤٢

(٣) الجمهورية : ٩ يناير ١٩٥٧ — مقال بعنوان « حقيقة العدوان » .

(٤) الجمهورية : ١٦ يناير ١٩٥٧ — مقال بعنوان « بالعربي الفصيح » .

(٥) الجمهورية : ١٤ يونيو ١٩٥٧ — تحقيق سياسي بعنوان « لماذا يصر الملك حسين

على اختراع معركة وهمية مع مصر » .

أولاً : ان أنور السادات فى تناوله لهذه القضايا كان حريصا على أن يبرز موقف الثورة منها وتصرفها حيالها ، والأساس الذى انطلقت منه فى تحديدها لهذه المواقف باعتبارها ثورة تحرر وطنى .

ثانياً : فى متابعة أنور السادات لهذه القضايا كان يعنى بذكر تفاصيلها وجوانبها المختلفة وإيراد المعلومات التى تعبر عن موقف الثورة من القوى العالمية المختلفة (بريطانيا وفرنسا وأمريكا والاتحاد السوفيتى) فى إطار هذه القضايا وذلك ما لم يكن ممكنا لى صحفى آخر أن يقدمه .

ثالثاً : أوضحت هذه الكتابات لأنور السادات بعض جوانب الخطأ فيما وصل إليه بعض الباحثين — وفق اجتهاداتهم الخاصة — عندما تناولوا البحث فى هذه القضايا وكتبوا فيها .

الفصل الثالث

القضية القومية

الثورة بين الفكرة العربية والفكرة الاسلامية :

المقصود بالقضية القومية في هذا البحث ، هو تحديد الكيان الذي أصبحت تنتمي اليه مصر بعد قيام ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ ، باعتبار أن القومية تعنى « الاحساس المشترك بالولاء الى كيان جماعى أعلى من الولاء المحلى أو الاقليمى » (١) ، خاصة وان مصر طوال السنوات الثلاثين السابقة على قيام الثورة كانت قد تنازعتها ثلاثة اتجاهات رئيسية فى اطار القضية القومية هى الاتجاه الاسلامى والاتجاه العربى والاتجاه الفرعونى (٢) ، دون ان تستقر تماما على أحد هذه الاتجاهات بحيث يمكن القول بأن مصر قد أصبحت تنتمي اليه .

وعلى هذا الأساس فان البحث عن موقف قيادة الثورة من القضية القومية ، لا يمكن أن يتم بمعزل عن هذه الاتجاهات الثلاثة لمعرفة الاتجاه الذى استقرت على الأخذ به ودوافع هذا الاختيار ومبرراته والظروف التى حتمت ضرورة الأخذ به .

وقد كان واضحا عند قيام الثورة ان النظرة الى هذه الاتجاهات الثلاثة قد ساوت بين الاتجاهين العربى والاسلامى ووضعت الى جانبهما ما يمكن ان يطلق عليه الاتجاه الأفريقى دون أدنى اشارة الى ما يمكن أن يكون اتجاها مصريا يعبر عن قومية مصرية ونجد جمال عبد الناصر يشير الى هذه الاتجاهات الثلاثة فيما سماه « بالدوائر » قائلا أنه لا يمكن تجاهل « ان هناك دائرة عربية تحيط بنا وان هذه الدائرة منا ونحن منها » و « ان هناك قارة أفريقية شاء لنا القدر ان نكون فيها » و « ان هناك عالما اسلاميا تجمعنا

(١) Encyclopedia Britanica, William Beton Puplisher
London, 1973.
Volume 16. pp. 60, 63.

(٢) انيس صايغ : الفكرة العربية فى مصر - مطبعة هيكال الغربى - بيروت - ١٩٥٩ -

واياه روابط لا تقربها العقيدة الدينية فحسب وانما تشدها حقائق التاريخ « (١) .

وكان الأخذ بهذه الاتجاهات الثلاثة على هذا النحو وان أسقط من الاعتبار ما يمكن ان يقال عنه بالقومية المصرية نهائيا وجدد انتماء مصر الى كيان أعلى الا أنه في نفس الوقت لم يحدد نهائيا الى أي كيان يصير انتماء مصر بشكل محدد . هل هو الكيان الاسلامي أم هو الكيان العربي أم الكيان الأفريقي . « فاذا كان الأمر قد استقر بعد ذلك بشكل نهائي عام ١٩٥٥ واعلنت مصر انتماءها العربي بوضوح مفرقة بين المصرية كوطنية والعربية كقومية ، على النحو الذي عبر عنه أنور السادات بقوله ان مصر « قررت ان تبلور سياستها » وتحددها تحديدا واقعيا واضحا وانتهت إلى جعل تلك السياسة داخل إطارين لا تخرج عنهما « ثم حدد أنور السادات هذين الإطارين بأنهما « الوطنية المصرية والقومية العربية » (٢) ، فلقد كانت الشهور الثلاثين التي سبقت هذا الاختبار النهائي وتحديد انتماء مصر العربي هي في الواقع فترة اختبار للاتجاهين الآخرين الاسلامي والأفريقي (٣) .

واذا كنا لا نجد في كتابات أنور السادات ما يشير الى كيفية اختبار الفكرة الأفريقية أو حدود الشوط الذي قطعتة الثورة في هذا الاتجاه وحدود النظرة اليه فانه على العكس من ذلك تماما نجد ابعاد الفكرة الاسلامية كاملة فيها كتبه أنور السادات عام ١٩٥٤ عن المؤتمر الاسلامي عقب تكوينه في هذا التاريخ . باعتبار ان هذا المؤتمر كان هو التجسيد الكامل للاتجاه الاسلامي كما ارادته قيادة الثورة في ذلك الوقت (٤) .

وأول الملامح التي يمكن رصدها في هذا الاتجاه الاسلامي هو الربط الكامل بين الدين والمجتمع وبين الدين والوطنية . فالدين في رأى السادات « ما وجد الا لكي ينتشر العمران وتقام الحضارات في كنفه ويعم العلم ويشيع

(١) جمال عبد الناصر : فلسفة الثورة ، مكتبة العرفان — بيروت — بدون تاريخ — ص ٨٣ ، ٨٤

(٢) الجمهورية : اول فبراير ١٩٥٤ — سلسلة مقالات بعنوان « الى أين با رجال العرب » مقال بعنوان « صوت مصر صادر من اعماق شعوب العرب » .

(٣) أنيس صايغ : الفكرة العربية في مصر ، مطبعة هيكل القريب — بيروت — ١٩٥٩ ، ص ٢٦٣

(٤) نفس المصدر .

العمل « (١) ، و « الدين انزل على عباد الله لكي يحطم اغلالهم ويحميهم من الظلم والسخررة والجهل .. ويحميهم مما يهدد تقدمهم ورزقهم وعملهم وحياتهم « والدين « لم يوجد الا من أجل الملايين .. لا الافراد « (٢) .

وبهذا المفهوم فان الدين من حيث هو سبيل للتغيير نحو الأفضل والأمثل فانه كان يتوافق مع طبيعة الثورة ذاتها التي تنشد هذا التغيير دون وجود لاي تناقض بين الدين والوطنية وجعل كلا منهما مرادفا للآخر بل جعل حق الوطن على الانسان مساويا لحق الدين عليه وفي ذلك يقول انور السادات « الدين يدعونا لكي نعرف حق أوطاننا التي وهبنا الله أياها » فمن يفرط في حق وطنه بالدعوة الى التفرقة أو بالدعوة الى الخصومة أو باثارة الاحتقاد أو بالتخلف عن ركب الوطن لشهوة الدنيا والمناصب كافر بالوطن وكافر بالدين « (٣) .

ومن ناحية أخرى فقد كان واضحا لأنور السادات مدى القدرة التي تملكها الشعوب الإسلامية وامكانية تأثيرها في العالم اجمع اذا ما توجدت صفوها واجتمعت ارادتها على هدف واحد . ويشير الى هذه الحقيقة كما تجسدت تاريخيا بالفعل وليست مجرد استنتاج لفروض يضعها ، فالمسلمون كما يقول « انتصروا منذ تكتل الانتصار ومضوا باسم الحق الى بقاع الأرض يحملون أعظم دعوة واروع منطق الى المظلومين في آسيا ... الى العبيد في افريقيا وأوروبا وعلى اعمدة العدل اقام المسلمون ابراطوريتهم وما كان اقواما من عهد . وما كان اصلها « (٤) .

ثم يضع أنور السادات ذلك مقابلا للواقع الذي تعيشه شعوب العالم الإسلامي والذي يمثل نوعا من المصير المشترك لها ويمثل احدي الروابط بينها فيقول « أصبحنا نحن المسلمين في آسيا وفي أوروبا وفي افريقيا نستبد

(١) الجمهورية : ٢٠ أغسطس ١٩٥٤ — مقال بعنوان « المعجزة (١) » من سلسلة مقالات بعنوان « نحو بحث جديد » . وقد وردت عناوين المقالات في الكتاب فقط ونشرت المسلسلة بعنوان « نحو بحث جديد » .

(٢) نفس المصدر .

(٣) الجمهورية : ١٣ يناير ١٩٥٤ — مقال بعنوان « رأى » .

(٤) الجمهورية : ١٧ أغسطس ١٩٥٤ — مقال بعنوان « نجوى » من سلسلة مقالات بعنوان « نحو بحث جديد » . وقد ورد عنوان « نجوى » في الكتاب الذي صدر بعنوان المسلسلة « نحو بحث جديد » .

بنا الظلم وتفترسنا الحاجة ويقهرنا الغزاة على اختلاف جنسياتهم ومذاهبهم « (١) .

وإذا كان أنور السادات على هذا الأساس قد رأى ضرورة « توحيد المسلمين » لأن الحاجة الى توحيد ملايين المسلمين أصبحت ضرورة تحتها رغبة تلك الشعوب في التحرر والانطلاق الى الحياة .. الى الحق والعدل والعمل « (٢) ، وكان المؤتمر الاسلامي هو التجسيد الكامل لمثل هذا « التوحيد » فان أنور السادات يوضح هذه الرغبة للشعوب الاسلامية في الاتحاد والهدف الذي كان ينشده زعماء المسلمين من وراء ذلك وتطلعهم الى أن مصر وحدها هي الكفيلة بتحقيق مثل هذا الاتحاد الاسلامي فيقول : « كانوا يقبلون علينا مسلمون من آسيا ومن أفريقيا ومن كل أطراف الدنيا .. ثم يحيطون بنا .. ونفس الشيء الفامض كان كامنا في كل عين التقت بها عيناي .. انهم يريدون ان يقولوا شيئا .. وخيل الى أنهم يريدون وهم يحيطون بجمال عبد الناصر مرحبين ملهوفين ان يقولوا له « ايها الثائر الذي من مصر ماذا تصنع ؟ ثم يمضي السادات قائلا « ومن خلال الكلمات العديدة التي خرجت من افواه أعضاء الوفود فهمنا أنهم على وعي عظيم . هم قد عرفوا — مثلا — أن المسلمين ملايين المسلمين في آسيا وأفريقيا يمكن ان يمشوا — جميعا — في طريق واحد يصنعون شيئا ما رائعا ضخما يحدد لهم مكانهم تحت الشمس وينتشلهم من تلك الهوة المظلمة الكئيبة العفنة التي تردوا فيها منذ مئات السنين ثم لم يجدوا من يمد يده ليخرجهم منها الى النور .. أما هذا الشيء الذي يمكنهم — المسلمون — ان يصنعوه فلا أحد منهم كان يعرف « ثم يستطرد أنور السادات قائلا « كان أعضاء الوفود يحاولون بكل ما يملكون من طاقة متأججة كامنة في نفوسهم منذ فجر الاسلام ان يحددوا هذا الشيء الذي يجب ان يصنعوه ليتخلصوا من مأساتهم . من مأساتنا جميعا .. « (٣) .

ومعنى ذلك ان مصر كانت امام زعماء المسلمين هي الأمل لتحقيق هدفهم في اقامة الوحدة الاسلامية ، وهي القادرة على « ترجمة » ما يجول بنفوس

(١) نفس المصدر .

(٢) الجمهورية : ٢١ أغسطس ١٩٥٤ — مقال بعنوان « المعجزة (٢) » من سلسلة مقالات بعنوان « نحو بعث جديد » .

(٣) الجمهورية : ١٩ أغسطس ١٩٥٤ — مقال بعنوان « الأمل » من سلسلة مقالات بعنوان « نحو بعث جديد » . ويشير السادات الى الوفود التي التقى بها أثناء فريضة الحج .

المسلمين ووضعهم على طريق واحد ليصنعوا « شيئاً ما رائعا ضخماً يحدد لهم مكانتهم تحت الشمس » كما قال أنور السادات .

ولكن هذه العوامل السالفة كلها ، لم تكن في حقيقة الأمر هي الدوافع الوحيدة لتجاوب قيادة الثورة مع الاتجاه الاسلامي ، وانما كان هناك عامل آخر على قدر كبير من الأهمية ساعد بدرجة ما على دفعهم الى هذا الاتجاه ذلك ان قيادة الثورة كان يهملها بعد حل جماعة الاخوان المسلمين في منتصف شهر يناير عام ١٩٥٤ ، الا تبدو في الساحة الاسلامية على انها نظام حكم معاد للاسلام ، والا تفقد تعاطف العالم الاسلامي معها لهذا السبب ، خاصة وان الاخوان لم يقتصر وجودهم على مصر ، بل كان لهم خارج مصر آلاف المؤيدين والمناصرين . وعلى ذلك كان ولا بد ان تجد الثورة اساسا تدعم به اتجاهها الاسلامي بعد حل جماعة الاخوان ، وكان ذلك الشيء هو المؤتمر الاسلامي (١) .

ولهذا فان أنور السادات كان حريصا على أن يعزو الى هذه الجماعة انها كانت السبب في تأخر المسلمين وفساد احوالهم وسبب نكبتهم . ولا شك ان مثل هذه الكتابة تكون ذات مغزى واضح عندما تأتي في مجال الحديث عن المؤتمر الاسلامي الذي هو أمل المسلمين كما أوضح السادات فهم في رايه « اختطفوا المشعل المضيء الباهر واخفوه عن انظارنا لكي يستعيدوا ويبطشوا ويسلبوا وينهبوا ثم يقولوا للمسلمين نحن أولياء عليكم فأطيعونا .. ويطيعهم المسلمون فيمضي الأولياء يحكمون والدنيا لهم والآخرة » (٢) .

ويمضي أنور السادات الى ما هو أبعد من ذلك فيربط بين هذه الجماعة وبين الاستعمار ويجعل من بقائهم رهنا ببقاء الاستعمار فيقول أنهم « لا يريدون للاستعمار أن يزول ، لأن زوال الاستعمار معناه زوالهم » (٣) ثم يستخلص السادات دليله على ذلك بما حدث في مصر فيقول « ان كل تاجر دين ظهر هنا في مصر — مثلا — كان لا يتجه بكفاحه الى الاستعمار مباشرة

(١) أنيس صايغ : الفكرة العربية في مصر — مطبعة هيكل الغريب — بيروت — ١٩٥٩ —

ص ٢٦٨

(٢) الجمهورية : ١٨ أغسطس ١٩٥٤ — مقال بعنوان « كنا فاصبحنا » من سلسلة مقالات

بعنوان « نحو بحث جديد » .

(٣) الجمهورية : ٢٣ أغسطس ١٩٥٤ مقال بعنوان « أعظم الأعمال » من سلسلة مقالات

بعنوان « نحو بحث جديد » .

او إلى الجهل . . إلى الأعداء الحقيقيين للشعب بل كان يفرغ كل طاقته وطاقته اتباعه في مهاجمة الأذرع العارية ، ويخل بعض الذين « اصطفاهم » الله بنعمته والقبعات وظل الكلب هل ينقض الضوء أو لا ينقضه . . والسينما التي هي رجس . . والفن الذي هو شر وحكايات عن الافرنج الكفرة . كان يحول انظار الشعب الى اشياء ليست في برنامج كفاحه من أجل التحرير . . من أجل الرزق . . من أجل العلم . . من أجل السلام . ومن ثم ارتكب — تجار الدين — صناع الكهانة الجريمة الكبرى لتثبيت أركان الاستعمار في بلاد المسلمين وتلك الجريمة هي صنع ستار حديدي بين عقول المسلمين وبين الثقافة العالمية . . التي هي الأساس في بناء الحضارات « (١) » ، ثم يخلص السادات من ذلك كله الى ان « تجار الدين » هؤلاء ليسوا في مصر فقط وانما هم في الشرق الاسلامي كله وكانوا هم السبب وراء كل تخلف في الشرق ويشير انور السادات إلى ذلك قائلاً « هناك في الغرب لقي الكهنوت مصرعه وتم القضاء على تجار الدين فانبعثت النهضة وهنا في الشرق تركنا الكهانة تمسح الدين فاستغل في القضاء على نصيبنا من الحضارة وتركنا مصيرنا يحدده تجار الدين منذ القرن الثالث عشر حتى القرن العشرين » (٢) .

على أساس هذه النظرة الى المؤتمر الاسلامي ، يمكن القول بأن قيادة الثورة كانت تهدف من وراء الفكرة الاسلامية الى تحقيق التعاون والتضامن بين الشعوب الاسلامية لخير المسلمين انفسهم من جهة (٣) ، وللمعاونة في تحقيق هدف الثورة الأول في القضاء على الاستعمار من جهة اخرى ، وذلك على اعتبار ان مثل هذا المؤتمر الاسلامي كفيل بأن يحقق نوعاً من الوحدة وتكتيل الجهود في مواجهة الاستعمار وذلك ما يؤكد انور السادات عندما يشير الى هذا المعنى بقوله انه « سيكون في مقدمة اهداف المؤتمر محاربة الاستعمار في جميع البلاد الاسلامية وانه في سبيل توحيد جهود المسلمين هيئات وشعوب لأن المؤتمر الاسلامي اعم واشمل من الجهود المتفرقة » (٤) ، وغير

(١) نفس المصدر .

(٢) الجمهورية : ٢٤ أغسطس ١٩٥٤ — مقال بعنوان « الثقافة وسيلة والحضارة غاية » من سلسلة مقالات بعنوان « نحو بعث جديد » .

(٣) انيس صايغ : الفكرة العربية في مصر ، مطبعة هيكل الغريب ، بيروت ١٩٥٩ — ص ٢٦٨

(٤) الجمهورية : ١٧ سبتمبر ١٩٥٤ « مؤتمر صحفى لانور السادات » .

ذلك فان قيادة الثورة كانت حريصة على الا تجعل من موقفها من الاخوان المسلمين مجرد مسألة محلية يمكن ان يخضع تفسيرها لتأويلات متعددة في العالم الاسلامى وقصدت الى تعميم هذا الموقف على مستوى الشعوب الاسلامية جميعها وتقنين موقف مصر تقنيا اجماعيا من البلاد الاسلامية وذلك ما نجده في دعوة أنور السادات الى المؤتمر لأن يقوم بدوره في الوقوف في « وجه تجار الدين »^(١) وأن يحرر ملايين المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها من مأساة الكهانة^(٢) ، وبهذا يصبح الموقف من الاخوان المسلمين موقفا اسلاميا عاما وليس مجرد موقف مصرى بحت .

واذا كانت قيادة الثورة في مصر قد سارت في اتجاه الفكرة الاسلامية شوطا واضحا الى هذا الحد ، فهل كان ذلك يعنى ان هذا الاتجاه كان بديلا تماما للاتجاه العربى ؟ ان أهمية هذا السؤال في واقع الأمر تكمن في ان الفكرة الاسلامية كانت تتناقض دائما مع الفكرة العربية في مصر ، وفي كل الفترات التى كانت تسود فيها الفكرة الاسلامية ، كان ذلك يتم على حساب الفكرة العربية بالدرجة الاولى ويتسبب في عزل مصر تماما عن تيار القومية العربية، ويمكن رصد هذه الظاهرة بوضوح في الفترة التى أعقبت بدء الاحتلال البريطانى لمصر . فعندما انتهى الأمر بفشل الثورة العربية ووتوع الاحتلال أصبحت القضية الرئيسية لدى المصريين هى مقاومة هذا الاحتلال ودفعهم ذلك الى التطلع لتأييد الدولة العثمانية وتحفيز الدعوة الى الجامعة الاسلامية كعامل دعم لهم في نضالهم ضد هذا الاحتلال^(٣) ، وكان ذلك كفيلا بأن يباعد بين مصر وبين شعوب المشرق العربى^(٤) ، بل وأن يتسبب في عزل مصر — لفترة من الزمن — عن تيار القومية العربية^(٥) ، ولقد كان ارتباط الاتجاهات

(١) الجمهورية : ٢٠ أغسطس ١٩٥٤ — مقال بعنوان « المعجزة (١) » من سلسلة مقالات بعنوان « نحو بعث جديد » .

(٢) الجمهورية : ١٩ أغسطس ١٩٥٤ — مقال بعنوان « الأمل » من سلسلة مقالات بعنوان « نحو بعث جديد » .

(٣) عبد العزيز الدورى : الجذور التاريخية للقومية العربية — دار العلم للملايين — بيروت — ١٩٦٠ — ص ٨٤ ، ٨٥

(٤) حازم نسييه : القومية العربية — ترجمة عبد اللطيف شراره — دار بيروت للطباعة والنشر — بيروت — ١٩٥٩ — ص ٥٧

(٥) عبد العزيز الدورى : الجذور التاريخية للقومية العربية — دار العلم للملايين — بيروت — ١٩٦٠ — ص ٥٧

القومية بالقضية الوطنية على هذا النحو سببا في بروز تناقض حاد بين الاتجاهين العربى والاسلامى ذلك لأن الاحتلال البريطانى لمصر جعل قضيتها تختلف عن قضية المشرق العربى . وذلك لأنه فى الوقت الذى كانت تستعين فيه مصر بدولة الخلافة ضد الانجليز كانت دول المشرق العربى ، على العكس من ذلك تكافح فى سبيل تحريرها من السيطرة العثمانية وتنشد تأييد انجلترا والدول الأوروبية لها فى ذلك ، وعلى هذا الأساس كان التناقض بين الاتجاهين العربى والاسلامى تناقضا لا يمكن اغفاله (١) .

وواقع الأمر انه اذا كان الاتجاه الاسلامى قد سبق الاتجاه العربى فى الدخول الى مرحلة « التجريب والاختبار » فى الشهور الأولى للثورة (٢) — فان مصر بانشائها للمؤتمر الاسلامى لم تكن تقصد أن يكون ذلك شيئا متعارضا مع الجامعة العربية ، وحتى لو كانت الثورة قد قصدت ان يكون الاتجاه الاسلامى بديلا عن الاتجاه العربى فان البعض يرى باستحالة ذلك باعتبار ان مصر كانت على مدى التاريخ جزءا من الوطن العربى خضع لكل ما خضع له الوطن الواحد من مؤثرات (٣) ، وكذلك لأن موقعها الجغرافى أيضا جعل من عروبتها مسألة حتمية فهى « من الدول العربية القليلة التى لا حدود لها مع غير العرب وهذا العمق الجغرافى لم يمنحها الأمن والسلامة والاستراتيجية فحسب ، بل جعلها طوال التاريخ تتعامل وتتفاعل مع عرب وعروبة بعكس أطراف العالم العربى نفسه حيث تعرضت للمؤثرات الأجنبية المتأخمة (٤) وإضافة الى ذلك فان البعض يرى ان الوحدة الاسلامية لا يمكن ان تتحقق — على فرض امكانية تحقيقها — دون ان تتحقق فى رأيهم الوحدة العربية أولا ، وذلك لأن تحقيق الوحدة العربية أسهل بكثير من تحقيق الوحدة الاسلامية ، وهؤلاء يقيمون رأيهم فى ذلك على أساس أنهم لا يتصورون امكانية

(١) د. محمد أنيس والسيد رجب حراز : التطور السياسى للمجتمع المصرى الحديث — دار النهضة العربية — القاهرة ١٩٧١ — ص ٢١٥

(٢) أنيس صايغ : الفكرة العربية فى مصر — مطبعة هيكل الغربى — بيروت ١٩٥٩ — ص ٢٦٢ ، ٢٦٨

(٣) د. محمد أنيس والسيد رجب حراز : التطور السياسى للمجتمع المصرى الحديث — مصدر سابق ، ص ٢١٤
١٩٦٧ ، ص ٢٤٠ ، ٢٤١

(٤) جمال حمدان : شخصية مصر ، دراسة فى عبقرية المكان — كتاب الهلال — القاهرة

قيام وحدة بين « الترك والعرب والفرس والملايو والزنج دون اتحاد العرب أنفسهم أولا » (١) ، وعلى ذلك فان الوحدة الاسلامية وان كانت اوسع واشمل من مفهوم الوحدة العربية الا انه من غير الممكن القول بالوحدة الاسلامية دون القول بالوحدة العربية » (٢) .

ولقد ظهرت أول اشارة واضحة لانتماء مصر الى الكيان العربى عام ١٩٥٥ فيها كتبه انور السادات عن أن مصر قد انتهت الى تحديد سياستها « تحديدا واقعيا واضحا وانتهت — أى مصر — الى جعل تلك السياسة داخل اطارين لا تخرج عنهما : الوطنية المصرية والقومية العربية » (٣) .

واذا كان استخدام انور السادات لكلمة « واقعيا » كما وردت في تعبيره المتقدم ، يؤكد بما لا يدع مجالا للشك ان اختيار قيادة الثورة للاتجاه العربى كان مسألة حتمها الواقع وفرضها فاننا نجد دليلا آخر يؤكد هذه الحقيقة ايضا وهو ان هذا الاتجاه العربى لم تأخذ به الثورة الا بعد دراسة مستفيضة وشاملة تناولت واقع الوطن العربى وماضيه وظروفه وأهدافه ومصالحه وعلى اساسها حددت مصر سياستها العربية كنتيجة حتمية لهذه الدراسة ، وهذه الحقيقة يشير انور السادات اليها قائلا « اريد ان اقول ان مصر قد درست في اهتمام زائد — أخيرا — السياسة العربية في هذه المنطقة من الشرق الأوسط . . وكانت دراسة شاملة عميقة اعتمدت على الواقع والتاريخ فاستمدت اتجاهاتها من مآسبى الماضى ودروس الماضى ومحن الماضى . درست مصر — اذن — السياسة العربية وعلاقاتها بالعالم العربى بواقعه وظروفه بأهدافه ومصالحه ثم درست أيضا علاقات هذا العالم العربى بالكتل المختلفة . . وذلك بعد ان درست الجامعة العربية وميثاق الضمان الجماعى » .

ثم ينتهى انور السادات بعد ذلك الى القول « ان مصر بعد ان اتمت

(١) ساطع الحصرى : آراء وأحاديث في الوطنية والقومية — مطبعة الرسالة — القاهرة

١٩٤٤ ، ص ٩٠ ، ٩١

(٢) نفس المصدر .

(٣) الجمهورية : أول فبراير ١٩٥٥ — مقال بعنوان « صوت مصر صادر من أعماق شعوب

العرب » من سلسلة مقالات بعنوان « الى أين يا رجال العرب » .

دراستها تلك ؛ قررت ان تبلور سياستها — هي — وتحددها تحديدا واقعيا واضحا « (١) .

وأنور السادات وان كان قد اثار إلى ان سياسة مصر قد تقرر ان تكون داخل اطارين هما « الوطنية المصرية والقومية العربية » فانه لم يقصد بذلك ان يفرق بين « الوطنية وبين القومية » ، أو ان يجعل من كل منهما شيئا منفصلا عن الآخر أو كيانا قائما بذاته ، وانما كان يشير بذلك الى ان السياسة التى ستنتهجها مصر ستكون فى اطار المصلحة القومية ، وكما ذكر السادات قائلا « بحيث لا يظهر تناقض بينهما وبحيث لا تكون مصلحة مصر وسلامتها عاملا من عوامل الحاق الضرر بمصالح وسلامة دولة عربية أخرى » (٢) ، ومن المؤكد ان قيادة الثورة فى انتهاجها لهذا الأسلوب انما كان نتيجة للدراسة الشاملة التى أجرتها عن السياسة العربية والتى وضعت على أساسها سياستها هى فى اطار الاتجاه القومى العربى . فقد كان واضحا من هذه الدراسة ان تناقض السياسات العربية على مدى التاريخ ، كان هو السبب فى كل المآسى التى حلت بالعرب وذلك ما يشير اليه أنور السادات عندما يقول « استعرضت مصر خلال دراستها هذه كل المآسى التى حلت بالعرب كأمة نتيجة للسياسات المتناقضة التى لا تستمد أصولها من الواقع والتاريخ والتجارب العديدة على مر السنين » (٣) ، وبهذا المفهوم — رأت — قيادة الثورة ألا يكون هناك أدنى تناقض بين سياسة مصر وسياسة الدول العربية الأخرى ، ولم يكن المقصود بأى حال من الأحوال ان تكون الوطنية المصرية كيانا جماعيا مساويا للقومية العربية كما لم يكن المقصود به الفصل بين الوطنية والقومية بحيث يمثل كل منهما كيانا مستقلا أو منفصلا عن الآخر .

وبحثا عن حدود الفكرة العربية عند أنور السادات فان أول ما يلفت النظر فى ذلك هو احساسه بشمولية معنى « القومية العربية » شمولاً أبعد من حدود الألفاظ المعبرة عن هذه الكلمة وان ادراك هذا المعنى لا يمكن

(١) الجمهورية : أول فبراير ١٩٥٥ — مقال بعنوان « صوت مصر صادر من أعماق شعوب العرب » .

(٢) نفس المصدر .

(٣) نفس المصدر .

ان تعبر عنه المعانى المباشرة للألفاظ وعلى هذا الأساس يرى أنور السادات أنه لم يوجد التعريف العلمى الدقيق الذى يعبر عن المغزى الحقيقى والمعنى الذى تدل عليه كلمة « القومية العربية » وكما يقول السادات « لأن مدلول كلمة القومية العربية وأبعادها فى حاجة الى دراسات ومؤتمرات وكتب كثيرة قبل ان تجرؤ على القول أننا احطنا بها احاطة كاملة » (١) .

وليس معنى ذلك أن القومية العربية فى رأى السادات معنى يستعصى على الفهم أو أنها قضية غير محددة أو غير واضحة المعالم ، ولكنه يقصد ان المعانى والمدلولات التى ندركها بوجودنا والتى تثيرها هذه الكلمة داخلنا هى فى الحقيقة أكبر بكثير من المعنى الظاهرى للكلمة ، ويشير أنور السادات الى ذلك بقوله فى معنى القومية العربية « ان معناها الظاهرى واضح وبسيط ولا يحتاج الى أعمال فكر أو بحث تاريخى ، ولكننا نقولها ونحن لا نعى ذلك المعنى البسيط ، فقط ، انما نحن نحاول ان نعبر بكلمة القومية العربية عن أشياء ومعان ومدلولات كثيرة ندركها بوجودنا ولكننا لم نستطع بعد ان نحددها التحديد العلمى الواضح » (٢) .

وعلى هذا الأساس نفسه ، يدرك أنور السادات معنى « العروبة » . . . فهى عنده نوع من الايمان الكامل والمطلق بالفكرة والتسليم بها والاحساس بفخر وشرف الانتماء اليها فيقول « أنا أو من بالعروبة . . . وأفخر أننى عربى » (٣) ، ثم يقول عن زملائه من قادة الثورة انهم « جيل سياسى جديد يؤمن بالقومية العربية » (٤) ، ويقول عن جمال عبد الناصر انه « المصرى العربى فهو من بلدة أسيوط فى صعيد مصر ومن قبيلة بنى مر العربية » (٥) .

غير ان هذه الصورة الوجدانية البحتة لم تكن هى كل مقومات الفكرة العربية عند أنور السادات بل كان هناك الادراك الكامل للأسس والمقومات التى ترتكز اليها القومية العربية والعوامل التى تعمق الشعور بها . واذا

(١) الجمهورية : ١٤ مايو ١٩٥٨ ، مقال بعنوان « ماذا وراء الاتحاد القومى » .

(٢) نفس المصدر .

(٣) الجمهورية : ١٤ يناير ١٩٥٤ — مقال بعنوان « رأى » .

(٤) الجمهورية : أول فبراير ١٩٥٥ — مقال بعنوان « صوت مصر صادر من أعماق شعوب العرب » من سلسلة مقالات بعنوان « الى أين يا رجال العرب » .

(٥) التحرير : ٢ أبريل ١٩٥٤ — مقال بعنوان « مذكرات أنور السادات » .

كان المتفق عليه أن أهم العوامل في الشعور بالقومية هو المشاركة في اللغة والتاريخ والاحساس بالمصير المشترك ، اذ جاء في دائرة المعارف الدولية « ان اللغة المشتركة تعد العامل الرئيسي من عوامل الفكرة القومية ثم يأتي بعد ذلك التاريخ الواحد والآمال الواحدة والاحساس بالمسئولية تجاه مصير الأمة والرغبة في تشكيل مستقبلها »^(١) وكذلك يقول « مل » ان أقوى عاملين في خلق الشعور القومي هما وجود لغة مشتركة وتاريخ مشترك ، وذلك لأن التاريخ المشترك يعنى وجود ذكريات مشتركة ويؤدي الى الشعور بالتفاخر الجماعي أو بالاذلال الجماعي وبالسرور وبالأسف المرتبطين بنفس حوادث الماضي »^(٢) وذلك ما يقول به ساطع الحصرى أيضا فيرى ان الأساس في تكوين الأمة وخلق القومية هو وحدة اللغة ووحدة التاريخ لأن هذين العاملين يؤديان بالضرورة الى وحدة المشاعر والمنازع ووحدة الآمال والآلام ووحدة الثقافة ، فيتأتى الشعور بالانتماء إلى أمة واحدة متميزة عن الأمم الأخرى ، وبذلك فان اللغة في رأيه هي روح الأمة وحياتها والتاريخ هو ذاكرة الأمة وشعورها. »^(٣)

اذ كان المتفق عليه — على هذا النحو المتقدم — ان اللغة والتاريخ والاحساس بالمصير المشترك تشكل أهم مقومات القومية وتعمق الاحساس والشعور بها ، فاننا نجد هذه الأسس نفسها هي التي تقوم عليها فكرة القومية العربية عند أنور السادات بل ويضيف اليها عامل « الدين » و « الحدود المتشابهة » أي العامل الجغرافي . فيقول أنور السادات أنه « قد ارتبطت مصائرنا تماما كأمة واحدة تربط بيننا اللغة والدين والتقاليد والحدود المتشابهة . فمصيرنا اذن واحد في النهاية »^(٤) . ثم يؤكد نفس

(١) Encyclopedia International, Croblier Limited, London. 1973, Volume 12, P. 442.

(٢) Mill (John Stuart) : Considerations on Representatives Government, The Liberal Arts Press, U.S.A. 1958. P. 205.

(٣) ساطع الحصرى : ما هي القومية — دار العلم للملايين — بيروت — الطبعة الأولى —

١٩٥٩ — ص ٢٥١ ، ٢٥٢

(٤) الجمهورية : أول فبراير ١٩٥٥ — مقال بعنوان « صوت مصر صادر من أعماق شعوب العرب » من سلسلة مقالات بعنوان « الى أين يا رجال العرب » .

هذا المعنى في مقال آخر ويذكر أن مصر قالت « للشقيقات » أننا جميعا نكون أمة عربية تشترك في الحدود واللغة والظروف والدين والمصالح « (١) .

وأنور السادات وإن كان قد اعتبر الحدود الجغرافية المشتركة والدين من بين عوامل الفكرة القومية مختلفا بذلك مع بعض المفكرين الذين يرون أن الدين والحياة الاقتصادية والرقعة الجغرافية لا يمكن أن تدخل ضمن المقومات الأساسية للقومية (٢) فإن الدين بالمعنى الذي يقصده السادات في هذا الصدد لم يكن القصد منه أن يكون الدين الاسلامي أو الدين الواحد هو أحد العوامل المكونة للقومية العربية ، بل نجد أن المقصود بالدين في هذه الحالة هو التراث الديني الواحد الذي شهدته البلاد العربية والذي يمثل في نظر أنور السادات تراثا إنسانيا وحضاريا وثقافيا وروحانيا عم المنطقة العربية كلها ، وأصبح أحد ملامحها البارزة التي تميزها عن غيرها وجزءا من التاريخ المشترك للوطن الواحد فنجد أنور السادات يقول في ذلك أنه « منذ فجر الحياة ، ووطننا يطفح بالنور ويستقبل من السماء كلام الله ورسالاته لكي يرسل بها إلى أطراف الأرض عدلا وطهرا ونقاء وسلاما . . ومن تراث وطني خلق أبو الأنبياء إبراهيم عليه السلام . . وعلى بقعة مباركة من أرض وطني انبثق نور قدسي هادي سعى إليه موسى ليعود منه بشهاب قبس علم به يصطلون . . وهناك وفي روعة هذا النور كلم الله موسى تكليما » ثم يقول السادات « هذه البقعة المباركة بكلام الله في أرض وطني . . وهذا الجبل الذي تجلى له ذو الجلال والإكرام قطعة من تضاريس وطني . . ومن دون نساء الأرض اصطفى الله مريم بطهرها على نساء العالمين . . بشرتها الملائكة بعيسى عليه السلام ، فحملته فانتبذت به مكانا قصيا وهناك . . تحت جذع النخلة نوديت ألا تحزني قد جعل ربك تحتك ثريا » ثم يقول السادات « إن مريم ابنة وطني . . والنخلة من زرع وطني ورسالة عيسى بزغت أول ما بزغت فوق أرض وطني » ثم يصل السادات إلى القول « ذلك النبي العربي خاتم الأنبياء وأكرم خلق الله على الله محمد بن عبدالله عليه الصلاة

(١) الجمهورية : ٢ فبراير ١٩٥٥ — مقال بعنوان « مهزلة المهازيل في الشرق الأوسط »

من سلسلة مقالات بعنوان « إلى أين يا رجال العرب » .

(٢) ساطع الحصري : ما هي القومية — دار العلم للملايين — بيروت ١٩٥٩ — ص ٢٥١ ،

والسلام شهدت أرض وطنى مولده الكريم واظلت سماء وطنى شبابه الأمين وسعدت رمال وطنى بسعيه فوقها « (١) هذه الرسائل السماوية كلها — وليس الدين الواحد — هو الذى يعنى فى رأى السادات أساسا من أسس القومية العربية لأن هذا التراث الحضارى فى رأيه يمثل ذكريات الوطن الواحد لأن السادات يعبر عن هذا المعنى بعد ذلك بقوله « هذه ذكريات وطنى العربى .. فمن يفاخرنى على خلود الأوطان » (٢) .

وعلى هذا الأساس فإن الوطن فى مفهوم أنور السادات هو « الوطن العربى » ومن ثم فإن « الوطنية المصرية التى أشار الى ان سياسة رجال الثورة ستتحرك فى إطارها الى جانب إطار القومية العربية ، لم تكن تمثل فى حد ذاتها اتجاهها قوميا على غرار الاتجاه الذى كان قد ساد فترة من الزمن قبل قيام الثورة وتجسد بشكل بارز خلال ثورة ١٩١٩ بالذات يدعو الى ما يسمى بالقومية المصرية او « مصر للمصريين » (٣) ، بل ان السادات بتسليمه ان الوطن الذى ينتمى اليه هو الوطن العربى ، يكون قد حدد انتماء مصر القومى الى الكيان العربى ، وذلك ما تؤكد بصورة قاطعة فى النص دستوريا على عروبة مصر فجاء فى المادة الاولى من دستور ١٩٥٦ ان « مصر دولة عربية مستقلة ذات سيادة وهى جمهورية ديمقراطية والشعب المصرى جزء من الأمة العربية » (٤) ، وكان ذلك هو أول دستور يقرر ان الشعب المصرى جزء من الأمة العربية » (٥) .

السياسة العربية للثورة :

كان أبرز شئ ميز سياسة ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ فى المجال العربى هو السعى لتحقيق « نوع » من الوحدة بين الشعوب العربية وكان أساس هذه الفكرة كما تبينه كتابات أنور السادات ، ينطلق من التسليم بواقع العرب باعتبارهم أمة واحدة تشكل أقطارها وطنا واحدا يتأثر كل جزء منه

(١) الجمهورية : ١٤ يناير ١٩٥٤ مقال بعنوان « رأى » .

(٢) نفس المصدر .

(٣) فاروق أبو زيد : أزمة الفكر القومى فى الصحافة المصرية — دار الفكر والفن — القاهرة — ١٩٧٦ ، ص ١٥٧

(٤) محمد فؤاد شكرى (وآخرون) : نصوص ووثائق فى التاريخ الحديث والمعاصر — مكتبة الأنجلو المصرية — القاهرة — بدون تاريخ — ص ٢٧٥

(٥) عبد الرحمن الرافعى : ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ — مصدر سابق — ص ٢١٢

بما يتعرض له الجزء الآخر ومن ثم غانها تتوحد في المصير وتصبح وحدتها هي المصدر الوحيد لقوتها ، فيقول أنور السادات معبرا عن ذلك ان « مصر تؤمن ايمانا صادقا بأن أى ضعف أو تفكك يعترى أية دولة عربية ، انما هو مصيب بقية الدول العربية كلها . فضعف لبنان يوهن عزم سوريا وضعف سوريا هدم لكيان العراق وضعف العراق انهيار لكل هذه الدول ، وكل حدث في أية دولة من هذه الدول لابد ان يترك اثره وصداه في مصر (١) .

واذا كانت فكرة الوحدة العربية على هذا النحو قد بدت ضرورة حتمية يفرضها واقع الأقطار العربية ومصيرها المشترك ، فان العوامل التي حالت دون تحقيقها في رأى أنور السادات ، انما ترجع إلى عاملين أساسيين :

أولا : محاربة الاستعمار لفكرة الوحدة العربية والعمل على تقويضها .

ثانيا : السياسة التي انتهجها الحكام والزعماء العرب لتحقيق الوحدة .

بالنسبة للعامل الأول ، يرى أنور السادات ان الوطن العربى يمثل للاستعمار أهمية متعددة الجوانب ، سواء من حيث هو مصدر للثروات الطبيعية ، أو كونه مناطق استراتيجية شديدة الأهمية . وعلى ذلك فان كل مكان وكل شىء في الوطن العربى « أرضه وسماؤه ومياهه » ، أصبحت مطمعا لأولئك المغتصبين من قادة العالم الحر الجائمين على صدورنا « لأنهم » يطمعون في أرضنا وبسمائنا ومياهنا وأرزاقنا « (٢) ، ولهذا السبب كان على الاستعمار ان يعمل على ابقاء الدول العربية في حالة من الضعف والتفرقة والتفكك حتى لا تصبح قوة قادرة على مجابهته والقضاء على مصالحه . فوضع لذلك « خطة كبرى » كما يقول السادات ، « أراد بها تمزيق أوصال الأمة العربية من المحيط الاطلسي الى الخليج العربى » ثم يقول السادات عن هذه الخطة أنها بدأت « بعزل مصر عن الجناحين وهما المغرب العربى وسوريا وبلاد المشرق العربى . . وتولت فرنسا امر عزل المغرب العربى من جهتها بعد ان عزلت انجلترا مصر ثم قسم المشرق العربى بين انجلترا

(١) مجلة التحرير : ٩ فبراير ١٩٥٤ — مقال بعنوان « انى اخشى على الشعوب العربية

من نفسها » .

(٢) الجمهورية : ١٩ يناير ١٩٥٤ — مقال بعنوان « رأى » .

وفرنسا بعد الحرب « (١) . . ثم يقول أنور السادات أنه بعد أن تم للاستعمار ذلك ، استمر في تنفيذ مخططه للحيلولة دون قيام الوحدة العربية فسعى الى تحطيم مقومات الأمة « بإفساد أبنائها وإشاعة الأحقاد والفرقة بينهم » (٢) ، وكانت النتيجة أن « هذه الكوارث ، هددت الأمة العربية في قوميتها وهددتها في صميم جسمها وكيانها ، فعاد كل يتوجس خيفة من أخيه وتفرق الجسم الواحد أشلاء واشتاتا » (٣) .

وفيما يتعلق بالعامل الثانى فإننا نجد أنور السادات يشير الى أن السياسة التى انتهجها الزعماء العرب لتحقيق الوحدة العربية لم تكن هى السياسة « العملية » التى تؤدى الى ذلك بالفعل ، ذلك لأن فكرة تحقيق الوحدة عند هؤلاء الزعماء قد وقفت عند حدودها « النظرية » أو « الرومانتيكية » واقتصرت على الحديث عن الوحدة دون العمل الفعلى على تحقيقها وفى ذلك كتب أنور السادات يقول « ظل زعماء العرب يلقون الخطب الرنانة ويكتبون المقالات المنمقة فى اتحاد العرب وتأزر العرب وفيما بينهم من حب ووفاء وظلوا يترنمون ببطولة الأجداد وشجاعة الآباء وما زالوا حتى الآن ينظمون القصائد والاشعار فى هذه المعانى (٤) . ثم يستطرد السادات . مقارنا بين هذا الأسلوب العربى الذى لا يمكن أن يؤدى الى خلق قوة عربية قادرة على مواجهة العدو وبين ما يفعله العدو وما يقوم به من خطوات عملية لتأكيد وجوده فى قلب الوطن العربى ، فيقول « كل هذا واليهود الصهيونيون لا يقولون شيئا . بل يمسون ببنادقهم ومدافعهم الرشاشة تارة يصوبونها نحو الأردن ليبيدوا أهل قرية عربية وتارة يصوبونها نحو سوريا ليقتلوا بضع عشر نفسا من الأهالى العزل أو من حراس الحدود . وفى كل مرة يجلس زعماء العرب ليكتبوا احتجاجات رائعة الأسلوب أخاذة الألفاظ منمقة المعانى ثم يتلقى مجلس الأمن أو هيئة الأمم المتحدة هذه الاحتجاجات لتأخذ طريقها الى مصيرها المحتوم . . . وهو الضياع والاهمال

(١) الجمهورية : ١١ يوليو ١٩٥٦ — مقال بعنوان « عدنا يا صلاح الدين » .

(٢) الجمهورية : ١٤ يناير ١٩٥٤ — مقال بعنوان « رأى » .

(٣) الجمهورية : ١٠ يناير ١٩٥٤ — مقال بعنوان « رأى » .

(٤) التحرير : ١٣ أبريل ١٩٥٤ — مقال بعنوان « أيها العرب هل آن لنا أن نتحد » .

والتلاشى بين جسام المسائل التي تهم الدول الكبرى وشعوبها . هذه حقيقة نعتزف بها كارهين « (١) » .

واذا حاولنا الوقوف على تصور انور السادات للوحدة العربية والشكل الذي رأى أن تكون عليه هذه الوحدة أو تتحقق به . فاننا لا نجد ما يدل على أنه كان يدعو الى شكل محدد من أشكال الوحدة بمفهومها السياسي بمعنى أن تكون اتحادا فيدراليا أو كونفدراليا ، بل نجد أن مسألة الشكل هذه هي آخر ما يقصد اليه أو يعنيه والأصل عنده هو أن يكون هناك ما يحقق قوة العرب وما يجعل لمواقفهم وقراراتهم طابع الالتزام والتأثير وعلى ذلك فإن مفهوم الوحدة عنده ليس مجرد « نوع » من التضامن أو الاتفاق الصوري بحيث يجتمع العرب ويصدرون قرارات موحدة ويكون لهم موقف يبدو موحدا تجاه ما يواجههم من أمور . وانما يريد أنور السادات وحدة « المضمون » و « المعنى » لا وحدة « الشكل » ، ويشير الى ذلك بشكل محدد فيقول أن الوحدة تصبح حقيقة عندما يكون هناك « اتحاد قوى في روحه ومعناه قبل أن يكون قويا في شكله أو في قراراته التي تبرق من غير أن ننفذها » (٢) .

ولم يكن مفهوم الوحدة العربية عند أنور السادات أو دعوته إلى قيامها على هذا النحو مفهوما تجريديا أو دعوة تقوم على غير أساس ، وانما كان أساس هذا المفهوم ومنطلق هذه الدعوة هو رؤية أنور السادات للواقع العربي ، كما كان ماثلا أمامه متجسدا في واقع الجامعة العربية وعدم فاعليتها وقراراتها التي لا تنتهي الى شيء ولا يتحقق بها شيء . وذلك ما يشير اليه أنور السادات بقوله « عقدت جامعة الدول العربية اجتماعها العشرين هذا الأسبوع ، والمعنى الواضح لهذا أن تسعة عشر اجتماعا قد عقدها العرب من قبل ، فهل أسفرت هذه الاجتماعات عن شيء نستطيع أن نقول أنه عاد على العرب بشيء من النفع أو حفظ لهم حقا معينا أو كفل لهم مهابة واحتراما . الجواب على هذا واضح كل الوضوح ، فقد اتخذت الجامعة العربية في اجتماعاتها السابقة بضع مئات من القرارات الإجماعية ، ولم تنفذ منها قرارا واحدا » (٣) . ثم يقول السادات « أننا نراهم يجتمعون ثم ينفذون

(١) التحرير : ١٣ أبريل ١٩٥٤ — مقال بعنوان « أيها العرب هل آن لنا أن نتحد » .

(٢) الجمهورية : ١٩ يناير ١٩٥٤ — مقال بعنوان « رأى » .

(٣) التحرير : ١٢ يناير ١٩٥٤ — مقال بعنوان « اخرجوا رؤوسكم من تحت الرمال » .

دون أن يخطوا خطوة واحدة نحو أمر حاسم . يتحدثون عن عقد معاهدات اقتصادية ثم تنتهى المحادثات الى لا شيء . . ويتحدثون عن توحيد الثقافة وعن توحيد جوازات السفر ثم لا تنتهى احاديثهم الى قرار ويتحدثون عن توحيد الأسلحة وتوحيد القيادة . . ثم تقف احاديثهم عند حد تشكيل اللجان التى تبحث التفاصيل ، وعندما يقررون شيئاً يظل القرار حبرا على ورق لا يجد من يقول لماذا لم ينفذ أو متى ينفذ « (١) .

واذا كان هذا الواقع للجامعة العربية وهذه « القرارات الميته » كما وصفها أنور السادات قد « خلقت فى نفوس العرب مرارة وحسرة اذ أيقنوا ان دولتهم أضعف من ان تستطيع تنفيذ ما تتخذه من قرارات وخلقت فى نفوس الدول الأخرى استهانة واستهتارا بجامعة الدول العربية وبما تتخذه من قرارات وبما تعقده من اجتماعات » (٢) فان أنور السادات يرى ان قرارات الجامعة العربية قامت كذلك بتضليل العرب وخداعهم بحيث أصبح التضامن العربى مسألة ظاهرية بحتة وأصبح الشكل دون المضمون هو الذى يوحى بوحدة العرب . فرغم ان « الانقسام » والتضارب فى الآراء والتناقض بينها كان هو أبرز ما يميز اجتماعات الجامعة وعلى النحو الذى عبر عنه أنور السادات بقوله « كان الاختلاف دائما واضحا بل ان خطورته كانت تتمثل فى انه اختلاف فى التفكير وفى الأهداف » (٣) ، رغم ذلك « كانت الجامعة تصدر قراراتها دائما بالاجماع » (٤) وكان ذلك فى رأى السادات يعنى نوعا من « الخداع الذى مثلته الجامعة على مسرح الشعوب العربية بقراراتها الجماعية فى الظاهر واختلاف وجهات نظر دولها فى الباطن » « وان كان هذا » ولا يزال هو موطن الداء والكارثة التى حلت بكيان الأمة العربية تحت أسماء بريئة هى الوحدة العربية والجامعة العربية كما يقول السادات فان هذه الكارثة قد تجسدت فى أبشع صورها ونتائجها فى أنها « قضت على شعب عربى بأكمله » ، هو شعب فلسطين « وأورثت بقية العرب الضعف وعدم الثقة بالنفس » (٥) .

(١) نفس المصدر .

(٢) التحرير : ١٢ يناير ١٩٥٤ — مقال بعنوان « اخرجوا رؤوسكم من تحت الرمال » .

(٣) الجمهورية : ٢٦ أكتوبر ١٩٥٥ — مقال بعنوان « أنور السادات يكتب قصة الوحدة العربية والميثاق الثانى والضمان الجماعى » .

(٤) نفس المصدر .

(٥) نفس المصدر .

وعلى هذا الأساس وانطلاقاً من رؤية أنور السادات لواقع الوحدة العربية أو التضامن العربى أو الاتحاد العربى كما تمثله الجامعة العربية ، كان تحديد أنور السادات لمفهوم الوحدة كما ينبغى أن تكون بحيث تصبح هى الاتحاد القوى فى « روحه ومعناه قبل أن يكون قويا فى شكله أو فى قراراته التى تبرق من غير أن ننفذها » .

وفى نفس الوقت فإن تحقيق الوحدة على هذا النحو لم يكن فى رأى أنور السادات مسألة اختيارية ولكنها ورغم أية صعوبات أو عقبات تعترض طريق تحقيقها ، فهى مسألة يحتمها الواقع ويفرضها وذلك لأن الوطن العربى كما رآه أنور السادات أصبح مجزء مجموعة من الدويلات الصغرى المتنازلة المتأخرة المنقسمة على نفسها (١) ويعنى ذلك أنه « يمكن ابتلاعنا دويلة فى أثر الأخرى » (٢) ، وينتهى الأمر الى أن « تسلم الدول العربية برغبتها أو رغما عنها بما يملئ عليها » (٣) .

أما عن أسلوب تحقيق هذه الوحدة فإننا نجد أن السياسة المصرية كما حددتها قيادة الثورة فى هذا المجال قد مرت بمرحلتين متميزتين :

المرحلة الأولى :

محاولة تحقيق الوحدة من خلال الجامعة العربية وميثاق الضمان الجماعى العربى .

المرحلة الثانية :

محاولة تحقيق الوحدة من خلال عقد الاتفاقيات المباشرة بين مصر والأقطار العربية الأخرى .

وقد بدأت المرحلة الأولى مع بداية اعلان مصر لسياستها العربية وتحديد انتمائها العربى فى الأيام الأولى من عام ١٩٥٥ ، وكان أبرز ما يميز

(١) الجمهورية : أول فبراير ١٩٥٥ — مقال بعنوان « صوت مصر صادر من أعماق شعوب العرب » — من سلسلة مقالات بعنوان « الى أين يا رجال العرب » .

(٢) الجمهورية : أول فبراير ١٩٥٥ — مقال بعنوان « صوت مصر صادر من أعماق شعوب العرب » .

(٣) نفس المصدر .

هذه المرحلة هو دعوة مصر الى التمسك بميثاق الجامعة والضمان الجماعى العربى ووضع هذين الميثاقين موضع التطبيق الفعلى بحيث تصبح نصوصهما ملزمة لكل الدول الموقعة عليهما وبحيث تكون هذه النصوص هى الاطار الذى يحدد مسار السياسة العربية . ونجد أنور السادات يوجه الى الدول العربية دعوة مصر هذه قائلا « تدعو مصر كل العرب الى التمسك بميثاق الجامعة العربية روحا قبل التمسك به نصا . وتدعو مصر كل العرب الى التثبيت بميثاق الضمان الجماعى روحا ونصا أيضا » (١) . وهذه الدعوة وان كانت تتوافق مع رغبة قيادة الثورة فى تحقيق التضامن العربى الفعلى وتعكس حرصها على خلق دور فعال للجامعة العربية أساسه كما يقول السادات « بعث وعى جديد فى فكرة الجامعة العربية أساسه ان نصارح ولا نجامل .. وان نختلف ولا نناق » (٢) ، فان الاستجابة لهذه الدعوة كان كافيا — فى رأى السادات — لأن يحقق للأمة العربية هدفها « ويكون للأمة العربية التى تضم بين ربوعها خمسين مليون عربى .. القوة والقيمة والرهبة فلا تكون مجرد مجموعة من الدويلات الصغرى المتنازعة المتناهرة المنقسمة على نفسها » (٣) .

وفى نفس الوقت فان هذه الدعوة للتمسك بالميثاقين كانت تعكس كذلك « نوع » الوحدة التى كانت تدعو مصر اليها فى ذلك الوقت وهى التى لم تزد عن كونها دعوة الى « التكتل وانتهاج سياسة عربية خارجية موحدة » (٤) ، وذلك ما يمكن تحقيقه فقط اذا ما تم الالتزام بنصوص ميثاق الجامعة العربية وميثاق الضمان الجماعى العربى وذلك لأن ميثاق الجامعة ينص فى مادته الثانية على أن « الغرض من الجامعة توثيق الصلات بين الدول المشتركة فيها وتنسيق خططها السياسية تحقيقا للتعاون بينها وصيانة لاستقلالها وسيادتها والنظر بصفة عامة فى شئون البلاد العربية

(١) نفس المصدر .

(٢) الجمهورية : ١٩ يناير ١٩٥٤ — مقال بعنوان « رأى » .

(٣) الجمهورية : أول فبراير ١٩٥٥ — مقال بعنوان « صوت مصر صادر من أعماق شعوب العرب » — من سلسلة مقالات بعنوان « الى أين يا رجال العرب » .

(٤) نفس المصدر .

ومصالحها»^(١) وينص ميثاق الضمان الجماعى العربى (معاهدة الدفاع المشترك والتعاون الاقتصادى بين دول الجامعة العربية عام ١٩٥١) . على ان الدول المتعاقدة تعتبر « كل اعتداء مسلح يقع على أية دولة أو أكثر منها أو على قواتها اغتداء عليها جميعا ولذلك فانها عملا بحق الدفاع الشرعى — الفردى والجماعى — عن كيانها تلتزم بأن تبادر الى معونة الدولة أو الدول المعتدى عليها وبأن تتخذ على الفور منفردة ومجموعة جميع التدابير وتستخدم جميع ما لديها من وسائل بما فى ذلك استخدام القوة المسلحة لرد الاعتداء ولإعادة الأمن والسلام الى نصابهما »^(٢) .

ولكن هذه الدعوة الى التمسك بميثاقى الجامعة العربية والضمان الجماعى العربى لم يقدر لها ان تستمر طويلا ونجد فيما كتبه أنور السادات ما يكشف عن سبب ذلك ويوضح لماذا اسقطت مصر هذه الدعوة من سياستها وارتدت عنها عندما تبينت ان ذلك لم يكن هو الأسلوب الصحيح لتحقيق أى نوع من الوحدة بين العرب ، خاصة وقد استمر واقع الجامعة العربية على ما هو عليه . وعندما كتب أنور السادات فى ذلك الموضوع نجده يتساءل فى البداية عن « وحدة العرب الحقيقية كيف تتحقق ؟ ومصالح العرب الحقيقية كيف تصان وتحفظ ولا يمسها شر ؟ هل تتحقق الوحدة العربية بالضمان الجماعى العربى » ؟ . ثم يجيب أنور السادات على هذه التساؤلات مشيرا الى واقع الجامعة العربية الذى لم يطرأ عليه أدنى تغيير والى ميثاق الضمان الجماعى الذى آمنت قيادة الثورة ايمانا مطلقا بأنه لن يوضع فى يوم من الأيام موضع التنفيذ فيقول أنه « فى قاعات الجامعة بدأت المهزلة من جديد . لابد ان نخرج على الشعوب بقرارات اجماعية . أو بمعنى أصح الى الخداع من جديد ، ونسينا فلسطين وكارثة أهلنا من اللاجئين » وحتى لو أدى الخداع الى ان تصبح الأمة العربية كلها من اللاجئين^(٣) « وعن ميثاق الضمان الجماعى ، يقول أنور السادات « بدأنا

(١) محمد فؤاد شكرى ومحمد انيس والسيد رجب حراز : نصوص ووثائق فى التاريخ الحديث والمعاصر — مكتبة الأنجلو المصرية — القاهرة — بدون تاريخ — ص ٥٣٥

(٢) نفس المصدر — ص ٥٥٩ ، ٥٦٠

(٣) الجمهورية : ٢٦ أكتوبر ١٩٥٥ — مقال بعنوان « أنور السادات يكتب قصة الوحدة والميثاق الثنائى والضمان الجماعى » .

نؤمن ايماننا لا يتطرق اليه الشك ان ميثاق الضمان الجماعى العربى لن يوضع فى يوم موضع التنفيذ وسيبقى الى الابد حبرا على ورق» (١) .

كان اخفاق الدعوة الى احياء ميثاق الجامعة العربية وميثاق الضمان الجماعى العربى والفشل فى جعلهما وسيلتين ايجابيتين لخدمة اهداف العرب وتحقيق الوحدة بينهم — حتى ولو كانت هذه الوحدة على مستوى السياسة العربية الخارجية فقط — هو الذى حدا بالسياسة المصرية ان تبحث عن الوسيلة البديلة التى تحقق هذه الاهداف وكانت هذه الوسيلة البديلة هى عقد الاتفاقيات والمواثيق بين مصر والأقطار العربية الأخرى ، وذلك ما يشير اليه انور السادات عندما كتب موضحا الظروف والاسباب التى حدثت بمصر الى توقيع أول هذه المواثيق وهو الميثاق العسكرى للدفاع المشترك بين مصر وسوريا والذى عقد يوم ٢٠ أكتوبر ١٩٥٥ فيقول السادات انه بعد ان آمنت قيادة الثورة « ايماننا لا يتطرق اليه الشك ان ميثاق الضمان الجماعى العربى لن يوضع فى يوم موضع التنفيذ وسيبقى الى الابد حبرا على ورق واصبح من المحتم على الدول العربية التى تشعر بالخطر اليهودى والطمع الصهيونى ان تجد الوسيلة الناجحة لتنسيق الدفاع بينها ، فكان ان اتفقت سوريا ومصر اتفاقا عمليا على قيادة موحدة لجيش سوريا وجيش مصر » (٢) .

كان الميثاق العسكرى بين مصر وسوريا نوعا من « الوحدة العسكرية » بين البلدين ذلك لأن الدولتين بموجب هذا الميثاق أوجدت القيادة المشتركة لجيشهما وأصبح الاعتداء المسلح الذى يقع على احدهما او قواتهما يعتبر اعتداء عليهما معا . وبذلك تلتزم الدولتان بالمشاركة فى الدفاع والتصدي لآى هجوم يقع على احدهما (٣) . وعلى غرار هذا الاتفاق ذاته عقدت مصر اتفاقا آخر مع المملكة العربية السعودية فى ٢٧ أكتوبر ١٩٥٥ (٤) ، وهو الاتفاق الذى انضمت اليه اليمن بعد ذلك ثم اتفاق عمان فى ٢٤ أكتوبر ١٩٥٦ الذى نص على انشاء قيادة موحدة لجيوش مصر

(١) نفس المصدر .

(٢) نفس المصدر .

(٣) عبد الرحمن الرافعى : ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ — مصدر سابق — ص ٢٥٧

(٤) الجمهورية : ٢٦ أكتوبر ١٩٥٥

وسوريا والأردن ^(١) ، وتطورت هذه الاتفاقيات عندما ابدت سوريا في شهر يوليو عام ١٩٥٦ ، رغبتها في إقامة اتحاد فيدرالى مع مصر باعتباره الخطوة الأولى على طريق الوحدة العربية الشاملة ^(٢) ، وأعلنت الوحدة بين سوريا ومصر في أول فبراير عام ١٩٥٨ .

وإذا كانت مثل هذه المواثيق والاتفاقيات الثنائية مما لا يمكن اعتباره وحدة تشمل الشعوب العربية كلها الأمر الذى جعل بعض الأصوات العربية تعارض قيامها بحجة ان ذلك يعمل على تفريق الأمة العربية وتجزئتها ويحول دون تحقيق الوحدة الشاملة ^(٣) . فان أنور السادات يشجب هذه الادعاءات ويرى ان « الأمة العربية لن تتفرق أبدا لأنها أمة واحدة » ^(٤) ، ويرى كذلك ان تحقيق الوحدة بين قطرين عربيين لأفضل من ان تظل كل الأقطار العربية في حالة من التمزق والتفكك ، فيقول « ان الأمة العربية اذا لم تستطع قيادتها ان تجمع على أمر فيه خلاصها فخير للأمة العربية ان تجمع قيادتان فيها على هذا الأمر بدلا من ان يتفرق الكل طرائق قددا » ^(٥) ، ثم يتساءل السادات بعد ذلك قائلا « أليس خيرا لنا ولشعوبنا الطيبة ان يتحد جزء منا لبواجه الخطر بميثاق ثنائى أو بمواثيق ثنائية من ان ننادى بوحدة العرب ونحن نعمل في الحقيقة لازكاء الفرقة والاحن والأحقاد » ^(٦) .

وبالرغم من ان هذه المواثيق الثنائية كانت هى البديل عن الاعتماد على الجامعة العربية في تحقيق التضامن العربى والوحدة العربية وبالرغم من ان الجامعة العربية قد أصبحت في نظر أنور السادات تمثل وحدة شكلية وغير حقيقية « ولم تصنع حتى الآن الا الفشل الذريع » ^(٧) ، الا ان هذه الجامعة رغم ذلك ظلت تمثل له أملا يمكن ان تتحقق به وحدة عربية حقيقية وذلك عندما تتخلص الدول العربية من حكامها الذين يعملون في خدمة

(١) د. محمد انيس والسيد رجب حراز : ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ — مصدر سابق ،

ص ٤٤٠

(٢) عبد الرحمن الرافعى : ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ — مصدر سابق ص ٢٥٨

(٣) الجمهورية : ٢٦ أكتوبر ١٩٥٥ — مقال بعنوان « أنور السادات يكتب قصة الوحدة

والميثاق الثنائى والضمان الجماعى » .

(٤) نفس المصدر .

(٥) نفس المصدر .

(٦) نفس المصدر .

(٧) التحرير : ١٠ مارس ١٩٥٦ — مقال بعنوان « شئ غير الجامعة العربية » .

الاستعمار البريطاني والذي أراد كما يقول السادات — أن يجعل — الجامعة العربية وسيلة للسيطرة على السياسة العربية وتوجيه هذه السياسة فيما يعود على بريطانيا بالفائدة (١) ، وعلى ذلك فإن أنور السادات كان يرى أن فعالية جامعة الدول العربية رهن بتخليصها من السيطرة الأجنبية التي فرضت عليها من خلال بعض الحكام العرب الذين يسرون في ركب الدول الاستعمارية ويعبر السادات عن ذلك بقوله « ان الشعوب العربية تتمنى ان يأتى اليوم الذى يؤمن فيه كل قادة العرب بالوحدة العربية الحقيقية فكما تتمنى تلك الشعوب ان تصبح الجامعة العربية عربية بالعرب وللعرب لا كمحطة الشرق الأدنى مثلا عربية بالاسم وانجليزية بالقول وبالمفهوم وبالعمل » (٢) .

واذا كان الاهتمام بقضية الوحدة العربية والعمل على تحقيقها والذي برز واضحا في سياسة مصر على هذا النحو قد انطلق أساسا من ادراك ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ للذات العربية لمصر والأيمان بالقومية العربية (٣) ، فإنه — ومن هذا المنطلق نفسه — كان اهتمام الثورة بالعمل من أجل تحرير الأقطار العربية وتبني قضايا شعوبها ومساندتها في حماية استقلالها ، ونجد في كتابات أنور السادات ما يعكس هذا الاهتمام ويعبر عنه بل ويؤكدده ، ذلك لأنه لم يدع مناسبة أو قضية أو واقعة تمس قطرا من الأقطار العربية دون ان يتصدى لها أو يعلق عليها أو يوجه نداء الى العرب باتخاذ موقف حيالها .

ومثالا لذلك نجد أنور السادات عندما يقرأ خبرا عن احتفال فرقيسا بعيد من أعيادها هو عيد ثورتها أو عيد « حريتها » فيتخذ من هذه المناسبة مدخلا للكتابة عن الفظائع التي يرتكبها الاستعمار الفرنسى في الأقطار العربية في شمال أفريقيا ويصور للرأى العام العالمى والعربى كيف ان فرنسا التي تحتفل بعيد حريتها هي التي تقوم في نفس الوقت بسفك دماء المطالبين بحرية

(١) نفس المصدر .

(٢) نفس المصدر .

(٣) محمد أنيس والسيد رجب حراز : ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ — مصدر سابق — ص ٢٦٦

شعوبهم في الوطن العربي . فيكتب أنور السادات عن ذلك قائلاً « بالأمس فقط احتفلت فرنسا بهذا العيد الذي اطلقت عليه عيد الحرية . . . وحين قرأت نبأ ذلك الاحتفال اليوم غصت نفسي بالآلم والحسرة فتذكرت أول ما تذكرت مئات القتلى في تونس . أولئك الذين تركوا من خلفهم زوجات وأولادا . . . وكانت كل جريمتهم أنهم قاموا يطلبون الحرية كما طلبتها فرنسا يوم عيد الحرية . وتذكرت مراكش التي خلع سلطانها واعتقل أبناؤها ويقتل كل يوم من رجالها الكثير . وكل ذنبهم أنهم قاموا يطلبون الحرية كما طلبتها فرنسا يوم عيد الحرية . وتذكرت الجزائر . . . ذلك البلد الذي تأمر عليه استعمار فرنسا الوحشي فحواله الى مقاطعة فرنسية حارب فيها الدين ويحاربون فيها كل ما يذكر إبنائها والأحفاد بأصلهم العربي العريق — كل ذلك باسم الحرية التي طلبتها فرنسا يوم عيد الحرية » (١) .

وأنور السادات وإن كان قد أعرب بذلك عن تعاطفه مصر مع حركات التحرر الوطني في الأقطار العربية في شمال أفريقيا وبما يعنى الوقوف الى جانبها وتأييدها ، وأعرب كذلك عن شجب مصر وادانتها لما يقوم به الاستعمار الفرنسي في هذه الأقطار العربية فإن هذه المعاني ذاتها هي التي كان أنور السادات حريصا على التعبير عنها في كل مرة يتعرض فيها جزء من الوطن العربي لعدوان استعماري ، فقد كان يسارع الى التنديد بهذا العدوان وفضح مخططاته والكشف عن أبعاده ومرامييه ونجد مثالا لذلك فيما كتبه عند قيام القوات البريطانية بعدوان مسلح على « أمانة عمان » عام ١٩٥٧ فقد كتب أنور السادات في اليوم التالي لوقوع هذا العدوان يندد به ويكشف عن تواطؤ أمريكا مع بريطانيا في هذا العدوان ومصلحتها وراء هذا التواطؤ فيقول « ان العدوان الذي بدأت قوات بريطانيا بالأمس على نطاق واسع على عرب أمانة عمان العزل المجاهدين عار جديد يلحق ببريطانيا بعد العار الذي لحقها في معركة العدوان وانتهاك صريح لكل مبادئ الخلق والشرف والعدالة » « وأمريكا هي الأخرى ان موقفها عجيب ومخز فلقد طنطنت الصحف البريطانية في الأيام الماضية بأن دالاس قد شجع بريطانيا أثناء زيارته الأخيرة لها على متابعة العدوان على عمان بل ان بعضها قال ان دالاس استحث المسؤولين في بريطانيا على ضرورة سرعة القضاء على الشعب العماني الذي يطالب باستقلاله . ولم يكذب دالاس

(١) الجمهورية : ١٦ يوليو ١٩٥٤ — مقال بعنوان « رأى » .

هذا الأمر . ونحن نعلم ان مصالح شركة « آرامكو » الأمريكية تتصارع مع مصالح شركة العراق البريطانية على تلك المنطقة المعتقدى عليها . فهل يفسر موقف أمريكا بأنه مجاملة لبريطانيا على حساب العمانيين العرب بعد ان لم تستطع أمريكا مجاملة بريطانيا في عدوانها على مصر العربية « ، ثم يستطرد السادات قائلا « ان سكوت أمريكا على هذا العدوان الاستعماري البريطاني الجديد جريمة بشعة نكراء . فهي تشجع وتتستر على بريطانيا التي تهاجم طائراتها الآن المدن والقرى وتقتل في هذه اللحظة النساء والأطفال من أحرار عمان . أين مبادئ الحرية والعدالة يا عصابة العالم الحر . . أين حقوق الانسان . . وأين الصباح الذي ملأ الدنيا بأكملها أيام المجر » (١)

وفي إطار هذا الاهتمام بقضايا الشعوب العربية ومساندتها فان كتابات أنور السادات لم تقتصر على مجرد التنديد باعتداءات الاستعمار واحتلال الأراضي العربية . بل كان أنور السادات حريصا كذلك على كشف كل المواقف والمحاولات الاستعمارية للنيل من الحقوق المشروعة للعرب أو الوقوف ضد مصالحهم أو الحيلولة دون استقلالهم . ولذلك نجده يفضح موقف الولايات المتحدة الأمريكية عندما وقفت تؤيد فرنسا في هيئة الأمم المتحدة عند مناقشة قضية الجزائر عام ١٩٥٧ فيقول « نحن لا نعينا تأييد بريطانيا لفرنسا بعد أن عرفنا وعرف العالم كله ان الدولتين — بريطانيا وفرنسا — قد فقدتا شرفهما في المؤامرة على مصر بصورة وصفها النواب والبريطانيون أنفسهم بالقذارة وانما نحن نريد أن نفهم وجهة نظر أمريكا في تأييدها لفرنسا التي تقول بأن الجزائر جزء من فرنسا وان شعب الجزائر الذي يكافح من أجل استقلاله ليس الا متمردا وعاصيا في نظر فرنسا وطبيعي ان هذا التأييد من جانب أمريكا يعنى موافقتها التامة على ذبح النساء والأطفال وعمليات القتل والتدمير التي ترتكبها ضد شعب الجزائر كل يوم . والذي يجعلنا نتساءل في أسى ومرارة هو أن الرئيس ايزنهاور أعلن ابان المؤامرة على مصر أن أمريكا اختارت المبادئ حين كان عليها أن تختار بين المبادئ والأصدقاء » ، ثم يقول السادات متسائلا « هل تؤمن أمريكا حقيقة ان الجزائر اقليم من أقاليم فرنسا كاللوار وليون مثلا وهل تؤمن أمريكا أن شعب

(١) الجمهورية : ٨ أغسطس ١٩٥٧ — مقال بعنوان « زعماء العصابة » .

الجزائر العربى المسلم قد أصبح بفعل عصا سحرية شعبا لاتينيا ينتمى إلى نفس الأصل الذى تنتمى اليه فرنسا « (١) » .

وفى كتابات أنور السادات التى تناول فيها قضايا الوطن العربى يمكننا ان نميز بين ثلاثة اتجاهات رئيسية برزت فى هذه الكتابات .

أما الاتجاه الأول : فهو الحرص على تأييد الخطوات والاتجازات التى تحققتها الأقطار العربية فى مواجهة الاستعمار والاشادة بها وإبراز دلالاتها ، وقد تمثل ذلك فى كثير من المواقف كان أكثرها وضوحا ودلالة الموقف من قرار الملك حسين ملك الأردن ، بطرد الجنرال الانجليزى « جلوب » قائد الجيش الأردنى عام ١٩٥٦ . اذ نجد أنور السادات يكتب مقالا يفيض بالعاطفة تأييدا لهذا القرار ومباركة له ، ويشيد بموقف الملك فيقول السادات : « لقد خفقت قلوب العرب جميعا لقرارك بالأمس يا حسين . وما لمسته من شعبك فى شوارع عمان هو صورة لما يكنه لك كل عربى اليوم فى كل إقطار العروبة واقطارها من قلب الجزيرة وانحائها من جبل لبنان وواديه . من ربي النيل مصره وسودانه . من أنحاء سوريا فى البادية والحضر . ومن حقول دجلة واهله وفراته . من المغرب العربى الذى يدمى وهو يكافح .. من كل مكان فى الوطن العربى الكبير ترتفع اليوم صيحة واحدة .. لتؤيدك يا حسين ، ولتهتف مع شعبك (أن سلمت يداك يا حسين) .. إن الوعى العربى اليوم فى أوجه يا حسين ، وهو وعى من أجل العزة والكرامة ومن أجل القوة والوحدة .. وقرارك بالأمس يا حسين هو أروع تعبير عن هذا الوعى العربى الأصيل الذى يرى العزة فى شق طريق التحرير والكرامة ، وفى القضاء على السيطرة التى تاتى من الخارج .. وقرارك بالأمس يا حسين هو النور الذى يجلو فكرة الوحدة العربية الحقيقية التى تقوم بالعرب على العرب من أجل العرب . وقرارك بالأمس يا حسين هو بعث للقوة فى وطن العرب من مشرقه الى المغرب . فليس سرا أن كل عربى كان يتأذى من هذا الوضع الذى نؤمن فيه جميعا نحن العرب باخلاص هذا الجيش وتفانيه فى عرويته ونؤمن أيضا بكفائته وغيخته . وقرارك بالأمس يا حسين أرضى كبرياء العرب ، فلم نعد نحن العرب سلعة تباع وتشترى فى سوق السيطرة والاستعمار ، ولم نعد نحن العرب نرضى بغير الحرية فى أوطاننا وسيادة

(١) الجمهورية : ٩ فبراير ١٩٥٧ — مقال بعنوان « أسطورة المبادئ والأصدقاء » .

إرادتنا على أرضنا ومقدراتنا وأرزاقنا . إن العرب يرفضون الوصاية على أية صورة كانت فما بالك بأمر يتعلق بالدفاع عن أرضهم وعرضهم وشرف أوطانهم . لذلك أرحى قرارك بالأمس كبرياء العرب » (١)

ولم يكن ذلك هو المقال الوحيد الذى كتبه أنور السادات فى تأييد هذا القرار الذى اتخذه الملك حسين ، بل نجده يكتب بعد ذلك عددا من المقالات حول نفس الموضوع . فكتب دفاعا عن موقف الملك وردا على الصحف الانجليزية التى شنت حملات من الهجوم عليه مقالا بعنوان « ثورة الملك حسين » (٢) ومقالا ثانيا بعنوان « أفيقوا » (٣) رد فيه على تهديدات مجلس العموم البريطانى ، ثم كتب مقالا ثالثا بعنوان « ليست جمهورية أردنية » (٤) فند فيه دعاوى الصحف البريطانية وفضح خوفها المزعوم على الملك وعرشه .

ولا شك أن اهتمام أنور السادات بهذا القرار وتخصيص هذا العدد من المقالات فى تأييده كان يتناسب مع « أهمية القرار نفسه وخطورته » . ولكن ذلك لم يكن يعنى أنه يهتم بتأييد الخطوات والانجازات العربية الكبرى فقط ، بل كان يكتب مؤيدا كل عمل يمثل انتصارا عربيا على الاستعمار حتى لو بدا هذا العمل محدودا أو بسيطا . ومثالا لذلك ما كتبه تعليقا على ما حدث فى « راكش » عام ١٩٥٦ عندما تمكن الشعب من قتل عشرين عميلا من أتباع « الجلاوى » فكتب أنور السادات قائلا : « إن تلك الظاهرة التى ذبح خلالها أعوان الجلاوى عميل فرنسا لم تكن إلا تعبيراً حقيقياً عن كراهية الشعب العربى المناضل لكل ما هو قريب من الاستعمار والمستعمرين ، وليست إلا رغبة أكيدة من شعب مراكش العربى فى القضاء على من يضع يده فى يد الاستعمار . ولم يبق أمام فرنسا إلا أن تقتنع وتراجع عن نواياها العدوانية تجاه أقطار شمال افريقيا » . ثم يجد أنور السادات مناسبة للحديث — فى نفس المقال — عن الجزائر والاشادة بموقفها فى وجه الاستعمار الفرنسى ، فيستطرد قائلا : « إن فرنسا تشهد

(١) الجمهورية : ٣ مارس ١٩٥٦ — مقال بعنوان « سلمت يدك يا حسين » .

(٢) الجمهورية : ٥ مارس ١٩٥٦

(٣) الجمهورية : ٨ مارس ١٩٥٦

(٤) الجمهورية : ١١ مارس ١٩٥٦

اليوم في الجزائر شعبا لا ككل الشعوب يتحدى ثراءها ومدافعها وأساطيلها وجيوشها الجرارة ، ويواصل حرب التحرير دون أن تخيفه خطة الإبادة التي وضعتها حكومة فرنسا أخيرا لتجهز على الشعب الجزائري « (١) » .

وأما الاتجاه الثانى الذى برز واضحا فى كتابات أنور السادات عن القضايا العربية ، فقد تمثل فى الهجوم الشديد على أية محاولة للشذوذ عن الصف العربى أو إضعافه ، وإدانة مثل هذه المحاولات وفضحها أمام رأى العام العربى . وإذا كانت الحملات التى شنّها أنور السادات على حلف بغداد كانت أصدق دليل على ذلك ، فإننا نجد مثل هذه الحملات يشنّها أنور السادات على بعض الشخصيات العربية فى مواقف معينة . ونجد مثالا لذلك فى هجوم أنور السادات على فاضل الجمالى الذى كان ممثلا للعراق فى هيئة الأمم المتحدة عام ١٩٥٥ عندما خرج على الاجتماع العربى حول القضية التى كانت مطروحة أمام الهيئة فى ذلك الوقت ، وهى إدراج مشكلة « قبرص » ضمن جدول أعمال الهيئة أو عدم إدراجها . فبينما كان الاجتماع العربى على أن تدرج المشكلة ضمن جدول الأعمال ، كان فاضل الجمالى وحده هو الذى رفض ذلك وانحاز بموقفه هذا الى معسكر الدول الاستعمارية . وكان عدم إدراج هذه المشكلة فى جدول الأعمال يعنى — بالنسبة للعرب — سابقة خطيرة يمكن أن تستفيد منها إسرائيل فتطلب قياسا على ذلك ألا تعرض قضية فلسطين على هيئة الأمم وتطلب إجراء محادثات دبلوماسية مباشرة حول هذه القضية (٢) .

ولذلك نجد أنور السادات يكتب مهاجما فاضل الجمالى منددا بموقفه الذى خرج به عن الاجتماع العربى فيقول : « مرة أخرى يرتفع صوت فاضل الجمالى بوصفه ممثلا رسميا للبلد الشقيق العريق ، فإذا هو يخرج عن اجتماع الدول العربية ويقف وقفة الذل والعار والمسكنة فى معسكر الدول الاستعمارية ليهدم قضية أخرى من قضايا الاستقلال والحرية » . ثم يقول : « بأى حق تحسب على العرب هذه الأصوات النكراء التى لا تريد أن تخرس إذا لم يكن فى استطاعتها أن تقف ولو مرة واحدة فى جانب الحرية والشرف والوحدة والحق . لقد فعلها قبل ذلك هذا الفاضل الجمالى

(١) الجمهورية : ٦ مايو ١٩٥٦ — مقال بعنوان « الجلاويون » .

(٢) التحرير : ٢٧ سبتمبر ١٩٥٥ — مقال لأنور السادات بعنوان « ما هكذا يتكلم

الأحرار » .

نفسه يوم وقف في مؤتمر باندونج يهرف ويهدد بكلام غريب يفاضل فيه بين استعمار واستعمار ، ولا يستحي أن يترجمه للناس في الشرق والغرب الى معناه المجرد البسيط ، وهو أن سيادته — أو جنابه — قد أقام نفسه أو أريد له أن يجعل نفسه بوقا وصدى للدعوة الاستعمارية وأداة مسخرة لهدم الوحدة العربية « (١) .

ونجد مثالا آخر لهجوم أنور السادات على مثل هذه المواقف فيما كتبه عن الملك حسين عام ١٩٥٧ ، عندما استجاب لرغبة أمريكا ووافق على أن يضرب الحركة الوطنية في الأردن ويضع الوطنيين في المعتقلات ويهدد تجهها عربيا بالانفصام ، وهو التجمع الذي تمثل في اتفاقية التضامن التي وقعت في ١٩ يناير ١٩٥٧ ، وشملت مصر وسوريا والأردن والسعودية (٢) . فيكتب أنور السادات يدين هذا الموقف للملك ويكشف للرأي العام العربي تأمره فيقول : « إن الملك حسين كان يرفض الانضمام أول الامر الى الجبهة العربية المتحررة ، ولكنه عاد فجأة وانضم الى مصر وسوريا والسعودية ، ليس إيمانا منه بالقومية العربية ، وإنما كوسيلة يستتر خلفها وهو يسلم نفسه وبلاده لاستعمار الدولار الجديد تحت ستار التضامن العربي . كما كان يعمل جده الملك عبد الله من قبل خداعا وتضليلا . لقد كان الملك حسين يعلن عن حماسه للتضامن العربي وينادي بالوطنية الفوارة ، في نفس الوقت الذي كان يتأمر فيه مع أمريكا ضد شعب الأردن وضد التضامن العربي وضد الدول العربية المتحررة » . ثم يقول السادات : « إن الملك رضى أن يقوم بدور صنيعه أمريكا ليفسد ما بين السعودية وسوريا في مصر . وتطوع بحماس لى يشترك مع أمريكا في الخطة التي تقول بعزل مصر . كل ذلك نظير تعهد أمريكا بحمايته ، وإعطائه الاموال التي يطلبها لينفقها على أهوائه وملذاته . وأكثر من ذلك فقد حقق الملك حسين أهداف بن جوريون حينما خرج على التضامن العربي الحر وأخذ يكيل الاتهامات لمصر وسوريا ، وقد أصبح واضحا اليوم لكل عربي أن أهداف

(١) التحرير : ٢٧ سبتمبر ١٩٥٥ — مقال لأنور السادات بعنوان « ما هكذا يتكلم الأحرار » .

(٢) محمد أنيس والسيد رجب حراز : ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ — مصدر سابق — ص ٤٤٠ — ٤٤١

أمريكا هي نفس أهداف إسرائيل . وهكذا أصبح الحسين ليس صنيعة
لأمريكا فقط ، وإنما صنيعة لإسرائيل في نفس الوقت « (١) .

ولم يكتف أنور السادات بهذا المقال لفضح موقف الملك حسين ،
بل واصل ذلك في عدد من المقالات الأخرى شملت إلى جانب الملك نائب
رئيس وزرائه ووزير خارجيته سمير الرفاعي « (٢) .

أما الاتجاه الثالث ، فقد تمثل في التأكيد على حتمية انتصار النضال
العربي وانتصار الإرادة العربية ، وكان واضحا حرص أنور السادات على
تأكيد هذا المعنى في كثير من مقالاته ، فيقول في إحداها : « إن الشعوب
لا تفنى كما تتصورون .. فهذه سنة الله في خلقه .. ولكن الذي يفنى
هو الظلم ، وهو الاستبداد .. وستنتصر الشعوب في تونس وفي مراكش
وفي الجزائر وفي كل مكان على ظهر الأرض » « (٣) . ثم يقول في مقال آخر :
« إن الذي حدث أول أمس في مراكش ، والذي يحدث اليوم في الجزائر ،
لكفيل باقناع كل المستعمرين بأن إرادة العرب لأبد ستنتصر في كل معركة
من أجل الحرية والاستقلال » « (٤) . ثم يقول في مقال ثالث : « لن يغير
تأييد أمريكا لفرنسا في عدوانها على الجزائر شيئا ، لأن الأمر بيد شعب
الجزائر نفسه وبيدنا جميعا نحن العرب » « (٥) .

هذه الاتجاهات الثلاثة في كتابات أنور السادات ، وإن كانت تعبر
عن الفكر السياسي للثورة تجاه القضية العربية وتكشف عن هذا النوع
من التأييد « المعنوي » الذي قدمته مصر للشعوب العربية ، تضامنا مع
شعوبها وتبنيها لقضاياها ، فإن هذا التأييد « المعنوي » لم يكن هو كل
ما قدمته مصر من أجل الشعوب العربية ولها . ذلك لأن مصر كما قدمت
هذا الدعم المعنوي ، قدمت الدعم المادي أيضا . وكانت سرعان ما تلبى
نداء الأقطار العربية الأخرى عند تعرضها لأي تهديد خارجي ، فتقدم لها

(١) الجمهورية : ٢ أغسطس ١٩٥٧ مقال بعنوان : « التضامن العربي واعوان
الاستعمار » .

(٢) الجمهورية : ٥ أغسطس ١٩٥٧ — مقال بعنوان « صوت أسياده » .

(٣) الجمهورية : ٢٦ يوليو ١٩٥٤ — مقال بعنوان « رأي » .

(٤) الجمهورية : ٦ مايو ١٩٥٦ — مقال بعنوان « الجلاويون » .

(٥) الجمهورية : ٩ فبراير ١٩٥٧ — مقال بعنوان « أسطورة المبادئ والأصدقاء » .

العتاد والسلاح والقوات . وكان وصول القوات المصرية الى سوريا عام ١٩٥٧ ، عندما تعرضت للمؤامرات الاستعمارية وتعرضت سلامة اراضيها لخطر الغزو الخارجى هو اصدق دليل على ذلك (١) . وكذلك قدمت مصر السلاح الى ثوار الجزائر لتمكينهم من خوض معركتهم ضد الاستعمار الفرنسى وتحقيق الاستقلال .

وفى عام ١٩٥٦ قدمت مصر ايضا السلاح الى الأردن ، وكان ذلك كما قال أنور السادات : « لا للمساومة او للحد من استقلال الأردن ، وإنما لسكى يحقق بها الأردن هذا الاستقلال ويحميه ويركل المساومة أيا كان مصدرها » (٢) . وبالإضافة الى ذلك كله فان ما تحمته مصر وما قدمته فى معاركها مع الاستعمار من أجل فلسطين ومن أجل الوطن العربى ، وما قدمته من مال وجهد وما تعرضت له من مؤامرات استعمارية خلال معاركها ضد الأحلاف ، لا بد وأن يضاف الى رصيدها الذى قدمته من أجل الوطن العربى ومن أجل القضية العربية .

وإذا كانت مصر قد تكبدت الكثير من جراء سياستها هذه ، إلا أنها بهذه السياسة وبذلك الصدام العنيف مع الاستعمار حققت أهم إنجازين شهدهما الوطن العربى ، وهما استقلال الكثير من أقطاره (الجزائر والمغرب واليمن وغيرها) ورفع لواء الفكرة العربية بدرجة لم يسبق لها مثيل (٣) .

وكذلك فانه إذا كانت قضية فلسطين . . والموقف من الاستعمار . . من أبرز العوامل التى ساهمت فى تعميق الفكرة العربية عند الضباط ، فلقد استمر هذان العاملان وظلا دائما من أهم العوامل التى تدفع الى الاحساس بالخطر وتوقظ الشعور بضرورة الاتحاد لمواجهة هذا الخطر خاصة وبعد أن أصبحت المعركة بين الأقطار العربية وبين الاستعمار فى حقيقتها معركة قومية ، يسعى خلالها الاستعمار لأن يفتت وحدة العرب ويحول دون توحيدهم القومى ، بينما تجتهد الأقطار العربية لمواجهة ذلك بالدعوة الى ضرورة الوحدة والسعى الى تحقيقها ، وهذه الحقيقة هى

(١) عبد الرحمن الرافعى : ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ — مصدر سابق — ص ٣٥٨

(٢) التحرير : ٢٣ أكتوبر ١٩٥٦ — مقال بعنوان « أغرب من الخيال » .

(٣) الأهرام : ٩ نوفمبر ١٩٧٥ — مقال لأحمد بهاء الدين بعنوان « حكاية مصر والعرب » .

ما يقصد إليها أنور السادات بقوله : « إن إسرائيل لم تخلق صدفة .. إنما خلقت لتهدد كيان الأمة العربية وتمهد لتمزيق تلك الأمة وتشريد ابنائها وسلب أرزاقهم وإفساح الطريق أمام النفوذ الأجنبي ليمضى — كما هي العادة — فى السيطرة على المنطقة كلها » . ويستطرد أنور السادات قائلا : « إنهم خلقوا إسرائيل لهذا السبب فقط .. لتكون رأس الرمح الذى يسدد الى قلب الأمة العربية ليحطم وحدتها ويمزق رقعتها ويشيع فيها الاضطراب والخلافات والتناحر ، فيظل العرب كما هم مشغولين بخلافاتهم وتنايذهم وتناحرهم ، فلا يعملون على بعث قواهم لمواجهة الأخطار والسيطرة الأجنبية » (١) .

(١) الجمهورية : ٣ فبراير ١٩٥٥ — مقال بعنوان « الى أين يا رجال العرب » .

الباب الرابع

**سمات
العمل الصحفي
عند
أنوار السادات**

مقدمة :

إذا كان أنور السادات قد تناول في كتاباته الصحفية ، القضايا التي واجهت الثورة في الفترة التي عاصرتها هذه الكتابات من عام ١٩٥٣ وحتى عام ١٩٥٩ ، على النحو الذي تقدم في الفصول السابقة من البحث . . فإنه يبقى من الضروري أن نعرف الى أي حد جاءت هذه الكتابات معبرة عن الفكر السياسي للثورة ، أو بمعنى آخر الى أي حد استطاع أنور السادات أن يعبر بالفعل عن الفكر السياسي للثورة في كتاباته .

ولمعرفة ذلك ، فإنه لابد من البحث في كتابات أنور السادات من جانبين :

الأول : جانب فني يتعلق بفنون الكتابة وخصائص الأسلوب ، باعتبارهما أدوات التعبير الرئيسية في الكتابة الصحفية .

الثاني : جانب سياسي يتعلق بمنهاج أنور السادات في تناول القضايا السياسية ، والمنطق الأساسي الذي كان إطارا لهذا تناول .

وهذان الجانبان يشكلان السمات الرئيسية في العمل الصحفي لأنور السادات ، وسوف نعرض لهما في الفصلين القادمين بالتفصيل .

الفصل الأول

فنون الكتابة وخصائص الأسلوب عند أنور السادات

إن أبرز ظاهرة تلفت نظر الباحث في كتابات أنور السادات الصحفية هي أن هذه الكتابات شملت أنواعا وأشكالا عديدة من فنون التحرير الصحفي . فالى جانب « العمود » والمقالات الافتتاحية كتب أنور السادات التحقيق الصحفي والمآجريات ومختلف أنواع المقالات . ونجد نماذج عديدة لكل من هذه الأنواع والأشكال لفن التحرير الصحفي في كتاباته .

ففى جريدة الجمهورية ، كان أنور السادات يكتب عمودا يوميا ينشر بالصفحة الأولى تحت عنوان دائم وثابت هو « رأى » . وفى مجلة التحرير كان يكتب المقال الافتتاحى كل أسبوع . أما بالنسبة للتقرير الصحفي ، وهو الذى يشمل — فى رأى بعض الباحثين — أشكالا ثلاثة هي التحقيق الصحفي والمآجريات والحديث^(١) ، فائنا نجد أن أنور السادات قد استخدم شكلين من هذه الأشكال فقط هما التحقيق والمآجريات ، دون الشكل الثالث وهو الحديث ، حيث لم نعثر فى كل كتاباته على أية أحاديث صحفية يكون قد أجراها مع بعض الأشخاص .

وكنموذج للتحقيق الصحفي فى كتابات أنور السادات هو ما نشره بجريدة الجمهورية عام ١٩٥٧ فى عددتين متتاليتين ، حيث نشر فى أحد الأعداد تحقيقا صحفيا عنوانه « دور الملك حسين فى التمثيلية »^(٢) ، ونشر فى العدد التالى له تحقيقا آخر بعنوان « لماذا يصر الملك حسين على اختراع معركة وهمية مع مصر ؟ »^(٣) .

وقد جاء هذان التحقيقان مستوفيين لكل الشروط الأساسية فى كتابة

(١) عبد اللطيف حمزة : المدخل فى فن التحرير الصحفي — دار الفكر العربى — القاهرة —

١٩٦٥ ، ص ١٧٢

(٢) الجمهورية : ١٣ يونيه ١٩٥٧

(٣) الجمهورية : ١٤ يونيه ١٩٥٧

التحقيق الصحفى ، فمن حيث الموضوع واختياره وتوقيت نشره — وهو الذى ينبغى أن يكون موضوعا يمثل أهمية عند القارئ^(١) ، وأن يكتب خلال نفس الفترة السياسية المتعلقة به^(٢) — فإن موضوع هذين التحقيقين كان يتناول قضية خطيرة تهم رأى العام العربى والمصرى فى ذلك الوقت ، وهى قبول الملك حسين وموافقته على مشروع أيزنهاور مقابل المساعدات التى قدمتها أمريكا إليه . ولا شك أن الذى ضاعف من اهتمام الرأى العام بمثل هذا الموضوع كان موقف مصر المناهض لهذا المشروع فى ذلك الوقت ، وللملك حسين عندما كشف عن استعداداته لقبوله وموافقته عليه . وقد أدى ذلك الى حدوث اضطرابات عنيفة داخل الأردن والى توتر العلاقات بينها وبين مصر بلغت حد قيام الأردن بطرد الملحق العسكرى المصرى من عمان وقيام مصر بطرد السفير الأردنى من القاهرة . ولذلك فإن الرأى العام المصرى والعربى كان يتابع هذه الأحداث ، كان يهتم أن يعرف الكثير من الحقائق والتفاصيل حول قبول الملك حسين لمشروع أيزنهاور والأسباب التى دفعته الى ذلك والنتائج التى يمكن أن تترتب عليه . وهذا ما أوضحه أنور السادات فى هذين التحقيقين ، حيث قدم شرحا مستفيضا لموقف الملك وكشف عن قبوله للمساعدات الأمريكية واستخدام أمريكا له كأداة لتنفيذ مخطط « الهجوم من الداخل » ، وهو المخطط الذى وضعه دالاس وزير الخارجية الأمريكى قاصدا به عزل مصر عن الأقطار العربية الأخرى التى تسير معها فى خط التحرر الوطنى^(٣) . وبهذه الحقائق التى قدمها أنور السادات فى هذين التحقيقين يكون قد استوفى عنصرا هاما آخر من عناصر كتابة التحقيق الصحفى ، وهو عنصر الكشف عن الحقائق وتقديمها فى قالب فنى^(٤) .

ومن ناحية أخرى ، فإنه إذا كانت العناية باختيار العنوان الرئيسى

(١) محمود فهمى : الفن الصحفى فى العالم — دار المعارف — القاهرة — ١٩٦٤ —

ص ١٢١

(٢) جلال الدين الحمامسى : من الخبر الى الموضوع الصحفى — دار المعارف — القاهرة

١٩٦٥ — ص ١٧٩

(٣) الجمهورية : ١٤ يونيه ١٩٥٧ — تحقيق صحفى بعنوان « لماذا يصر الملك حسين

على اختراع معركة وهمية مع مصر » .

(٤) محمود فهمى : الفن الصحفى فى العالم — مصدر سابق — ص ١١٧

للتحقيق والعناوين الصغيرة الأخرى التى تتبعه من بين العناصر الهامة التى ينبغى توفرها للتحقيق الصحفى ، حيث يتحتم أن تكون العناوين مناسبة لموضوع التحقيق ومتضمنة لعناصر الجاذبية والتشويق للقارئ (١) ، فأننا نجد فى هذين النموذجين من نماذج التحقيق الصحفى عند أنور السادات استيفاء لهذا العنصر بشكل واضح ، فكانت العناوين التى استخدمها فى التحقيق الأول هى « دور الملك حسين فى التمثيلية » ، « الملك يرتدى فجاة ثوب أيزنهاور » ، « كيف تحول حماسه للعرب الى حماس لأمريكا صانعة إسرائيل » (٢) . وفى التحقيق الثانى استخدم أنور السادات عناوين مثل « لماذا يصر الملك على اختراع معركة وهمية مع مصر » ، « خطة الهجوم من الداخل التى أعدتها أمريكا ضد مصر » (٣) .

أما بالنسبة للماجريات — وهى أحد أشكال التقرير الصحفى — التى تعالج موضوع المناقشة فى الهيئات أو المنظمات أو المؤتمرات أو المجالس (٤) ، فأننا نجد بعض النماذج لها فى كتابات أنور السادات حيث كان يعرض لبعض ما يجرى من مناقشات فى جلسات مجلس قيادة الثورة وجلسات المؤتمر المشترك (الذى كان يشمل أعضاء مجلس قيادة الثورة وأعضاء الوزارة) . ولأنه غالبا ما كانت تدور هذه المناقشات حول موضوعات سياسية على قدر كبير من الأهمية ، فقد حرص أنور السادات على أن ينشر منها فقط ما يرى أنه يقدم للرأى العام حقائق معينة ينبغى أن تقدم له فى وقت بعينه وفى ظروف بعينها لكى تكون الأمور أمامه واضحة ويكون حكمه عليها سليما .

ونكتموزج لمثل هذه الماجريات هو ما كتبه أنور السادات فى فترة من أخطر الفترات التى مرت بها ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، وذلك عندما حدث الصدام بين محمد نجيب فى جانب وأعضاء مجلس قيادة الثورة فى الجانب الآخر خلال الأزمة التى عرفت بأزمة مارس عام ١٩٥٤ ، حيث وقفت

(١) عبد اللطيف حمزه : المخل فى فن التحرير الصحفى — مصدر سابق — ص ٣٤٨

(٢) الجمهورية : ١٢ يونيه ١٩٥٧

(٣) الجمهورية : ١٤ يونيه ١٩٥٧

(٤) محمود فهمى : الفن الصحفى فى العالم — دار المعارف — القاهرة — ١٩٦٤ ،

الثورة عند مفترق الطرق : إما أن تعلن انتهاءها وعودة قادتها الى ثكناتهم في الجيش ، وإما أن تبقى فيكون عليها أن تنتهى من تحديد شكل نظام الحكم الذى تسير عليه البلاد وتضع القواعد الدستورية التى تنظمه . وإما كانت هذه الموضوعات وما عرف من خلافات بين محمد نجيب وأعضاء مجلس قيادة الثورة قد أحدثت نوعا من البلبلة العنيفة بالنسبة للرأى العام ، فإن أنور السادات رأى أن أفضل الوسائل لاقتضاء على هذه البلبلة هو أن يضع الشعب أمام الحقائق كاملة ، وذلك بنشر نص المناقشات التى دارت بين رجال الثورة بعضهم البعض وبينهم وبين بعض كبار رجال السياسة ، والتى جرت فى بيوت هؤلاء السياسيين أو فى بيوت رجال الثورة أو فى مقر مجلس القيادة . وقد نشر أنور السادات هذه المناقشات على صفحة كاملة بالجمهورية تحت عنوان رئيسى هو « خفايا وأسرار » اندرجت بعده عناوين أخرى جديدة بأن تشير انتباه القارىء وتوجيه نظره الى أهمية الموضوع مثل :

« جمال عبد الناصر يقترح إعادة دستور سنة ١٩٢٣ »

« السنهورى يقترح تكوين حزب سياسى برئاسة نجيب »

« نجيب يطالب بانتخاب مباشر لرئاسة الجمهورية ، بشرط عدم ترشيح منافس ، ويعود الى المطالبة بحق الاعتراض على قرارات مجلس الثورة والوزراء » .

« نجيب يطالب بتكوين مجلس جمهورى استشارى من ممثلى الأحزاب » (١) .

ثم يكتب أنور السادات بعد ذلك تحت هذه العناوين مقدمة لتقريره يدخل بها الى وقائع المناقشات ونصوصها ، محددا مكانها وأطرافها والجو المحيط بها ، معلقا عليها كلما كانت هناك ضرورة لذلك . وكمثال لما جاء فى هذه المناقشات وما جاء فى هذا التقرير الطويل نكتفى بأن نورد هذا الجزء منه ، والذى يقول فيه أنور السادات :

« كانت الساعة قد تجاوزت السادسة مساء ، وهو موعد المؤتمر

(١) الجمهورية : ٢٦ مارس ١٩٥٤ — مقال بعنوان « خفايا وأسرار » .

المشترك لدراسة طلبات محمد نجيب المفاجئة . فتوجه الجميع عدا عبد الحكيم عامر الذى صمم على الاستقالة : مبدىا استعدادة الكايل للقيام بتبعاته كقائد عام حتى يتم تعيين قائد جديد « .

دهشة

« وفى المؤتمر المشترك أوضح جمال عبد الناصر الموقف وطلبات محمد نجيب ، وأمن على ذلك كل من سليمان حافظ الذى حضر الاجتماع والدكتور عبد الجليل العمري ، وتناقش الوزراء فى هذا الموقف مبدىين أسفهم ودهشتهم من مثل هذه الطلبات أو بعضها على الأقل ، وطلب الجميع أن يحضر محمد نجيب لمواجهة ومناقشته فى طلباته هذه إذ أن الموقف لا يحتمل أى تأخير : فاتصل سليمان حافظ بمحمد نجيب الذى حضر بعد ساعة ومعه اللواء عبد الحكيم عامر « .

« وتكلم بعض الوزراء فى مواجهة الرئيس مظهرين له أن الموقف ومستقبل البلاد لا يمكن أن يحتملا هذه الأوضاع ، وأنه لا أمل للبلاد فى النجاة إلا برجوع محمد نجيب الى مجلس قيادة الثورة وبقائهم جميعا كتلة واحدة حتى يتم تسليم البلاد الى ممثليها المنتخبين « .

تراجع محمد نجيب

« وهنا تراجع محمد نجيب بسرعة خاطفة عن موقفه قائلا : إن هذا الموضوع يمكن أن يسوى بينه وبين زملائه أعضاء مجلس الثورة .

« ولكن تكلم معظم الأعضاء موضحين للرئيس نجيب — بما فيهم خالد محيى الدين — أن الموقف لا يحتمل مطلقا أى تأخير أو تأجيل ، فاما أن يعود محمد نجيب إلى مجلس الثورة فورا . . وإلا فعلى البلاد السلام .

« وهنا تكلم الرئيس نجيب قائلا : لكن هذا يتنافى مع الجمهورية البرلمانية .

« فرد الدكتور حسن بغدادى قائلا : وهو فيه جمهورية برلمانية فيها مجلس ثورة ؟ الوضع كله غير عادى ومؤقت . وكما سار المجلس بالبلاد العشرين شهرا الماضية فيجب أن يسير بالبلاد فى الأربعة شهور

القليلة القادمة .. ونحن هنا جميعا السلطة العليا في البلاد ، وإذا احتاج الأمر أى تغيير فى ورقة أو قانون تقف فى مصلحة البلاد فلنغيرها فوراً .

« فرد نجيب قائلا : إذا كان الأمر كذلك فأحب أن أعود كذلك رئيسا لمجلس الوزراء لأن موقفى دقيق أمام العالم وأمام الشعب ، وخاصة أن الشعب قد بايعنى وحصلت على بيعة من الشعب .

« فرد جمال عبد الناصر من فوره قائلا : إنى أقبل أن تعود رئيسا لمجلس الوزراء بكل سرور ، وتتولى أنت رئاسة المجلس مع رئاستك لمجلس الوزراء وللجمهورية » .

ومما لا شك فيه أن اختيار أنور السادات لهذا الشكل من أشكال الكتابة فى مثل هذه المناسبة التى اضطريت فيها الأحوال فى البلاد اضطرابا شديدا ، إنما يؤكد سلامة الحس الصحفى عنده ويؤكد مهارته الصحفية . ذلك لأنه لو كان قد كتب مقالا من مقالات الرأى أو عمودا صحفيا أو مقالا افتتاحيا ، أو أى شكل آخر من أشكال الكتابة الصحفية غير تقرير « المآجريات » لبدت كتابته على هذا النحو مجرد رأى منحاز لأحد الأطراف ، لكون أنور السادات طرفا من أطراف هذا النزاع فى ذلك الوقت .. ولكنه باختياره لهذا الشكل من أشكال الكتابة فإنه يكون قد وضع القارئ أمام الحقائق المجردة وأمام الوقائع كما حدثت ، وبشكل مباشر من خلال الأطراف التى شاركت فيها وبنص اقوالهم ، وبذلك يضمن التأثير فى هذا القارئ وينجح فى أن يقنعه بوجهة النظر التى يريده أن يقتنع بها .

وكذلك كان أنور السادات دائما يختار القالب الفنى الذى يتلاءم مع نوع الموضوع الذى يكتب فيه ، ولأنه كتب فى موضوعات متعددة ومتنوعة شملت السياسة والآداب والفنون والتأملات الذاتية والتجارب الخاصة ، فقد تعددت القوالب والأشكال الفنية لمقالاته وفقا لهذا التعدد والتنوع فى الموضوعات التى كتب فيها . فنجد نماذج كثيرة للمقالات التى أخذت شكل المذكرات أو الاعترافات من بينها « مذكرات ٣٠ شهرا فى السجن » التى ضمنها تجربته ومشاهداته فى سجن مصر عام ١٩٤٦ ،

ونشرها في مجلة المصور عام ١٩٤٨^(١) ، ومن بينها مذكراته التي قدمها الى « ابنه » ونشرت على صفحات مجلة التحرير عام ١٩٥٧ تحت عنوان «مذكرات أنور السادات» ، واستغرق نشرها طوال الفترة من ١٩ مارس ١٩٥٧ الى ١٠ سبتمبر من نفس العام ، وتضمنت مشاهدات أنور السادات ومذكراته عن الأحداث التي واجهت الثورة منذ قيامها في ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، حتى وقوع العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦^(٢) . ومن بينها كذلك سلسلة المقالات التي نشرها بالجمهورية منذ عددها الأول في ٧ ديسمبر ١٩٥٣ تحت عنوان « صفحات مجهولة من كتاب الثورة » ، وتضمنت مذكرات أنور السادات عن قصة التمهيد للثورة وتنظيم الضباط الأحرار وواقع الحياة السياسية والاجتماعية في مصر قبل قيام الثورة^(٣) . ونماذج أخرى عديدة لمثل هذه المذكرات .

وإن كانت كلها قد أخذت طابع المقالات المسلسلة ، إلا أنه يلاحظ أن هذه المقالات المسلسلة لم تقتصر على المذكرات الشخصية فقط ، بل ان كثيرا من الموضوعات السياسية التي كتبها أنور السادات كانت تأخذ ذلك الطابع نفسه فتتشر سلسلة في حلقات يومية متتالية ، وكان ذلك لضرورة حتمتها طبيعة هذه الموضوعات من حيث تناولها لكثير من الجوانب والتفاصيل التي يصعب الانتهاء من عرضها في مقال واحد . ومن أمثلة ذلك سلسلة المقالات التي نشرها أنور السادات في الجمهورية تحت عنوان واحد هو « نحو بحث جديد » تناولت جوانب مختلفة لموضوع واحد هو « قوة العالم الاسلامي وكيفية بعثها » . ولذلك نجد أنور السادات الى جانب العنوان الرئيسي الثابت الذي اختاره لهذه السلسلة يحدد لكل جانب من جوانب الموضوع فكرته الخاصة به مثل « مشاعر » — « نجوى » — « كنا فأصبحنا » — « الأمل » — « المعجزة » — « بحث جديد » — « أعظم الأعمال » — « الثقافة وسيلة والحضارة غاية » — « تجار

(١) المصور : ٣٠ يوليو ١٩٤٨ — الى ١٣ اغسطس ١٩٤٨ — مقال بعنوان « ٣٠ شهرا

في السجن — أيام وليال في سجن مصر » .

(٢) مجلة التحرير : ١٩ مارس ١٩٥٧ الى ١٠ سبتمبر ١٩٥٧ — مقالات بعنوان « مذكرات

أنور السادات » .

(٣) الجمهورية : ٧ ديسمبر ١٩٥٣ سلسلة مقالات بعنوان « صفحات مجهولة من كتاب

الثورة » .

الدين « حسن في الدنيا وحسنة في الآخرة »^(١) . وتوجد نماذج أخرى عديدة لمثل هذه المقالات المسلسلة أيضا من بينها « قصة الثورة والديمقراطية » و « إلى أين يا رجال العرب » و « الشعب والاخوان المسلمون » و « الثورة والديمقراطية » . . وغيرها مما نشر في فترات مختلفة طوال المدة التي قضاها أنور السادات في العمل الصحفي بجريدة الجمهورية ومجلة التحرير .

وكذلك فإن أنور السادات عندما كان يختار موضوعا يتعلق بوجهة نظر خاصة تعكس آراءه في الحياة والفنون والآداب ، أو يشير إلى تجربة خاصة تتعلق به ، فقد كان يختار لمثل هذا الموضوع طابع وشكل الخواطر والتي نشر معظمها بالجمهورية تحت عنوان لباب أسبوعي ثابت هو « في الأسبوع مرة » . ومن أمثلتها ما كتبه عن مسرحية « السفاحة ريا » وعن « أوبرا شهريار »^(٢) ، وما كتبه من آراء حول « فن القصة » وعلاقة هذا الفن بالحياة والمجتمع^(٣) ، وكذلك ما كتبه عن المواقف والتجارب الكثيرة التي واجهها خلال فترات هروبه من السجن واضطراره للاختفاء والتفكير وممارسة العديد من الأعمال الشاقة واضطراره كذلك لأن يغير اسمه ومظهره ولهجته في الحديث ، فقد كان أنور السادات يختار من بين هذه المواقف والتجارب موضوعات وجد أن الشكل الأمثل لعرضها هو شكل « الخواطر » ، ومنها ما يقوله عن الانطباعات والانفعالات التي قفزت إلى ذهنه وهو يقود سيارته على طريق السويس — الاسماعيلية ، فيقول : « أخذت أعود بذاكرتي إلى الوراء ، إلى ديسمبر ١٩٤٤ ، يوم أن كنت هاربا من المعتقل وذهبت إلى سوق الخضار في القاهرة لأعمل سائقا لعربة نقل . كان السوق وقتئذ لا يزال في مكانه القديم قرب محطة القاهرة » : « ان هذا الطريق أطلق عليه طريق الذكريات فلي فيه ذكريات يوم أن كنت هاربا من المعتقل سنة ١٩٤٥ ، ولي فيه ذكريات بعد أن خرجت من السجن

(١) الجمهورية : ١٦ أغسطس ١٩٥٤ — إلى ١٣ سبتمبر ١٩٥٤ — سلسلة مقالات بعنوان « نحو بحث جديد » . وهذه العناوين للمقالات وردت في الكتاب الذي صنف بعنوان « نحو بحث جديد » ولم ترد في المقالات الأصلية عند نشرها بالجمهورية بل نشرت السلسلة كلها تحت عنوان واحد هو « نحو بحث جديد » .

(٢) الجمهورية : ٢٢ نوفمبر ١٩٥٥ — خواطر بعنوان « في الأسبوع مرة » .

(٣) الجمهورية : ١١ أكتوبر ١٩٥٤ — خواطر بعنوان « لا في الأسبوع مرة » .

سنة ١٩٤٩ ، ويوم أن كنت أعمل مقاولا في مديرية الشرقية ، وذكريات أخرى لم يؤن الأوان للكشف عنها بعد « (١) . ويقول أنور السادات في « خواطر » أخرى حول نفس الفترة ونفس التجربة : « كان على أن أمثل فعلا أدوارا حقيقية على مسرح الحياة وأنا هارب حتى لا يقبض على البوليس » . ثم يحكى كيف أنه قام بتمثيل دور « الشيال » ودور سائق اللورى ودور المقاول على مسرح الحياة قائلا : « وفي كل هذه الأدوار كنت أكيف نفسى حسب الدور وأعمل الماكياج اللازم » (٢) .

وإذا كانت كتابات أنور السادات قد تنوعت وتعددت على هذا النحو بحيث شملت الى جانب المقالات السياسية جوانب أخرى في الفنون والآداب والحياة والمجتمع ، فلا شك أن ذلك يعكس بوضوح رأيه في أن الموضوع الصحفى أساسه الفكرة أولا وقبل كل شيء ، وأن « كل الأوقات تصلح لى يكتب الكاتب فيها ما دامت لديه الفكرة » (٣) . وبحثا عن العوامل التى أمدت أنور السادات بهذه الوفرة من الأفكار المتعددة والمتنوعة ، وهيات له القدرة على تناولها والكتابة فيها ، فأننا نجد أن ذلك كان راجعا الى أسباب كثيرة منها :

(أولا) : التجربة الخاصة لأنور السادات في العمل السياسى ، وهى التجربة التى استغرقت من حياته ما يقرب من خمسة عشر عاما قبل قيام الثورة ، بدأت عقب تخرجه في الكلية الحربية عام ١٩٣٨ وشهدت انضمامه للتنظيمات السرية داخل الجيش ، واتصاله بالسياسيين والعسكريين الوطنيين من أمثال عزيز المصرى وحسن البنا ، ومحاولات اتصاله بالعسكريين الألمان لانقاذ البلاد من سيطرة الاستعمار البريطانى ، وشهدت كذلك سنوات قضائها سجيناً وهارباً ومطارداً يعمل في مختلف الأعمال ويلتقى لقاء مباشراً بمختلف فئات وطبقات الشعب (٤) ، فكانت هذه التجربة على هذا النحو لابد وأن تفتح أمامه آفاقاً متعددة للمعرفة والخبرة ومن ثم فقد أصبحت أحد أهم المصادر الخصبة التى استلهم منها عدداً

(١) الجمهورية : ٢٩ أغسطس ١٩٥٥ — خواطر بعنوان « في الأسبوع مرة » .

(٢) الجمهورية : ٢٢ نوفمبر ١٩٥٥ خواطر بعنوان « في الأسبوع مرة » .

(٣) التحرير : ٢٣ فبراير ١٩٥٤ — رد أنور السادات على قراء التحرير « من قراء التحرير الى رجال التحرير » .

(٤) الأهرام : ٢٦ ديسمبر ١٩٧٥ — نص حديث أنور السادات الى التلفزيون العربى .

كثيرا من الأفكار والمواد لموضوعاته الصحفية ، فجاءت متنوعة ومتعددة على نحو ما كانت عليه التجربة نفسها من تنوع وتعدد في المواقف والظروف .

ثانيا : ثقافة أنور السادات الخاصة ، وهي التي حرص أنور السادات على أن تكون ثقافة عامة وليست ثقافة متخصصة في أحد فروع المعارف ، وذلك لأنه يرى « أن الثقافة وسيلة والحضارة هي الغاية » وأن « الثقافة تصنع الحضارات ، تصنع الحرية ، تصنع الحياة وتبهجها » (١) ، كذلك فإن « الثقافة وحدة في هذا العالم لا تتجزأ » (٢) ، وأن الطريق إليها هو « القراءة والاطلاع » الذي هو « إلزام للفرد في هذا العالم الذي اتصل قاصيه بدانيه » (٣) . فدفعه هذا كله الى القراءة في مختلف فروع المعرفة ، وهذه القراءة وإن كان الطابع الأدبي واللون القصصي بالذات قد غلب عليها ، إلا أن هذه القراءات الأدبية لم تكن وحدها هي كل ما قرأ أنور السادات ، ولم تكن وحدها هي المصدر الوحيد لثقافته . ويمكننا مما كتبه أنور السادات أن نتبين شمولية ثقافته وتنوعها وتعدد مصادرها في أكثر من مقال كتبه مشيرا الى هذه القراءات بشكل محدد ، فهو يقول مثلا : « منذ سجنيت وأنا أقرأ في جميع النواحي ، وإنما تستهويني القصص التحليلية لكبار الكتاب الأجانب أمثال سومرست موم ولويد دوجلاس ، أما الكتاب الذي أثر في تفكيري فكان « الذئب الأغبر » بالانجليزية ومؤلفه آرمسترونج » . وهو يروي تاريخ مصطفى كمال أبو تركيا الحديثة : « قرائته وأنا في العشرين من عمري ولم أعرف بعد قراءته طعم الراحة » (٤) . ويقول عن الكتب التي قرأها خلال فترة وجوده بالسجن : « كنت في ذلك الوقت قد أتممت قراءة القرآن أكثر من خمس مرات وأتممت قراءة عشرات الكتب ، الى جانب فلسفة نيتشه في حديث زرادشت وروايات المغامرة ، الى جانب علم النفس » (٥) .

(١) الجمهورية : ٢٤ أغسطس ١٩٥٤ — مقال بعنوان « نحو بحث جديد » .

(٢) الجمهورية : ٢٢ أغسطس ١٩٥٤ — مقال بعنوان « نحو بحث جديد » .

(٣) المصور : ٦ أغسطس ١٩٤٨ — مقال بعنوان « مذكرات أنور السادات — أيام وليال في سجن مصر » .

(٤) التحرير : أول مارس ١٩٥٤ — رد أنور السادات على قراء التحرير « من قراء التحرير الى رجال التحرير » .

(٥) الجمهورية : ٢٢ مارس ١٩٥٤ — مقال بعنوان « اليوم وغدا والمستقبل » .

وفي مقال آخر يتحدث أنور السادات عن الكتب التي كان يقرأها أثناء عمله الصحفي وبتدار التحرير فيقول : « أُمّى ثلاثة كتب أقرأها بالتناوب : الأول جمهرة خطب العرب ، والثانى هو قصة بالألمانية لادجار والاس اسمها «Geheine Nachte» ، ولهذه القصة قصة . أما الثالث فهو كتاب « عشر قصص » لسومرست موم بالانجليزية « (١) . ولا شك أنه من بين العوامل التي ولا بد أن تكون قد أثرت في أنور السادات وجعلته ينحو هذا النحو الى تحصيل ثقافة عامة ، الى جانب ثقافته العسكرية ، هو قراءته في فترة مبكرة من حياته لكتابات أحمد أمين (٢) . وذلك لان ثقافة أحمد أمين نفسه كما يقول عنها بعض الباحثين « كانت من تلك الثقافات الخصبة المتعددة الألوان . فكان أدبيا ولغويا ، فقيها ومحدثا ، مؤرخا ومحققا أخلاقيا واجتماعيا ، فيلسوفا ومتصوفا . وقد كتب في كل هذا وخلق آثارا قيمة ، وهو دون نزاع من أوسع مفكرينا المعاصرين ثقافة وأفسحهم مجالا وأبعدهم آفاقا » (٣) .

والمهم أن هذا التعدد والتنوع في ثقافة أنور السادات كان لابد وأن يكون عاملا له أثره في كتاباته وبحكم تعدد موضوعاته وتنوعها على النحو الذى جاءت عليه ، ذلك لأنه من الطبيعى أن تكون ثقافة الكاتب الصحفي هى الأساس الذى يستلهم منه أفكاره ويبنى به مادته .

ثالثا : إجادة أنور السادات لعدد من اللغات الى جانب العربية ، وذلك لأنه وهو الذى يجيد « الانجليزية والألمانية والفرنسية والفارسية » (٤) ، فقد كان طبيعيا أن يتيح ذلك أمامه فرصة واسعة لتعدد قراءاته وتنوعها ، ويفتح أمامه آفاقا رحبة للتحصيل والمعرفة والوقوف على التجارب الأوروبية فى التفكير والكتابة ، وكان لابد أن يترك هذا أثره فى كتاباته لا من حيث التعدد والتنوع فقط بل ومن حيث الخصوبة والجودة أيضا .

(١) الجمهورية : ٢٢ نوفمبر ١٩٥٥ — مقال بعنوان « فى الأسبوع مرة » .

(٢) الأهرام : ٢٦ ديسمبر ١٩٧٥ — نص حديث أنور السادات الى التلفزيون .

(٣) إبراهيم بيومى منكور وآخرون : أحمد أمين بقلم أصدقائه — لجنة التأليف والترجمة والنشر — القاهرة — ١٩٥٥ — ص ١١

(٤) الأهرام : ٢٦ ديسمبر ١٩٧٥ : نص حديث أنور السادات الى التلفزيون العربى .

رابعاً : الوضع الخاص لأنور السادات كصحفى . وذلك لأنه أثناء الفترة التى عمل بها صحفياً بدار التحرير ومسئولاً عنها ، كان فى نفس الوقت عضواً من أعضاء مجلس قيادة الثورة وأحد الذين أنيطوا بمسئوليات متعددة فى العمل السياسى بمواقعه المختلفة ، فكان أحد قضاة محكمة الثورة وكان أول سكرتير للمؤتمر الإسلامى وأول مسئول عن الاتحاد القومى وأول رئيس لأول مجلس أمة وأول رئيس للمؤتمر الآسيوى الأفريقى وأحد أعضاء الوفد المصرى فى مباحثات الوحدة بين مصر وسوريا ، فكان تعدد المسئوليات فى مواقع العمل السياسية المختلفة على هذا النحو كفيلاً بأن يحقق لأنور السادات من الفرص ما لا يمكن أن يتاح لأى صحفى آخر من حيث وفرة الأفكار والمعلومات الدقيقة عن شتى الموضوعات .

خامساً : طبيعة أنور السادات الخاصة وظروف نشأته ، ذلك لأن نشأته وحياته فى السنوات الأولى من عمره فى قرينته التى ولد بها وواقع الحياة فى القرية ومجتمعها وطبيعتها ، وظروف نشأته فى كنف جدته بعيداً عن أبيه الذى كان يعمل بالسودان فى ذلك الوقت (١) ، كل ذلك كان واضح الأثر فى تكوين شخصيته وميله التلقائى للفن ، فنجدته يكتب قائلًا : « منذ فجر شبابى وأنا أحس بهيل شديد للفن والفنانين » (٢) . كما كان لهذه النشأة أثرها فى أن أصبحت مصدراً خصباً من مصادر الكتابة عنده لا من حيث تعدد الأفكار وتنوعها فقط ، بل وفى قدرته على التعبير والكتابة عنها أيضاً ، إلى جانب أنها أصبحت جزءاً من رصيد الذكريات التى يحفظها . فانعكس أثر ذلك كله على كتاباته وبرز أثر هذه النشأة فى كثير من موضوعاته الصحفية التى استلهم أفكارها من هذا الرصيد الذى يملكه . فنجد أنور السادات يكشف عن أثر هذه النشأة فى تكوين الملامح الأولى لشخصيته قائلًا : « والسنين التى عشتها فى القرية قبل أن أنتقل إلى المدينة يابنى ستظل بخواطرها وذكرياتها زادا يملأ نفسى ووجدانى بالصفاء والإيمان ، فهناك تلقيت يابنى أول درس فى هذه الحياة .. تعلمتها على يد الأرض الطيبة السمحة التى لا تبخل على الناس بالزرع والثمر .. وتعلمتها من سماء قرينتنا الصافية المشرقة .. تعلمتها فى ظل الجميزة الخضراء الضامدة ، وعلى أغصان الضفصافة الخجولة الوديعه .. تعلمتها .. »

(١) الأهرام : ٢٦ ديسمبر ١٩٧٥ : نص حديث أنور السادات إلى التلفزيون العربى .

(٢) الجمهورية : ٢٢ نوفمبر ١٩٥٥ — خاطر بعنوان « فى الأسبوع مرة » .

على حافة الجدول الصغير الذى ينقل الى الحقول تزيق الحياة فى رضا
ومقناعة .. تعلمتها فى ظلال الأمسيات البريئة مع زملائى من شباب القرية
ونحن نلعب تحت ضوء القمر فى شوارع القرية الساكنة الهاجعة « (١) » .

وكنتيجة طبيعية لهذا التعدد والتنوع فى كتابات أنور السادات الصحفية
كان لابد وأن تتعدد وتتوسع ونفقا لذلك طرق العرض وأساليب الكتابة
فى موضوعاته . ونجد أمثلة عديدة لهذا التنوع من بينها استخدامه للأسلوب
العلمى الذى يعتمد على إبراز الحقائق ومناقشتها والوصول الى نتائج
محددة من هذه المناقشة ، وهو الأسلوب الذى ميز مقالاته السياسية
على وجه التحديد . وكمودج له هذا المقال الذى عرض فيه لسياسة أمريكا
فى عام ١٩٥٧ بعد أن قدم أيزنهاور مشروعه الذى عرف باسمه فى ذلك
الوقت ، وقد اعتمد أنور السادات فى مناقشته لهذه السياسة الأمريكية
على نص التصريحات التى أدلى بها وزير الخارجية الأمريكى « دالاس »
واستخرج منها المعانى التى تشير إليها هذه التصريحات ، مشيرا
الى دلالتها والنتائج التى سوف تترتب على هذه التصريحات . فيكتب قائلا :
« أصدر الرئيس أيزنهاور بيانه المشهور لى ييسط حمايته على الشرق
الأوسط تارة بالدولار وتارة بالجنود والدبابات .. ودالاس اليوم يحاول
أن يدافع عن نفسه مستميتا أمام الكونجرس ، ومن هذا الدفاع نستطيع
أن نفهم مغزى هذه السياسية وهدف هذا البيان » .

« إن دالاس يقول : « لقد حدث تغيير فى الدور الرادع الذى يمكن
أن تقوم به دول معينة فى أوروبا الغربية وقد كانت هذه الدول حتى الآونة
الآخيرة رادعا خطيرا للعدوان الخطير على الشرق الأوسط ولكن لأسباب
متنوعة سيكولوجية ومالية وسياسية لم يعد ذلك يفى بالحاجة » .. ومعنى
هذه الفقرة من غير حاجة الى ذكاء أو المعية هو أن بريطانيا وفرنسا اللتين
كانتا فى نظر أمريكا تتومان بحراسة هذه المنطقة قد فقدتا القدرة على ردع
الشيوعية لأسباب سيكولوجية ومالية وسياسية .. ومعنى هذه الفقرة أيضا
والتي يبرر بها سياسته الجديدة أمام الكونجرس هو أن أمريكا يجب أن تتقدم
لتحل محل بريطانيا وفرنسا الفلسطينيتين العاجزتين لى تقوم بردع الشيوعية
لأن أمريكا لديها إمكانيات وليست مغلصة ولا عاجزة أى أن أمريكا بالعربى
الفصيح تريد أن تفرض نفوذها على منطقة الشرق الأوسط بعد أن أنهار

(١) التحرير : ١٩ مارس ١٩٥٧ — مقال بعنوان « مذكرات أنور السادات » .

نفوذ بريطانيا وفرنسا . والعجيب ان أمريكا تنفى عن نفسها هذه التهمة منذ أن بدانا فى مناقشة هذه السياسة الأمريكية الجديدة ولكن يشاء الله الا أن يؤكد دالاس ما قلناه ويقول له الناس فى هذه المنطقة . . وأمريكا اذا كانت تعتقد ان دولاراتها ودباباتها ستكسب لها حرب الشعوب فى هذه المنطقة فانها تكون واهمة وغافلة . . ان الدولارات لم تعد ترغب أحدا والدبابات لم تعد ترهب أحدا . وأمريكا باتخاذها هذه السياسة الجديدة انما توقد الشرارة الأولى للحرب العالمية الثالثة » (١) .

واذا كان أنور السادات قد اعتمد على مثل هذا الأسلوب العلمى الذى يقوم على عرض الحقائق واستخلاص معانيها فى كتاباته السياسية فان ذلك لم يكن يمنعه من ان يستخدم ضمن هذا التحليل وفى إطاره أسلوبا يتسم بالحدة مستخدما عبارات قاسية ونعوتا هجائية واضحة قاصدا بذلك التعبير عن المواقف الملتوية وغير الشريفة لهذه السياسات وهؤلاء السياسيين تجاه مصر ولكى ، يحفز القارئ على اتخاذ موقف معاد لهذه السياسات وهؤلاء السياسيين ، وكنموذج لمثل هذه المقالات ذلك المقال الذى استخدم فيه أنور السادات عبارات على غرار « المهرجين الأمريكان الذين كذبوا وضللوا وتجردوا من الحياء » و « المدعو سلوين لويد » ، و « بن جوريون المدلل » وكان ذلك بصدد تعليق السادات على تصريحات وزير خارجية بريطانيا حول أسباب سحب بريطانيا لعرضها بتمويل السد العالى وهى التصريحات التى رأى فيها أنور السادات ما يعد اهانة لمصر ولكرامة ووطنية كل مصرى ، ومن هنا جاء استخدامه فى التعليق لمثل هذه العبارات القاسية والحادة والتى تناسب الرد على مثل هذه الاتهامات والطعنات التى وجهها وزير الخارجية البريطانى للنيل من سمعة مصر فى المجال الدولى فيكتب أنور السادات مناقشا هذه المزاعم والحجج ، مفندا للأساس الذى تقوم عليه موضحا حقيقة دوافعها قائلا : « ان سلوين لويد وزير خارجية بريطانيا يقرر أمام مجلس العموم البريطانى ان بريطانيا سحبت عرضها لتمويل السد العالى لأن مصر رصدت محصول قطنها لسداد نفقات التسليح ولأن مصر تقوم بتصنيع نفسها بقوة ولذلك أصبحت فى نظره ونظر المهرجين الأمريكان لا تستطيع ان تقوم بنفقات هذا المشروع . ثم تحدث عن العلاقات بين مصر وبريطانيا فقال ان تنمية العلاقات الودية بين البلدين متوقف على رغبة مصر فى عدم الاساءة الى مصالح بريطانيا المشروعة فى الشرق الأوسط . وأنا حين أناقش هذه النقاط لا أرد بتاتا

(١) الجمهورية : ١٦ يناير ١٩٥٧ — مقال بعنوان « بالصبرى الفصيح » .

على المدعو سلوين لويد لأننا رددنا على اسياده المهرجين الأمريكان الذين كذبوا وضللوا وتجردوا من الحياء وانما انا أريد ان ألقى أضواء على هذه المعركة التى هى معركة الأحرار فى الوطن العربى وفى أفريقيا وفى كل مكان ، المسألة فى نظر بريطانيا اذن كما صورها المدعو سلوين لويد هى ان مصر لا يجب ان تسلم نفسها ضد عدوان اسرائيل الغادر لكى تبقى تحت امر واذن بريطانيا وأمريكا تتصرفان فى أرضها ومستقبلها وحريتها كما تريدان وكما يريد ربييهما بن جوربون المدلل . والمسألة أيضا فى نظر بريطانيا كما صورها المدعو سلوين لويد هى ان مصر كان لا يجب ان تصنع نفسها حتى لا يرتفع مستوى المعيشة فيها الى الأبد فتظل فقيرة وتظل بريطانيا تباع لنا صناعتها لكى يزدهر المجتمع البريطانى وينمو على دمائنا كما تعود ان ينمو دائما على دماء الناس فى الهند وأفريقيا وفى أماكن كثيرة من أنحاء العالم . هذا هو المنطق الذى يريدوننا ان نلغى عقولنا ونفهمه . ومرة أخرى هيهات للقرصان ان يكون شريفا « (١) » .

كان استخدام أنور السادات لمثل هذه العبارات القاسية والأسلوب الحاد فى التعبير يقترب دائما برده على أى تصريح أو تعليق أو موقف اجنبى ضد مصر ، وتأتى هذه العبارات وهذا الأسلوب فى اطار تحليله لهذا الموقف بحيث تصبح جزءا لا يتجزأ من المقال نفسه وذلك مثل ما كتبه تعليقا على ما حملته برقيات وكالات الأنباء عن ردود الفعل الرسمية فى بريطانيا بعد اعلان مصر لتأميم قناة السويس اذ يكتب قائلا بعد ان يعرض لما حملته هذه البرقيات : اما ان حرية الملاحة فى خطر فانتى أريد ان أسأل المغالط ايدن كيف أصبحت هذه الحرية اليوم فقط فى خطر والقناة فى مصر منذ قامت الثورة ، وهل يتصور الحضيف ايدن ان جنوده الذين كانوا على القناة فى يوم من الأيام هم الذين كانوا يحمونها ؟ اذا تصور هذا فهو احمق . اما اذا كان الأمر لوجه المغالطة وهو ما تفصح عنه هذه العصبية وذلك الهوس فاننا ننصح له ان يهدأ او يتحمل هو وحكومته نتائج مغالطته وصلفه وغروره . وأما ان هذا القرار تعسفى فان ذلك أمر يدعو الى السخرية والهزء . . وعلى ما يقول المثل العامى عندنا . . قادر . . وفاجر « (٢) » .

واذا كان قد برز فى هذه المقالات استخدام أنور السادات لأمثلة « عامية » وعناوين باللهجة العامية أيضا مثل المثل العامى « قادر وفاجر » ومثل

(١) الجمهورية : ٢٦ يوليو ١٩٥٦ — مقال بعنوان « فار البحرين » .

(٢) الجمهورية : ٢٨ يوليو ١٩٥٦ — مقال بعنوان « قادر . . وفاجر » .

« فار البحرين » بدون وضع همزة الالف في كلمة « فار » و « بالعربي الفصيح » فان استخدام مثل هذه الأمثلة العامية في صلب المقال واستخدام العناوين التي تسترعى الانتباه وتثير اهتمام القارئ بالموضوع كان إحدى السمات الواضحة في كتابات أنور السادات نظرا لكثرة استخدامه لمثل هذه الأمثلة العامية ومثل هذه العناوين الجذابة . ومن أمثلة هذه العناوين والتي كانت رغم أثارها تعد جزءا لا يتجزأ من موضوع المقال ، « عناوين مثل « أكبر بلفة » . . وكلمة « بلفة » هذه في العامية تعنى « الخداع » وكان أنور السادات في هذا المقال يدلل على « الخداع » الذي مارسه بريطانيا مع الشعوب التي تستعمرها قائلا « لطالما ضحكت بريطانيا على الشعوب ولا زالت بأساطير وهمية عن قوتها التي لا تقهر وأساطيلها التي تسود البحار وهي في الواقع تاجر لص لا يرعى حتى أبسط مبادئ الشرف في الاتجار » (١) ، ومن أمثلة هذه العناوين كذلك « اذا اتفق اللسان » (٢) ، و « لا . . لاه » (٣) و « منطق البلطجية » (٤) ، و « ثم » (٥) . و « أمنا الغولة في مجلس الأمن » (٦) ، « الأمريكاني المضحك » (٧) ، و « ٢٨ فبراير ١٩٥٥ » (٨) و « ياهوه . . افهموا هذا الشعب » (٩) ، وغيرها .

وهذه العناوين وان اتسمت بالقصر الى حد استخدام العنوان المكون من كلمة واحدة فان ذلك لم يكن بمثابة قاعدة أساسية في كتابة عنوان المقال عند أنور السادات ، وانما كان الأساس هو ان يكون العنوان معبرا عن دلالة الموضوع جذابا للقارئ بغض النظر عن طوله أو قصره وبغض النظر كذلك عن استخدام الكلمات الفصحى أو العامية فيه واستخدام الكلمات أو الأرقام . ولذلك فأننا نجد عناوين أخرى لمقالات كتبها أنور السادات تزيد عدد كلماتها

(١) التحرير : ٢٥ ديسمبر ١٩٥٦ — مقال بعنوان « أكبر بلفة » .

(٢) الجمهورية : ٧ أغسطس ١٩٥٦

(٣) الجمهورية : ٣٠ أغسطس ١٩٥٦

(٤) الجمهورية : ٨ أغسطس ١٩٥٦

(٥) الجمهورية : ٥ أغسطس ١٩٥٦

(٦) التحرير : ٢ أكتوبر ١٩٥٦

(٧) الجمهورية : ٢٤ يوليو ١٩٥٦

(٨) التحرير : ١٩ فبراير ١٩٥٧

(٩) التحرير : ٩ أكتوبر ١٩٥٦

على العشر ومن أمثلتها « من الذى صنع سياسة واشنطن ولندن ؟ ايزنهاور وأيدن . . أو بولجانين وخروشيشيف » (١) ، وعنوان آخر هو « أنور السادات يكتب عن صراعه فى الدوامة الرهيبة . بدأت معركة صحافة الثورة ولا أدرى متى تكون النهاية » (٢) . وعلى هذا النحو ذاته كان استخدام أنور السادات للأمثلة العامة وبعض الكلمات العامة فى بعض مقالاته وذلك لأنه يجد فيها تعبيراً مباشراً وأكثر دلالة من الكلمات الفصحى نفسها ولهذا فلم تبد فى سياق الحديث خارجة عليه أو جاءت فى غير موضعها خاصة وأنها من الكلمات والأمثلة المألوفة للعامة وليست تعبيرات « مستحدثة » يختلط أمرها على القارئ أو يضطر إلى السؤال والبحث عن معانيها . ومن أمثلة هذه الاستخدامات للكلمات والأمثلة العامة فى كتابات أنور السادات قوله « بدلا من أن نستدين من أمريكا ونبذل ماء الوجه ونتعرض للتدخل الأجنبى ، فلتستعيد مصر قناتها . . ويادار ما دخلك شر » (٣) وقوله « ولا أقول أننا فقدنا الأمل نهائيا من أمريكا فى تلك الظروف وإنما قلنا — كما يقول المثل العامى عندنا « خليك مع الكذاب لحد باب الدار » (٤) ، ثم قوله « من الذى لم يسمع عن التخاذل وعن الحياة التى لامست التراب أمام رغبات شباب فاسق فاجر علموه ان ارادته ومشيئته اسمى من كل الفضائل فى هذه البلاد . . وعن الخيانة وعن أسلوب الحكام الطراير » (٥) . وقوله كذلك : « حتى فى اخراج هذه المسرحية الفاشلة لم يوفق الخواجة دالاس وشريكه الخواجة إيدن إلى أبسط مبادئ الحبك . والثابت فى علم النفس الجنائى أن المجرم لا بد وان يترك من خلفه أثرا اذا ما تعقبه المحققون امسكوا به متلبسا واضطر إلى الاعتراف » (٦) .

وفى مقالات أخرى اعتمد أنور السادات على الأسلوب الخطابى وهو الأسلوب الذى يتوجه فيه الكاتب إلى القارئ بما يشبه النداء والدعوة إلى شيء محدد مستخدما الجمل القصيرة السريعة والتعابير المباشرة والمعانى

(١) التحرير : ٣ يناير ١٩٥٦

(٢) الجمهورية : ٧ ديسمبر ١٩٥٤

(٣) التحرير : ٣٠ أكتوبر ١٩٥٦ — مقال بعنوان « حكاية من أمريكا » .

(٤) التحرير : ١٦ يوليو ١٩٥٧ — مقال بعنوان « مذكرات أنور السادات » .

(٥) الجمهورية : ٢٤ يوليو ١٩٥٦ — مقال بعنوان « الأمريكانى المضحك » .

(٦) الجمهورية : ٢ يوليو ١٩٥٤ — مقال بعنوان « رأى » .

الواضحة ومن ذلك ما كتبه موجهها فيه النداء الى سياسة العالم الغربى ان يعيدوا النظر فى خططهم السياسية قائلا :

« يا سياسة العالم الغربى ... »

« افيقوا من ذهولكم واعلموا أننا لسنا عبيدا لكم ولا لسواكم وأننا لا نربط مصيرنا باحلاف شرقية أو غربية ولا نرضى ان نقبل اليد التى تصفعنا وتدوس حقوقنا وتبيع دماغنا لاعدائنا . ولا نجد فضلا لأحد من سياسة الشرق أو الغرب يقف الى جانب حقنا وينكر العدوان علينا ايا كانت المذاهب والنظم السائدة فى بلاده ... »

« يا سياسة الغرب ... »

« راجعوا أنفسكم وايقظوا ضمائرکم واعيدوا النظر فى خططكم التى لا يقرکم عليها ولا يتمنى لكم الاصرار عليها سوى اعدى اعدائكم » (١) ، ومن أمثلة ذلك أيضا هذا المقال الذى يتوجه فيه أنور السادات بما يشبه النداء المباشر الى الشعب ان يتصدى « للمنافقين وتجار السياسة » أو « من يتاجرون بالدين » فلا يستجيب لدعوتهم بل يضع أمامهم انجازات الثورة لتكون حجة فى وجه المزاعم والباطيل التى يثيرها « تجار الدين » هؤلاء .. فيكتب السادات قائلا :

« أيها الشعب »

« يا أهلى فى المدن والقرى . ويا أحبابى فى الكفور والنجوع اذا جاءكم المنافقون وتجار السياسة أو من يتاجرون بالدين ليقولوا لكم اتبعونا فقولوا لهم ان الله قد هدانا من عنده واضاء لنا الطريق وبعث لنا آيات بينات لا يجحدها الا انتم يا معشر المضللين . قولوا لهم :

« ألم يطرد الملك الفاسق ؟ »

« ألم تعد الأرض التى اغتصبت الى أصحابها ؟ »

« ألم تقض الثورة على الفساد ؟ »

(١) الجمهورية : ٣ يناير ١٩٥٦ — مقال بعنوان « من الذى يصنع سياسة واشنطن ولندن

ايزنهاور وايدن أو بولجائين وخروشيشيف » .

« الفساد والرشوة والمحسوبية ؟

« ألم يعد السودان ملكا لأبنائه ؟

« وبعد ذلك .

« ألم تعد مصر منذ أمس حرة طليقة من كل قيد عجز عن حله الزعماء
طوال اثنتين وسبعين سنة ؟

« أيها الشعب ...

« ارفع رأسك واندفع الى المستقبل في وثوق وايمان .. واسحق
النفاق والمضللين بتقديمك » . (١)

وغير هذا فقد كان أنور السادات كثيرا ما يلجأ الى الأسلوب الأدبي
وطابع السرد القصصى في مقالاته فتأتى هذه المقالات حافلة بالصور الوصفية
والعبارات المنتقاة بعناية فائقة ، ولكن هذا الأسلوب وذلك الطابع في الكتابة
لم يكن مقصودا لذاته عند أنور السادات بل كان مجرد وسيلة من الوسائل
التي كان يرى أنها كفيلة بتوصيل المعنى الذي يريده الى القارئ حتى لو
جاء هذا المعنى المقصود في سطور قليلة من سطور المقال ، ومن النماذج
التي توضح ذلك هذا المقال الذي كتبه أنور السادات متهمها فيه على الصحف
الإنجليزية التي كانت تعارض انسحاب بريطانيا من مصر والتي شبهها أنور
السادات بأنها مثل الضفادع في نقيقتها ، « وكان ذلك هو كل ما يريد أنور
السادات ان يعبر عنه في هذا الصدد ، بل كان ذلك هو الهدف الوحيد للمقال
ومع ذلك فقد احتل هذا المعنى أقل مساحة من سطور هذا المقال الطويل الذي
حفل بكل خصائص الأسلوب الأدبي والذي يقول السادات فيه :

« كثيرا ما قضيت في ريف مصر الجميل ليالى لا أنساها ناجيت فيها الطبيعة
الهادئة ، واستمعت فيها إلى حفيف غصون الأشجار وإلى همس النسيم
في آذان الخمائل ونعمت فيها بالهدوء والدعة وسرحت فيها بخيالي مستعيدا
ذكرياتي حلوها ومرها وتطلعت فيها الى آفاق المستقبل استشف منها
ما أترقبه من جميل الأمنى وطيب الآمال .

(١) الجمهورية : ٣٠ يوليو ١٩٥٤ — مقال بعنوان « رأى » .

« ومن تلك الليالى التى قضيتها فى الريف ما كان مقمرا منيرا . ومنها ما كان مظلما حالكا السواد . ولكنى كنت أرى فى ظلام الريف جمالا لا يقل عن جمال قمره فهذه الظلال التى ترسمها الأشجار تتراءى فى الظلمة كعذارى ليل استخفين ليرقصن على نغمات نجوى النسيم وخرير الجدول . . . وهذه الأكواخ القابعة بين البقع الخضراء الداكنة أو كارتير تتناجى فيها أرواح ساكنيها مناجاة الحب والعطف والحنان . أما اذا أسفر القمر وألقى عذارى سحبه الشفافه وأطل من وراء غمامه الرقيق فكل ما حولى لوحات فن رائعة ، رسمت لا على الأوراق ، بل على حدقات العيون . . . وصفحات القلوب . شىء واحد كان يحيل ظلمة الريف الجميل الى وحشة رهيبة وقمر الريف المنير الى ضجة وصخب . . وذلك هو « نقيق الضفادع » ولو أنك سمعت نقيق الضفادع فى وقت كد وكدح . . أو فى ساعة صخب وضجيج لهان لديك أمرها . . . أما ان تسمع هذه الأصوات القبيحة المنكرة فى ساعات هدوء أو فى أوقات مرح فذلك ما يثير الغضب ويوتر الأعصاب . ان نقيقها يعكر هدوء الظلام وصفو الضياء على السواء . « لقد ذكرنى نقيق الضفادع صراخ تلك الصحف الانجليزية التى أخذت تلطم الخدود وتشق الجيوب حزنا على ضياع مصر من قبضة بريطانيا . . وكان أولى بهذه الضفادع الا تعكر هذا الهدوء بتلك الأصوات التى لا معنى لها ولا وزن . . أنها تلطم فى فرح وتندب فى عرس . وكان عليهما ان تفهم ان الفرع فرح بريطانيا والعرس عرسها لان خروج القوات الانجليزية بهذا الاتفاق الذى يحفظ لها كرامتها ويبقى لها صداقة شعب مصر وجميع الشعوب العربية انما هو كسب لبريطانيا » (١) .

واذا كان أنور السادات قد كتب هذا المقال بكل هذه الصور والتعبيرات الأدبية ليضع القارئ أمام معلومة محددة هى موقف بعض الصحف البريطانية من موضوع جلاء القوات البريطانية عن مصر فذلك لأنه كان يعرف ان الأسلوب المباشر ليس هو الأسلوب الأمثل لكل الموضوعات . وان القصة أصبحت تؤدي دورا أساسيا فى نشر مبادئ معينة أكثر ما يمكن ان يحققه المقال أو أى فن آخر من فنون الكتابة ، ويشير السادات الى هذا المعنى على وجه التحديد قائلا : « نحن فى عصر القصة من غير شك . . فان أية فكرة أو أى مبدأ أصبح من السهل جدا اذا أردت ان تضمن له الذبوع والانتشار بين الناس ، بل أكثر من ذلك اذا أردت له مؤمنين يصلون الى حد التعصب . . فما عليك الا ان تصوغ قصة تطعمها فى حوارها وحوادثها وانفعالاتها بما تريد

ان تقرره من مبادئ وأنت واثق أنها ستدخل الى القلوب من غير عائق أو صعوبة . فالحقيقة الثابتة اليوم ان الناس قد خف اقبالهم على قراءة الكتب العلمية وأصبح لا يقبل عليها الا النفر القليل من الذين يشتغلون بالبحوث وأصبح الكافة يجدون متعتهم في قراءة القصص والاستمتاع بها بشغف شديد . ولقد تنبه العالم الى هذه الحقيقة فأصبحت تقرأ مبادئ الشيوعية مثلا في روايات تقع حوادثها بين العمال وكيف أنهم في حوادث وانفعالات متتالية أصبحوا ملوكا بعد ان كانوا عبيدا . . وفي الغرب حين يكتبون عن الرأسمالية تراهم يصورون لك كيف بدأ البطل فلاحا أو عاملا بسيطاً ثم لا يلبث بعد حلقات متتابعة من الحوادث المثيرة والكفاح الرائع ان يصبح مالكا للمزارع الثمينة ان كان فلاحا أو صاحباً لأكبر مصانع العالم في انتاج كذا أو كيت من المواد والمصنوعات ان كان صائعا « (١) .

وقد كان ادراك أنور السادات لأهمية الطابع القصصى في الكتابة على هذا النحو وممارسته لكتابة القصة بالفعل (٢) ، هو الذى حفزه على اختيار هذا القالب الفنى لبعض مقالاته وخاصة التاريخية منها بالذات . . فنجد بهذا الأسلوب يكتب عن لقاء مجموعة الضباط في منقباد عام ١٩٣٨ ، حيث جمعتهم وحدة العمل والسخط على الواقع وحيث نشأت الأفكار الأولى للقيام بالثورة ، فيقول : « في منقباد ، في هذه البيئة المصرية الخالصة حيث يشعر المصرى بعناصره العريقة تملأ كيانه وتسيطر عليه . . وفي الشتاء . . حين يقسو الجو وتتمرد العواصف فتزداد الروابط بين الأصدقاء يقاومون بها قسوة الطبيعة وينتصرون بها على عواء الرياح .

« هناك حول نار في معسكر المناورات بتباب الشريف كنا نقضى طرفا من كل ليلة ، أصدقاء كلهم صفار السن صفار المناصب كبار الآمال وافرو الشباب . ضباط لم تزد رتبة احدا عن الملازم ثان . . نحترق طوال النهار في مناورات طويلة ونعود الى الخيام آخر اليوم نضىء النار في الجبل فكأنما الجبل مرآة تعكس نار القلوب .

« وكانت في القلوب نار . . نار لا تنطفئ لأن وقودها يتجدد في كل

(١) الجمهورية : ١١ أكتوبر ١٩٥٤ — خواطر بعنوان « في الأسبوع مرة » .

(٢) مجلة أهل الفن : ١٢ أبريل ١٩٥٤ — قصة بقلم أنور السادات بعنوان « ليلة خسرنا

الشیطان » .

لحظة من احساساتنا الشابة المرهقة ومما يقع أمام أعيننا كل يوم من الصباح الى المساء . كانت آمالنا الكبيرة وعزة شبابنا تصطدم كل يوم بعدد كبير من الاحداث .. فقد كنا ضباطا صغارا .. وكان لنا قواد .. وكان هناك ايضا انجليز .. وكان قوادنا المصريون لا عمل لهم الا اذلالنا .. والانحناء امام الانجليز .. وكنا نرى هذا الوضع الكريه فنحترق .. ونسخط .. ولكننا لم نكن نستطيع ان نتكلم . وماذا يستطيع ملازم ثان أن يفعل في داخل النظام العسكرى وفي تلك الأوضاع الرهيبة الا ان يسكت ويكظم الغيظ ويدفن النار في حشاه .

« هكذا كانت أيامنا » (١) .

واذا كان بعض الباحثين يرى ان هذا الأسلوب الأدبى عند أنور السادات قد بدأت جذوره الأولى من طبيعة نشأته في القرية وظروف حياته فيها « حيث تفتح ذهن السادات وخياله لحب القصة والرواية والشعر من خلال دراسته الدينية في كتاب القرية » (٢) ، فان هذه الدراسة الدينية قد بان اثرها واضحا في كتاباته حيث كثرت استشهاده بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية في كثير من مقالاته وخاصة تلك التى كان يتوجه فيها بالحديث الى الاخوان المسلمين او عنهم وفي ذلك ما يؤكد مرة أخرى سلامة الحس الصحفى عند أنور السادات ومهارته في استخدام أنسب الأساليب التى تلائم موضوعه ، للوصول الى القارئ والتأثير فيه ، ولا شك انه قد استطاع ان يحقق ذلك بالفعل نظرا للدقة الشديدة التى كان يختار بها الآيات القرآنية التى تتناسب تناسباً كاملاً مع الموضوع الذى يكتب فيه ويضعها في الموضوع الذى ينبغى ان توضع فيه تماماً بحيث تصبح جزءاً لا يتجزأ من السياق العام للمقال . ومن ناحية أخرى فان أنور السادات باعتماده على الآيات القرآنية على وجه التحديد في مجال مناقشته للاخوان المسلمين أو رده عليهم أو الحديث عنهم وهم الذين يعملون ويتحدثون باسم الدين أساساً — فان مثل هذه الآيات التى يستشهد بها تصبح في كثير من الأحيان هى الفيصل

(١) الجمهورية : ١٠ ديسمبر ١٩٥٤ — مقال بعنوان « صفحات مجهولة من كتاب الثورة » .

(٢) نبيل راجب : أنور السادات رائداً للتأصيل الفكرى — دار المعارف — القاهرة ١٩٧٥ — ص ٢٥٩ . وكذلك فقد كان واضحاً تأثر أنور السادات ببعض كتابات طه حسين ، خاصة روايته « الأيام » — كما أشار هو الى ذلك — وانعكس هذا التأثير على بعض خطابه التى كانت تنسم بالصيغة الأدبية .

لحكم بين أنور السادات وبين الإخوان بل تصبح كذلك أمام الراى العام هى الدليل الأكيد على صدق ما يقول .

ومن الأمثلة التى يمكن ان تؤكد بها وجهة نظرنا هذه ، ذلك المقال الذى يرد فيه أنور السادات على مزاعم الإخوان المسلمين واتهامهم لرجال الثورة بأنهم أعداء للدين ، اذ نجد أنور السادات بعد ان فند هذه المزاعم يوجه دعوة للإخوان ان يجادلونه ويتناقشون معه حول الآراء والحقائق التى قدمها فى مقاله مؤكدا أن الحوار هو الطريق الصحيح للاقناع ثم فى نهاية مقاله يستشهد بالآية الكريمة التى تدعو الى ذلك فيكتب أنور السادات قائلا : « حين يطفى الغرض الذاتى على الهدف النبيل فمن الواجب على كل مسلم ان يجنب المسلمين شر هذه الفتنة .. وهذا ما فعلناه لا لحماية انفسنا .. بل لحماية الدعوة النبيلة والقصد الكريم .. بل ولحماية الإخوان المسلمين انفسهم ممن فرضوا عليهم « السمع والطاعة » هذا هو رأينا فليجادلنا فيه من يؤمن بقوله تعالى : « أدع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة . وجادلهم بالتى هى أحسن . ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله . وهو اعلم بالمهتدين » (١) .

واذا كان تسلسل المقال قد أوجب ان يأتى الاستشاد بالآية الكريمة فى آخره بحيث توضع فى موضعها الصحيح والملائم بالنسبة للمقال فان ذلك السبب نفسه هو الذى كان يحتم على أنور السادات فى بعض الأحيان ان يبدأ مقاله بالآيات القرآنية طالما ان ذلك يكون هو الموقع الملائم لها وطالما ان ذلك يحقق الهدف الذى يسعى اليه ونجد مثلا على ذلك فى المقال الذى كتبه أنور السادات خلال شهر نوفمبر ١٩٥٤ وبعد ان وقعت محاولة اغتيال جمال عبد الناصر من جانب الإخوان المسلمين وبدلا من أن يكتب أنور السادات رأيه فى الإخوان المسلمين بشكل مباشر ، نجده يلجأ الى اختيار الآيات القرآنية التى تعبر عن هذا الراى وهى الأكثر تعبيرا وتأثيرا بطبيعة الحال وأكثر بلاغة من أى حديث آخر فيستهل مقاله بهذه الآيات الكريمة التى تقول « ومن الناس من يقول آمنا بالله واليوم الآخر وما هم بمؤمنين . يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون الا أنفسهم وما يشعرون ، فى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب اليم بما كانوا يكذبون . واذا قيل لهم لا تفسدوا فى الأرض قالوا انما نحن مصلحون . الا أنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون » . ثم يبدأ

(١) التحرير : ١٩ يناير ١٩٥٤ — مقال بعنوان « نحن .. والإخوان المسلمون » .

أنور السادات بعد هذا الاستهلال بهذه الآيات فيكتب قائلاً : « وهكذا شاءت إرادة الله أن تتضح الحقيقة كاملة للناس هذه الحقيقة التي كان يعرفها مجلس الثورة منذ ٢٣ يوليو ١٩٥٢ بل قبل هذا التاريخ بشهور وأعوام » (١) .

وكذلك فإن أنور السادات لم يكن يتردد في الاستعانة بنماذج من قصص القرآن ، وبأكثر من آية قرآنية واحدة في المقال الواحد طالما يجد أن الاستعانة بها ممكنة وتحقق الهدف من الاستشهاد بها . ونجد مثالا لذلك في المقال الذي كتبه السادات بعنوان « الاثاعات تطارد الأحرار في كل زمن وفي كل أمة » (٢) ، والذي كان يعرض فيه لموقف رجال الثورة من الاثاعات التي تثار حولهم موضحا أنها مسألة طبيعية في كل زمان ومكان وأن التاريخ قد شهد في فترات عديدة نماذج لا حصر لها من هذه الظاهرة ويستشهد السادات على ذلك بقوله « ولو شئنا أن نرجع إلى ما في التاريخ من أمثال هذه المفتريات لضاق بنا الحصر وضقنا به فنحن لا نقول لمن افتروا علينا ما افتروا من الأكاذيب إلا ما قاله يعقوب حين زعم إخوة يوسف أن الذئب قد أكله . نقول لهم « بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل . والله المستعان على ما تصفون » وفي موضع آخر من المقال نجد السادات يضرب مثلا آخر مما ورد في قصص القرآن وآياته من نماذج لهذه الافتراءات والشائعات التي لم ينج منها حتى أنبياء الله ، فيقول : « وروى لنا التاريخ تلك الفرية التي افترها أعداء موسى عليه السلام . . فزعموا أن في بدنه عيبا ولم يكن في استطاعته أن يكشف عن هذا الموضع من بدنه ليثبت للناس براءته من هذا العيب فكان يتألم من هذا الافتراء . . ويتألم ويتأذى لعدم استطاعته دفع الفرية عن نفسه . . ولكنه نبى . . والأنبياء لابد أن يحتملوا الأذى ، فصبر موسى واحتمل حتى براه الله . . وفي هذا نزلت الآية الكريمة « يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبراه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها » . . ثم في موضع ثالث من المقال يستشهد السادات بآية قرآنية ثالثة مدلا بها على أن التاريخ القديم والحديث يشهدان بأن كل إفك وكل افتراء لابد أن يفتضح أمره فيستشهد بالآية الكريمة التي تقول « أما الزيد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض » .

أما بالنسبة للأحاديث النبوية فإن استشهاد أنور السادات بها في

(١) الجمهورية : ١١ أكتوبر ١٩٥٤ — خواطر بعنوان « في الأسبوع مرة » .

(٢) الجمهورية : ٢٥ مايو ١٩٥٤

مقالاته كان نادرا ، بل لم نجد أية نماذج لذلك غير مقال واحد كان موضوعه « وقفة العيد » والذي بداه أنور السادات مستشهدا بالحديث النبوى الذى يقول « من احيا ليلتى العيد احيا الله قلبه يوم تموت القلوب » (١) ، وكذلك كان استشهاد السادات بأبيات الشعر فى مقالاته أيضا اذ لم نجد غير مقال واحد فقط هو الذى استعان فيه ببيت واحد من الشعر لأحمد شوقى يقول فيه :

« مصر اذا ما راجعت أيامها — لم تلق للسبب العظيم مثيلا »
وكان عنوان المقال نفسه هو « السبب العظيم » (٢) .

والخلاصة التى يمكن ان نخرج بها من هذا العرض لفنون الكتابة وخصائص الأسلوب الصحفى عند أنور السادات ، هى ان كتاباته الصحفية جاءت فى أكثر من قالب فنى وفى أكثر من شكل من اشكال الكتابة الصحفية وفنون التحرير ، وكانت تتوافق هذه الاشكال والفنون مع طبيعة الفكرة وطبيعة الموضوع الذى يكتب فيه . وكذلك تمثلت فى هذه الكتابة عدة أساليب . وان كان قد برز من بينها الأسلوب الخطابى — وهو الأسلوب الذى لا يجذب الأخذ به أو استخدامه فى الكتابة الصحفية — الا ان استخدام أنور السادات لذلك الأسلوب لم يكن الا فى القليل من المقالات التى تناولت موضوعات بعينها ، ووفق ظروف سياسية كانت تمثل بالنسبة لأنور السادات نوعا من الاحتجاج أو الرفض أو الانفعال ، على نحو ما جاء فى بعض كتاباته التى توجه فيها الى الشعب ان يتصدى لدعوى الاخوان المسلمين وشائعاتهم التى اطلقوها ضد الثورة .

وكذلك فاننا يمكن ان نخرج من هذا العرض لفنون الكتابة وخصائص الأسلوب عند أنور السادات ، بأن السبب فى تعدد كتاباته وتنوعها ، وكذلك تعدد القوالب الفنية لهذه الكتابة والأساليب التى استخدمت فيها ، انما كان يرجع الى طبيعة ثقافته الخاصة ، وهى التى كانت فى أساسها متعددة ومتنوعة ، فكانت كتاباته صدى وانعكاسا لها .

(١) الجمهورية : أول يونيه ١٩٥٤

(٢) التحرير : ١١ أكتوبر ١٩٥٥

وقد كانت قدرة أنور السادات على الكتابة والتعبير ورصيد خبرته السابق في العمل الصحفي ، وهو الرصيد الذي أهله لهذا العمل في صحافة الثورة ، كانت هذه العوامل كلها هي التي مكنته من أن يتناول القضايا التي تعرض لها تناولا صحفيا قادرا بذلك أن يعبر عن المضامين والأفكار الرئيسية التي يهدف إلى إبرازها .

الفصل الثانى

مهمة أنور السادات فى العمل الصحفى وأثرها على كتاباته

كان الأساس الذى انطلق منه أنور السادات فى عمله الصحفى عندما تولى مسئولية اصدار صحف الثورة ، هو أن تكون هذه الصحف تعبيرا عن الثورة وان تدعوا للأهداف التى تؤمن بها ، وأن تلتزم فيما تنشره بتوخى الحقائق ، فتنشر « الحقائق لا الأوهام » وتقول « للشعب كل صباح حقيقة جديدة » (١) .

ومعنى ذلك أن أنور السادات فى الوقت الذى كان حريصا فيه على ان تأتى هذه الصحف تعبيرا ولسان حال للثورة ، فإن هذا التعبير قد ارتبط عنده فى نفس الوقت بأن يكون تعبيرا بالحقائق وحدها ، فلا تكون هذه الصحافة وسيلة من وسائل التبرير أو الخداع والتضليل للشعب .

وعندما نحاول تطبيق هذه الركيزة التى انطلق منها أنور السادات فى عمله الصحفى ، على ما جاءت عليه الصحف التى تولى مسئولية اصدارها ، وعلى ما كتبه فى هذه الصحف ، فائنا نجد ان السمة البارزة فى هذه الصحف ، هى أنها كانت تحرص على الاعلام بخطوات الثورة ومنجزاتها ومتابعة أخبار رجال الثورة وتصريحاتهم ونشر أحاديثهم والقاء الضوء على نشاطهم . وظهر ذلك واضحا فى مجلة التحرير على وجه التحديد ، حيث كانت تحرص على تخصيص مساحات كبيرة من اعدادها لهذا الغرض .

وكان واضحا ان هناك نوعا من التركيز على الدعاية لجمال عبد الناصر بالذات أكثر من أى عضو آخر من أعضاء مجلس القيادة . فالى جانب موضوعات الدعاية المباشرة عنه مثل « الرجل الطويل القامة الذى يقود مصر الى النصر » (٢) و « صحفى أسبائى كبير يصف شخصية جمال عبد

(١) الجمهورية : ٧ ديسمبر ١٩٥٤ — مقال بعنوان « بدأت صحافة الثورة ولا أدري متى تكون النهاية » . والجمهورية : ٢٣ يوليو ١٩٥٥ مقال بعنوان « هذه الدار » .

(٢) التحرير : ٤ مايو ١٩٥٤

الناصر — الرجل الذى خلق مجلس قيادة الثورة « (١) و « آراء جمال عبد الناصر وافكاره ، الدوائر الأمريكية تهتم بها وتعلق عليها » (٢) و « صحفية انجليزية تقول « جمال عبد الناصر ذكى .. ونزيه .. وواقعى » (٣) و « من الخير لمصر ان يظل عبد الناصر قويا » (٤) . والى جانب مثل هذه الموضوعات عن جمال عبد الناصر والتي كانت دائما مصحوبة بالعديد من الصور له ، فقد نشرت مجلة التحرير أيضا أكبر عدد من الصور لجمال عبد الناصر على غلافها الخارجى ونموذجاً لذلك انه فى الفترة ما بين ٢٥ يوليو ١٩٥٤ و ١٧ أغسطس من نفس العام — أى فى أقل من ثلاثة شهور — نشرت المجلة على غلافها الخارجى صورة جمال عبد الناصر ست مرات وهى الأعداد التى صدرت فى ٢٥ مايو و ٨ يونية و ٢٩ يونية و ٣٠ يوليو و ٣ أغسطس و ١٧ أغسطس ١٩٥٤

وإذا كانت هذه الدعاية لمشروعات الثورة ورجالها حتمتها ضرورات وظروف معينة من بينها حرص أنور السادات على أن يعمق مفهوم الثورة ومبادئها فى أذهان الجماهير ويخلق تفاعلاً بينهم وبين قادة الثورة ، وهو الذى يؤمن بأن الطريق « الذى يجب ان نسلكه لكى نظل منفعليين مع الثورة مؤمنين بها حريصين عليها مبهورين من كل عمل جليل تقوم به هو ان ندرسها ، ندرس ظروفها وواقعها التاريخى بعد ذلك ترسخ مبادئها فى أذهاننا وتلتصق بعقولنا وتمتزج بنفوسنا » (٥) ، فلقد كان من بين هذه الضرورات أيضاً طبيعة الواقع السياسى للبلاد وقت صدور هذه الصحف ، ففى ذلك الوقت — فى ٧ ديسمبر ١٩٥٣ عندما صدرت جريدة الجمهورية وأول يناير ١٩٥٤ عندما صدرت مجلة التحرير بإشراف أنور السادات — كانت الثورة قد انتهت من حل الأحزاب وإصدار قانون الإصلاح الزراعى وإلغاء دستور ١٩٢٣ وإعلان الجمهورية ، وكانت كذلك قد قدمت « المسئولين عن الفساد فى العهد الماضى » للمحاكمة

(١) التحرير : ١٨ مايو ١٩٥٤

(٢) التحرير : ٢٥ مايو ١٩٥٤

(٣) التحرير : أول يونيه ١٩٥٤

(٤) التحرير : ٨ يونيه ١٩٥٤

(٥) الجمهورية : أول أغسطس ١٩٥٤ — مقال بعنوان « هذه الثورة بخيرها وشرها » .

أمام محكمة « جرائم الغدر » ومحكمة الثورة « (١) ، وأصدرت أحكاما بالسجن على كثير من الذين عملوا بالسياسة قبل قيام الثورة ، الى جانب من سبق اعتقالهم من هؤلاء السياسيين قبل انشاء هذه المحاكم (٢) ، وكذلك فانه في منتصف شهر يناير ١٩٥٤ كان قد صدر قرار حل جماعة الاخوان المسلمين .

ومعنى ذلك ان الثورة في ذلك الوقت كانت مواجهة باعداء في الداخل من كل القوى السياسية التي تمثلت في الاحزاب الليبرالية التي ابعدها عن العمل السياسى بقانون حل الاحزاب ، الى جانب الاخوان المسلمين والشيوعيين وكبار الملاك الذين تأثرت مصالحهم باصدار قانون الاصلاح الزراعى . ومع كل هؤلاء كان الاستعمار الذى أعلنت الثورة عداها السافر له ، في أول مبدا من مبادئها الستة ، وفشلت في مفاوضاتها الاولى معه بشأن الجلاء في ٢٧ أبريل ١٩٥٣

كان ذلك هو الواقع السياسى للبلاد وقت ان صدرت جريدة الجمهورية ومجلة التحرير ، ووقت ان بدأ أنور السادات عمله الصحفى بعد قيام الثورة . وعلى هذا الأساس فقد فرض هذا الواقع نفسه على أنور السادات في عمله الصحفى وفي كتاباته ، وحتم عليه ضرورة الاهتمام بأن تقوم « صحافة الثورة » بدورها في مواجهة هذا الواقع والاعلام بخطوات الثورة وانجازاتها ، والقاء الضوء على قادتها والتعريف بهم وبالجهد الذى قدموها في سبيل الاعداد لهذه الثورة والقيام بها . والى جانب ذلك تقوم هذه الصحافة بدورها في الكشف عن فساد الحياة السياسية والمظالم الاجتماعية التى سادت البلاد في ظل الاحزاب السياسية القديمة وفي ظل سيطرة كبار الملاك على مصير الاجراء من الفلاحين .

(١) في ٢٢ ديسمبر ١٩٥٢ صدر مرسوم بقانون انشاء محكمة الغدر ، لمحكمة المسئولين عن جرائم الغدر واستغلال النفوذ من الموظفين العموميين أو أعضاء البرلمان ، وكل شخص كان مكلفا بخدمة عامة أو كانت له صفة نيابية وارتكب بعد أول سبتمبر ١٩٣٩ جريمة من جرائم الغدر . وكانت العقوبات هي الحرمان من الحقوق السياسية وتولى وظائف الشركات ورد الأموال وفي ١٥ سبتمبر ١٩٥٣ تشكلت محكمة الثورة لمحكمة بعض السياسيين القدماء الذين تبين اتصالهم بدول اجنبية . راجع : عبد الرحمن الرافعى : ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ — مصدر سابق — ص ٦٦ ، ٩٢

(٢) نفس المصدر : ص ٤٧ . وكان من بين هؤلاء السياسيين ابراهيم عبد الهادى وفؤاد سراج الدين ، واحمد نجيب الهللى ، ومرضى حسين . وكان الاتهام الموجه اليهم هو الدعاية ضد الثورة .

وتحقيقا لهذه الغاية فاننا نجد أنور السادات قد بدأ كتاباته في الجمهورية بسلسلة طويلة من المقالات بعنوان « صفحات مجهولة من كتاب الثورة » (١) حرص خلالها على أن يبرز الدور الكامل لتنظيم الضباط الأحرار منذ أن بدأت فكرته بين الضباط عام ١٩٣٨ ، وما قام به هذا التنظيم في الاعداد للثورة والتمهيد لها . فعرض لموقف هؤلاء الضباط من القضايا والأحداث السياسية التي وقعت قبل قيام الثورة (حادث ٤ فبراير ١٩٤٢ ، وحرب فلسطين ١٩٤٨ ، والكفاح المسلح في القناة عام ١٩٥١ ، وحريق القاهرة في ٢٦ يناير ١٩٥٢) ، كما عرض للاتصالات التي جرت بين ضباط التنظيم وبعض الزعماء السياسيين في الاحزاب والقوى السياسية ، وموقف هذه الاحزاب من القضايا السياسية والاجتماعية في البلاد ، وقد ظهر واضحا في هذه الكتابات اهتمام السادات بالتركيز على نشر سلبيات حزب الوفد ، على وجه الخصوص وتلك مسألة طبيعية بحكم ان الوفد كان حزب الأغلبية ، واكثر الاحزاب المصرية شعبية ، وكان حله يعنى ان الثورة قد اتخذت موقف العداء للسافر من اغلبية الشعب ، ولذلك فقد كان من الضروري ان يهتم أنور السادات بالتركيز على ابراز سلبيات قادة هذا الحزب ، وفضح مواقفهم تجاه العديد من القضايا السياسية والأساسية ومن بينها موقف فؤاد سراج الدين من مشروع الاصلاح الزراعى ومعارضته له ، لأن نشر مثل هذه السلبيات والمواقف من شأنه القضاء على أى تعاطف بين جماهير الحزب وهؤلاء الزعماء .

ونظرا لأن القوى السياسية التي اتخذت موقف العداء للثورة ، لم تكن تملك في ذلك الوقت وسيلة تعبر بها عن هذا العداء غير اطلاق الشائعات حول الثورة ورجالها ، وكان واضحا ان هذه الوسيلة قد احدثت أثرها بالفعل وتمثل رد فعلها في اهتمام قيادة الثورة بنشر النداءات والتوجيهات في كافة الصحف تحذر الجماهير من مثل هذه الاشاعات ومروجيها — فان أنور السادات أمام هذا الواقع الذى واجهته الثورة كان عليه ان يقوم بدور من خلال عمله الصحفى فى التصدى لهذه الشائعات وتفنيد الحجج التى تقوم

(١) بدأ نشر هذه السلسلة من المقالات بداية من العدد الأول من الجمهورية في ٧ ديسمبر ١٩٥٣ ، واستمر نشرها أيام ٨ ، ١٠ ، ١١ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٩ ديسمبر ١٩٥٣ ثم أيام ٥ ، ٩ ، ١١ ، ١٢ ، ١٤ ، ١٦ ، ١٨ ، ٢٠ ، ٢٤ ، ٢٦ يناير ١٩٥٤ ثم أيام ٢٤ ، ٢٧ فبراير ١٩٥٤ ثم ١٣ ، ٢٠ مارس ١٩٥٤ ثم ٢١ ، ٢٤ أبريل ١٩٥٤ ثم يومى ٥ ، ١٠ مايو ١٩٥٤

عليها ، خاصة وانها — كما برزت في كتاباته — كانت قد بلغت حد اتهمام رجال الثورة بالجهل واللصوصية والتنكر للدين ومعاداة المسلمين ، ويكتب السادات العديد من المقالات التي يواجه بها الشائعات التي تطلقها القوى المعادية ، كان اولها ذلك المقال الذي كتبه في التحرير عن الاشاعات التي تطارد الأحرار في كل زمن . . . وفي كل أمة قائلًا « نحن لا نعجب حين نرى بين ظهرائنا أفرادًا يتخذون من ترويج الافك والبهتان صناعة وتجارة فهولاء من ضرورات كل زمان وكل مكان وهم لا ينسبون المثالب الا للبرئين منها والا كان عملهم غير ذي معنى ، أنهم لا يتهمون اللصوص باللصوصية ولا المجرمين بالاجرام . ولكنهم يتهمون الأمناء بالسرقة ويتهمون الاشراف بالخسة ويتهمون المخلصين بالخيانة . يريدون ان يجردوا كل ذي صفة عليا اسبغها الله عليه من نعمة الله . . ولكن التاريخ القديم والحديث يشهد بأن كل افك وكل افتراء لابد ان يفتضح أمره » (١) ، ثم نجد أنور السادات في مقال آخر يتصدى بالرد على ما يشيعه بعض أفراد جماعة الاخوان المسلمين عن رجال الثورة من أنهم يحاربون الاسلام ويتنكرون للدين ، وكان ذلك عقب اتخاذ قيادة الثورة قرارها بحل جماعة الاخوان المسلمين ، فيفند أنور السادات في مقاله مثل هذا الزعم من جانب الاخوان موضحا للقارئ في نفس الوقت دوافعه وأسبابه الحقيقية وهي حل جماعة الاخوان ذاكرا الأسباب التي دفعت الثورة الى ذلك لكي يكون الرأي العام على بينة من أمره وتكون الحقائق كلها قد وضعت امامه ليحدد موقفه منها فيقول « يستطيع أي حاقد في هذه البلاد ان يرمى قادة الثورة بأية تهمة يزين له الحقد ان يرميهم بها ، يستطيع أي موتور أو أي مضلل ان يرمينا بسوء التصرف أو بالجهل أو بالانانية وان يقلب محاسن أعمالنا الى اضرارها ولكن تهمة واحدة لن يستطيع انسان ما بالغًا ما بلغ من الحقد أو الجراة أو القحة ان يلصقها بنا أو يفترها علينا تلك هي تهمة التنكر لديننا ، دين الاسلام المتغلغل في دمائنا . . المتأصل في أعماق نفوسنا وقلوبنا . ونحن كمسلمين نفهم ديننا على حقيقته ونبرك حدوده وتعاليمه نرى الاسلام مجموعة من الفضائل لا يكن الدين الحق الا بها جميعا وتنطوي تحت لواء هذه المجموعة من الفضائل الفدائية والصدق والاستقامة والوطنية والنأي بالوطن عما يفرق كلمة بنيه ويعرضه لنيران الفتن » . ثم يقول السادات « فاذا جاء اليوم هذا النفر الذي أراد ان ينحرفا بهذه الجماعة عن أهدافها الصالحة وزعم

(١) التحرير : ٢٥ مايو ١٩٥٤ — مقال بعنوان « الاشاعات تطارد الأحرار في كل زمن

وفي كل أمة » .

اننا نحارب الاسلام حين نحاربهم ، فلن يجدوا من يصدق زعمهم ، فلسنا نحن الذين نبيع ديننا بدنينا ، ولسنا نحن الذين نحرص على جاه أو منصب بعدان قدمنا رؤوسنا واعناقنا نفتدى بها مصر » ثم يعرض أنور السادات بعد ذلك لأسباب حل الجماعة فيقول أنه كان من بين أعضاء هذه الجماعة المؤمنة بعض ضعاف الأيمان أو بعض الساعين الى الجاه والسلطان . وحين يطفى الغرض الذاتى على الهدف النبيل فمن الواجب على كل مسلم ان يجنب المسلمين شر هذه الفتنة وهذا ما فعلناه « (١) .

واذا كان أساس هذا الاهتمام من جانب أنور السادات فى التصدى للشائعات والأقاويل التى أثرت حول الثورة ورجالها ، هو حرصه على ان يقدم للشعب حقائق حول موضوعات ومواقف وأشخاص صورت له من خلال الشائعات على غير حقيقتها . فانه ومن هذا المنطلق ذاته كان يتناول القضايا السياسية الهامة عندما تثار حولها الشائعات وتختلط التفسيرات بشأنها . ومن ذلك ما كتبه السادات فى سلسلة طويلة من المقالات فى عام ١٩٥٥ عن « الثورة والديمقراطية » (٢) كان سبب كتابته لها ونشرها — كما ذكر — « سيل من الاشاعات جاء نتيجة لما رددته الصحف أخيرا من أن نظام الحكم موضع دراسة المسؤولين هذه الأيام » (٣) . وقد عرض أنور السادات فى هذه السلسلة من المقالات لموقف الثورة من قضية الديمقراطية وتفسيرها لهذه الكلمة ، ونظام الحكم الذى تستهدف تحقيقه بعد انتهاء فترة الانتقال ، وذلك من خلال اجاباته على أسئلة محددة هى « ما هو التفسير الذى تريده الثورة لهذه الكلمة ؟ .. وهل هذه الثورة تريد الديمقراطية أم تريد الديكتاتورية ؟ أم هى نوع من الحكم خلاف هذا ؟ » (٤) .

وكذلك فقد بلغ اهتمام أنور السادات بالتعبير عن فكر الثورة ، وحرصه على إبراز الحقائق الكاملة عن هذا الفكر الى حد أنه كان يولى بريد القراء وأسئلتهم عناية فائقة عندما تتناول أسئلتهم أمورا تتعلق بالقضايا السياسية للثورة ومواقفها تجاه هذه القضايا . ودليل ذلك أنه خصص المقال الافتتاحى

(١) التحرير : ١٩ يناير ١٩٥٤ — مقال بعنوان « نحن والاخوان المسلمون » .

(٢) بدأ نشر هذه السلسلة من المقالات بجريدة الجمهورية يوم ٤ يناير ١٩٥٥ ، واستمر نشرها خلال أيام ٦ ، ٧ ، ٨ ، ١٠ ، ١١ يناير ١٩٥٥

(٣) الجمهورية : ٣ يناير ١٩٥٥ — مقال بعنوان « أعجبتنى الاشاعات » .

(٤) نفس المصدر .

لجلة التحرير في أحد أعدادها لمناقشة قارىء عربى من العراق بعث برسالة يتهم فيها قيادة الثورة بأنها مقابل مساعدات مالية حصلت عليها ، عقدت اتفاقا سريا مع أمريكا ، فيرد أنور السادات على هذا الاتهام موضحا موقف قيادة الثورة السياسى تجاه الدول الكبرى فيحدد في البداية أننا « لسنا أمريكانا أو روسا أو انجليزا .. بل مصريون » .. ثم يوجه للقارىء سؤالاً محددا : « هل تتدحرج الدولارات في شوارع القاهرة ؟ أم ترى ان المساعدات الأمريكية — المزعومة — قد ملأت الخزائن وفاضت وأصبح الدولار عملة مصرية » ، وبعد ذلك يضع أنور السادات أمام القارىء صاحب السؤال وأمام كل القراء حقيقة موقف مصر فيقول ان « المسألة بصراحة هي أننا لا نرفض أى عون يقدمه لنا الغير بشرط أن لا يطالبنا هذا الغير بأن نلتزم بموقفا معيناً أو يتدخل في شئوننا السياسية أو يفرض علينا محالفات أو موافيق أو عهودا . فان قبلت أمريكا هذا الشرط فعلى رأسنا وعلى عيننا .. تماما مثلما نرحب بالعون العسكرى والمالى لو تقدمت به دولة أخرى غير أمريكا — وبنفس الشروط — أى عدم الدخول في ائتلاف عسكرية أو الارتباط بسياسة تتعارض مع أمن وسلام ومصالح الشعب » (١) .

وإذا كان أنور السادات من خلال هذا الاهتمام بمثل هذه الرسائل يهدف أساسا الى إبراز فكر الثورة ومواقفها تجاه مختلف القضايا والموضوعات وتصحيح « معلومات القراء عن هذه المواقف » ، فإنه ومن نفس المنطلق كان لا يتردد في أن يترك المساحة المخصصة لمقاله وينشر بدلا منها رسالة لأحد القراء يرى في نشرها تحقيقا لنفس الغرض وهو خدمة أهداف الثورة وتصحيح المعلومات الخاطئة عنها أو التصدي للشائعات التى تثار حول بعض قاداتها . وخاصة بالنسبة للموضوعات التى كان يتردد هو نفسه فى الكتابة عنها لكى لا تفسر على أنها دفاع منحاز منه لزملائه من أعضاء مجلس القيادة . فنجد السادات يترك المساحة المخصصة له فى بابهِ اليومى الثابت بالجريدة والذي كان ينشر تحت عنوان « رأى » لينشر فيها نص رسالة من أحد القراء واكتفى بتقديمها فقط قائلا « هميت من مرة أن أكتب عن الاشاعات .. ولكنى كنت امتنع دائما فى آخر لحظة وكنت أقول لنفسي سيقرا الناس فيعتقدون اننى ادافع عن نفسي وعن زملائي واليوم كفانى « مواطن اسكندراني » مؤونة هذا الحرج فكتب يقول (ثم ينشر السادات نص رسالة القارىء كاملة وكانت دفاعا عن صلاح سالم وتبرئة لزمته المالية بعد ان تناثرت حوله الشائعات ونشرت

(١) التحرير : ٢١ سبتمبر ١٩٥٤ — مقال بعنوان « نحن وأمريكا » .

مجلة آخر ساعة — مساهمة في تبرئة ذمته أيضا — صورا زكوغرافية لحسابه في البنك وماله وما عليه وحالته الاجتماعية وطفله الذى يعالج من مرض شلل الأطفال في سويسرا (١) .

وقد تكرر نشر مثل هذه الرسائل أكثر من مرة وفي نفس المساحة التى يكتب فيها أنور السادات الأمر الذى يؤكد بما لا يدع مجالا للشك اهتمامه بمثل هذه الرسائل وحرصه على إبرازها خدمة للثورة من جهة وتوطيدا لعلاقة القارىء بالجريدة من جهة أخرى .

ولكنه وبالرغم من ضخامة المسئولية التى فرضها الواقع السياسى الداخلى على أنور السادات عند بدء عمله الصحفى وتولى مسئولية إصدار صحف للثورة ، وهى المسئولية التى حتمت عليه ضرورة « الوصول » الى الراى العام ، وإعادة تشكيل مواقفه تجاه الثورة ورجالها (٢) ، فان هذه المسئولية رغم ضخامتها وأهميتها كان القيام بها ميسرا الى حد كبير . وذلك لأنه طوال الفترة من قيام الثورة وحتى يوم ٥ مارس ١٩٥٤ ، كان الاعلام « الرسمى » للثورة يعمل منفردا فى ساحة الراى العام بعد أن فرضت الرقابة على الصحافة والنشر ، وأصدرت الثورة صحفها التى تحمل وجهة نظرها وتعبر عنها الى جانب جهاز الاذاعة الذى سيطرت عليه منذ اللحظات الأولى لقيامها .

وعلى ذلك فان الفترة ما بين ٥ مارس ١٩٥٤ وهو التاريخ الذى تقرر فيه رفع الرقابة عن الصحف ، و ٢٩ مارس ١٩٥٤ حيث أعيد فرض الرقابة مرة أخرى ، كان لابد وان تترتب عليها مسئوليات أكثر أهمية فى عمل أنور السادات الصحفى وكتاباتهِ وتوضح الى حد كان معبرا عن فكر الثورة السياسى وذلك للاعتبارات التالية :

أولا : كانت هذه الفترة هى التى وقع فيها الخلاف بين محمد نجيب من جهة وبين مجلس قيادة الثورة من جهة أخرى ، وكانت كتابات أنور

(١) الجمهورية : ٨ يوليو ١٩٥٤

(٢) كان أنور السادات يرى أن « الصحافة هى دائما الدعامة الأولى فى تكوين الراى العام والوصول اليه » وأن هدف صحافة الثورة هو ايجاد وعى قومى ناضج يؤمن بمبادئ الثورة وأهدافها « وأن تضع الخطوط العريضة لسياسة الثورة وفلسفتها وتتجه بالشعب الى الغد الباسم » . انظر الجمهورية : ٢٣ يوليو ١٩٥٥ — مقال « هذه الدار » .

السادات عن ذلك الخلاف تمثل موقفه بالنسبة لهذا الخلاف هل كان الى جانب محمد نجيب أم كان الى جانب « الخط العام » للثورة .

ثانيا : كانت القضية الرئيسية التي شغلت الراى العام فى هذه الفترة هى قضية الديمقراطية ، وانعكس هذا الاهتمام بشكل واضح على الصحافة (١) ، وكانت كتابات أنور السادات لابد وأن تفسر موقف الثورة من هذه القضية .

ثالثا : كان رفع الرقابة عن الصحف يعنى فى ذلك الوقت ان تنشر آراء وأفكار تتعارض مع وجهة نظر الثورة ويتطلب ذلك ان يتولى أنور السادات وصحافة الثورة مهمة الرد على هذه الآراء .

وقد كان أهم ما كشفت عنه هذه التجربة بظروفها وواقعها الخاص بالنسبة لأنور السادات كصحفى ، هو وقوفه الى جانب « الخط العام » للثورة ، وقيامه بالتعبير عن ذلك سواء من خلال كتاباته او من خلال جريدة الجمهورية ، وظهر ذلك واضحا على النحو الآتى :

(أولا) كتب أنور السادات عن قرارات مجلس قيادة الثورة التى صدرت يوم ٥ مارس ١٩٥٤ ، مفسرا أبعادها باعتبارها خطوة هامة لتحقيق الديمقراطية التى يحرص مجلس قيادة الثورة على تحقيقها (٢) .

(ثانيا) كان أنور السادات فى كتاباته خلال تلك الفترة حريصا على تأكيد اصرار الثورة على الاستمرار فى مسيرتها ، وعلى أنه لا أثر للخلاف الذى كان

(١) ظهر ذلك واضحا فيما نشرته جريدة المصرى ومجلة روز اليوسف بالذات ، فقد نشرت المصرى عددا من المقالات التى كتبها محمود عبد المنعم مراد مثل « دفاع عن الشعب » بتاريخ ١٠ ، ١١ ، ١٢ مارس ١٩٥٤ وكتب أحمد أبو الفتح مقالات من بينها « سيادة الشعب » بتاريخ ١٥ مارس ، « صيحة لص » بتاريخ ٢١ مارس ، « بلجنة » بتاريخ ٢٢ مارس ١٩٥٤ ، وكذلك نشرت مجلة روز اليوسف مقالات لأحمد بهاء الدين من بينها مقال بعنوان « الفوضى والنظام » بتاريخ ٨ مارس ١٩٥٤ ، كما كتب احسان عبد القدوس مقالا بعنوان « الجمعية السرية التى تحكم مصر » بتاريخ ٢٢ مارس ١٩٥٤

(٢) الجمهورية : ٧ مارس ١٩٥٤ — مقال بعنوان « رأى » .

قد وقع بين محمد نجيب وأعضاء مجلس القيادة (١) ، وهو الخلاف الذي بسببه كان نجيب قد قدم استقالته في أواخر شهر فبراير ١٩٥٤

(ثالثا) اهتم انور السادات بأن يرد في كتاباته على الشائعات التي اطلقت حول مجلس قيادة الثورة في ذلك الوقت واتهامه بأنه ضد الديمقراطية وأن محمد نجيب وحده هو الذى يقف الى جانب الأخذ بالديمقراطية كنظام للحكم ، وانه كان معارضا لقرار حل جماعة الاخوان المسلمين « (٢) .

(رابعا) عرض انور السادات تفاصيل المناقشات التي دارت في اجتماع المؤتمر المشترك ، والتي ظهر واضحا من خلالها ان محمد نجيب يطالب لنفسه بسلطات استثنائية تفوق سلطات مجلس القيادة ، ويسعى للانفراد بالسلطة وحده ، كما ظهر واضحا من خلال هذه المناقشات — كما عرضها السادات — ان مطالب محمد نجيب كانت شروطا من الصعب ان يوافقها مجلس قيادة الثورة او يقره الشعب عليها (٣) .

(خامسا) بالرغم من ان انور السادات سمح بنشر بعض المقالات التي حوت بعض المآخذ على الثورة — عملا بحرية التعبير في غيبة الرقابة (٤) ، الا أن الخط العام لجريدة الجمهورية التي نشرت فيها هذه المقالات ، كان الى جانب مجلس القيادة ، وتعبيرا كاملا عنه . وقد ظهر ذلك واضحا من خلال المقالات والأخبار التي نشرت في ذلك الوقت ، وخاصة تلك المقالات التي جاءت بدون توقيع كاتبها ، وهي التي كانت ترد على ما ينشر في الصحف الأخرى « المصرى — روز اليوسف » من هجوم على مجلس قيادة الثورة وموقفه من قضية الديمقراطية (٥) .

(١) التحرير : ٩ مارس ١٩٥٤ — مقال بعنوان « لن تترد الثورة الى الخلف » .
والجمهورية : ١٩ مارس ١٩٥٤ — مقال بعنوان « الثورة ماضية يا بريطانيا » .

(٢) الجمهورية : ١٠ مارس ١٩٥٤ — مقال بعنوان « حقائق » .

(٣) الجمهورية : ٢٦ مارس ١٩٥٤ — مقال بعنوان « خفايا وأسرار » .

(٤) الجمهورية : ١٦ ، ٢٠ مارس ١٩٥٤ مقالات لخالد محمد خالد بعنوان « الاخوان والشيوعيون والثورة » و ١٤ ، ١٥ ، ٢١ مارس ١٩٥٤ مقالات للدكتور لويس عوض بعنوان « رأى » و « دستور الشعب » .

(٥) كان من بين هذه المقالات التي نشرت دون ذكر اسم كاتبها في جريدة الجمهورية مقالات بعنوان « فاروق يريد العودة ويقول انه لم يتنازل عن العرش » بتاريخ ١١ مارس ١٩٥٤ ، و « المؤامرة الكبرى » بتاريخ ٢١ مارس ١٩٥٤ ، و « جريدة مصرية تهدد المصريين » بتاريخ ٢٢ مارس ١٩٥٤

وعندما استقرت الأمور لمجلس القيادة في الحكم عقب انتهاء أزمة مارس ١٩٥٢ ، فإن أنور السادات أصبح أمامه أن يواجه مسيرة الثورة ويعرض القضايا والأحداث التي تواجهها . وفي نفس الوقت فإنه كان يعود بين حين وآخر للحديث عن بعض القضايا والأمور التي وقعت داخل مجلس القيادة أو الأحداث التي واجهت الثورة في أيامها الأولى . ومن ذلك ما كتبه عن « قصة محمد نجيب كاملة » وهي سلسلة المقالات التي نشرها السادات عام ١٩٥٥ « (١) » ، وسلسلة المقالات التي نشرت بعنوان « قصة الثورة والديمقراطية وتناول فيها » موقف الأحزاب وال الإخوان من الثورة قبل عزل الملك « و « موقف حزب الوفد من الثورة » و « كيف حددنا شهر فبراير ١٩٥٣ لإجراء الانتخابات » و « ماذا تم في اجتماع جمال عبد الناصر بفؤاد سراج الدين » (٢) .

وإذا كان أنور السادات لم يشر الى بعض القضايا والموضوعات في نفس الفترة التي وقعت خلالها ، فلا شك أن مقتضيات العمل السياسي واعتباره هي التي كانت تحتم ذلك ، ليس على أنور السادات وحده ، بل على كافة الصحف وكافة الصحفيين في ذلك الوقت ، ولكن حرص السادات على أن يسجل موقف الثورة من هذه القضايا جعله يعرض لها عندما كانت الأمور تسمح بذلك وفي الأوقات المناسبة لنشرها . ذلك لأنه لم يكن من السهل مثلا أن يتناول السادات طبيعة العلاقات بين مجلس قيادة الثورة وأمريكا — وهي التي عرض لها عام ١٩٥٧ في مذكراته بمجلة التحرير — قبل أن تتضح أبعاد هذه العلاقة كاملة وقبل أن تصل قيادة الثورة الى قرار نهائي في هذه العلاقة التي لم تتضح أبعادها إلا بعد أن يثبت قيادة الثورة بأسا كاملا من الحصول على السلاح من الولايات المتحدة واكتشافها أن كافة الوعود التي قدمت مرتبطة بعامل رئيسي هو قبول مصر لمبدأ الانضمام الى الأحلاف الغربية .

على هذا النحو كان ادراك أنور السادات للعمل الصحفي ، وفي صحافة الثورة على وجه التحديد ، إذ كان هذا العمل بالنسبة له هو « المسئولية الكبرى » كما ذكر في كتاباته (٣) . وكان هذا المنطلق الأساسي له في هذا

العمل هو الذي كفل لكتاباته أن تكون تعبيرا عن الفكر السياسي لثورة ٢٣

(١) الجمهورية : ١٥ ، ١٦ ، ١٧ ، ١٩ ، ٢٠ يناير ١٩٥٥

(٢) الجمهورية : ٢٧ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٢١ يناير ١٩٥٥

(٣) الجمهورية : ٢٣ يوليو ١٩٥٥ — مقال بعنوان « هذه الدار » .

يوليو ١٩٥٢ . بل تكون هي التعبير الوحيد عن هذا الفكر . وذلك لأنه اذا كانت هناك صحافة رسمية أخرى قد صدرت باسم الثورة وتعبيرا عنها ، وكان وضع الضباط المسئولين عنها هو نفس وضع أنور السادات بصفته عضوا من أعضاء مجلس القيادة وعضوا من أعضاء اللجنة التأسيسية لتنظيم الضباط مثل « جريدة الشعب » التي كان صلاح سالم مسئولا عنها . و « جريدة المساء » التي تولى خالد محيي الدين مسئولية رئاسة تحريرها ، فإنه وبالرغم من ذلك ظلت كتابات أنور السادات هي التعبير الوحيد عن فكر الثورة نظرا للاعتبارات الآتية :

(أولا) بدأ صلاح سالم كتاباته في جريدة الشعب عند صدورها في ٤ يونيو ١٩٥٦ ، وبدأ خالد محيي الدين كتاباته في جريدة المساء عند صدورها في ٦ أكتوبر عام ١٩٥٦ . وكانت الثورة منذ قيامها عام ١٩٥٢ وحتى ذلك التاريخ الذي بدأ فيه كل منهما كتاباته قد قطعت شوطا طويلا في مواجهة قضايا العمل السياسي داخليا وخارجيا ، كان أنور السادات هو المعبر الوحيد عنها في ذلك الوقت .

(ثانيا) عندما بدأ صلاح سالم كتاباته في جريدة الشعب ، كان الموضوع الذي اختاره للكتابة هو « ذكرياته » في السودان وعن السودان بصفته كان مسئولا عن أمور السودان في مجلس القيادة ، وقد انصببت هذه الموضوعات في غالبيتها على قضايا السودان الداخلية ، دون أدنى إشارة إلى موقف قيادة الثورة من قضية السودان وتفاصيل المفاوضات التي جرت بين قيادة الثورة وبريطانيا في ذلك الشأن ، وهو الموضوع الذي يمثل جانبا هاما من جوانب الفكر السياسي للثورة (١) .

(ثالثا) عندما تناول صلاح سالم بعض قضايا العمل السياسي التي واجهت الثورة منذ قيامها ، فقد كان تناوله لها في مقال واحد سجل خلاله تاريخ الأحداث دون ذكر لأي تفاصيل أو مواقف عن هذه الأحداث . ومن ذلك ما ذكره عن مفاوضات الجلاء بين مصر وبريطانيا قائلا أن الثورة « دخلت في

(١) من بين هذه المقالات التي كتبها صلاح سالم حول هذا الموضوع في جريدة الشعب مقال بعنوان « الأزهرى يلقي أضخم قنبلة » بتاريخ ١٩٥٦/٧/١ ، ومقال بعنوان « وكالة وزارة السودان لا تعرف السودان » بتاريخ ١٩٥٦/٦/١٤ و « قضية السودان بين بطرس غالى ولويس فانوس » بتاريخ ١٩٥٦/٦/٩ و « الأزهرين بين نارين » بتاريخ ١٩٥٦/٦/٢٦ و « أول انشقاق في الوزارة السودانية » بتاريخ ١٩٥٦/٦/٢٧ .

مفاوضات مع المحتل واصطدمت بأساليبه المعروفة وقطعت المفاوضات بعد أن أصر الإنجليز على ضرورة استبدال الاحتلال بدفاع مشترك يكون لهم بموجبه كل الغنم والسيطرة والتوجيه ، ويكون من نصيبنا الغرم كله « ثم يتحدث عن الكفاح المسلح فيقول « ان الثورة عندما أعدت نفسها للكفاح المسلح « سلم المحتل بحق مصر في الجلاء والاستقلال » (١) . وهذه القضايا نفسها هي التي تناولها السادات تفصيلا في مقالاته شارحا موقف الثورة من المفاوضات وتفضيلها للأخذ بها كأسلوب بدلا من الأخذ بالكفاح المسلح في البداية ، وكذلك تناول تفاصيل اعداد الثورة للكفاح المسلح والخطوات التي قامت بها في هذا الشأن .

(رابعاً) كانت الأهداف التي حددها خالد محيي الدين لجريدة المساء أهدافا وطنية عامة ، دون تحديد للالتزام بالتعبير عن موقف الثورة ووجهات نظرها (٢) وإذا كانت كتاباته قد جاءت صدى لهذه الأهداف وتعبيرا عنها (٣) ، فإن خلافه مع وجهة نظر الثورة تجاه أحداث العراق. إبان حركة « الشواف » خلال عام ١٩٥٩ ، كانت هي السبب في إبعاده عن العمل في الجريدة ، لأنه كان يعبر في ذلك الموقف عن وجهة نظره الخاصة ، وليس عن وجهة نظر الثورة ، ذلك لأنه في الوقت الذي كانت فيه وجهة النظر الرسمية هي تأييد حركة « الشواف » ومناصرتها ، وظهر ذلك واضحا فيما نشرته الصحف عن هذه الحركة وعن الأوضاع السياسية في العراق في ذلك الوقت . فقد نشر خالد محيي الدين ما يشير إلى انتهاء الحركة واندحارها (٤) .

(١) الشعب : ٢٣ يوليو ١٩٥٦ — مقال بعنوان « معارك خاضتها الثورة » .

(٢) جاء في العدد الأول من جريدة المساء ، وفي مقال لخالد محيي الدين بعنوان « من أجل هذا تصدر المساء » أنها تصدر : « ١ — دفاعا عن سياسة الاستقلال الوطني — ٢ — دفاعا عن سياسة التصنيع وحماية الاقتصاد الوطني من أجل رفاهية الشعب — ٣ — دفاعا عن حقنا المشروع في تأمين وإدارة قناة السويس بحرية لخير الإنسانية — ٤ — دفاعا عن مبادئ باندونج وبريوني — ٥ — دفاعا عن الشعوب المكافحة لنزال حريتها واستقلالها — ٦ — دفاعا عن شعوب فلسطين والجزائر وقبرص — ٨ — دفاعا عن وحدة الشعوب العربية في نضالها المشترك — ٩ — دفاعا عن ممارسة دستورية لحقوقنا وواجباتنا — ١٠ — دفاعا عن السلام والحرية » — انظر المساء : ٦ أكتوبر ١٩٥٦

(٣) انظر المساء بتاريخ ١٠/١٠/١٩٥٦ — مقال بعنوان « نعم معركة بين الحرية والاستعباد » و ٨/١٠/١٩٥٦ مقال بعنوان « ماذا في مجلس الأمن اليوم » و ١١/١٠/١٩٥٦ « الهجوم الاسرائيلي وانتخابات الأردن » .

(٤) المساء : مارس ١٩٥٩

وإلى جانب ذلك ، فان خالد محيي الدين في الوقت الذي كان يعمل فيه بجريدة المساء ، كان بعيدا عن العمل السياسى في مواقع السلطة ، ذلك لأنه كان قد أبعد عن مجلس القيادة عقب احداث أزمة مارس ١٩٥٤

وعلى ذلك . . فقد انفرد أنور السادات — كصحفى — بالتعبير عن الفكر السياسى للثورة طوال المدة من ٧ ديسمبر ١٩٥٣ وحتى ٢١ أبريل ١٩٥٩ منطلقا في ذلك من ركيزة أساسية جاء ذكرها في كتاباته عندما قال « كان علينا ان نكون ثوارا لا صحفيين فقط ، كان علينا ان ننشر الحقائق لا الأوهام . . كان علينا ان نقول للشعب كل صباح حقيقة جديدة كانت خافية عليه بحكم وضع الصحافة في العهد التى مضت . كان علينا ان نقف الى جوار الأحرار في مصر وفي خارج مصر . . كان علينا ان ندعو لما نؤمن به » (١) .

(١) الجمهورية : ٧ ديسمبر ١٩٥٤ — مقال بعنوان « بدأت صحافة الثورة ولا أدرى متى تكون النهاية » .

الخاتمة

كان الافتراض الرئيسى الذى قام على أساسه هذا البحث هو أن أنور السادات عندما عمل صحفيا فى الفترة من ٧ ديسمبر ١٩٥٣ وحتى ٢٤ أبريل عام ١٩٥٩ كان يعبر فى كتاباته عن الفكر السياسى لثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢

وقد ثبت لنا من خلال البحث صحة هذا الغرض الذى وضعناه منذ البداية وتؤكد ذلك فى مظاهر وجوانب عديدة ، كان فى مقدمتها طبيعة ونوعية الصحف التى كتب فيها أنور السادات فى تلك الفترة من جهة ، والعوامل التى أدت الى اختياره هو بالذات لهذا العمل فى هذه الصحف من جهة ثانية ، ثم طبيعة كتاباته فى هذه الصحف من جهة ثالثة .

فبالنسبة لطبيعة الصحف التى كتب فيها أنور السادات فى الفترة من ٧ ديسمبر ١٩٥٢ وحتى ٢٤ أبريل ١٩٥٩ فقد كانت هى « جريدة الجمهورية » أول جريدة يومية تصدرها الثورة ، ومجلة التحرير التى كانت هى الأخرى أول مجلة رسمية تصدر باسم الثورة . وعلى ذلك فقد كانت هذه الجريدة وهذه المجلة هما لسان حال الثورة فى التعبير عن أهدافها ومواقفها تجاه كل ما يواجهها من قضايا العمل السياسى داخليا وخارجيا ، وهى السياسة التى وضعت لهذه الصحافة منذ أول يوم لصدورها . ومن ثم فإن كتابات أنور السادات فى هذه الصحف كان لابد وأن تأتى جزءا من رسالتها ومهمتها على النحو الذى تحددت عليه فى التعبير عن الثورة وباسمها ، خاصة وأن علاقته بهذه الصحف لم تكن مجرد علاقة لكاتب من خارجها يمكنه التعبير عن وجهة نظره الخاصة فيما يكتب وفيما يختار من موضوعات وافكار للكتابة . بل كانت علاقته بهذه الصحف هى علاقة المسئولية الكاملة عن إصدارها وعن كل ما يكتب فيها بحيث يكون معبرا عن الخط العام للثورة ، متسقا مع أهدافها .

ومن ناحية أخرى ، فإن أنور السادات فى هذه الفترة التى عمل خلالها فى صحافة الثورة هذه ، كان فى نفس الوقت يعمل ضمن الجهاز السياسى للثورة باعتباره عضوا من أعضاء مجلس القيادة ، وظل طيلة الفترة منذ بدا

عمله الصحفى وانى ان تركه يشارك فى مسئولية العمل السياسى بشكل رسمى ، وبذلك فان وضعه كان يحتم عليه ان يكون ملتزما فيما يكتبه بالخط السياسى .

وبالنسبة للعوامل والظروف التى حتمت اختيار أنور السادات لهذا العمل فى صحافة الثورة ، فذلك لأنه كان الضابط الوحيد من بين أعضاء مجلس قيادة الثورة الذى مارس العمل الصحفى بشكل فعلى قبل قيام الثورة وعرف مهنة الكتابة ، حيث عمل صحفيا بمجلة المصور فى دار الهلال سنة ١٩٤٨ ؛ فاكسب من هذه التجربة خبرة أهله لهذا العمل ، وجعلت منه الضابط الوحيد الذى يمكن اختياره للتعبير عن الثورة بكتابات الصحفية. وقد كانت هذه الخبرة السابقة بالكتابة وممارسة العمل الصحفى أيضا هى التى حتمت اختيار أنور السادات بالذات لأن يذيع البيان الرسمى الأول للثورة ليلة قيامها فى ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، فكان وضعه فى ذلك اليوم بمثابة « المتحدث الرسمى » للثورة والمعبر اعلاميا عنها ، وكذلك كان اختياره لأن يكون مسئولا عن الصحافة والنشر بعد ستة شهور من قيام الثورة .

واذا كانت هناك ملاحظة تفرض نفسها فى هذا الموضوع بالذات ، وهى ان أنور السادات قد اختير للعمل الصحفى بالذات ، ولم يكن هو أول وزير للإرشاد القومى عندما انشئت هذه الوزارة لأول مرة فى ١٠ نوفمبر ١٩٥٢ (وكان صلاح سالم هو أول وزير لهذه الوزارة) ، ولم يتولى هذه المسئولية فى أى وقت من الأوقات . فان الرد على ذلك هو أن طبيعة عمل وزير الإرشاد القومى ، وبحكم أنها عمل سياسى بالدرجة الأولى فقد كان ممكنا ان يقوم بها أى من ضباط مجلس القيادة . أما العمل الصحفى والكتابة الصحفية على وجه التحديد ، فتلك مسئولية لم يكن من السهل القيام بها إلا لمن له فى ذلك سابق خبرة وسابق تجربة . ولم يكن ذلك ينطبق على أى ضابط من ضباط مجلس القيادة غير أنور السادات على وجه التحديد .

وبالنسبة لطبيعة الكتابات التى كتبها أنور السادات طوال فترة اشتغاله بالعمل فى صحافة الثورة ، فان أبرز الملامح التى ظهرت عليها هذه الكتابات هى :

أولا : التعبير عن رأى أو الموقف فى القضايا والأمور السياسية بشكل

مباشر تغلب عليه الصفة « الرسمية » الواضحة ، ومثال ذلك المقالات الافتتاحية لمجلة التحرير وعمود « رأى » فى جريدة الجمهورية .

ثانيا : التعبير عن الرأى أو الموقف السياسى من خلال عرض القضايا عرضا تفصيليا شاملا لقدر كبير من المعلومات عنها ، وشرحها والتعليق عليها ، وتجلى ذلك واضحا فى « سلاسل » المقالات والتحقيقات والمجريات التى تناول فيها أنور السادات قضية الأحلاف والحصول على السلاح وتأمين قناة السويس وتمويل السد العالى والعدوان الثلاثى على مصر ، وطبيعة العلاقات بين الثورة والولايات المتحدة الأمريكية والظروف التى حكمت هذه العلاقة ، كما وضح ذلك أيضا فى المقالات التى تناول فيها أنور السادات قضايا العمل الداخلى وموقف الثورة من الأحزاب والقوى السياسية المصرية ، ومظاهر الخلاف والصراع التى حدثت داخل مجلس قيادة الثورة .

ثالثا : التعبير عن الرأى أو الموقف السياسى ، من خلال المقارنة بين الواقع السياسى قبل قيام الثورة وبعد قيامها ، وذلك بالتركيز على نشر المقالات التى تناول فيها أنور السادات ظروف تنظيم الضباط الأحرار وكيفية تشكيله والجهود التى بذلها للاعداد للثورة والعقبات التى واجهت ذلك التنظيم ، وقصص الاتصالات التى أجراها أعضاء التنظيم بالقوى السياسية قبل قيام الثورة ، والتى أجراها مجلس القيادة بالأحزاب والقوى السياسية بعد قيام الثورة للاتفاق على أسس نظام الحكم وتنفيذ المبادئ الستة ، وهى المقالات التى تعكس فساد الحياة السياسية والاجتماعية قبل قيام الثورة ، وتبرز خطوات الثورة وانجازاتها فى ذلك المجال بمقارنة ما كان قبل الثورة بما حققته بعد قيامها فى هذه المجالات . وكان من أبرز النماذج لهذه المقالات ما كتبه أنور السادات تحت عنوان « صفحات مجهولة من كتاب الثورة » وهى السلسلة التى نشرت فى الفترة من ٧ ديسمبر ١٩٥٣ و ١٠ مايو ١٩٥٤ فى جريدة الجمهورية ، وكذلك ما كتبه بعنوان « خفايا وأسرار » فى جريدة الجمهورية أيضا فى الفترة من ١٤ يناير ١٩٥٤ و ٢٦ مارس ١٩٥٤ . وسلاسل مقالات أخرى مثل « قصة الثورة والديمقراطية » فى الفترة من ١٩ يناير و ٣١ يناير ١٩٥٤ .

أما إلى أي حد تمكن أنور السادات واستطاع أن يعبر عن الفكر السياسي للثورة في كتاباته ، فإن ذلك يمكن تبينه والحكم عليه قياسا على الخط السياسي للثورة أساسا ، والذي وضح من خلال مسيرتها طوال الفترة التي كتب فيها السادات ، فإذا كانت الثورة منذ البداية قد اعتمدت أسلوب « التجريب » في العمل السياسي نظرا لعدم وجود نظرية يتم في إطارها التطبيق ، فإن أنور السادات قد عبر عن ذلك وأبرزه في كثير من كتاباته . ومن ذلك ما ذكره عن موقف الثورة من الاستعمار البريطاني عندما رأت أن « تجرب » الأخذ بأسلوب المفاوضات مع الانجليز وإن تقدمه على الأخذ بأسلوب الكفاح المسلح ، ثم وبعد أن نجحت المفاوضات وتم جلاء القوات الانجليزية عن قاعدة السويس بالفعل ، رأت قيادة الثورة كذلك أن « تجرب » بدء علاقات « طيبة » ووطيدة مع بريطانيا . وفي إطار العلاقة بين قيادة الثورة والولايات المتحدة الأمريكية أوضح السادات أن أسلوب « التجريب » هذا في العمل السياسي قد بلغ قمته . فقد جربت قيادة الثورة الاعتماد على أمريكا في تزويد الجيش المصري بالسلاح واستمرت هذه التجربة فترة طويلة من الوقت بدأت بعد قيام الثورة واستمرت حتى عام ١٩٥٥ . . وكانت قيادة الثورة خلالها حريصة على ألا تأس من أمريكا ، وإن كانت كذلك حريصة على ألا تثق فيها أيضا ، تاركة الأمر في كل مرة تتذرع فيها أمريكا بعذر جديد إلى ما تسفر عنه نتيجة التجربة ، وتكشف كتابات السادات عن تكرار التجربة مع أمريكا أيضا عندما عرضت على مصر الانضمام إلى « أحلاف العالم الحر » . فبالرغم من أن قيادة الثورة كانت شديدة الحرص على ألا ترتبط بهتل هذه الأحلاف ، إلا أنها تركت علاقتها بأمريكا محكومة بمنطق التجريب ذاته . بمعنى أنه عسى أن تكف أمريكا عن معاودة هذا العرض وإن نقتنع بموقف مصر ، وتستقيم العلاقات السياسية معها في إطار من المعاملات الدولية واحترام متبادل للسياسات الداخلية لكل منهما . وحتى بعد أن خرجت قيادة الثورة من تجربة شراء السلاح من أمريكا وتجربة الأحلاف بنتيجة واضحة هي الوقوف على حقيقة السياسة الأمريكية وخطتها بالنسبة لمنطقة الشرق الأوسط ، وبالنسبة لمصر خاصة ، فإننا نجد مرة أخرى تستعيد ثقتها بكل من أمريكا وبريطانيا ، وتعاود « التجربة » في الاعتماد عليهما مع فرنسا في تمويل مشروع بناء السد العالي .

وكذلك يشير أنور السادات أن نفس هذا الأسلوب في « التجريب » عندما أخذت به قيادة الثورة في البحث عن الشكل الأمثل لنظام الحكم

ومحاولاتها اقامة نظام ديمقراطى ، فبالرغم من رفضها للأحزاب والقوى السياسية القائمة — باستثناء الاخوان المسلمين فترة من الوقت — نجد أنها تمنح نفسها وتمنح هذه الأحزاب فرصة للتجربة ، تطلب خلالها من هذه الأحزاب أن تقوم بتطهير صفوفها وتجعل من هذا التطهير شرطا أساسيا لبقائها .

ومن ناحية أخرى ، فإنه اذا كان من الأمور المقطوع بها ، أن الخط الأساسى لثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، كان هو خط التحرر الوطنى ، وانها لم تقتصر فى معاداتها للاستعمار ومحاربه على نطاق مصر فقط ، بل ان ذلك شمل المنطقة العربية كلها ، فإن أنور السادات فى كتاباته الصحفية كثيرا ما عبر عن هذا الموقف وكثيرا ما جاءت كتاباته انعكاسا له ، فالى جانب ما كتبه عن حلف بغداد ومشاريع الأحلاف الغربية التى كانت تسعى لاحتواء المنطقة ، وهجومه العنيف عليها ، وفضحه لخطتها وأهدافها وتحذيره من الانضمام اليها ، فإنه كان يتابع كذلك كفاح الشعب العربى فى كثير من الأقطار ضد الاستعمار ، فكتب عن كفاح شعب الجزائر ومواقفه مؤيدا لهذا النضال وداعيا لتأييده ، ومهاجما لسياسة فرنسا واحتلالها لهذا القطر العربى ، وكذلك كتب مؤيدا المغرب فى نضاله ضد الاستعمار ، كما كتب يدين العدوان البريطانى على بعض « المحميات » فى الخليج أكثر من مرة ، وعلى ذات النسق تصدى السادات لكل محاولات الاستعمار فى كل الأقطار العربية ، فى سوريا والأردن ولبنان والسودان .

واذا كانت سياسة الثورة فى المجال العربى قد بدأت فى البروز بشكل واضح وملاموس بعد عام ١٩٥٥ ، فقد عكست كتابات أنور السادات جوانب هذه السياسة وأهدافها ، وتجلت ذلك فى كثير من مقالاته التى نادى فيها بضرورة قيام وحدة حقيقية بين العرب ، ووضع ميثاقى الجامعة العربية والضممان الجماعى العربى موضع التطبيق الفعلى ، وكذلك مقالاته التى هاجم فيها حلف بغداد ، والانظمة العربية التى كانت تحيد عن خط الاجماع العربى فى أى موقف من المواقف أو تجاه أية قضية من القضايا على الصعيد القومى ، ومن ذلك ما كتبه أنور السادات عن موقف فاضل الجمالى ممثل حكومة العراق فى الأمم المتحدة عام ١٩٥٥ عندما خرج عن الاجماع العربى اثناء نظر قضية « ادراج مشكلة قبرص » فى جدول أعمال الهيئة أو عدم

ادراجها ، وكذلك ما كتبه أيضا عن موقف الملك حسين وقبوله لاشروع
ايزنهاور عام ١٩٥٧.

وقد شهدت الفترة من ١٩٥٥ إلى ١٩٥٨ — وهي الفترة التي برزت
سياسة مصر العربية خلالها بشكل واضح — أهم كتابات أنور السادات عن
القضايا العربية والسياسات العربية ، وخاصة سلسلة مقالاته التي كتبها
بعنوان « إلى أين يا رجال العرب » ونشرت بجريدة الجمهورية خلال شهر
فبراير من عام ١٩٥٥

وهذه الكتابات الصحفية لأنور السادات ، وإن كانت قد جاءت على
هذا النحو تعبيراً عن فكر الثورة ومواقفها داخليا وخارجيا ، وتجاه كل
ما واجهها من قضايا العمل السياسي ، فإنها في نفس الوقت — ووفقا
لاعتبارات معينة — اكتسبت أهمية خاصة ميزتها عن أية كتابات أخرى في
هذا المجال . وقد جاء هذا التميز والاعتبارات التي حثمته على النحو التالي :

(أولا) : أن أنور السادات في مجال عرضه للقضايا والأمور التي
واجهت الثورة ، أو للخطوات التي حققتها ، كان يعنى بالجانب السياسي في
هذه القضايا وينطلق في تفسيرها من هذا الأساس ، حتى لو كانت هذه
القضايا في أساسها إجراءات اصلاحية أو اجتماعية أو اقتصادية ، وعلى
ذلك فإنه لم يكن ليكتب عن مظاهر السياسة الاجتماعية للثورة والتي كان
من بينها اصدار التشريعات العمالية ، وانشاء المجلس الدائم للخدمات ،
وانجازات الثورة في مجال الخدمة العامة كالعليم والصحة . . وما إلى
ذلك . بل كان في تناوله لمثل هذا الجانب في سياسة الثورة يعنى بالحديث
عن مفهوم العدالة الاجتماعية والحاكم العادل أصلا ، باعتبارهما خطوة هامة
على طريق الديمقراطية لأن « الأمير يكون أميراً بالعطاء لا بالأخذ » على
حسب تعبير السادات في ذلك .

وعلى ذات النسق كان تناول أنور السادات لمشروع السد العالي ،
فهو لم يتعرض له في كتاباته باعتباره مشروعا اقتصاديا إلا في أقل القليل من
كتاباته ، ولكن هذا المشروع وبعد أن أصبحت قضية تمويله من دول الغرب
قضية سياسية في أساسها فإن أنور السادات سرعان ما تناول هذه القضية
معبرا عن موقف مصر منها ومبررات رفضها لشروط الغرب في تمويل المشروع .
وأضعا أمام الرأي العام كافة التفاصيل حول هذا الموضوع . . .

وكان لهذا الاهتمام من جانب السادات بابرار الجوانب السياسية للقضايا والتركيز عليها في كتاباته ، ان جاءت هذه الكتابات منصبة على التعبير عن الفكر السياسي للثورة بشكل محدد ، وفي شتى القضايا والموضوعات التي واجهت الثورة .

(ثانياً) : كانت كتابات السادات عادة ما تقدم معلومات ، لم يكن من السهل أن يحصل عليها صحفي آخر ، فظراً لأنها كانت تتعلق بأمور ووقائع سياسية على قدر كبير من الأهمية ، كان أنور السادات شاهداً عليها ومشاركاً في صنعها ، ومن هنا فقد كان مصدراً من مصادر المعلومات ، وكتاباً صحفياً لهذه المعلومات في نفس الوقت ، فكان من بين هذه المعلومات التي كان من الصعب حصول صحفي آخر عليها غير أنور السادات ، هذه المعلومات الخاصة بتنظيم الضباط الأحرار وفكرته وكيفية تكوينه والظروف والمراحل التي مر بها ، والاتصالات التي تمت بين التنظيم وبين بعض الزعماء السياسيين في ذلك الوقت ، وهذف التنظيم من هذه الاتصالات ، والخطة التي كان قد حددها التنظيم للقيام بالثورة والظروف التي أدت إلى تأجيل الموعد ، والظروف التي بدت ملائمة للموعد الذي تمت فيه ، وكذلك قدم أنور السادات في كتاباته الصحفية جوانب كثيرة من المناقشات والحوار الذي كان يجري داخل مجلس قيادة الثورة ، وفي اجتماعات « المؤتمر المشترك » حول العديد من القضايا السياسية الهامة ، عارضاً لجوانب الاختلاف والاتفاق بشأنها ، ومن ذلك ما كتبه عن تفاصيل الانشقاق والخلاف داخل مجلس قيادة الثورة إبان الأزمة التي عرفت بأزمة مارس عام ١٩٥٤ ، والمناقشات التي دارت حول موقف الثورة من الأحزاب ، والموقف من العروض الأمريكية والمناقشات التي دارت حول هذا الموضوع وغيرها من الموضوعات التي لو لم يكن أنور السادات قد عرضها لكانت قد ظلت بعيداً عن متناول أيدي الباحثين ولا شك أن الذي مكن أنور السادات من ذلك كان وجوده في قمة جهاز السلطة السياسية وممارسته للعمل الصحفي والعمل السياسي في آن واحد .

(ثالثاً) : كانت كتابات أنور السادات مقالات « رأي » ، مثلها كانت مقالات « خبر » وعلى ذلك فإن هذه المقالات لم يتوفر لها عنصر استيفاء المعلومات وتقديمها فقط ، بل تضمنت كذلك وجهة نظر محددة في الموضوعات التي تناولتها ، ومن هنا كانت تضع أمام الباحث موقف الثورة من هذه الموضوعات والقضايا بشكل محدد .

(رابعاً) : ان أنور السادات لم يكن يتورع أن يعرض في كتاباته للكثير من الموضوعات والقضايا التي هي على قدر كبير من « الحساسية » والتي يمكن اعتبارها في بعض الأحيان بمثابة نوع من المآخذ على الثورة ، ومن ذلك مثلاً ما كتبه عن المناقشات التي دارت بين أعضاء اللجنة التأسيسية للضباط الأحرار حول نظام الحكم وهل يكون « ديمقراطياً » أم « ديكتاتورياً » والتي انتهت بتصويت الأغلبية العظمى من أعضاء اللجنة التأسيسية محبذين مبدأ الأخذ « بالديكتاتورية » ، وكذلك ما كتبه أنور السادات عن طبيعة العلاقة بين الثورة والولايات المتحدة الأمريكية والتي يفهم من وقائعها ان الولايات المتحدة قد استطاعت لفترة طويلة من الوقت (من ١٩٥٢ إلى ١٩٥٥) استخدام أساليب « المناورة السياسية » مع مجموعة الضباط أعضاء مجلس القيادة ، و « خداعهم » بالتلويح بوعود لم يتم تحقيقها في أي وقت من الأوقات طيلة هذه المدة .

(خامساً) : كانت الكتابات الصحفية لأنور السادات تتناول دقائق التفاصيل بالنسبة للموضوعات الهامة ، وتتابع وقائعها ومجرياتها ، وبذلك أصبحت مادة كافية أمام الباحث يعتمد عليها أساساً ومصدراً رئيسياً من مصادر التاريخ . ومن ذلك متابعة أنور السادات للأحداث والوقائع وردود الأعمال والمواقف التي تلت اعلان تأميم قناة السويس عام ١٩٥٦ ، وحتى انتهاء العدوان على مصر ، وهي فترة شهدت من الأحداث السريعة والمتلاحقة الهامة ما يجعل رصدها والتعليق عليها مسألة على قدر كبير من الأهمية لأي باحث في تاريخ الثورة .

(سادساً) : كان أنور السادات ينطلق في تعبيره عن مواقف الثورة ، من الاتجاه العام داخل مجلس القيادة ، ومن ثم فلم يكن منحازاً في أي وقت من الأوقات إلى جانب من جوانب الأقلية داخل مجلس القيادة ، ولم يكن يعبر عن هذه الأقلية ، وان كان كذلك لم يهمل التعرض لمواقفها بعرضها والتعليق عليها . ومن ذلك بعض كتاباته التي عرض فيها لموقف محمد نجيب إبان أزمة مارس ١٩٥٤ ، وموقف عبد المنعم عبد الرؤوف الذي قررت اللجنة التأسيسية للضباط فصله من عضويتها عندما ثبت أن علاقته مزدوجة بالتنظيم وال الإخوان المسلمين في آن واحد .

(سابعاً) : تناولت كتابات أنور السادات ، تفسيرات لكثير من الوقائع والأحداث التي كان بعض المؤرخين والباحثين — وفقاً لاجتهاداتهم البحتة في

التفسير — قد تناولوها وخرجوا منها بنتائج غير صحيحة ، ومن ذلك مثلا ما كتبه أنور السادات فيما يتعلق بموضوع تأميم قناة السويس عام ١٩٥٦ ، موضحا أن السبب الرئيسى لهذه الخطوة من جانب الثورة كان بمثابة نوع من « رد الفعل » ونوع من « الثأر » من الغرب ، وردا على رفضه تمويل مشروع السد العالى ، ووسيلة لتمكن تنفيذ المشروع ، وهو الموضوع الذى كان بعض الباحثين قد توصلوا فيه إلى نتيجة محددة هى أن التأميم كان مشروعاً سبق دراسته ، وسبق اتخاذ قرار محدد بشأن تنفيذه فى الموعد الذى تم فيه .

(ثامنا) : كان لثقافة أنور السادات الخاصة ، وخبرته السابقة فى العمل الصحفى أثرهما الواضح فى كتابته وفى عمله كمسئول عن إصدار صحف للثورة فى آن واحد فبالنسبة للكتابة ، فقد جاءت مستوفية لفنون الكتابة الصحفية من حيث طريقة العرض واستخدام الأسلوب الصحفى ، واختيار القالب الفنى الذى وضعت المبادئ الصحفية فى إطاره ، مما أضفى على هذه الكتابات قدرتها على التعبير عن الموضوع الذى تتناوله ، وتقديم المعلومات المراد عرضها ، وذلك ما لم يكن من السهل تحقيقه فيما لو تناول هذه المسألة ضابط آخر لا دراية له بالعمل الصحفى .

وإذا كان أنور السادات قد لجأ فى بعض المرات إلى استخدام الأسلوب « الخطابى » فى الكتابة ، وهو أسلوب لا يتفق والكتابة الصحفية ، فإن ذلك فى واقع الأمر كان راجعا إلى طبيعة الموضوع الذى يكتب فيه بطبيعة الظروف المحيطة بالواقعة التى يتناولها ، وهى موضوعات وظروف اتسمت دائما بطابع الحدة ، وكانت تعكس طابع الغضب وطابع الرفض لبعض الوقائع والتصرفات التى لم يكن أمام أنور السادات إلا أن يتوجه على أساسها بما يشبه النداء المباشر للشعب و « لسياسة العرب » فيما يشبه « الخطابة » داعيا لاتخاذ موقف محدد . ومن أمثلة ذلك ما كتبه متوجها به إلى الشعب طالبا منه أن يرفض دعاوى الإخوان المسلمين وشائعاتهم التى أطلقوها حول الثورة ورجالها .

وكذلك فقد برز فى هذه الكتابات كثرة الإشارة إلى الوقائع التاريخية والربط بينها وبين أحداث من الواقع تشابهها ، لكى تتضح الفكرة بأبعادها كاملة للقارئ ومن ذلك ما كتبه السادات عن معاهدة ١٩٣٦ واتفاقية « مونتباين » وغيرها من المعاهدات والاتفاقات مقارنة بينها وبين اتفاقية

الجللاء التي وقعت بها الثورة مع بريطانيا عام ١٩٥٤ ، وما كتبه كذلك عن موقف الشعب في مصر والشعوب العربية الأخرى ورفضها لمبدأ الانضمام إلى الإحلاف الغربية ، ولم يكن بالإمكان عرض الموضوعات على هذا النحو إلا بواسطة صحفي على قدر واسع من الثقافة والمسام بالتاريخ ، فجمعت هذه الكتابة حافلة بالمقاربات والتشبيهات والتحليل مما جعلها واضحة للقارئ ويستطيع من خلالها أن يستخلص المعنى الذي يهدف إليه الكاتب ، وبالنسبة للعمل الصحفي فإن أنور السادات استطاع أن يحقق لصحف الثورة التي تولى مسئولية إصدارها قدرا كبيرا من التفرد والتميز بين الصحف الأخرى التي كانت تصدر في نفس الفترة ، وذلك باعتماده أساسا على مجموعة من كبار الكتاب والمفكرين والصحفيين والفنيين الذين عملوا في جريدة الجمهورية ومجلة التحرير كان من بينهم الدكتور طه حسين والدكتور محمد مندور والدكتور لويس عوض والدكتور عبد الحميد يونس وخالد محمد خالد وغيرهم ، إلى جانب أن هذه الصحف في نفس الوقت كانت كثيرا ما تنفرد بالسبق في الأخبار والموضوعات السياسية ، باعتبارها لسان حال الثورة ونتيجة لأن أنور السادات وهو المسئول عن إصدارها هو في نفس الوقت أحد رجال السلطة السياسية والذي يمكنه بحكم موقعه في جهاز الحكم أن يحصل على الأخبار التي جعلت هذه الصحف تنفرد بما انفردت به من سبق صحفي .

وفي نفس الوقت ، فإن أنور السادات وقد كان حريصا على أن يولى بريد القراء واستئلتهم غناية خاصة في نشرها والرد عليها ، فقد كان ذلك من شأنه أن يخلق قدرا من الارتباط الهام بين القارئ وهذه الصحف وكتابها ، خاصة وأن قدرا كبيرا من هذه الأسئلة التي كان يبعث بها القراء إلى أنور السادات على وجه الخصوص كانت تتناول في غالبيتها موضوعات تتعلق بقضايا سياسية على قدر كبير من الأهمية والحساسية بالنسبة للثورة ومواقفها وسياساتها . ومن ذلك ما كان يبعث به القراء من أسئلة حول علاقة الثورة بأمريكا ، وحقيقة ما يقال في ذلك من أن هناك اتفاقات سرية غير معلنة بين قادة الثورة والولايات المتحدة الأمريكية ، أو الأسئلة التي كانت تستفسر عن علاقة الثورة بالآخوان المسلمين وحقيقة العلاقات التي ربطت بين السادات وحسن البنا ، أو الأسئلة التي نشرها السادات وأجاب عليها خاصة بنظام الحكم وموقف الثورة من إعادة الأحزاب . الخ . فكان نشر مثل هذه الأسئلة والاهتمام بالإجابة عليها ، لا يحقق الارتباط بين القارئ

وهذه الصحف فقط ، بل كان في نفس الوقت وسيلة من وسائل التعبير عن الفكر السياسي للثورة وتسجيل مواقفها تجاه قضايا على قدر كبير من الأهمية .

فإذا ما أضفنا إلى ذلك كله ان أنور السادات كان حريصا على أن يسجل في كتاباته لمواقف الثورة وقضاياها ، حتى بعد مرور وقت على وقوعها ، على نحو ما جاء في مقالاته عن ظروف التمهيد للثورة والقيام بها ، وتفاصيل الخلاف بين محمد نجيب ومجلس القيادة ، وظروف العلاقات بين الثورة والولايات المتحدة الأمريكية ، وأبعاد هذه العلاقات ، وهو ما جاء في مقالاته « صفحات مجهولة من كتاب الثورة » و « قصة محمد نجيب كاملة » و « مذكرات أنور السادات » ، فان أنور السادات كصحفي ، يصبح بذلك هو الصحفي الوحيد الذي عبر عن فكر الثورة السياسي خلال الفترة التي عمل فيها بالصحافة ، وتصبح كتاباته هي المرجع الوحيد والهام للتأريخ لفكر الثورة السياسي خلال تلك الفترة ، ويصبح بذلك أيضا هو أول من أرسى القواعد الأساسية في الاعلام الرسمي للثورة من خلال الصحافة .

ملحق

بيان بالمقالات التي كتبها أنور السادات
في الصحف

تاريخ النشر	المصدر	عنوان المقال
٣٠ يوليو ١٩٤٨	المصور	٣٠ شهراً في السجن — أيام وليال في سجن مصر
٦ أغسطس ١٩٤٨	المصور	٣٠ شهراً في السجن — أيام وليال في سجن مصر
١٣ أغسطس ١٩٤٨	المصور	٣٠ شهراً في السجن — أيام وليال في سجن مصر
٥ يناير ١٩٥٤	التحرير	درس من وراء القضبان
١٢ يناير ١٩٥٤	التحرير	اخرجوا رؤوسكم من تحت الرمال
١٩ يناير ١٩٥٤	التحرير	نحن والخوان المسلمون
٢٦ يناير ١٩٥٤	التحرير	يوم نبدأ الكفاح
٢ فبراير ١٩٥٤	التحرير	ترقبوا صوت النداء
٩ فبراير ١٩٥٤	التحرير	انى اخشى على الشعوب العربية من نفسها
١٦ فبراير ١٩٥٤	التحرير	من اجل هذا قامت الثورة
٢٣ فبراير ١٩٥٤	التحرير	« تروس » الساعة تدور
١٩ مارس ١٩٥٤	التحرير	امة جيشها شعب . . وشعبها جيش
٩ مارس ١٩٥٤	التحرير	لن ترتد الثورة إلى الخلف
١٦ مارس ١٩٥٤	التحرير	ايها الانجليز لا تخرجوا من بلادنا
٢٣ مارس ١٩٥٤	التحرير	اللغة والدين والدم الذى فى العروق
٣٠ مارس ١٩٥٤	التحرير	اعتصموا ولكن بحبل الله
٦ أبريل ١٩٥٤	التحرير	الذين يسخطون على ارادة الشعب
١٣ أبريل ١٩٥٤	التحرير	ايها العرب . . هل آن لنا ان نتخذ
٢٠ أبريل ١٩٥٤	التحرير	انى اعترف
٢٧ أبريل ١٩٥٤	التحرير	نحن الذين تبكنا
٢٤ مايو ١٩٥٤	التحرير	عظمة النفاق

عنوان المقال	المصدر	تاريخ النشر
درس من « ديان بيان فو »	التحرير	١١ مايو ١٩٥٤
هؤلاء الساسة الأذكىاء	التحرير	١٨ مايو ١٩٥٤
الاشاعات تطارد الأحرار في كل زمن وفي كل أمة	التحرير	٢٥ مايو ١٩٥٤
وقفه العيد	التحرير	أول يونيو ١٩٥٤
سنعلم انجلترا كيف تياس	التحرير	١٥ يونيو ١٩٥٤
هذه هي الجمهورية	التحرير	٢٢ يونيو ١٩٥٤
انه في يوم الأحد ٢٧ يونيو	التحرير	٢٩ يونيو ١٩٥٤
قد نقف قليلا . . . ولكننا سنندفع	التحرير	١٣ يوليو ١٩٥٤
لورد كيلرن مغرور	التحرير	٢٠ يوليو ١٩٥٤
يوميات أنور السادات عن ٢٦ يوليو ١٩٥٢ — الساعات الأخيرة لفاروق	التحرير	٢٧ يوليو ١٩٥٤
اللهم ان الضفادع لا تعقل	التحرير	٣ أغسطس ١٩٥٤
الله أكبر والايمان أقوى	التحرير	٣١ أغسطس ١٩٥٤
راى دخول الانجليز وراى خروجهم	التحرير	٧ سبتمبر ١٩٥٤
الله معنا وليس مع الهضيبي	التحرير	١٤ سبتمبر ١٩٥٤
نحن وأمريكا	التحرير	٢١ سبتمبر ١٩٥٤
صدق أو لا تصدق	التحرير	٢٨ سبتمبر ١٩٥٤
لأنها . . ناجحة	التحرير	٥ أكتوبر ١٩٥٤
لا عقبات أمام مصر	التحرير	١٢ أكتوبر ١٩٥٤
ما لم ينشر من الأسرار	التحرير	١٩ أكتوبر ١٩٥٤
ما لم ينشر من الأسرار	التحرير	٢٦ أكتوبر ١٩٥٤
ما لم ينشر من الأسرار	التحرير	٣ نوفمبر ١٩٥٤
حرية الآخرين.	التحرير	٩ نوفمبر ١٩٥٤
رسالة إلى أفغانستان	التحرير	١٢ يوليو ١٩٥٥

تاريخ النشر	المصدر	عنوان المقال
١٩ يوليو ١٩٥٥	التحرير	رسالة إلى الأربعة الكبار
٢ أغسطس ١٩٥٥	التحرير	راى أبطال آسيا في الثورة
٩ أغسطس ١٩٥٥	التحرير	لا حرب .. فلماذا تبقون على الاحلاف
١٥ أغسطس ١٩٥٥	التحرير	حكاية التقديمين
٣٠ أغسطس ١٩٥٥	التحرير	في صالح العرب والعالم اجمع
٦ سبتمبر ١٩٥٥	التحرير	ثمن الصداقة
١٣ سبتمبر ١٩٥٥	التحرير	فرحة وانتصار
٢٠ سبتمبر ١٩٥٥	التحرير	ايها الاخوة التونسيون خذوا عبرتكم منا
٢٧ سبتمبر ١٩٥٥	التحرير	ما هكذا يتكلم الاحرار
٤ اكتوبر ١٩٥٥	التحرير	في الاسبوع الماضى كان جمال عبد الناصر يدرس الجغرافيا
١١ اكتوبر ١٩٥٥	التحرير	السبت العظيم
١٨ اكتوبر ١٩٥٥	التحرير	الاقطاع العالمى بعد الاقطاع الداخلى
٢٥ اكتوبر ١٩٥٥	التحرير	والآن يحتاجون إلى دروس .. في التاريخ
١٥ نوفمبر ١٩٥٥	التحرير	العرب من جديد
٨ نوفمبر ١٩٥٥	التحرير	هزيمة العالم الحر
١٥ نوفمبر ١٩٥٥	التحرير	خطاب مفتوح إلى النواب البريطانيين
٢٢ نوفمبر ١٩٥٥	التحرير	عزاء للديمقراطية
٢٩ نوفمبر ١٩٥٥	التحرير	حكماء صهيون
٣ يناير ١٩٥٦	التحرير	من الذى يصنع سياسة واشنطن ولندن ؟ أيزنهاور وايدن .. او بولجاسين وخروشيشيف ؟
١٨ سبتمبر ١٩٥٦	التحرير	نقبل المعركة
٢ اكتوبر ١٩٥٦	التحرير	امنا الغولة ومجلس الأمن
٩ اكتوبر ١٩٥٦	التحرير	يا هوه .. افهموا هذا الشعب

المصدر	تاريخ النشر	عنوان المقال
التحرير	١٦ أكتوبر ١٩٥٦	فضيحة الشريكين
التحرير	٢٣ أكتوبر ١٩٥٦	اغترية من الخيال
التحرير	٣٠ أكتوبر ١٩٥٦	حكاية من أمريكا
التحرير	١٧ أكتوبر ١٩٥٦	آية من الله
التحرير	٢٠ نوفمبر ١٩٥٦	خاطر .. وعبرة
التحرير	٢٧ نوفمبر ١٩٥٦	احذري يا مختبر
التحرير	٤ ديسمبر ١٩٥٦	عبر التاريخ
التحرير	١١ ديسمبر ١٩٥٦	المجد للشعب
التحرير	٢٥ ديسمبر ١٩٥٦	أكبر بلفة
التحرير	أول يناير ١٩٥٧	نكتة الموسم
التحرير	٨ يناير ١٩٥٧	الفراغ .. وحكايتين
التحرير	١٥ يناير ١٩٥٧	روح الشعب
التحرير	٢٢ يناير ١٩٥٧	الكرامية .. والخيبة .. والمرارة
التحرير	٢٩ يناير ١٩٥٧	حلم بن جوربون
التحرير	٥ فبراير ١٩٥٧	أفلح ان صدق
التحرير	١٢ فبراير ١٩٥٧	يا ولدي (مذكرات)
التحرير	١٩ فبراير ١٩٥٧	٢٨ فبراير ١٩٥٥
التحرير	٢٦ فبراير ١٩٥٧	بشرى
التحرير	٥ مارس ١٩٥٧	نقط .. على الجروف
التحرير	١٢ مارس ١٩٥٧	النعاج المستأنسة
التحرير	١٩ مارس ١٩٥٧	يا ولدي (مذكرات)
التحرير	٢٦ مارس ١٩٥٧	يا ولدي (مذكرات)
التحرير	٢ أبريل ١٩٥٧	يا ولدي (مذكرات)
التحرير	٩ أبريل ١٩٥٧	يا ولدي (مذكرات)
التحرير	١٦ أبريل ١٩٥٧	يا ولدي (مذكرات)
التحرير	٢٣ أبريل ١٩٥٧	يا ولدي (مذكرات)
التحرير	٣٠ أبريل ١٩٥٧	يا ولدي (مذكرات)

عنوان المقال	المصدر	تاريخ النشر
يا ولدى (مذكرات)	التحرير	٧ مايو ١٩٥٧
يا ولدى (مذكرات)	التحرير	١٤ مايو ١٩٥٧
يا ولدى (مذكرات)	التحرير	٢١ مايو ١٩٥٧
يا ولدى (مذكرات)	التحرير	٢٨ مايو ١٩٥٧
يا ولدى (مذكرات)	التحرير	٤ يونيو ١٩٥٧
يا ولدى (مذكرات)	التحرير	١١ يونيو ١٩٥٧
يا ولدى (مذكرات)	التحرير	١٨ يونيو ١٩٥٧
يا ولدى (مذكرات)	التحرير	٢٥ يونيو ١٩٥٧
يا ولدى (مذكرات)	التحرير	٢ يوليو ١٩٥٧
يا ولدى (مذكرات)	التحرير	٩ يوليو ١٩٥٧
يا ولدى (مذكرات)	التحرير	١٦ يوليو ١٩٥٧
يا ولدى (مذكرات)	التحرير	٢٣ يوليو ١٩٥٧
يا ولدى (مذكرات)	التحرير	٢٣ يوليو ١٩٥٧
يا ولدى (مذكرات)	التحرير	٦ أغسطس ١٩٥٧
يا ولدى (مذكرات)	التحرير	١٣ أغسطس ١٩٥٧
يا ولدى (مذكرات)	التحرير	٢٠ أغسطس ١٩٥٧
يا ولدى (مذكرات)	التحرير	٢٧ أغسطس ١٩٥٧
يا ولدى (مذكرات)	التحرير	٣ سبتمبر ١٩٥٧
يا ولدى (مذكرات)	التحرير	١٠ سبتمبر ١٩٥٧
سياستنا .. ما هي ؟	التحرير	٣ فبراير ١٩٥٩
صفحات مجهولة من كتاب الثورة	الجمهورية	٧ ديسمبر ١٩٥٣
صفحات مجهولة من كتاب الثورة	الجمهورية	٨ ديسمبر ١٩٥٣
صفحات مجهولة من كتاب الثورة	الجمهورية	١٠ ديسمبر ١٩٥٣
صفحات مجهولة من كتاب الثورة	الجمهورية	١١ ديسمبر ١٩٥٣
صفحات مجهولة من كتاب الثورة	الجمهورية	١٩ ديسمبر ١٩٥٣
صفحات مجهولة من كتاب الثورة	الجمهورية	٢٠ ديسمبر ١٩٥٣
صفحات مجهولة من كتاب الثورة	الجمهورية	٢١ ديسمبر ١٩٥٣

عنوان المقال	المصدر	تاريخ النشر
صفحات مجهولة من كتاب الثورة	الجمهورية	٢٢ ديسمبر ١٩٥٣
صفحات مجهولة من كتاب الثورة	الجمهورية	٢٤ ديسمبر ١٩٥٣
راى	الجمهورية	٢٥ ديسمبر ١٩٥٣
راى	الجمهورية	٢٨ ديسمبر ١٩٥٣
صفحات مجهولة من كتاب الثورة	الجمهورية	٢٩ ديسمبر ١٩٥٣
راى	الجمهورية	٣١ ديسمبر ١٩٥٣
راى	الجمهورية	اول يناير ١٩٥٤
راى	الجمهورية	٢ يناير ١٩٥٤
راى	الجمهورية	٤ يناير ١٩٥٤
صفحات مجهولة من كتاب الثورة	الجمهورية	٥ يناير ١٩٥٤
راى	الجمهورية	٧ يناير ١٩٥٤
راى	الجمهورية	٩ يناير ١٩٥٤
صفحات مجهولة من كتاب الثورة	الجمهورية	٩ يناير ١٩٥٤
راى	الجمهورية	١٠ يناير ١٩٥٤
خفايا وأسرار	الجمهورية	١١ يناير ١٩٥٤
صفحات مجهولة من كتاب الثورة	الجمهورية	١٢ يناير ١٩٥٤
راى	الجمهورية	١٣ يناير ١٩٥٤
خفايا وأسرار	الجمهورية	١٤ يناير ١٩٥٤
خفايا وأسرار	الجمهورية	١٦ يناير ١٩٥٤
راى	الجمهورية	١٧ يناير ١٩٥٤
خفايا وأسرار	الجمهورية	١٨ يناير ١٩٥٤
راى	الجمهورية	١٩ يناير ١٩٥٤
خفايا وأسرار	الجمهورية	٢٠ يناير ١٩٥٤
خفايا وأسرار	الجمهورية	٢٤ يناير ١٩٥٤
خفايا وأسرار	الجمهورية	٢٦ يناير ١٩٥٤
راى	الجمهورية	٣٠ يناير ١٩٥٤
راى	الجمهورية	٣٠ يناير ١٩٥٤

عنوان المقال	المصدر	تاريخ النشر
راى	الجمهورية	أول فبراير ١٩٥٤
راى	الجمهورية	٤ فبراير ١٩٥٤
راى	الجمهورية	٥ فبراير ١٩٥٤
راى	الجمهورية	١٤ فبراير ١٩٥٤
راى	الجمهورية	٢٠ فبراير ١٩٥٤
صفحات مجهولة من كتاب الثورة	الجمهورية	٢٤ فبراير ١٩٥٤
صفحات مجهولة من كتاب الثورة	الجمهورية	٢٧ فبراير ١٩٥٤
راى	الجمهورية	٣ مارس ١٩٥٤
راى	الجمهورية	٧ مارس ١٩٥٤
حقائق	الجمهورية	١٠ مارس ١٩٥٤
صفحات مجهولة من كتاب الثورة	الجمهورية	١٣ مارس ١٩٥٤
الثورة ماضية يا بريطانيا	الجمهورية	١٩ مارس ١٩٥٤
اليوم وغدا والمستقبل	الجمهورية	٢٢ مارس ١٩٥٤
خفايا وأسرار	الجمهورية	٢٦ مارس ١٩٥٤
صيحة من بيروت	الجمهورية	٢٨ مارس ١٩٥٤
صفحات مجهولة من كتاب الثورة	الجمهورية	٢٠ مارس ١٩٥٤
اخطاء الثورة	الجمهورية	١٠ أبريل ١٩٥٤
صفحات مجهولة من كتاب الثورة	الجمهورية	١١ أبريل ١٩٥٤
صفحات مجهولة من كتاب الثورة	الجمهورية	٢٤ أبريل ١٩٥٤
صفحات مجهولة من كتاب الثورة	الجمهورية	٥ مايو ١٩٥٤
راى	الجمهورية	١٠ مايو ١٩٥٤
صفحات مجهولة من كتاب الثورة	الجمهورية	١٠ مايو ١٩٥٤
راى	الجمهورية	٢ يوليو ١٩٥٤
راى	الجمهورية	٥ يوليو ١٩٥٤
راى	الجمهورية	٨ يوليو ١٩٥٤
راى	الجمهورية	٩ يوليو ١٩٥٤
راى	الجمهورية	١٠ يوليو ١٩٥٤

عنوان المقال	المصدر	تاريخ النشر
راى	الجمهورية	١١ يوليو ١٩٥٤
راى	الجمهورية	١٢ يوليو ١٩٥٤
راى	الجمهورية	١٣ يوليو ١٩٥٤
راى	الجمهورية	١٤ يوليو ١٩٥٤
راى	الجمهورية	١٥ يوليو ١٩٥٤
راى	الجمهورية	١٦ يوليو ١٩٥٤
راى	الجمهورية	١٧ يوليو ١٩٥٤
باسم الشعب	الجمهورية	١٨ يوليو ١٩٥٤
راى	الجمهورية	١٩ يوليو ١٩٥٤
راى	الجمهورية	٢٠ يوليو ١٩٥٤
راى	الجمهورية	٢١ يوليو ١٩٥٤
اعياد الشعب	الجمهورية	٢٣ يوليو ١٩٥٤
راى	الجمهورية	٢٤ يوليو ١٩٥٤
راى	الجمهورية	٢٦ يوليو ١٩٥٤
راى	الجمهورية	٢٧ يوليو ١٩٥٤
راى	الجمهورية	٢٨ يوليو ١٩٥٤
راى	الجمهورية	٢٩ يوليو ١٩٥٤
راى	الجمهورية	٣٠ يوليو ١٩٥٤
من الشعب (١) سلسلة مقالات	الجمهورية	٣١ يوليو ١٩٥٤
من الشعب (٢) هذه الثورة بخيرها وشرها	الجمهورية	اول اغسطس ١٩٥٤
من الشعب (٣) الثوار فى مصر وفى خارج مصر	الجمهورية	٢ اغسطس ١٩٥٤
من الشعب (٤) جلاء بغير دماء	الجمهورية	٣ اغسطس ١٩٥٤
انا عائد من القتال	الجمهورية	٤ اغسطس ١٩٥٤
راى	الجمهورية	٥ اغسطس ١٩٥٤
نحو بعث جديد (١) سلسلة مقالات	الجمهورية	١٦ اغسطس ١٩٥٤
نحو بعث جديد (٢)	الجمهورية	١٧ اغسطس ١٩٥٤

عنوان المقال	المصدر	تاريخ النشر
نحو بعث جديد (٣)	الجمهورية	١٨ أغسطس ١٩٥٤
نحو بعث جديد (٤)	الجمهورية	١٩ أغسطس ١٩٥٤
نحو بعث جديد (٥)	الجمهورية	٢٠ أغسطس ١٩٥٤
نحو بعث جديد (٦)	الجمهورية	٢١ أغسطس ١٩٥٤
نحو بعث جديد (٧)	الجمهورية	٢٢ أغسطس ١٩٥٤
نحو بعث جديد (٨)	الجمهورية	٢٣ أغسطس ١٩٥٤
نحو بعث جديد (٩)	الجمهورية	٢٤ أغسطس ١٩٥٤
عودة إلى الاتفاقيات السرية	الجمهورية	٢٨ أغسطس ١٩٥٤
رجل وموقفان	الجمهورية	٦ سبتمبر ١٩٥٤
قلت لنائب المرشد العام	الجمهورية	٩ سبتمبر ١٩٥٤
نحو بعث جديد (١٠)	الجمهورية	١٠ سبتمبر ١٩٥٤
خطاب من المخبأ	الجمهورية	١١ سبتمبر ١٩٥٤
من أى طبقة أنت	الجمهورية	١٢ سبتمبر ١٩٥٤
نحو بعث جديد (١١) حسنة في الدنيا وفي الآخرة	الجمهورية	١٣ سبتمبر ١٩٥٤
الشعب والايخوان (١) « سلسلة مقالات »	الجمهورية	١٤ سبتمبر ١٩٥٤
الشعب والايخوان (٢) « الشهود على اتصال الهضيبي بالانجليز »	الجمهورية	١٦ سبتمبر ١٩٥٤
الشعب والايخوان (٣) « في سبيل الله والملك »	الجمهورية	١٨ سبتمبر ١٩٥٤
الشعب والايخوان (٤) « ثورة أم انقلاب »	الجمهورية	١٩ سبتمبر ١٩٥٤
الشعب والايخوان (٥) « فرحة »	الجمهورية	٢٠ سبتمبر ١٩٥٤
... والاسلام	الجمهورية	٢١ سبتمبر ١٩٥٤
راى	الجمهورية	اول اكتوبر ١٩٥٤
في الاسبوع مرة	الجمهورية	٤ اكتوبر ١٩٥٤
راى	الجمهورية	٦ اكتوبر ١٩٥٤
راى	الجمهورية	٧ اكتوبر ١٩٥٤

عنوان المقال	المصدر	تاريخ النشر
راى	الجمهورية	٨ أكتوبر ١٩٥٤
راى	الجمهورية	٩ أكتوبر ١٩٥٤
راى	الجمهورية	١٠ أكتوبر ١٩٥٤
فى الأسبوع مرة	الجمهورية	١١ أكتوبر ١٩٥٤
فى الأسبوع مرة	الجمهورية	١٨ أكتوبر ١٩٥٤
فى الأسبوع مرة	الجمهورية	٢٥ أكتوبر ١٩٥٤
فى الأسبوع مرة	الجمهورية	٩ نوفمبر ١٩٥٤
بدأت صحافة الثورة ولا أدرى متى تكون النهاية	الجمهورية	٧ ديسمبر ١٩٥٤
فى الأسبوع مرة	الجمهورية	٢٠ ديسمبر ١٩٥٤
فى الأسبوع مرة	الجمهورية	٢٧ ديسمبر ١٩٥٤
فى الأسبوع مرة	الجمهورية	٣ يناير ١٩٥٥
الثورة والديمقراطية	الجمهورية	٤ يناير ١٩٥٥
الثورة والديمقراطية	الجمهورية	٦ يناير ١٩٥٥
الثورة والديمقراطية	الجمهورية	٧ يناير ١٩٥٥
الثورة والديمقراطية	الجمهورية	٨ يناير ١٩٥٥
الثورة والديمقراطية	الجمهورية	١٠ يناير ١٩٥٥
الثورة والديمقراطية	الجمهورية	١١ يناير ١٩٥٥
الصدفة هى التى جعلت نجيب يدخل ابواب التاريخ « قصة محمد نجيب كاملة »	الجمهورية	١٥ يناير ١٩٥٥
أول معركة انتصر فيها نجيب وهو لا يعلم حتى يوم ٢١ يولييه سنة ١٩٥٢	الجمهورية	١٦ يناير ١٩٥٥
كان نجيب فى بيته ينتظر حل أزمة نادى الضباط	الجمهورية	١٧ يناير ١٩٥٥
قصة الثورة والديمقراطية « كيف بدأت أحداث الليلة الأولى للثورة »	الجمهورية	١٩ يناير ١٩٥٥
قصة الثورة والديمقراطية « نجيب يروى بنفسه موقفه ليلة الثورة »	الجمهورية	٢٠ يناير ١٩٥٥

عنوان المقال	المصدر	تاريخ النشر
قصة الثورة والديمقراطية « الملك فاروق كلفنا بتأليف الوزارة يوم ٢٣ يوليو »	الجمهورية	٢١ يناير ١٩٥٥
قصة الثورة والديمقراطية « جمال يأمر بتحريك القوات إلى الاسكندرية لطرد فاروق »	الجمهورية	٢٢ يناير ١٩٥٥
قصة الثورة والديمقراطية « رصاصة واحدة انطلقت أمام رأس التين فجعلت بانهيار الملك »	الجمهورية	٢٤ يناير ١٩٥٥
قصة الثورة والديمقراطية « موقف الأحزاب والايخوان من الثورة قبل عزل الملك »	الجمهورية	٢٧ يناير ١٩٥٥
قصة الثورة والديمقراطية « موقف حزب الوفد من الثورة »	الجمهورية	٢٩ يناير ١٩٥٥
قصة الثورة والديمقراطية « كيف حددنا شهر فبراير ١٩٥٣ لاجراء الانتخابات »	الجمهورية	٣٠ يناير ١٩٥٥
قصة الثورة والديمقراطية « ماذا تم في اجتماع جمال عبد الناصر بفؤاد سراج الدين »	الجمهورية	٣١ يناير ١٩٥٥
إلى أين يا رجال العرب ؟ « صوت مصر صادر من أعماق شعوب العرب »	الجمهورية	أول فبراير ١٩٥٥
إلى أين يا رجال العرب « مهزلة المهازل في الشرق الأوسط »	الجمهورية	٢ فبراير ١٩٥٥
إلى أين يا رجال العرب « هل انتم مع شعوب العرب أم مع اسرائيل »	الجمهورية	٣ فبراير ١٩٥٥
إلى أين يا رجال العرب « دعوة إلى الموت »	الجمهورية	٥ فبراير ١٩٥٥
إلى أين يا رجال العرب « عار والله .. أيها الرؤساء »	الجمهورية	٦ فبراير ١٩٥٥

عنوان المقال	المصدر	تاريخ النشر
إلى أين يا رجال العرب « مدرسة الخيانة »	الجمهورية	٧ فبراير ١٩٥٥
احكموا يا عرب بينى وبين أبى	الجمهورية	٩ فبراير ١٩٥٥
قصة الثورة والديمقراطية « من يكون هؤلاء الضباط »	الجمهورية	٢٧ أبريل ١٩٥٥
قصة الثورة والديمقراطية « التطهير المزيف لأحزاب مصر »	الجمهورية	٢٨ أبريل ١٩٥٥
قصة الثورة والديمقراطية « ملك جديد و ٢١ زعيما »	الجمهورية	٢٩ أبريل ١٩٥٥
قصة الثورة والديمقراطية « سليمان حافظ أراد أن يحكم مصر »	الجمهورية	٣٠ أبريل ١٩٥٥
جمال	الجمهورية	٢ مايو ١٩٥٥
صيحة البطل	الجمهورية	٣ مايو ١٩٥٥
؟؟؟ « مقال بدون عنوان »	الجمهورية	٤ مايو ١٩٥٥
الثورة والديمقراطية	الجمهورية	٢٠ مايو ١٩٥٥
كل الطبقات ما عدا الآلهة	الجمهورية	٢٨ مايو ١٩٥٥
هذه الدار	الجمهورية	٢٣ يوليو ١٩٥٥
في الأسبوع مرة	الجمهورية	٨ أغسطس ١٩٥٥
في الأسبوع مرة	الجمهورية	١٥ أغسطس ١٩٥٥
في الأسبوع مرة	الجمهورية	٢٢ أغسطس ١٩٥٥
في الأسبوع مرة	الجمهورية	٢٩ أغسطس ١٩٥٥
في الأسبوع مرة	الجمهورية	٥ سبتمبر ١٩٥٥
في الأسبوع مرة	الجمهورية	١٢ سبتمبر ١٩٥٥
في الأسبوع مرة	الجمهورية	١٩ سبتمبر ١٩٥٥
في الأسبوع مرة	الجمهورية	٢٦ سبتمبر ١٩٥٥
التوازن الذى يتحدثون عنه	الجمهورية	٢٨ سبتمبر ١٩٥٥
قليلًا من الحكمة وشيئا من المنطق	الجمهورية	٢٩ سبتمبر ١٩٥٥
بل قليل من خجل أو شيء من الحياء	الجمهورية	٣٠ سبتمبر ١٩٥٥
راى	الجمهورية	٣٠ سبتمبر ١٩٥٥

عنوان المقال	المصدر	تاريخ النشر
ارادة شعب مصر . . لا ارادة الاجنبى	الجمهورية	اول اكتوبر ١٩٥٥
راى	الجمهورية	اول اكتوبر ١٩٥٥
راى	الجمهورية	٢ اكتوبر ١٩٥٥
راى	الجمهورية	٣ اكتوبر ١٩٥٥
فى الاسبوع مرة	الجمهورية	٣ اكتوبر ١٩٥٥
راى	الجمهورية	٥ اكتوبر ١٩٥٥
راى	الجمهورية	٦ اكتوبر ١٩٥٥
اصحوا من احلامكم ايها الفرسان	الجمهورية	٧ اكتوبر ١٩٥٥
راى	الجمهورية	٧ اكتوبر ١٩٥٥
راى	الجمهورية	٩ اكتوبر ١٩٥٥
فى الاسبوع مرة	الجمهورية	١٠ اكتوبر ١٩٥٥
راى	الجمهورية	١١ اكتوبر ١٩٥٥
راى	الجمهورية	١٢ اكتوبر ١٩٥٥
راى	الجمهورية	١٣ اكتوبر ١٩٥٥
راى	الجمهورية	١٤ اكتوبر ١٩٥٥
راى	الجمهورية	١٥ اكتوبر ١٩٥٥
راى	الجمهورية	١٦ اكتوبر ١٩٥٥
لماذا رفضت مصر المعونة العسكرية الامريكية	الجمهورية	١٧ اكتوبر ١٩٥٥
فى الاسبوع مرة	الجمهورية	١٧ اكتوبر ١٩٥٥
راى	الجمهورية	١٨ اكتوبر ١٩٥٥
الا تعتبرون	الجمهورية	١٩ اكتوبر ١٩٥٥
راى	الجمهورية	١٩ اكتوبر ١٩٥٥
بل الحقيقة كاملة	الجمهورية	٢٠ اكتوبر ١٩٥٥
راى	الجمهورية	٢٠ اكتوبر ١٩٥٥
راى	الجمهورية	٢١ اكتوبر ١٩٥٥
هذا الفراغ	الجمهورية	٢٢ اكتوبر ١٩٥٥
على حساب مصر	الجمهورية	٢٣ اكتوبر ١٩٥٥

عنوان المقال	المصدر	تاريخ النشر
راى	الجمهورية	٢٣ أكتوبر ١٩٥٥
فى الأسبوع مرة	الجمهورية	٢٤ أكتوبر ١٩٥٥
راى	الجمهورية	٢٥ أكتوبر ١٩٥٥
خطاب مفتوح إلى وزراء خارجية الدول الكبرى فى جنيف	الجمهورية	٢٧ أكتوبر ١٩٥٥
فى الأسبوع مرة	الجمهورية	٣١ أكتوبر ١٩٥٥
فى الأسبوع مرة	الجمهورية	٧ نوفمبر ١٩٥٥
قصة معارك الحدود (١)	الجمهورية	٨ نوفمبر ١٩٥٥
قصة معارك الحدود (٢)	الجمهورية	٩ نوفمبر ١٩٥٥
قصة معارك الحدود (٣)	الجمهورية	١٠ نوفمبر ١٩٥٥
راى	الجمهورية	١٠ نوفمبر ١٩٥٥
لوموا روسيا اما نحن فنشكرها	الجمهورية	١٢ نوفمبر ١٩٥٥
اللهم لا شماتة	الجمهورية	١٣ نوفمبر ١٩٥٥
فى الأسبوع مرة	الجمهورية	١٤ نوفمبر ١٩٥٥
راى	الجمهورية	١٥ نوفمبر ١٩٥٥
راى	الجمهورية	١٦ نوفمبر ١٩٥٥
راى	الجمهورية	١٧ نوفمبر ١٩٥٥
راى	الجمهورية	١٨ نوفمبر ١٩٥٥
راى	الجمهورية	١٩ نوفمبر ١٩٥٥
راى	الجمهورية	٢٠ نوفمبر ١٩٥٥
فى الأسبوع مرة	الجمهورية	٢١ نوفمبر ١٩٥٥
راى	الجمهورية	٢٢ نوفمبر ١٩٥٥
راى	الجمهورية	٢٣ نوفمبر ١٩٥٥
راى	الجمهورية	٢٤ نوفمبر ١٩٥٥
راى	الجمهورية	٢٥ نوفمبر ١٩٥٥
راى	الجمهورية	٢٦ نوفمبر ١٩٥٥
راى	الجمهورية	٢٧ نوفمبر ١٩٥٥
راى	الجمهورية	٢٨ نوفمبر ١٩٥٥

عنوان المقال	المصدر	تاريخ النشر
في الاسبوع مرة	الجمهورية	٢٨ نوفمبر ١٩٥٥
راى	الجمهورية	٢٩ نوفمبر ١٩٥٥
راى	الجمهورية	٣٠ نوفمبر ١٩٥٥
راى	الجمهورية	أول ديسمبر ١٩٥٥
شهدت أحداث الأردن (١)	الجمهورية	٢٤ ديسمبر ١٩٥٥
شهدت أحداث الأردن (٢)	الجمهورية	٢٥ ديسمبر ١٩٥٥
شهدت أحداث الأردن (٣)	الجمهورية	٢٦ ديسمبر ١٩٥٥
شهدت أحداث الأردن (٤)	الجمهورية	٢٧ ديسمبر ١٩٥٥
إلى أهلى فى السودان	الجمهورية	٣ يناير ١٩٥٦
يا سيد نورى يا أخا العرب	الجمهورية	٢٩ يناير ١٩٥٦
إذا اختلف الشريكان	الجمهورية	٦ فبراير ١٩٥٦
قصة الوحدة المظلومة (١)	الجمهورية	١٥ فبراير ١٩٥٦
الوحدة العربية المظلومة (٢)	الجمهورية	١٧ فبراير ١٩٥٦
« سمعت فى بغداد »		
قصة الوحدة المظلومة (٣)	الجمهورية	١٨ فبراير ١٩٥٦
« سياسة مصر .. وسياسة نورى »		
قصة الوحدة المظلومة (٤)	الجمهورية	١٩ فبراير ١٩٥٦
هل هو خلاف شخصى		
قصة الوحدة المظلومة (٥)	الجمهورية	٢١ فبراير ١٩٥٦
« ماذا يريد جمال »		
الوحدة العربية المظلومة (٦)	الجمهورية	٢٢ فبراير ١٩٥٦
« وبعد »		
الذكرى الأولى	الجمهورية	٢٤ فبراير ١٩٥٦
٢٨ فبراير ..	الجمهورية	٢٨ فبراير ١٩٥٦
سلمت يداك يا حسين	الجمهورية	٣ مارس ١٩٥٦
وثبة الأردن	الجمهورية	٤ مارس ١٩٥٦
لا .. يا مستر ايدن	الجمهورية	٧ مارس ١٩٥٦

عنوان المقال	المصدر	تاريخ النشر
أفيقوا	الجمهورية	٨ مارس ١٩٥٦
شيء .. غير الجامعة العربية	الجمهورية	١٠ مارس ١٩٥٦
ليست جمهورية أردنية	الجمهورية	١١ مارس ١٩٥٦
الجبهة المسلحة	الجمهورية	١٤ مارس ١٩٥٦
هيبة .. ولكنها سخرية	الجمهورية	١٧ مارس ١٩٥٦
القتلة	الجمهورية	٢ أبريل ١٩٥٦
حقائق .. يا رسول الأمن	الجمهورية	٦ أبريل ١٩٥٦
شعب مصر	الجمهورية	٨ أبريل ١٩٥٦
مؤامرة .. باسم الأمن	الجمهورية	٩ أبريل ١٩٥٦
الحزم	الجمهورية	١٠ أبريل ١٩٥٦
ليتك لنا	الجمهورية	١٧ أبريل ١٩٥٦
الاستعمار والبيان الروسي	الجمهورية	٢٤ أبريل ١٩٥٦
الاستعمار والعرب	الجمهورية	٢٥ أبريل ١٩٥٦
عزاء يا مستر ايدن	الجمهورية	٢٨ أبريل ١٩٥٦
الجلالويون	الجمهورية	٦ مايو ١٩٥٦
القرصان .. والحساب	الجمهورية	٧ مايو ١٩٥٦
يارب	الجمهورية	١٤ يونيو ١٩٥٦
دموع الفرع	الجمهورية	١٧ يونيو ١٩٥٦
الحق والقوة	الجمهورية	٢١ يونيو ١٩٥٦
الى اختشوا	الجمهورية	٢٩ يونيو ١٩٥٦
شعبان	الجمهورية	١ يوليو ١٩٥٦
عدنا يا صلاح الدين	الجمهورية	١١ يوليو ١٩٥٦
بل انتصار للعرب	الجمهورية	١٧ يوليو ١٩٥٦
وبعد	الجمهورية	٢١ يوليو ١٩٥٦
يا خالى وولد الخال	الجمهورية	٢٣ يوليو ١٩٥٦
الأمريكانى المضحك	الجمهورية	٢٤ يوليو ١٩٥٦
فأر البحرين	الجمهورية	٢٦ يوليو ١٩٥٦

عنوان المقال	المصدر	تاريخ النشر
قادر وفاجر	الجمهورية	٢٨ يوليو ١٩٥٦
التار .. التار	الجمهورية	٢٩ يوليو ١٩٥٦
احتار دليلى	الجمهورية	٣٠ يوليو ١٩٥٦
خطة القراصنة	الجمهورية	٣١ يوليو ١٩٥٦
تيجى تصيده يصيدك	الجمهورية	أول أغسطس ١٩٥٦
انبشوا قبورككم	الجمهورية	٢ أغسطس ١٩٥٦
مستر دالاس	الجمهورية	٣ أغسطس ١٩٥٦
منطق البلطجية	الجمهورية	٤ أغسطس ١٩٥٦
ثم	الجمهورية	٥ أغسطس ١٩٥٦
إلى دول العالم وحكوماته	الجمهورية	٦ أغسطس ١٩٥٦
شركة ذات سيادة	الجمهورية	٧ أغسطس ١٩٥٦
نصرنا الله وسننصره	الجمهورية	٨ أغسطس ١٩٥٦
أرقام	الجمهورية	٩ أغسطس ١٩٥٦
عملاق وقزم	الجمهورية	١٠ أغسطس ١٩٥٦
لا .. يا شيخ	الجمهورية	١١ أغسطس ١٩٥٦
شرق .. وغرب	الجمهورية	١٢ أغسطس ١٩٥٦
عملاق من أوروبا	الجمهورية	١٣ أغسطس ١٩٥٦
شرق .. وغرب	الجمهورية	١٤ أغسطس ١٩٥٦
أخى فى الشرق	الجمهورية	١٥ أغسطس ١٩٥٦
العار .. يا كبار	الجمهورية	١٦ أغسطس ١٩٥٦
إذا اتفق اللسان	الجمهورية	١٧ أغسطس ١٩٥٦
شئ جميل	الجمهورية	١٨ أغسطس ١٩٥٦
شرق وغرب	الجمهورية	١٩ أغسطس ١٩٥٦
البلطجى الأبيض	الجمهورية	٢٠ أغسطس ١٩٥٦
العقل زينة	الجمهورية	٢١ أغسطس ١٩٥٦
وبقية المضايق	الجمهورية	٢٢ أغسطس ١٩٥٦
كذاب أشر	الجمهورية	٢٣ أغسطس ١٩٥٦

عنوان المقال	المصدر	تاريخ النشر
واخيرا	الجمهورية	٢٤ أغسطس ١٩٥٦
مأساة خلقية	الجمهورية	٢٥ أغسطس ١٩٥٦
شرق وغرب	الجمهورية	٢٦ أغسطس ١٩٥٦
ضوء على المعركة	الجمهورية	٢٧ أغسطس ١٩٥٦
التفرقة سلاح الاستعمار	الجمهورية	٢٨ أغسطس ١٩٥٦
كفى سخرية	الجمهورية	٢٩ أغسطس ١٩٥٦
لا .. لاه	الجمهورية	٣٠ أغسطس ١٩٥٦
امبراطورية الحماقات	الجمهورية	٣١ أغسطس ١٩٥٦
تهديد النعامة	الجمهورية	أول سبتمبر ١٩٥٦
إلى المستر منزيس	الجمهورية	٢ سبتمبر ١٩٥٦
.. فالمصيبة اكبر	الجمهورية	٣ سبتمبر ١٩٥٦
عدم المؤاخذه	الجمهورية	٤ سبتمبر ١٩٥٦
حسنة وانا سيدك	الجمهورية	٥ سبتمبر ١٩٥٦
وراك .. وراك	الجمهورية	٦ سبتمبر ١٩٥٦
سفه .. وبلاهة	الجمهورية	٧ سبتمبر ١٩٥٦
ضوء على الموقف	الجمهورية	٨ سبتمبر ١٩٥٦
قل للمستر إيدن	الجمهورية	٩ سبتمبر ١٩٥٦
... من كلامهم	الجمهورية	١٠ سبتمبر ١٩٥٦
قولوها بصراحة	الجمهورية	١١ سبتمبر ١٩٥٦
يا حول الله	الجمهورية	١٢ سبتمبر ١٩٥٦
جمعية اعلان الحرب	الجمهورية	١٣ سبتمبر ١٩٥٦
درس في الاخلاق	الجمهورية	١٤ سبتمبر ١٩٥٦
حقيقة المناورة	الجمهورية	١٥ سبتمبر ١٩٥٦
الف مبروك	الجمهورية	١٦ سبتمبر ١٩٥٦
أخرج يا رجل	الجمهورية	١٧ سبتمبر ١٩٥٦
أخرج يا رجل	الجمهورية	١٨ سبتمبر ١٩٥٦
الكلاب تنبح والقافلة تسير	الجمهورية	١٩ سبتمبر ١٩٥٦

عنوان المقال	المصدر	تاريخ النشر
تعاون = نعم .. فرض ارادة = لا ه	الجمهورية	٢٠ سبتمبر ١٩٥٦
عودة الغائب	الجمهورية	٢١ سبتمبر ١٩٥٦
انصح .. ولا اشميت	الجمهورية	٢٢ سبتمبر ١٩٥٦
ريمة .. وعادتها القديمة	الجمهورية	٢٦ سبتمبر ١٩٥٦
النقط على الحروف	الجمهورية	٢٧ سبتمبر ١٩٥٦
لا .. يا « ايك »	الجمهورية	٢٨ سبتمبر ١٩٥٦
شرق .. وغرب	الجمهورية	٢٩ سبتمبر ١٩٥٦
خناقة الاب والدادة	الجمهورية	٣ اكتوبر ١٩٥٦
الخيبة الثقيلة	الجمهورية	٤ اكتوبر ١٩٥٦
ودنك منين يا جحا	الجمهورية	٥ اكتوبر ١٩٥٦
تنابلة السلطان	الجمهورية	٦ اكتوبر ١٩٥٦
كفاية فضائح يا ناس	الجمهورية	٧ اكتوبر ١٩٥٦
راى	الجمهورية	٨ اكتوبر ١٩٥٦
راى	الجمهورية	١٠ اكتوبر ١٩٥٦
راى	الجمهورية	١١ اكتوبر ١٩٥٦
راى	الجمهورية	١٢ اكتوبر ١٩٥٦
لبنان .. وجزاء سنمار	الجمهورية	١٣ اكتوبر ١٩٥٦
النفخة الكذابة	الجمهورية	١٤ اكتوبر ١٩٥٦
ما الذى حدث ؟	الجمهورية	١٥ اكتوبر ١٩٥٦
راى	الجمهورية	١٧ اكتوبر ١٩٥٦
راى	الجمهورية	١٨ اكتوبر ١٩٥٦
راى	الجمهورية	١٩ اكتوبر ١٩٥٦
سكتنا له .. دخل بجماره	الجمهورية	٢٠ اكتوبر ١٩٥٦
اتركوا الاردن .. او الطوفان	الجمهورية	٢١ اكتوبر ١٩٥٦
حاجة تحير	الجمهورية	٢٢ اكتوبر ١٩٥٦
لا تضحكوا	الجمهورية	٢٤ اكتوبر ١٩٥٦
موليه الجبار	الجمهورية	٢٥ اكتوبر ١٩٥٦

عنوان المقال	المصدر	تاريخ النشر
العالم .. الحر	الجمهورية	٢٦ أكتوبر ١٩٥٦
ذكريات	الجمهورية	٢٧ أكتوبر ١٩٥٦
أسماء .. وحقيقة	الجمهورية	٢٨ أكتوبر ١٩٥٦
رأس الأفعى	الجمهورية	٢٩ أكتوبر ١٩٥٦
.. والبادى اظلم	الجمهورية	٣٠ أكتوبر ١٩٥٦
عدوان الكبار	الجمهورية	أول نوفمبر ١٩٥٦
معركة الثار	الجمهورية	٢ نوفمبر ١٩٥٦
مجرم الحرب	الجمهورية	٣ نوفمبر ١٩٥٦
العبد فى التفكير والرب فى التدبير	الجمهورية	٤ نوفمبر ١٩٥٦
معركة شرفنا	الجمهورية	٥ نوفمبر ١٩٥٦
اصمدوا بشراسة	الجمهورية	٦ نوفمبر ١٩٥٦
قسم	الجمهورية	٧ نوفمبر ١٩٥٦
الثار	الجمهورية	٨ نوفمبر ١٩٥٦
قصة المجرم الخسران	الجمهورية	٩ نوفمبر ١٩٥٦
تجربة	الجمهورية	١٠ نوفمبر ١٩٥٦
سبحانك ربى	الجمهورية	١١ نوفمبر ١٩٥٦
الكوميديا القذرة	الجمهورية	١٢ نوفمبر ١٩٥٦
يدعو إلى الاحتفاظ	الجمهورية	١٤ نوفمبر ١٩٥٦
الشاطر بينو	الجمهورية	١٥ نوفمبر ١٩٥٦
... يشتم السلطان	الجمهورية	١٦ نوفمبر ١٩٥٦
نريد الحساب	الجمهورية	١٧ نوفمبر ١٩٥٦
روسيا وأمريكا	الجمهورية	١٨ نوفمبر ١٩٥٦
العالم اليوم	الجمهورية	١٩ نوفمبر ١٩٥٦
وخارت قواه	الجمهورية	٢١ نوفمبر ١٩٥٦
والآن	الجمهورية	٢٢ نوفمبر ١٩٥٦
المبادئ الستة	الجمهورية	٢٣ نوفمبر ١٩٥٦
نقطة البدء	الجمهورية	٢٤ نوفمبر ١٩٥٦

عنوان المقال	المصدر	تاريخ النشر
لا .. يا أمريكا	الجمهورية	٢٥ نوفمبر ١٩٥٦
سوريا بعد مصر	الجمهورية	٣٠ نوفمبر ١٩٥٦
خونة أو شيوعيون	الجمهورية	أول ديسمبر ١٩٥٦
الدكتاتور الصغير	الجمهورية	٢ ديسمبر ١٩٥٦
القسوة المسعورة	الجمهورية	٣ ديسمبر ١٩٥٦
املكار	الجمهورية	٥ ديسمبر ١٩٥٦
ابن آوى	الجمهورية	٦ ديسمبر ١٩٥٦
سلام الاحرار	الجمهورية	٧ ديسمبر ١٩٥٦
.. ونالت الثقة	الجمهورية	٨ ديسمبر ١٩٥٦
لن نجامل	الجمهورية	٩ ديسمبر ١٩٥٦
عقدة النقص	الجمهورية	١٠ ديسمبر ١٩٥٦
حكاية الفراغ	الجمهورية	١٢ ديسمبر ١٩٥٦
سنكره .. ونحتقر	الجمهورية	٢٤ ديسمبر ١٩٥٦
بورسعيد وجمال	الجمهورية	٢٦ ديسمبر ١٩٥٦
انتحار أوروبا	الجمهورية	٢٧ ديسمبر ١٩٥٦
اللعب بالنار	الجمهورية	٢٩ ديسمبر ١٩٥٦
انسحاب النعامة	الجمهورية	٣٠ ديسمبر ١٩٥٦
الحرب الوقائية	الجمهورية	٣١ ديسمبر ١٩٥٦
وما خفى كان أعظم	الجمهورية	٣ يناير ١٩٥٧
أهلا .. بسوريا	الجمهورية	٤ يناير ١٩٥٧
حكم التاريخ	الجمهورية	٥ يناير ١٩٥٧
مارايكم ؟..	الجمهورية	٦ يناير ١٩٥٧
مشكلة الشرق الأوسط	الجمهورية	٧ يناير ١٩٥٧
حقيقة العدوان	الجمهورية	٩ يناير ١٩٥٧
إلى حيث القت	الجمهورية	١٠ يناير ١٩٥٧
وهذا العدوان	الجمهورية	١١ يناير ١٩٥٧
فلتسقط الجمهورية الرابعة	الجمهورية	١٢ يناير ١٩٥٧
عاقبة الاستهتار	الجمهورية	١٣ يناير ١٩٥٧

عنوان المقال	المصدر	تاريخ النشر
حكام .. وليست الشعوب	الجمهورية	١٤ يناير ١٩٥٧
بالعربي الفصيح	الجمهورية	١٦ يناير ١٩٥٧
واهب الأرزاق	الجمهورية	١٧ يناير ١٩٥٧
هل نلغى عقولنا	الجمهورية	١٨ يناير ١٩٥٧
الالغاز والأحاجي	الجمهورية	١٩ يناير ١٩٥٧
أبو جهل	الجمهورية	٢٠ يناير ١٩٥٧
التضامن العربي	الجمهورية	٢١ يناير ١٩٥٧
الدلع	الجمهورية	٢٣ يناير ١٩٥٧
فما رأي أمريكا	الجمهورية	٢٤ يناير ١٩٥٧
ولماذا الحماس ؟	الجمهورية	٢٥ يناير ١٩٥٧
يريدون الحرب	الجمهورية	٢٦ يناير ١٩٥٧
حكمة الخوف	الجمهورية	٢٧ يناير ١٩٥٧
افادكم الله	الجمهورية	٢٨ يناير ١٩٥٧
أمر عجيب	الجمهورية	٣٠ يناير ١٩٥٧
كلمة الحق	الجمهورية	٣١ يناير ١٩٥٧
لعنة إسرائيل	الجمهورية	أول فبراير ١٩٥٧
سخرية	الجمهورية	٢ فبراير ١٩٥٧
الخضوع .. والهزيمة	الجمهورية	٣ فبراير ١٩٥٧
لا عقل .. ولا منطق .. ولا قانون	الجمهورية	٤ فبراير ١٩٥٧
جرائم	الجمهورية	٦ فبراير ١٩٥٧
الشحانة .. كيميا	الجمهورية	٧ فبراير ١٩٥٧
نحن نعرف	الجمهورية	٨ فبراير ١٩٥٧
أسطورة المبادئ والأصدقاء	الجمهورية	٩ فبراير ١٩٥٧
غباء .. وبجاجة	الجمهورية	١٠ فبراير ١٩٥٧
غموض .. وتردد	الجمهورية	١١ فبراير ١٩٥٧
لها صاحب ..	الجمهورية	١٢ فبراير ١٩٥٧
تابع هزيل ..	الجمهورية	١٤ فبراير ١٩٥٧
هذا الغموض	الجمهورية	١٥ فبراير ١٩٥٧

عنوان المقال	المصدر	تاريخ النشر
بجاجة	الجمهورية	١٦ فبراير ١٩٥٧
من كتابهم	الجمهورية	١٧ فبراير ١٩٥٧
المراسيل	الجمهورية	١٨ فبراير ١٩٥٧
خفيف الظل .. والسلام	الجمهورية	٢٠ فبراير ١٩٥٧
اين هي المشكلة	الجمهورية	٢١ فبراير ١٩٥٧
المبادئ والأصدقاء	الجمهورية	٢٢ فبراير ١٩٥٧
مرة أخرى	الجمهورية	٢٣ فبراير ١٩٥٧
المتعوس وخايب الرجا	الجمهورية	٢٤ فبراير ١٩٥٧
تحية عربية	الجمهورية	٢٥ فبراير ١٩٥٧
ولا تشمت بنا الأعداء	الجمهورية	٢٧ فبراير ١٩٥٧
على هامش البيان	الجمهورية	٢٨ فبراير ١٩٥٧
ماذا يريد العرب	الجمهورية	اول مارس ١٩٥٧
ماذا يريد العرب	الجمهورية	٢ مارس ١٩٥٧
ماذا يريد العرب	الجمهورية	٣ مارس ١٩٥٧
ماذا يريد العرب	الجمهورية	٤ مارس ١٩٥٧
ماذا يريد العرب	الجمهورية	٥ مارس ١٩٥٧
ماذا يريد العرب	الجمهورية	٦ مارس ١٩٥٧
ماذا يريد العرب	الجمهورية	٧ مارس ١٩٥٧
والآن	الجمهورية	٨ مارس ١٩٥٧
خلق السياسة	الجمهورية	٩ مارس ١٩٥٧
حكاية القناة	الجمهورية	١٠ مارس ١٩٥٧
قالوا	الجمهورية	١١ مارس ١٩٥٧
لا يمكن أبدا	الجمهورية	١٢ مارس ١٩٥٧
هل هي مجاملة	الجمهورية	١٣ مارس ١٩٥٧
لمصلحة من	الجمهورية	١٤ مارس ١٩٥٧
المتاعب .. واثارتها	الجمهورية	١٥ مارس ١٩٥٧
الوهم الكبير	الجمهورية	١٦ مارس ١٩٥٧

عنوان المقال	المصدر	تاريخ النشر
ضربة معلم	الجمهورية	١٧ مارس ١٩٥٧
ابشر بطول سلامة يا مربع	الجمهورية	١٨ مارس ١٩٥٧
دور الملك حسين في التمثيلية	الجمهورية	١٣ يونيه ١٩٥٧
لساذا يصر الملك حسين على اختراع معركة وهية مع مصر ؟	الجمهورية	١٤ يونيه ١٩٥٧
المؤامرة ليست لاغتيال الملك	الجمهورية	١٥ يونيه ١٩٥٧
كيف تم اختيار المرشحين	الجمهورية	١٩ يونيه ١٩٥٧
صفقة الفواصات الجديدة	الجمهورية	٢٩ يونيه ١٩٥٧
لا تخجل ابدا	الجمهورية	٢٨ يوليو ١٩٥٧
الحر .. جدا	الجمهورية	٢٩ يوليو ١٩٥٧
قصة ضمير	الجمهورية	٣١ يوليو ١٩٥٧
حرب فلسطين في خطاب الرئيس	الجمهورية	اول اغسطس ١٩٥٧
التضامن العربى واعوان الاستعمار	الجمهورية	٢ اغسطس ١٩٥٧
الثلاثة الاكرمون	الجمهورية	٣ اغسطس ١٩٥٧
خطط الشيطان	الجمهورية	٤ اغسطس ١٩٥٧
صوت اسياده	الجمهورية	٥ اغسطس ١٩٥٧
قرارات فى الظلام	الجمهورية	٧ اغسطس ١٩٥٧
زعماء العصاة	الجمهورية	٨ اغسطس ١٩٥٧
المبادئ والاصدقاء ايضا	الجمهورية	١٠ اغسطس ١٩٥٧
دالاس يفضح سياسة دالاس	الجمهورية	١١ اغسطس ١٩٥٧
درس الثأر	الجمهورية	١٢ اغسطس ١٩٥٧
الطائش المريب	الجمهورية	١٤ اغسطس ١٩٥٧
وشهد شاهد	الجمهورية	١٥ اغسطس ١٩٥٧
ماذا تريد أمريكا	الجمهورية	١٦ اغسطس ١٩٥٧
أمريكا والسلام	الجمهورية	١٧ اغسطس ١٩٥٧
أخ .. وصديق .. وعزيز	الجمهورية	١٨ اغسطس ١٩٥٧
نقل الكراهية	الجمهورية	١٩ اغسطس ١٩٥٧
الأخطاء المركبة	الجمهورية	٢١ اغسطس ١٩٥٧

عنوان المقال	المصدر	تاريخ النشر
هل تعرف أمريكا	الجمهورية	٢٢ أغسطس ١٩٥٧
مأساة محزنة	الجمهورية	٢٣ أغسطس ١٩٥٧
المهرج الكبير	الجمهورية	٢٤ أغسطس ١٩٥٧
ورق محروق	الجمهورية	٢٥ أغسطس ١٩٥٧
دكتاتور أمريكا	الجمهورية	٢٦ أغسطس ١٩٥٧
عبث الديكتاتور	الجمهورية	٢٨ أغسطس ١٩٥٧
الكلام . . والافعال	الجمهورية	٢٩ أغسطس ١٩٥٧
اول المهنيين	الجمهورية	٣٠ أغسطس ١٩٥٧
الثمن	الجمهورية	٣١ أغسطس ١٩٥٧
سياسة العزلة	الجمهورية	أول سبتمبر ١٩٥٧
مبدأ الخسارة	الجمهورية	٢ سبتمبر ١٩٥٧
على الرمال	الجمهورية	٤ سبتمبر ١٩٥٧
مأساة الاستجداء	الجمهورية	٥ سبتمبر ١٩٥٧
الذي يهددهم	الجمهورية	٦ سبتمبر ١٩٥٧
المقامر المغرور	الجمهورية	٧ سبتمبر ١٩٥٧
تسجيل فقط	الجمهورية	٨ سبتمبر ١٩٥٧
تحرش واستفزاز	الجمهورية	٩ سبتمبر ١٩٥٧
معالم الطريق	الجمهورية	١٠ سبتمبر ١٩٥٧
مؤاخاة اسرائيل	الجمهورية	١١ سبتمبر ١٩٥٧
لن نخدع	الجمهورية	١٢ سبتمبر ١٩٥٧
نريد الحقيقة	الجمهورية	١٣ سبتمبر ١٩٥٧
الليلة والبارحة	الجمهورية	١٤ سبتمبر ١٩٥٧
معنى الاتحاد القومى	الجمهورية	١٤ مايو ١٩٥٨
معنى الاتحاد القومى « كيف حدثت المعجزة »	الجمهورية	١٥ مايو ١٩٥٨

عنوان المقال	المصدر	تاريخ النشر
الحبيب العائد	الجمهورية	١٦ مايو ١٩٥٨
معنى الاتحاد القومى	الجمهورية	١٨ مايو ١٩٥٨
صداقة أمريكا	الجمهورية	١٩ مايو ١٩٥٨
رجعت ريمة	الجمهورية	٢٢ مايو ١٩٥٨
يسارب	الجمهورية	٢١ فبراير ١٩٥٩

مراجع البحث

١ - الصحف والمجلات

الصحف والمجلات التي كتب فيها أنور السادات :

- ١ - جريدة الجمهورية : من ٧ ديسمبر ١٩٥٣ إلى ٢٤ أبريل ١٩٥٩
- ٢ - مجلة التحرير : من أول يناير ١٩٥٤ إلى ٢١ أبريل ١٩٥٩
- ٣ - مجلة المصور : يوليو وأغسطس ١٩٤٨
- ٤ - مجلة أهل الفن : ١٢ أبريل ١٩٥٤

الصحف والمجلات الأخرى :

- ٥ - الأهرام : ٢١ أغسطس ١٩٥٢
- ٦ - الأهرام : ١١ فبراير ١٩٥٣
- ٧ - الأهرام : ٢٠ مارس ١٩٥٣
- ٨ - الأهرام : ٩ سبتمبر ١٩٥٧
- ٩ - الأهرام : ٧ فبراير ١٩٦٧
- ١٠ - الأهرام : ٩ نوفمبر ١٩٧٥
- ١١ - الأهرام : ٢١ نوفمبر ١٩٧٥
- ١٢ - الأهرام : ٢٦ ديسمبر ١٩٧٥
- ١٣ - الأهرام : ٨ يناير ١٩٧٦
- ١٤ - الشعب : ٤ يونيو ١٩٥٦
- ١٥ - الشعب : ٩ يونيو ١٩٥٦
- ١٦ - الشعب : ١٤ يونيو ١٩٥٦
- ١٧ - الشعب : أول يوليو ١٩٥٦
- ١٨ - الشعب : ٢٣ يوليو ١٩٥٦

- ١٩ — المساء : ٦ أكتوبر ١٩٥٦
٢٠ — المساء : ٨ أكتوبر ١٩٥٦
٢١ — المساء : ١٠ أكتوبر ١٩٥٦
٢٢ — المساء : ١١ أكتوبر ١٩٥٦
٢٣ — المصري : أول أغسطس ١٩٥٢
٢٤ — المصري : ٧ أغسطس ١٩٥٢
٢٥ — المصري : ٨ أغسطس ١٩٥٢
٢٦ — المصري : ١٢ أغسطس ١٩٥٧
٢٧ — المصري : ١٤ أغسطس ١٩٥٢
٢٨ — المصري : ١٦ أغسطس ١٩٥٢
٢٩ — المصري : ٦ سبتمبر ١٩٥٢
٣٠ — المصري : ١٧ سبتمبر ١٩٥٢
٣١ — المصري : ١٩ سبتمبر ١٩٥٢
٣٢ — المصري : ٩ يناير ١٩٥٣
٣٣ — المصري : ٢٣ يناير ١٩٥٣
٣٤ — المصري : ٦ مارس ١٩٥٤
٣٥ — المصري : ١٠ مارس ١٩٥٤
٣٦ — المصري : ١١ مارس ١٩٥٤
٣٧ — المصري : ١٢ مارس ١٩٥٤
٣٨ — المصري : ١٥ مارس ١٩٥٤
٣٩ — المصري : ٢١ مارس ١٩٥٤
٤٠ — المصري : ٢٢ مارس ١٩٥٤
٤١ — المصري : ٢٦ مارس ١٩٥٤
٤٢ — المصري : ٣٠ مارس ١٩٥٤
٤٣ — روز اليوسف : ٨ مارس ١٩٥٤
٤٤ — روز اليوسف : ٢٢ مارس ١٩٥٤

٢ — الكتب والدراسات العربية

- ٤٥ — ابراهيم بيومى محكور (وآخرون) : أحمد أمين بقلمه وقلم
أصدقائه — لجنة التأليف والترجمة والنشر — القاهرة — ١٩٥٥
- ٤٦ — أحمد بهاء الدين : الاستعمار الجديد أو مشروع النقطة الرابعة
الأمريكية — بدون اسم الناشر — القاهرة — ١٩٥١
- ٤٧ — أحمد حمروش : قصة ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ — الجزء الأول —
مصر والعسكريون — المؤسسة العربية للدراسات والنشر — بيروت
— ١٩٧٤
- ٤٨ — أحمد حمروش : قصة ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ — الجزء الثانى (مجتمع
جمال عبد الناصر) — المؤسسة العربية للدراسات والنشر —
بيروت — ١٩٧٥
- ٤٩ — أحمد عطية الله : القاموس السياسى — دار النهضة العربية —
القاهرة — ١٩٦٨
- ٥٠ — آرسكين تشيلدرز : الطريق الى السويس — تعريب خيرى حماد —
الدار القومية للطباعة والنشر — القاهرة ١٩٦٢
- ٥١ — أنور السادات : يا ولدى هذا عمك جمال — الشركة المصرية للطباعة
والنشر — القاهرة — ١٩٧٢
- ٥٢ — أنيس صايغ : الفكرة العربية فى مصر — مطبعة هيك الغريب —
بيروت — ١٩٥٩
- ٥٣ — باتريك أوبريان : ثورة النظام الاقتصادى فى مصر من المشروعات
الخاصة الى الاشتراكية — تعريب خيرى حماد — الهيئة العامة
للتأليف والنشر — القاهرة — ١٩٧٠
- ٥٤ — بطرس بطرس غالى : الأحلاف العسكرية — ملحق الأهرام
الاقتصادى — عدد أول نوفمبر ١٩٦٥
- ٥٥ — بول جونسون : حرب السويس — بدون اسم المترجم — دار
المعارف — القاهرة — ١٩٥٧
- ٥٦ — جلال الدين الحمامى : من الخبر إلى الموضوع الصحفى — دار
المعارف — القاهرة — ١٩٦٥

- ٥٧ — جمال حمدان : شخصية مصر ، دراسة في عبقرية المكان — كتاب الهلال — القاهرة — ١٩٦٧
- ٥٨ — جمال عبد الناصر : فلسفة الثورة — مكتبة العرفان — بيروت — بدون تاريخ .
- ٥٩ — جورج فوشيه : جمال عبد الناصر في طريق الثورة — تعريب نجده هاجر وسعيد الغز — المكتب التجاري — بيروت — ١٩٦٠
- ٦٠ — حازم نسييه : القومية العربية — ترجمة عبد اللطيف شراره — دار بيروت للطباعة والنشر — بيروت — ١٩٥٩
- ٦١ — حسنين عبد القادر : تاريخ الصحافة المصرية في مائة وستين عاما — بدون اسم الناشر — القاهرة — ١٩٥٨
- ٦٢ — دورين وارنر : الاصلاح الزراعى والانماء فى الشرق الاوسط — تعريب خيرى حماد — سلسلة كتب إقرأ — العدد ١٥٩
- ٦٣ — راشد البراوى : من حلف بغداد إلى الحلف الاسلامى — مكتبة النهضة — القاهرة — ١٩٦٦
- ٦٤ — ر. ك. كارنجيا : كيف نجح عبد الناصر — تعريب خيرى حماد — دار المعارف — القاهرة — ١٩٦٤
- ٦٥ — ساطع الحصرى : آراء وأحاديث فى الوطنية والقومية — مطبعة الرسالة — القاهرة — ١٩٤٤
- ٦٦ — ساطع الحصرى : ما هى القومية — دار العلم للملايين — بيروت — ١٩٥٩
- ٦٧ — شهدى عطيه الشافعى — الحركة الوطنية المصرية ١٨٨٢ — ١٩٥٦ — الدار المصرية للكتب — القاهرة — ١٩٥٧
- ٦٨ — طارق البشرى : الحركة السياسية فى مصر (١٩٤٥ — ١٩٥٢) — الهيئة المصرية العامة للكتاب — القاهرة — ١٩٧٢
- ٦٩ — طارق البشرى : الديمقراطية والناصرية — دار الثقافة الجديدة — القاهرة — ١٩٧٥
- ٧٠ — عبد الرحمن الرافعى : ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، تاريخنا القومى فى سبع سنوات ١٩٥٢ — ١٩٥٩ — مكتبة النهضة المصرية — القاهرة — ١٩٥٩

- ٧١ — عبد العزيز الدورى : الجذور التاريخية للقومية العربية — دار العلم للملايين — بيروت — ١٩٦٠
- ٧٢ — عبد العظيم رمضان : الصراع الاجتماعى والسياسى فى مصر منذ قيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ إلى نهاية أزمة مارس ١٩٥٤ — مكتبة مدبولى — القاهرة — ١٩٧٥
- ٧٣ — عبد العظيم رمضان : تطور الحركة الوطنية فى مصر من سنة ١٩٣٧ إلى سنة ١٩٤٨ — دار الوطن العربى — بيروت — بدون تاريخ .
- ٧٤ — عبد اللطيف حمزة — المدخل فى فن التحرير الصحفى — دار الفكر العربى — القاهرة — ١٩٦٥
- ٧٥ — فاروق أبو زيد : أزمة الفكر القومى فى الصحافة المصرية — دار الفكر والفن — القاهرة — ١٩٧٦
- ٧٦ — فؤاد دواره : أحلاف العدوان الأمريكية — المؤسسة العامة للتأليف والنشر — القاهرة — ١٩٦٧
- ٧٧ — فؤاد مطر : بصراحة عن عبد الناصر (حوار مع محمد حسنين هيكل) دار القضايا — بيروت — ١٩٧٥
- ٧٨ — كارل ماركس : الحرب الأهلية فى فرنسا — دار التقدم — موسكو — ١٩٦٣
- ٧٩ — كمال الدين رفعت : حرب التحرير الوطنية بين الغاء معاهدة ١٩٣٦ والغاء اتفاقية ١٩٥٤ (مذكرات) — اعداد مصطفى طيبة — دار الكاتب العربى — القاهرة — ١٩٦٨
- ٨٠ — لينين : المختارات — المجلد الثالث — الجزء الأول — دار التقدم — موسكو — ١٩٦٧
- ٨١ — مايلز كوبلاند : لعبة الأمم — تعريب مروان خير — الانترناشيونال سنتر — بيروت — ١٩٧٠
- ٨٢ — محمد أنيس والسيد رجب حراز : ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ وأصولها التاريخية — دار النهضة العربية — القاهرة — ١٩٦٥
- ٨٣ — محمد أنيس والسيد رجب حراز : التطور السياسى للمجتمع المصرى الحديث — دار النهضة العربية — القاهرة — ١٩٧٢

- ٨٤ — محمد حسنين هيكل : العقد النفسية التى تحكم الشرق الأوسط —
الشركة المصرية للطباعة والنشر — القاهرة — ١٩٥٨
- ٨٥ — محمد حسنين هيكل : أزمة المثقفين — الشركة العربية المتحدة
للتوزيع — القاهرة — ١٩٦١
- ٨٦ — محمد حسنين هيكل : خبايا السويس — دار العصر الحديث —
القاهرة — ١٩٦٧
- ٨٧ — محمد حسنين هيكل : نحن وأمريكا — دار العصر الحديث —
القاهرة — ١٩٦٧
- ٨٨ — محمد حسنين هيكل : عبد الناصر والعالم — دار النهار للنشر —
بيروت — ١٩٧٢
- ٨٩ — محمد خليل جباره — السد العالى ونتائجه الاقتصادية والاجتماعية
(رسالة دكتوراه) — كلية الآداب — جامعة القاهرة — ١٩٧٢
- ٩٠ — محمد ثوقى زكى : الاخوان المسلمون والمجتمع المصرى — مكتبة
وهبه — القاهرة — ١٩٥٤
- ٩١ — محمد عبد الرحمن برج : الأهمية السياسية والاستراتيجية لقناة
السويس وأثرها على العلاقات المصرية البريطانية (رسالة دكتوراه)
كلية الآداب — جامعة القاهرة — ١٩٦٠
- ٩٢ — محمد عزه دروزه : الوحدة العربية — المكتب التجارى للطبع
والنشر — بيروت — ١٩٥٨
- ٩٣ — محمد عوض محمد : الاستعمار والمذاهب الاستعمارية — دار
المعارف — القاهرة — ١٩٥٧
- ٩٤ — محمد فؤاد شكرى ومحمد أنيس والسيد رجب حراز : نصوص
ووثائق فى التاريخ الحديث والمعاصر — مكتبة الانجلو المصرية —
القاهرة — بدون تاريخ .
- ٩٥ — محمد مصطفى صفوت : إنجلترا وقناة السويس ١٨٥٤ — ١٩٥١ —
مطابع رمسيس — الاسكندرية — ١٩٥٢

- ٩٦ — محمد نجيب : كلمتى للتاريخ (مذكرات) — بدون اسم الناشر وبدون تاريخ .
- ٩٧ — محمود أمين العالم (وآخرون) : ٢٣ يوليو ، خمسة أبعاد — دار القدس — بيروت — ١٩٧٤
- ٩٨ — محمود فهمى : الفن الصحفى فى العالم — دار المعارف — القاهرة — ١٩٦٤
- ٩٩ — موسى عرفه : السد العالى — دار المعارف — القاهرة — ١٩٦٥
- ١٠٠ — نبيل راغب : انور السادات رائدا للتأصيل الفكرى — دار المعارف — القاهرة — ١٩٧٥
- ١٠١ — والترلاكور : الاتحاد السوفيتى فى الشرق الاوسط — تعريب مجموعة من الاساتذة — المكتب التجارى للطبع والتوزيع والنشر — بيروت — ١٩٥٩
- ١٠٢ — وسيم خالد : الكفاح السرى ضد الانجليز — تقديم انور السادات — الاتحاد الاشتراكى العربى — القاهرة — ١٩٦٣

الموسوعات :

- ١٠٣ — الموسوعة السياسية — المؤسسة العربية للدراسات والنشر — بيروت — ١٩٧٤
- ١٠٤ — الموسوعة العربية — دار الريحان للطبع والنشر — بيروت — ١٩٥٥

الوثائق :

- ١٠٥ — القضية المصرية ١٨٨٢ — ١٩٥٤ — وثائق المفاوضات المصرية البريطانية — أصدرتها الحكومة المصرية — المطبعة الأميرية — القاهرة — ١٩٥٤
- ١٠٦ — مجموعة خطب جمال عبد الناصر — الهيئة العامة للاستعلامات — القاهرة — ١٩٧٥

- ١٠٧— الطريق إلى الديمقراطية — مناقشات اللجنة التحضيرية للمؤتمر
الوطني للقوى الشعبية — الدار القومية للطباعة والنشر — القاهرة
بدون تاريخ .
- ١٠٨— ميثاق العمل الوطني — الهيئة العامة للاستعلامات — القاهرة —
بدون تاريخ .
- ١٠٩— مجموعة خطب أنور السادات من سبتمبر ١٩٧٠ إلى ديسمبر ١٩٧٣
الهيئة العامة للاستعلامات — القاهرة .

٣ - المراجع الأجنبية

110. Campbell (John) : Defence of the Middle East Problems of American Policy, Harper & Bros, New York. 1958.
111. Connell (John) : The Most Important Country - The true Story of the Suez Crisis, Cassell, London. 1957.
112. Dailey (P.H.) : What is Democracy The Constoc Puplishing, U.S.A. 1918.
113. Eisenhower (Dwight) : The White House Years A personal Account 1956 - 1961, Doubleday & Company, New York, 1965.
114. Fisher (Sydney Niltton) : The Middle East - A History, Routledge Kegan Paul, London, 1960.
115. Kimche (John) : Seven Fallen Pillars The Middle East 1945-1962, Secker & Warburg, London ; 1953.
116. Laski (Harold) : Democracy in Crisis, George Allen & Unwin, London, 1933.
117. Little (Tom) : Egypt, Ernest Ben, London, 1958.
118. Mansfield (Peter) : Nasser's of Egypt, Penguin, London 1969.
119. Marlowe (John) : Anglo Egyptian Relations 1800-1953, The Casset Press, London, 1954.
120. Mill (John Stuart) : Considerations on Representatives Government, The Liberal Arts Press, New York, 1956.
121. Vatikiotis (P.J.) : The Egyptian Army in Politics Pattern for New Nations, Indiana University, 1961.

122. Wheeler (Harvey) : Democracy in Revolutionary, Era
Pelican Books, London 1971.
123. Encyclopedia American, American Corporation, U.S.A.
1963.
124. Encyclopedia Britanica, William Benton Publisher, London
1973.
125. Encyclopedia International, Crobior Limited, London,
1953.
126. Encyclopedia of the Social Sciences, Macmillan Co., New
York, 1959.
127. International Encyclopedia of the Social Sciences The
free Press, U.S.A. 1958.

فهرس

الموضوع	رقم الصفحة
مقدمة	٨
الباب الأول : منابع الفكر السياسى للثورة	١٥
الفصل الأول : الفكر السياسى للضباط الأحرار	١٧
الفصل الثانى : تجربة أنور السادات الخاصة فى العمل السياسى والعمل الصحفى	٣٥
الباب الثانى : المبادئ الستة للثورة فى كتابات أنور السادات	٥٣
الفصل الأول : قضية الاستعمار	٥٧
الفصل الثانى : قضية الديمقراطية	٨١
الباب الثالث : أنور السادات والقضايا السياسية التى فرضتها الأحداث على الثورة	١٢٧
الفصل الأول : قضية الأحلاف	١٣١
الفصل الثانى : الصدام المسلح بين الاستعمار والثورة	١٥٥
الفصل الثالث : القضية القومية	١٨٩
الباب الرابع : سمات العمل الصحفى عند أنور السادات	٢٢٣
الفصل الأول : فنون الكتابة وخصائص الأسلوب عند أنور السادات	٢٢٧
الفصل الثانى : مهمة أنور السادات فى العمل الصحفى وأثرها على كتاباته	٢٥٣
الخاتمة	٢٦٧
ملحق (بيان بالمقالات التى كتبها أنور السادات فى الصحف)	٢٧٩
مراجع البحث	٣٠٧

١٥٠

هذا الكتاب يتناول بالتحليل والدراسة العلمية فكر شخصية
من الشخصيات الهامة المعاصرة : شخصية أنور السادات ، ثورة
من أبرز الثورات في العالم الثالث : ثورة ٢٣ يوليو ٠٠ ويربط بينهما
ربطاً تاريخياً كأساس للعلاقة بين الثورة الأم واحد قادتها
ومفكرها ٠٠

فهو جهد باحث حاز صاحبه (كرم شلبي) على درجة الامتياز
في الماجستير بكلية الاعلام ، واشراف أساتذة أجلاء ٠٠

ودار الموقف العربي ٠٠ وهي تقدم هذا الكتاب توفراً للمكتبة
العربية جهداً علمياً وأكاديمياً تناول هذا الجانب الجديد من فكر
أنور السادات ٠٠ وفكر ثورة يوليو السياسي ٠

دار الموقف العربي

